تاريخ الكويت

الجزء الأول

القسم الأول

تأليف

الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة
أستاذ التاريخ بالجامعة الاردنية

لجنة تاريخ الكويت
الكويت

١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م

مطبعة حكومة الكويت

تاريخ الكويت

الجزء الأول

القسم الأول

تأليف

الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة
أستاذ التاريخ بالجامعة الاردنية

لجنة تاريخ الكويت
الكويت

الاهداء

تخليداً لذكرى الراحل الكريم المغفور له الشيخ عبد الله السالم الصباح
الذي كان له فضل المبادرة برعاية هذا التاريخ

وتحية للمؤازرة خلفه حضرة صاحب السمو الأمير الشيخ صباح السالم الصباح
الذي ينشر هذا التاريخ في عهده الزاهر .

لجنة تاريخ الكويت



المغفور له
الشيخ عبد الله السالم الصباح



حضرة صاحب السمو
الشيخ صباح السالم الصباح
امير الكويت المعظم

لجنة تاريخ الكويت

من صفات الامم الناهضة الواعيــة الاهتمــام بماضيها وحاضرها ومستقبلها .

فليست هناك أمة او شعب يود أن يكون له مركز مرموق بين شعوب العالم وهو يجهل ماضيه ويهمل تاريخه . فدراسة التاريخ لأي شعب وامة هى عبارة عن معرفة نفسها معرفة صحيحة تدفعها الى ان تحافظ على مكانتها بين امم الارض . والتاريخ ليس هذا فحسب انه مواعظ وعبر تساعد الامم الذكية على الاستفادة من اخطائها وعلى وضع اسس اسلم لمستقبل الايام . فالامم ذات التاريخ المجيد والماضي العظيم تعمل دائما على ان يكون حاضرها كماضيها رائعا مجيدا ، وصنع حاضر مجيد سيكون فى يوم من الايام صفحة ناصعة من صفحات التاريخ فى المستقبل ، كما ان وضع اسس حاضر عظيم هو ضمان لمستقبل زاهر مليء بالمفاخر .

والكويت وأهلها جزء من هذه الامة العربية العريقة ومن ثم فتاريخها هو جزء مــن التاريخ العربي . وقد تبوأت الكويت مركزها المرمــوق فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى كمركز تجارى هام على رأس الخليج العربي ثم ازدادت شهرتها فى الآفاق بعد اكتشاف البترول ، قبل الحرب العالمية الثانية والبدء بانتاجه بعد ان وضعت هذه الحرب أوزارها وتدفقت أول شحنة من نفط الكويت عام ١٩٤٦ . وبعد هذا التاريخ لم يستطع المرء أن يسابق التغير الذي طرأ على الكويت فى مظهرها وفى معيشة ابنائها ، لا سيما وانتاج النفط كان يزيد زيادة مذهلة سنة بعد اخرى مما عمل على ان يتدفق على الكويت الوافدون من البلدان العربية والبلدان المجاورة بأعداد عظيمة ، فازدهرت البلاد اقتصاديا وزاد عدد سكانها زيادة كبيرة واتسعت مدينة الكويت خارج سورها اتساعا عظيما حتى اتصلت بالقرى القريبة المجاورة ، كما انقلبت المدينة رأسا على عقب وهدمت منازلها القديمة المبنية من الحجــارة والطين وحلت محلها البنايات الحديثــة والشوارع الجديدة وبنيت المدارس والمعاهد والمستوصفات والمستشفيات، وزرعت الحدائق وباختصار تغيرت ملامح البلاد تغييرا شاملا .

وفى عام ١٩٦١ اصبحت الكويت دولة مستقلة ثم اعقب ذلك قبولها عضوا فى الجامعة العربية بتاريخ ٢٠ يوليو ١٩٦١ وهيئة الامم المتحـدة بتاريخ ١٤ مايو ١٩٦٣ واصبحت عليها مسئوليـات فى المجالين الدولي والعربي على حد سـواء ٠ وكان المسئولون واصحاب الرأي فى البـلاد يشعرون بضرورة تدوين تاريخ الكويت حتى لا يهمل فى خضم هذا التغيير السريع الذي طرأ على البلاد ، وخاصة بعد أن انتشر فى الاسواق العديد من الكتب التي تطرقت الى تاريخ الكويت بصورة ابعد ما تكون عن الحقيقة وعن البحث العلمي السليم ٠

ولقد تقدم رئيس دائرة المطبوعات والنشر آنذاك الشيـخ صباح الاحمد الصباح باقتراح الى المجلس الاعلى الذي كان يمثل السلطة التنفيذية العليا ، بغية تأليف لجنة تشرف على كتابة تاريخ الكويت ، ووافق المجلس المذكور على هذا الاقتراح بجلسته المنعقدة بتاريخ ١٩٥٩/١٢/١٥ وعلى تأليف لجنة لدراسة وكتابة تاريخ الكويت برئاسة الشيخ صباح الاحمد الصباح من السادة الآتية اسماؤهم :

عبد الحميد الصانع

نصف اليوسف النصف

احمد البشر

درويش المقدادي

محمد العتيبي

بدر الخالد البدر

كما عين السيد عبد العزيز الصرعاوي سكرتيرا اللجنة ٠

وقد عقدت اللجنة اولى جلساتها بتاريخ ١٩٥٩/١٢/٢٨ وتبادلت الرأي حول كيفية مزاولة نشاطها فكلفت السيدين عبد العزيز الصرعاوي ودرويش المقدادي بوضع خطة عامة تتضمن الاسس التي ستسير عليها اللجنة فى اعمالها على ان تعرض عليها هذه الخطة فى اجتماع قادم ٠

وبتاريخ ١٩٦٠/١/١٨ عقدت اللجنة اجتماعها الثاني واطلعت على تقرير اللجنة الفرعية وبعد المداولة اتخذت القرارات الآتية :

١ ـ تباشر اللجنة مسئوليتها فى تدوين تاريخ الكويت منذ نشاتها حتى وفاة الشيخ مبارك الصباح كمرحلة اولى ، بحيث تتناول الدراسة فى هذه المرحلة النقاط الآتية :

أ ـ تاريخ المنطقة وجغرافيتها وكذلك السكان الذين سكنوها واقاموا فيها أو رحلوا عنها ، والآثار الحضارية التى خلفوها وصلاتهم بمختلف الشعوب .

ب ـ تاريخاستيطان الكويت ونشأتها والقبائل التى سكنتها واستقرت فيها ومواطنها الاصلية التي هاجرت منها الى الكويت ومختلف المراحل والاحداث التى مرت بها البلاد منذ نشأتها حتى وفاة الشيخ مبارك .

جـ ـ وصف معالم الحياة الاجتماعية فى الكويت وابراز ما لصناعة (الغوص) و (السفر) من اهمية وأثر فى حياة أهل الكويت واتصالاتهم بالعالم الخارجي .

٢ ـ انتداب شخص مؤهل يتفرغ لجمع المعلومات وكتابة التاريخ بصورة علمية صحيحة .

وفى الجلسة الرابعة المنعقدة بتاريخ ١٩٦٠/٢/١٧ تقرر ترشيح الدكتور عبد العزيز الدوري للقيام بهذه المهمة ، وكان يشغل منصب أستاذ التاريخ العربي فى الجامعة الامريكية فى بيروت . وبدأ الدكتور الدوري عمله مع اللجنة فترة من الوقت ثم عين رئيسا لجامعة بغداد فصرفته مشاغله الكثيرة عن مواصلة عمله مع اللجنة .

فرأت اللجنة ان تستعين بالدكتور احمد مصطفى ابو حاكمة الاستاذ فى الجامعة الاردنية فى عمان فى اوائل ١٩٦٥ والذي سبق لدائرة المطبوعات والنشر الاستعانة به لتزويدها ببعض الوثائق والمخطوطات التي لها علاقة بالكويت عندما كان يحضر للدكتوراه بلندن حول تاريخ العتوب بمنطقة الخليج العربي عام ١٩٥٩ . وقد فقدت اللجنة اثنين من اعضائها هما المرحوم درويش المقدادي والمرحوم محمد العتيبي . فرأت اللجنة ان ينضم الى عضويتها السيد عبد العزيز الصرعاوي وصارت سكرتارية اللجنة الى الاستاذ ابراهيم الشطي .

لقد قامت اللجنة بمجهودات كبيرة فى استقصاء الوثائق والمراجع التى استندت اليها كما سيرى القارىء . ولا يفوت اللجنة مع ذلك أن تنوه بأنه ربما وجدت وثائق ومصادر أخرى تعين اللجنة فى أعمالها عند طبع الكتاب طبعة جديدة فى المستقبل ولذا فهى تهيب بالباحثين والمهتمين بالتاريخ أن يوافوها بها خدمة للعلم وللحقيقة والتاريخ .

لجنة تاريخ الكويت

تصـــدير

يرجع عهد المؤلف بدراسة تاريخ الكويت الى عام ١٩٥٥ ، وذلك انه منذ تلك السنة قد جعل همه جلاء ما غمض عليه من تاريخ تلك الامارة ، ولا سيما عاصمتها الكويت . ولقد كان الغمـوض الـذي يحيط بنشأة الكويت وتسميتها ، هو اول ما حفزه على التعمق فى دراسة ذلك التاريخ . والمؤلف يصدق القارىء الكريم القول اذ يقول له : أن دهشتي كانت عظيمة يوم ان بدأت الحقائق تتكشف امامي عن تاريخ مشرق عريق يعود الى عهد ابعد بكثير مما يتصوره العرب والاجانب الذين ظنوا ان تاريخ الكويت لم يتجاوز الخمسين سنة الاخيرة الا بقليل . ان الكويت ليست وليدة النفط على اى حال . ولن اطيل على القارىءالحديث عن تلك المكتشفاتالتاريخية الهامة التي توالى عثوري عليها منذ أن توجهت عام ١٩٥٨ الى اوربا دارسا فى متاحفها ودور وثائقها ، وبعد أن تتابع درسي لذلك التاريخ دون انقطاع بعد ذلك ، اذ أن الحقيقة ستبدو للعيان بعد ان يطالع القارىء الصفحات التي دونتها ، والتي تقف الى حين عند عام ١٢٣٠ هـ / ١٨١٥ م ، اى سنة وفاة حاكم الكويت العظيم الشيخ عبد الله الاول بن صباح ، ثاني حكـام الكويت من آل صباح .

ولقد اسعدني وأثلج صدري ، حين كنت فى لندن باحثا عن اخبار هذا التاريخ ، ان اعلم بميلاد لجنة تعنى بتاريخ الكويت ، على رأسها الشيخ صباح الاحمد الجابر الصباح ، وذلك عام ١٩٥٩ ، حين كان رئيسا لدائرة المطبوعات والنشر . ولقد بذلت هذه اللجنة الموقرة جهدا خالصا فى سبيل الوصول الى انجع الطرق الى تدوين تاريخ الكويت منذ تأسيسها ، وكانت تعلم علم اليقين ان تدوين هذا التاريخ البكر ، لن يكون امرا سهلا ميسورا. ولقد كان لي الشرف ان تجد فيَّ اللجنة ،بعد جهودها المبكرة المشكورة،من يستطيع القيام بعبء تدوين هذا التاريخ الذي عشته منذ عـام ١٩٥٥ ، بعد ان قدمت الكويت معلما ومتعلما فى آن معا ، وان ترعى اللجنة عملي ، وتدفع به الى المطبعة ليطالعه طالب الحقيقة فى تاريخ الكويت .

وبعد فلما كان العديد من الكتب قد صدر عن تاريخ الكويت فى هذه السنين الاخيرة ، رأينا ان يأتي تاريخنا مغايرا لتلك المؤلفات ، اذ رأينا ان

نهج فيه نهجا علميا خالصا ، كي يتفق مع ما حرصت عليه اللجنة منـذ البداية . وجاء عرضنا لذلك موضوعيا للاحداث التاريخية ليكون اقرب الى عرض الحقيقة منه الى محاولة فرض النتائج واصدار الاحكام القاطعة .

وأشهد انني قد افدت فوائد عدة من الجلسات المتكاررة التي جلست فيها الى السادة اعضاء اللجنة حين تداولنا فى كل صفحة سطرتها ، بل وفى كل عبارة قد يغمض على القارىء فهمها .

ولسوف يجيء تاريخنا هذا فى ثلاثة اجزاء يقع كل منها فى قسمين ، نتناول فى القسم الاول السرد التاريخي للاحداث وفى الثاني نعنى بنشر الوثائق التاريخية الاوروبية بنصها وترجمتها العربية ، وهي الوثائق التي استندنا اليها والى غيرها عند تدوين تاريخنا هذا . ونرجو أن يصـل تاريخنا الى عام ١٩١٥ ، اي سنة وفاة المغفور له الشيخ مبارك آل صباح . والله نسأل السداد قولا ، والعصمة له وحده .

احمد مصطفى أبو حاكمة

الفصل الأول

مقدمة في مصادر تاريخ الكويت

الفصل الأول

مقدمة فى مصادر تاريخ الكويت

لا يخفى على القارىء الكريم ان العديد من الكتب والاوراق والمقالات قد ظهرت وهي تتحدث عن تاريخ الكويت ، لا سيما بعد ان صارت الكويت من البلاد الكثيرة الانتاج للنفط ، غير انه من الانصاف للتاريخ القول بأن احدا من هذه الكتب او المصنفات لم يستند الى اصول البحث التاريخي ، ومن ثم جاءت فى معظمها لا تفي بغرض الباحث المدقق الساعي وراء الحقيقة فى اصل الكويت وتاريخها من حيث نشأتها ، ومن حيث الاصول التاريخية لتطورها وعمرانها .

ونحن لا نبغي التعريض بالكتاب العرب دون سواهم ، فان من تناول الكويت بالبحث من المؤرخين الاجانب اصاب التقصير بحثه ، نظرا لانه اعتمد فى الغالب على المصادر الاوروبية دون سواها . ولا يخفى ان البحث التاريخي يجب ان يقوم على اكبر قدر ممكن من المطالعة والتنقيب فى المصادر المدونة بمختلف اللغات . ومن هنا حرصنا عند تدوين هذا التاريخ على الرجوع الى ما نراه مصادر اولية لتدوين مثل ذلك التاريخ .

ولقد اعتمدنا فى الجزء الاول من هذا التاريخ ، وهو الذى نضعه بين يدى القارىء العربي اليوم ، على مصادر اوروبية مطبوعة وغير مطبوعة ، ثم على مصادر اخرى عربية مطبوعة ومخطوطة ، واخيرا حاولنا ان نستفيد كذلك من الرواية المحلية فى الكويت والبحرين ، وسوف نبين أهمية هذه الوثائق التي اعتمدنا عليها واحدا اثر الآخر ، لعل غيرنا

يتناولها ايضا بالدرس ليستقي منها معلومات اخرى تتعلق بتاريخ الجزيرة العربية عامة والخليج العربى بصفة خاصة ، اذ ليس هدفنا هو التأريخ للجزيرة العربيـــة او الخليج فقط ، بل هدفنا من ذلك هو التخصص فى تاريخ الكويت واشد البلدان العربية التصاقا بذلك التاريخ وتفاعلا معه ، فى الفترة التى نحن بصدد التأريخ لها ، أى منذ نشأة الكويت فى مطلع القرن الثامن عشر الميلادى حتى وفاة الشيخ عبد الله بن صباح عام ١٨١٥م •

اولا ــ المصادر الاجنبية :

اما المصادر الاجنبية فتنقسم الى ثلاث مجموعات هي :

(أ) سجلات شركة الهند الشرقية الانجليزية المحفوظة حاليا بمكتبة وزارة شئون الهند (المسماة حاليا وزارة شئون الكومنويلث) •
(Commonwealth Relations Office)

(ب) كتابات الرحالة الاوروبيين المعاصرة اى فى القرنين الثامن عشر واوائل التاسع عشر •

(جـ) المؤلفات الاوروبية المعاصرة للاحداث المروية ثم المتأخرة •

(أ) سجلات شركة الهند :

اما المجموعة (أ) فتنقسم بدورها الى قسمين ، اولهما مخطوط وثانيهما مطبوع ، والاول هو الاصل ، اذ انه يكون الجزء الاعظم من تلك الوثائق وهو يقع فى آلاف الصفحات المخطوطة التى جمعت ورتبت فى محافظ حسب سني كتابتها ، ذلك ان المقصود بهذه الوثائق انما هو سجلات الوكالات التجارية لشركة الهند الشرقية الانجليزية Factory Records وهي الخطابات المتبادلة بين وكلاء الشركة المقيمين فى وكالاتها ببلدان الخليج العربى ، وبين مجلس مديرى الشركة بلندن أو بينهم وبين المركز الرئيسي للشركة فى مدينة بومباى بالهند ، او ما كان يعرف

بحكومة بومباى (Bombay Government) الانجليزية • وهذه المجلدات تتناول الفترة السابقة للقرن الثامن عشر كذلك اذ تبدأ منذ عام ١٦٠٠ أى منذ صدور براءة تأسيس هذه الشركة فى آخر شهر ديسمبر عام ١٦٠٠ م (١) ، وهى مكتوبة بخطوط تتفاوت رداءتها ، وحتى من حيث طريقة التدوين والاملاء تختلف اختلافات بينة عن اللغـة الانجليزية المعاصرة لنا اليوم • والمجلدات التي اشرنا اليها فى هذا الجزء من كتابنا تتناول القرن الثامن عشر باكمله والربع الاول من القرن الذى يليه •

وقد اقامت شركة الهند الانجليزية وكالات تجارية لها على سواحل الخليج العربي فى بندر عباس (جمبرون) وبوشهر والبصرة ، واعتاد وكلاء الشركة فى هذه الموانىء ان يكتبوا تقارير ورسائل لرؤسائهم فى بومباى ولندن تتضمن سير اعمال الشركة ، وكذلك ترد فيها اشارات الى البلدان المتاخمة للخليج العربي بشاطئيه الغربي والشرقي ، تتناول الحركات السياسية وتحركات القبائل ، ثم الحركة التجارية للشركة • ولاسباب سنذكرها فى حينها ، نقلت الشركة وكالتها التجارية عام ١٧٩٣ من البصرة الى مدينة الكويت حيث بقيت تمارس نشاطها التجارى فى الخليج العربي منها نيفا وعامين ، عادت بعدهما الى البصرة من جديد • على ان اخبار وكلاء الشركة الواردة فى مراسلاتهم تفيدنا فى تاريخ الكويت قبل انتقالها اليها ، والواقع اننا اعتمدنا اعتمادا يكاد يكون كليا على مراسلات الشركة حين اقمنا الدليل على النهضة التجارية الكويتية فى الفترة اللاحقة لعام ١٧٧٠ م • ولعله من الجدير بنا ان نقرر ، ونحن فى صدد الحديث عن مقدار الفائدة التاريخية التي يستقيها المستقصي مـن اوراق الشركة هذه من حيث ما يتعلق بتاريخ الكويت وشرقي الجزيرة العربية ، انذلك المقدار هو اقل بكثير مما يستطيع ان يستفيده المستقصي

---

(١) هذه المجلدات ليس لها فهرس يوضحها وهي بالطبع غير منشورة حتى اليوم ، وعلى هذا رأينا عند الاستشهاد بها ان نذكر تاريخ صدور الوثيقة او المكاتبة ثم رقمها حتى يتيسر الرجوع اليها لمن اراد ذلك .

من اخبار العراق وبلاد فارس • ولعل السبب فى هذا يرجع الى ان كلا من العراق وفارس كان لها أهمية تجارية تفوق ، بالنسبة للشركة ، أهمية الكويت وشبه الجزيرة العربية • ثم ان تجارة الكويت والجزيرة العربية فى الفترة التى نحن بصدد التأريخ لها انما كانت فى الواقع حكرا على اسطولي الكويت ومسقط (٢) • ومهما يكن من امر ، فانه نظرا للصلات العديدة التي كانت تربط الكويت وشرقي الجزيرة العربية بالقبائل العربية النازلة حول البصرة وعلى الشاطىء الشرقي من الخليج العربي ، وردت الاشارات اليها فى تلك المكاتبات (٣) •

ولعله يكون مما جلب انتباه رجال الشركة الى الكويت ، وتفكيرهم بالنزوح اليها فى اواخر القرن الثامن عشر ، انما هو النشاط التجارى الذى كانت تزخر به آنذاك ، ثم لقربها من البصرة وبوشهر ، وهما الميناءان الرئيسيان اللذان كانت الشركة تمارس منهما نشاطهـا التجارى فى تصريف بضائعها الاوروبية والهندية فى العراق وبلاد فارس • ومما تجدر الاشارة اليه فى هـذا المقـام انه حتى مطلع القـرن التاسـع عشر لم يكن لبريطانيا تمثيل سياسي فى منطقة الخليج ، ومن هنا كان ممثلو الشركة ، بعد أن صاروا يتمتعون بالصفة القنصلية ، هم ممثلي الدولة الانجليزية ومصالحها فى العراق وفارس والخليج العربي •

هذا عن سجلات الشركة المخطوطة ، اما الوثائق المطبوعة ، فهـذه تنحصر فى :

---

(٢) انظر الفصل السابع من هذا الكتاب •

(٣) على الرغم من بزوغ نجم الوهابية فى نجد فى منتصف القرن الثامن عشر مثلا ، الا ان اول مكاتبة تشير الى الوهابيين ارسلها وكلاء الشركة من الخليج عام ١٧٨٧ ، وكذلك فان اول تقرير واف عن الحركة الوهابية ارسلة المستر هارفورد جونز بريدجز Harford Jones Brydges الى الشركة جاء تاريخه اول ديسمبر عام ١٧٩٨ ، ولعل هذا جاء نتيجة لقيام علي باشا ، كيخيا (نائب والي) بغداد ، بالهجوم على الوهابيين فى الاحساء فى ذلك التاريخ •

١ ــ مختارات من سجلات حكومة بومباى والتى طبعت سنة ١٨٥٦ فى مدينة بومباى

Selectims from the Records of the Bombay Government No. XXIV-New Series

فى هذه المختارات يمكننا ان نتتبع احداث الخليج العربي التاريخية فى الفترة التى تؤرخ لها ، وكذلك يمكننا ان نستقي معلومات اخرى غيرها تتعلق بعرب الخليج عامة • وقد دون هذه المعلومات فى مطلع القرن التاسع عشر رجال من حكومة بومباى ، عهدت تلك الحكومة لهم امر القيام بها ، فقاموا بزيارة الخليج ودونوا تقاريرهم المختلفة التي جمعت جميعها ونشرت فى مجلد واحد عام ١٨٥٦ • اما اهمية هذه التقارير فتنبع من الصفة الرسمية التى حملها من كتبوها أولا ، ثم لانها جاءت بمعلومات دونها هؤلاء عن أماكن زاروها بأنفسهم فى وقت قريب جدا من الفترة التاريخية التىتتصدى لها، ولاريب أنهناك أخطاء واضحة ارتكبها بعض هؤلاء النفر فى تأريخ بعض الحوادث السابقة لوصولهم الى الخليج والمتعلقة بالجزيرة العربية ، غير ان هذه التقارير لها اهمية كبرى مـن حيث الافصاح عن السياسة البريطانية فى الخليج فى تلك الفترة نظرا لان امور الخليج ، على الصعيد الانجليزى ، كانت متروكة لحكومة بومباى• وفى هذه التقارير قدر كبير من الحوادث التي ذكرت مقرونة بسني حدوثها ، وفيها كذلك قدر كبير من المعلومات المتعلقة بالقبائل العربية فى الخليج (٤) •

٢ ــ مختارات من أوراق الدولة (حكومة بومباى) ، متصلة بعلاقات شركة الهند الشرقية بالخليج العربي ١٦٠٠ ــ ١٨٠٠

Selections from State Papers, Bombay, regarding the East India Company's Connexions with the Persian Gulf 1600 - 1800

وقد جمع هذه المختارات او انتقاها سلدنها Saldanha • وهو فى مختاراته هذه ينتقي رسائل متنوعة تتعلق جميعها بتاريخ الخليج العربي

(٤) تجرى الاشارة الى هذه التقارير مع ذكر اسماء من دونوها ، حين استخدامنا لها ، فى الهوامش •

فى الفترة ما بين ١٦٠٠ ــ ١٨٠٠م ، وهو فى اختياره هذا يميل الى انتقاء الرسائل من سجلات وكالتي البصرة وبو شهر ، ولم نعثر فى مختاراته على أى من الرسائل التى وجدناها فى سجلات وكالة البصرة ، سواء حين اقامتها فى الكويت أو فى البصرة ، وهي الرسائل التى اشرنا اليها من قبل وبينا كيف اعانتنا على تدوين النشاط التجارى للكويت فى الفصل السابع من كتابنا هذا . غير أن سلدنها قد الحق بمختاراته هذه تقريرين تجاريين هامين أولهما تقرير كتبه وكيل الشركة ومساعده فى وكالة البصرة عام ١٧٨٩ عن تجارة شرقي الجزيرة ، وثانيهما تقرير تجارى آخر كتبه جون مالكوم John Malcolm عام ١٨٠٠ ، وكلا التقريرين له فائدة كبرى فى بيان أهمية الكويت التجارية . غير انه مما تجدر ملاحظته ايضا على التقرير الاول انه جاء ناقصا فى مواضع عدة ، وذلك نظرا لتآكل الورق ، ولقد تداركنا هذا النقص حين وجدنا نفس التقرير فى سجلات الشركة المحفوظة بلندن والتى اشرنا اليها قبل حين ، اذ وجدنا ذلك التقرير كاملا وموقعا عليه من قبل هارفورد جونز ومانيستي[٥] .

(ب) كتابات الرحالة الاوروبيين :

قدم لنا الرحالة الاوروبيون معلومات هامة أساسية عن الكويت والبلدان المجاورة لها لانهم كانوا معاصرين للاحداث التى يصفونها ، ويمكن قسمتهم الى ثلاث فئات :

١ ــ الرحالة الذين كانوا بين موظفي شركة الهند الشرقية الانجليزية فى القرن الثامن عشر .

٢ ــ الرحالة من غير هؤلاء الموظفين والذين ينتمون الى القرن الثامن عشر أيضا .

٣ ــ رحالة النصف الاول من القرن التاسع عشر .

أما الفئة الاولى من هؤلاء الرحالة ، فقد تناولناهم بتفصيل فى

(٥) انظر المجلد رقم ١٩ من سجلات الوكالات .

الفصل السابع من هذا الكتاب ، فوصفنا مؤلفاتهم وبينا الفوائد التى استخلصناها منهم حينذاك • وموجز القول فى مؤلفاتهم انها كونت المادة الاساسية لوصف الرحلات فى الخليج العربي شمالا وجنوبا من ناحية ، ثم عبر الطريق التجارى الصحراوى العظيم المتجه من الكويت والبصرة الى حلب ، ولا يخفى ما كان لذلك الطريق من أهمية خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر وأيضا السابع عشر •

والى الفئة الثانية من الرحالة ينتمي الرحالة الدنمركي العظيم كارستن نيبور Niebuhr والرحالة الانجليزى ابراهام بارسونز Parsons

اما الرحالة نيبور (١٧٣٣ ــ ١٨١٥) والذى صارت مؤلفاته خير مرجع اوروبي عن الجزيرة العربية فى القرن الثامن عشر ، فهو لا يحتاج منا الى كثير من التقديم والتعريف •

كان نيبور العالم الرياضي أحد خمسة رجال تألفت منهم البعثة الملكية الدنمركية التى انيط بهـا اكتشاف الجزيرة العربية والبلدان المجاورة لها عام ١٧٦٠ • لقد توفى رفاق نيبور الاربعة قبل ان يتموا رحلتهم وقد مات آخرهم فى اليمن ، وكتب لنيبور السلامة حتى يدون لنا اخبار رحلتهم هذه (٦) •

لقد نجا نيبور من الموت حين عرف طريقه من مخا باليمن الى الهند على ظهر احدى سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية التي نقلته الى بومباى بعد ان عولج على ظهرها • وفى طريق عودته من بومباى الى بلاده اصر على العودة عن طريق الخليج العربي لا البحر الاحمر حتى يصف شرقي الجزيرة العربية بعد ان تمكن مع رفاقه من جمع المعلومات القيمة عن غربيها • ولقد مكث نيبور فى منطقة الخليج طـوال الفترة الواقعة بين شهرى ديسمبر ١٧٦٤ ويونيه ١٧٦٥ حين سجل معلومات غاية فى الاهمية تتعلق بالقبائل العربية النازلة على شاطىء الخليج العربي

---

(٦) انظر من اجل الاطلاع على حياة نيبور ثم الاسباب التى من اجلها قامت الرحلة كتاب G. N. Niebuhr وهو حياة نيبور The Life of Carsten Niebuhr الترجمة الانجليزية للبروفسور روبنسون Robinson طبع ادنبره ، صفحات ١١ ــ ١٤ .

من جهة جزيرة العرب ومن جهة فارس وكذلك عن القبائل العربية النازلة جنوبي العراق حول البصرة (٧) • ولا شك ان اخبار القبائل هذه لها أهمية خاصة بالنسبة لدراسة تاريخ الكويت والبلاد المجاورة لها فى هذه الحقبة التي بين ايدينا ، لان العلاقات السلمية وعلاقات الحروب كانت مستمرة بين تلك القبائل على شاطئي الخليج ، وباستثناء ما دونه عنها نيبور لا نكاد نجد سوى النزر اليسير فى المصادر الاخرى • وهكذا كانت الاخبار التى دونها نيبور فى كتابيه صفة جزيرة العرب Description de L'Arabie ورحلة فى جزيرة العرب Voyage en Arabie عن قبائل بني خالد وبني كعب والمنتفق والظفير وعرب بندر ريق وبوشهر على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لتاريخنا •

ونحن نجد فى كتاب صفة جزيرة العرب لنيبور اول معلومات دونت عن مدينة الكويت (ص ٢٩٦) • وصحيح ان نيبور لم يزر مدينة الكويت ، غير ان نيبور بما عرف عنه من تحرى الدقة فى جمع المعلومات التاريخية ثم الدراية باستخلاصها من الثقاة والرواة عن الاماكن التى لم يستطع القيام بزيارتها بنفسه يجعلنا نثق فى معلوماته عن الكويت • ولقد كان اول كاتب يذكر الاسمين اللذين عرفت بهما الكويت معا اى القرين والكويت (٨) •

وقد ظلت الخريطة التي رسمها نيبور للخليج العربي افضل ما رسم للخليج حتى نهاية القرن الثامن عشر وهذه الخريطة لها اهمية تاريخية عربية بالغة اذ انها تبين منازل القبائل العربية المختلفة على شواطىء الخليج فى هذا التاريخ (٩) • وقد يؤخذ على نيبور انه لم يستطع ان

---

(٧) ظهرت الطبعات الاولى من مؤلفات نيبور باللغة الالمانية عام ١٧٧٢ . ثم ظهرت الترجمة الفرنسية بعد ذلك عام ١٧٧٤و١٧٧٨و١٧٨٠ . وهناك ترجمة انجليزية هزيلة لمؤلفات نيبور ، ولم تظهر حتى الان اية ترجمة ذات قيمة لتلك المؤلفات باللغة العربية .

(٨) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب .

(٩) مما يلاحظ ان مدينة الزبارة بقطر ، والتي سيتردد ذكرها فى تاريخنا هذا ، غير موجودة على تلك الخريطة وذلك نظرا لان الخريطة قد رسمت قبل ان تزدهر هذه المدينة فالخريطة تم رسمها عام ١٧٦٥ .

يكتب لنا شيئا ذا بال عن الوهابية والوهابيين ، غير اننا قد نجد لنيبور مبررا ، فنيبور دون معلوماته عن شرقي الجزيرة العربية من الاخبار التى استقاها فى مينائي بوشهر والبصرة ، اذ انه لم يزر مدن تلك المنطقة • وأيضا كان المد الوهابي لا يزال بعيدا عن اقليم الاحساء فى شرقى الجزيرة حين تصادف مرور نيبور بالخليج ، اذ المعروف ان الهجمات الوهابية الحقيقية لم تبدأ على شرقي الجزيرة قبل عام ١٧٧٤ م ، اى بعد سقوط الرياض فى ايديهم والقضاء على نفوذ دهام بن دواس شيخ الرياض وعدوهم اللدود • والواقع ان الاحساء وممتلكات بني خالد فى شرقي الجزيرة ، كما سيأتي فى غير هذا الموضع لم تخضع خضوعا نهائيا للوهابيين قبل عام ١٧٩٦ م • ولعل انعدام الاثر الوهابي فى شرقي الجزيرة حتى هذا التاريخ هو الذى جعل ممثلي شركة الهند الانجليزية فى البصرة والخليج لا يكتبون شيئا فى تقاريرهم عن الوهابيين قبل عام ١٧٨٧ ، كما مر بنا آنفا •

ومهما يكن من امر ، فلقد كان نيبور ولسوف يبقى كذلك صاحب فضل كبير على كل من يكتب تاريخا لجزيرة العرب أو لاى جزء منها فى القرن الثامن عشر الميلادى (١٠) •

والرحالة الثاني الذى دون فى رحلته معلومات قيمة تتعلق بالكويت والحوادث الجارية فى البلدان المجاورة لها فى فترتنا التاريخية هو ابرهام بارسونز Parsons (١١) وقد سافر « بالطريق الصحراوى العظيم »

---

(١٠) لقد اعتمد جميع من كتبوا عن الجزيرة العربية بعد نشر مؤلفات نيبور على تحقيقاته المدونة فى كتابيه السابقين .

(١١) فى سنة ١٧٦٧ عينت الشركة التركية Turkey Company وهي الشركة الانجليزية التي كانت تعمل فى التجارة فى بلاد الدولة العثمانية على شاكلة شركة الهند الانجليزية ، عينت هذه الشركة المستر بارسونز قنصلا ووكيلا تجاريا لها فى ميناء الاسكندرونة . غير ان المستر بارسونز ما لبث ان استقال من منصبه هذا بعد ان قضي فيه ستة اعوام نظرا لسوء الاحوال الصحية هناك ، ثم بدا فى القيام برحلته التجارية الاستطلاعية التي جاءت به الى البصرة . انظر مقدمة الى رحلاته ، ص ج .

من حلب الى البصرة سنة ١٧٧٤ ، وتصادف وجوده فى البصرة حين قام الفرس بحصارها عام ١٧٧٥ • فهو اذن شاهد عيان لحصار البصرة ، بل لقد شارك بنفسه فى القتال ضد الفرس ، وذلك لان شركة الهند الشرقية ممثلة فى وكالتها بالبصرة انحازت الى الجانب العثماني فى القتال ضـــد الفرس • ومن هنا تكتسب كتاباته اهميتها ، وذلك بالنظر لما كان لحادث الحصار هذا ثم احتلال البصرة الذى أعقبه فى العام التالى ، من أثر فى تاريخ العراق العثماني وكذلك بلدان الخليج العربية مثـــل الكويت والبحرين والزبارة • ولقد استفدنا من المعلومات التي قدمها لنا بارسونز عند تدوين ذلك الحدث التاريخي الهام فى الفصل الخامس من كتابنا هـــذا •

اما الفئة الثالثة من الرحالة ، فتضم الرحالة الالماني الدكتور سيتزن Seetzen والرحالة السويسرى بيركهاردت Burckhardt ثم كلا مـــن بكنجهام Buckingham وشتوكويلر Stocqueler وولستد Wellsted والمعلومات التي يقدمها لنا هولاء الرحالة على الرغم من انها محدودة بالنسبة لما يتعلق بالكويت ، قيمة للغاية ، اذ ليست العبرة بالكم ، وقد أشرنا الى مؤلفات هؤلاء الرحالة وغيرهم فى أماكن مختلفة من هـــذا التاريخ ، اشارات مختلفة ، حيث نستطيع ان نرى مقدار ما افادونا به •

(جـ) المؤلفات الاوروبية المعاصرة للاحداث المروية ثم المتاخرة :

وقبل ان نختم كلامنا هذا عن كتابات الرحالة الاوروبيين واهميتها بالنسبة لهذا التاريخ المبكر للكويت ، لا بد من ان نشير الى اهمية الحقائق التي اوردها السير هارفورد جونز بريدجز Brydges فى كتابه المسمى بالوهابي Wahauby وهو فى كتابه هذا يتحدث عن حوادث كان لها بمثابة شاهد عيان ، بل انه شارك فى معظمها بنفسه • وهو كذلك يصف حوادث لم يرها بأم عينه ، غير انه بما طبع عليه من قدرة على

اختبار الحقائق وتمييز الصادق منها من الكاذب يتبوأ مكانا عليا بين المؤرخين • وهو دائما يبدو منتبها لما يقول ، لا يتردد ، حين يجد من يفضله ، فى ان يشير الى كتاباته ناقلا عنه بامانة كـل ما يريد نقله فى موضوع بعينه•وقد انضم الى وكالة البصرة التجارية فى سنة ١٧٨٤ وبقى مقيما فىهذه الديار حتى عام ١٧٩٤• وفى خلال هذه الفترة استقر مدة من الزمن عام ١٧٩٠ فى الكويت نظرا لاعتلال صحته فى البصرة ، ونظـرا لجودة مناخ الكويت بالقياس مع البصرة ، ولما اتم فترة الاستشفاء عاد الى البصرة ثانية • وحين انتقلت الوكالة التجارية الانجليزية من البصرة الى الكويت ، انتقل معها بدوره عام ١٧٩٣ وبقي فيها طوال اقامتها المؤقتة فيها • وفى سنة ١٧٩٨ عينته الحكومة البريطانية ممثلا لها لدى باشا بغداد • وان كتابا يكتبه رجل له هذه المعرفة بالبلاد العربيـة المحيطة بالخليج عن الوهابية لا بد ان يكون مليئا بالحقائق التاريخية المفيدة ، ولا بد ان يستمد مثل هذا الكتاب اهمية فائقة لكون كاتبه اقام ردحا طويلا فى البلاد التي يصف احداثها والتي له معرفة تامـة بأهلها •

وعندما يتحدث هذا الكتاب عن الوهابية من حيث كونها مذهبا ، يحيل قارئه على بيركهاردت الذى دون خـير معلومات عنها فى كتابه « ملاحظات على البدو الوهابيين » Notes on the Bedouins and Wahabys ويؤثر ان ينقل عنه بدلا من ان يدون معلومات لن تكون افضل مما دونه صاحبه (١٢) •

والواقع انه لا يهمنا فى المقام الاول فى كتاب بريدجز حديثه عن الوهابية والوهابيين بقدر الملاحظات التي دونها فى آخر ذلك الكتاب •

---

(١٢) قارن Brydges, the Wahauby, pp. 110-114

اذ انه ذكر فيها معلومات على جانب كبير من الاهمية وهي تتعلق بحكم الشيخ عبد الله بن صباح ثاني حكام الكويت • وايضا نجد فى تلك الملاحظات وصفا لحملة قام بها علي باشا ، كيخيا بغداد ، على الوهابيين فى الأحساء عام ١٧٩٨ • وهذا الوصف وذلك التحليل لفشل الحملة لا نجد له مثيلا فى اى كتاب معاصر للاحداث سوى كتاب لمع الشهاب الذى سوف تتطرق الى الحديث عنه بعد قليل •

غير ان هناك لغزا ابقاه بريدجز دون حل فى كتابه ، لم يشر اليه فى اقناع ، وهو امر الهجمات الوهابية على الكويت فى اثناء اقامة الوكالة الانجليزية بها ، والدور الذى لعبته الوكالة ، او بعبارة ادق موقفها تجاه تلك الهجمات • وقد اسند بريدجز الدور الاول والاخير فى كبح جماح الغزوات الوهابية وردها عن الكويت الى رجال الشـيخ عبد الله بن صباح البواسل ، ثم الى مدفع كبير قديم كان له فضل كبير فى صد تلك الهجمات ، فهل كان بريدجز صادقا فى انبائه هذه ؟ ان الامر المحير حقا ان شخصا آخر من موظفى الوكالة هو المستر جـون لويس رينود John Lewis Reinaud وكان ايضا مقيما فى الكويت حين اشـتدت الهجمات الوهابية عليها خلال اقامة الوكالة الانجليزية بها ، قد اخبر الرحالة الدكتور سيتزن فى حلب عام ١٨٠٥ ان دور الوكالة كان فعالا فى رد الهجمات الوهابية ، وان حرس الوكالة اشتركوا فى القتال ، وان الوهابيين استاءوا من تصرف رجال الوكالة ، ومن هنا اوفدته الوكالة الى الدرعية لاعادة الامور الى مجاريها بينها وبين الوهابيين ، الذين كان بمقدورهم دائما ان يعترضوا بريد الوكالة القادم من حلب الى الكويت ، او المسافر من الكويت الى حلب فلندن • ويقول رينود انه نجح فى مهمته هذه ، وكان بذلك اول اوروبي يزور الدرعية فى عهد الوهابيين (١٣) • هل كان بريدجز اذن ، وهو يورد هذه الحقائـق ،

---

(١٣) انظر التفاصيل فى الفصل السادس من هذا الكتاب •

يتمثل اوامر الشركة التي كانت تقضي رسميا بان لا تتدخل الشركة فى اى نزاع بين العرب بعضهم وبعض ما دام بريدها يمر بسلام ، وما دام علمها لا يصيبه اى خطر ؟ او بلغة اخرى هل كان تصرف رجال الشركة فى الكويت منافيا لاوامرها ، ومن ثم لم يرد بريدجز ان يورط الشركة رسميا فى النزاع بين الكويت والوهابيين ؟ هذه اسئلة نعـود اليها فى مكانها من كتابنا هذا (١٤) .

ومن المهم أن نعرف أننا لا نجد ما يشير الى كيفية اعتقال رجال الشركة للمسيو بوريل دى بورج Borel de Bourg ، الضابط الفرنسي فى الكويت عام ١٧٧٨ الا فى كتاب بريدجز هذا . اما وثائق الشركـة وسجلاتها فلا تورد سوى امر الاعتقال وتغفل التفاصيل (١٥) .

ولا يتبقى من المؤلفات الاوروبية الهامة عن الخليج بعد استعراضنا لكتاب بريدجز سوى كتابين هما كتاب ولسون Wilson عن الخليج والمسمى The Persian Gulf ثم كتاب لورمر Lorimer والمسمى وقائع الخليـج Gazetteer of the Persian Gulf واولهما نشر فى لندن لاول مرة عام ١٩٢٨ وهـو كتاب يتناول المنطقـة بالدرس منذ اقدم العصور حتى الربع الاول من القرن العشرين . واما كتاب لورمر فهو مؤلف ضخم جاء فى اربعة مجلدات ، وقد نشرته حكومة الهند فى كلكتا سنة ١٩١٥ ، وكان يعتبر وثيقة سرية لا يجوز الاطلاع عليها حتى عام ١٩٥٥ على وجه التقريب ، وكل ما طبع منه لم يتجاوز مائة نسخة .

ونحن فى كتابنا الحالي هذا نكثر من الاشارة الى كتاب « وقائع الخليج » هذا ، فالكتاب سفر ضخم اعتمد فيه كاتبه على سـجلات

---

(١٤) فيما يتعلق بمسالة حياد الشركة بين المتخاصمين من العرب ، انظر مقالة المستر واردن Warden فى مختارات حكومة بومباى ص ٥٧ و ص ٤٣٣ .

(١٥) انظر للتفاصيل الفصل الرابع من كتابنا هذا .

حكومة الهند ومراكزها المختلفة غير انه فيما يتعلق بالفترة التي نحن بصدد التأريخ لها يعتمد اعتمادا كبيرا على مختارات حكومة بومباى (رقم ٢٤) التي اشرنا اليها من قبل ، ثم على كتاب بريدجز The Wahauby وعيب هذا الكاتب الاكبر من حيث المعلومات التي يقدمها لنا عن الجزيرة العربية انه لم يقرأ أى مصدر عربي عنها ، وبالتالي جاءت معلوماتـه مبتورة فى احيان كثيرة . وقد جعل هذا النقص المؤلف يقول فى مواقف معينة ان تاريخ رقعة ما مجهول" قبل فترة بعينها ، ونضرب مثلا لذلك بقوله عن الأحساء « اننا لا نعرف شيئا عن تاريخ الاحساء قبل ١٧٩٥ » ، وتاريخ الاحساء ليس بمجهول بالطبـع ، فلو انه قد توفرت للكاتب الفرصة لمطالعة تاريخ ابن غنام المسمى بروضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام او تاريخ ابن بشر المسمى عنوان المجد فى تاريخ نجد او كتاب لمع الشهاب فى سـيرة محمد بن عبد الوهاب ، لو انه تسنى له ذلك الاطلاع لوجد ان تاريخ الاحساء معروف لا سيما فى الفترة التي يعالجها .

وعلى الرغم من هذا فسوف يبقى كتاب « وقائع الخليج » هذا منبعا لا ينضب لمن يطلب معلومات عن النشاط البريطاني فى الخليـج فى القرون التاريخية الحديثة ولا سيما حوادث القرن التاسع عشر بالذات.

ثانيا ــ المصادر العربية المعاصرة :

اما المصادر العربية التي اعتمدنا عليها فى بحثنا هذا فمنها المخطوط ومنها المطبوع ، غير ان معظم المصادر الاصلية او الاساسية منها لا تزال مخطوطة وموزعة فى مكاتب الشرق والغرب ، وما طبـع من ذلك المخطوط ، جاء مع الاسف الشديد ، غير مطابق للاصل المخطوط تمام المطابقة ، فقد جاء بعضه مختصرا ، ونقصت من بعضه أطراف من الحوادث الهامة ، ولسوف نشير فى سياق الكتاب الى المختصر والناقص من هذه

المؤلفات العربية المنشورة • ولا بد لنا من ان نذكر فى هذا المقام ان هذه الكتب لم تقتصر احداثها على تاريخ الكويت ، بل ان نصيب تاريخ الكويت لم يكن كبيرا كغيره ، ومن هنا كان لزاما علينا ان نستخلص ذلك التاريخ بتجميع الحقائق المتصلة به من تلك الاسفار ، وما تاريخ الكويت الا جزء من تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية ، فالكويت تفاعل تاريخها مع تاريخ الخليج منذ بدايته ، ولا يزال حاله كذلك حتى يومنا هذا • وهذه الكتب العربية تدرج اسم العتوب فى تاريخها فتقول عتوب الكويت مثلا أو عتوب الزبارة أو عتوب البحرين أو سفن العتوب بدون ربطها باحدى تلك البلدان والعتوب كما سنبين فى الفصل الخاص بنشأة الكويت الاولى من هذا الكتاب ، هم سكان الكويت فى مطلع القرن الثامن عشر اى ان الاسم شامل لجميع الاسر التي نزلت الكويت فى تاريخها المبكر •

والكتاب العرب الذين نشير اليهم ، والذين جرى ذكر العتوب والكويت فى تواريخهم ينتمون فى معظمهم الى العراق والى نجد ، ولما كانت العراق تخضع آنذاك للحكم العثماني ، وكانت نجد مهد الوهابية ، وهي الحركة السياسية الدينية التي شغلت صفحات تاريخ الجزيرة العربية ولا تزال منذ منتصف القرن الثامن عشر ، كان من الضرورى ان تأتى تلك المصنفات منحازة اما الى الجانب الوهابى او الجانب العثمانى• ولما كان هدف المؤرخين من وراء تدوين التاريخ اصلا هو محاولة الوقوف موقف المحايد من الاحداث والتأريخ لها دون انحياز ، كان من واجبنا ان نلتفت الى اقوال طرفي النزاع وان نستخلص منها رأيا نظنه اقرب ما يكون الى الحياد ، ولحسن حظ مؤرخ الكويت فى هذه الفترة بالذات ان الكويت نفسها لم تكن منحازة الى جانب دون آخر ، ولو انها تعرضت لهجمات الوهابيين والعثمانيين على حد سواء •

اما المؤرخ الاول للحركة الوهابية ، والذى افدنا منه فى معرفة الكثير عن الاحوال فى شرقي الجزيرة العربية فى هذه الفترة من تاريخها

فهو الشيخ حسين بن غنام الاحسائي صاحب كتاب روضــة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام • والكتاب يقع فى جزءين اولهما روضة الافكار والافهام وثانيهما سماه كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية وذكر السبب الذى حمل على ذلك(١٦) • وهو يتعرض فى المجلد الاول للاحوال الداخلية فى نجد والبلاد المجاورة لها ويبين كيف ان اناس ذلك العصر انحرفوا عن جادة الصواب وان ليس لهم من الاسلام الا القليل بل هم اقرب ما يكونون للشرك • وفى الفصل الثاني من ذلك الكتاب يفصل نسب الشـيخ محمد بن عبد الوهاب وكيفية تفوقه على سائر شيوخ نجد وأثره فيهم جميعا ، ولن ننسى ان الشيخ حسين بن غنام كان من تلاميذ محمد بن عبد الوهاب المعجبين بشخصه وعلمه • اما فصول الكتاب الثلاثة الباقية فقد عالج فيها ابن غنام الحركة الوهابية أو حركة الموحدين كما جاءت على لسان الشيخ محمد بن الوهاب فى رسائله الى عدد كبير من السائلين من اتباعه ومن غيرهم على حد سواء • ولا ريب ان اهمية المجلد الاول الاساسية انما تنحصر فى تعاليم الحركة الوهابية التى وردت على لسان ابن من اخلص

---

(١٦) من هذا الكتاب توجد نسختان خطيتان فى المتحف البريطاني بلندن تحت رقمي Add. 23344-5 و 19800 و Add. 19799 ، وقد اعتمد الدكتور عبد الحميد محمد البطريق عند تاليفه اطروحته التي نال بها درجة الدكتوراه من لندن عام ١٩٤٧ ، وهذه الاطروحة لا تزال مخطوطة بدورها ، وهي Turkish and Egyptian Rule in Arabia (1810 - 1841) اعتمـد على نسـخة الشيخ فوزان السابـق ، وكان سفيرا للمملكة السعودية فى القاهرة (انظر ص XV من اطروحته) . ولقد طبع تاريخ ابـن غنام غير مختصر مرتين اولاهما على الحجر فى مدينة بومباى سنة ١٩١٩ وهذه هي النسخة التي اعتمدناها فى بحثنا ، وطبع مرة ثانية فى القاهرة بعد ذلك التاريخ سنة ١٩٤٩ . ولعله من الطريف ان نشير فى هذا المقام الى كيفية حصول المتحف البريطاني على هذه المخطوطات العربية منذ امد بعيد ، اذ اعتاد المتحف البريطاني شراء هذه المخطوطات من ممثلي شركة الهند الشرقية والحكومة البريطانية فى بلدان الخليج او من ورثتهم حين وفاتهم . ولقد كان معظم هؤلاء الممثلين يتقنون اللغات الشرقية من عربية وتركية وفارسية . وفى آخر احدى النسـخ مـــن تاريخ ابن غنام قرأت ان المتحف اشترى هــذه النسخة سنة ١٨٦٠ مــن ارملة الكابتن تيلور Taylor ، وكان تيلور هذا يعمل فى الخليج فى وظيفة مقيم بريطاني ببغداد لفترة ما . وقس على ذلك المخطوطات الاخرى .

ابنائها المعاصرين لابن عبد الوهاب من ناحية ، ومن ناحية اخرى يهمنا امرها كذلك نظرا لما كان لهذه التعاليم من اهمية بالغة فى الحياة السياسية فى الجزير العربية فيما بعد ، اى بعد ان قبل الدعوة محمد بن سعود ، امير الدرعية ومؤسس الدولة السعودية فيما بعد ٠

اما المجلد الثاني وهو كتاب الغزوات البيانية ، فهو اقدم سجل للحروب الوهابية فى منطقة نجد وما جاورها من مناطق الجزيرةوالعراق ٠ ولقد اوضح المؤلف منذ بداية هذا الكتاب انه سيؤرخ للحركة الوهابية وانتشارها ، تلك الحركة التي كان هو احد ابنائها ٠ يبدأ ذلك الكتاب بحوادث عام ١١٥٩ هـ/١٧٤٦م عندما اجبر سليمان بن معمر امير العيينة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على مغادرة بلدة العيينة ، حين ضغط عليه الشيخ سليمان بن محمد آل حميد الخالدى ، واضطره لطرد الشيخ من العيينة وهي نفس السنة التي دخل فيها ابن عبد الوهاب الدرعية ملتجئا الى اميرها محمد بن سعود الذى قبل ان يحميه وقبل الدعوة الوهابية ٠ ان هذه الحادثة لها اهميتها الخاصة لانها كانت بمثابة بدء العداوة بين بني خالد ، حكام شرقي الجزيرة العربية وبين امير الدرعية ، ذلك العداء الذى بدأ فى هذا العام أى ١٧٤٦ ولم يتوقف سوى عام ١٧٩٥ عندما نشر آل سعود الويتهم على جميع ممتلكات بني خالد فى الاحساء وشرقي الجزيرة ٠ ولما كان العتوب قد انشأوا مدنهم فى الكويت والزبارة وهم فى حمى امير بنى خالد ، كان لا بد ان تتأثر اوضاعهم بتلك الحرب وهو ما سنبينه فى حينه فى الفصلين الثالث والسادس من هذا الكتاب ٠ فاهمية مؤلف ابن غنام هذا تنبع من امـــرين اولهما انه يؤرخ للوهابية التي صبغت حركتها تاريخ الجزيرة والبلدان المجاورة لها فى هذه الفترة ، وثانيهما ان المؤلف معاصر للاحداث التى يصفها ، على معرفة تامة باسماء الاماكن والاشخاص الذين يذكرهم ٠

ونظرا لاهمية كتابه هذا من ناحية ثم لندرته من ناحية اخرى (١٧) رأينا ان نتحدث عن طريقة ابن غنام فى تدوين تاريخه . وهو يعكس صورة واضحة لوهابي (او سلفي كما يقول اتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب انفسهم) مؤمن اشد الايمان بالمبادىء التي نادى بها محمد ابن عبد الوهاب ، وهى المبادىء التي سنشير اليها فيما بعد فى الفصل السادس من هذا الكتاب ، اذ يصف خصوم الحركة بأنهم « كفرة اعداء الله » . ورغم كل هذا الانحياز الى جانب الوهابية فان مؤلفه هذا يهم دارس تاريخ هذه الحقبة لانه يذكر جميع الغزوات الوهابية مبينا نتائجها سواء أكانت فى جانب الوهابيين أم فى الجانب الآخر . ومن الحق ان وصفه لتلك الغزوات اوفى وادق من وصف زميله ابن بشر ، ولم يخف الكتاب المحدثون من الاجانب اعجابهم بمؤلف ابن غنام (١٨) . على ان كتاب الغزوات هذا ينتهي نهاية مفاجئة بحوادث عام ١٢١٢ هـ/١٧٩٧ م. على الرغم من ان ابن غنام قد عاش ثلاثة عشر عاما بعد هذا التاريخ(١٩) .

(١٧) على الرغم من طبعه اخيرا الا ان وجوده نادر داخل الجزيرة العربية نفسها .

(١٨) انظر ص ٥ من كتاب Sa'udi Arabia تأليف فلبي Philby والمنشور بلندن سنة ١٩٥٥ .

(١٩) اثبت ابن بشر تاريخ وفاة ابن غنام فى حوادث ١٢٢٥هـ/١٨١٠ م . انظر عنوان المجد ١ : ١٤٩ . واعتمد الدكتور جورج رنتز George Rentz اعتمادا كبيرا على غزوات ابن غنام عندما الف كتابه محمد بن عبد الوهاب وبداية امبراطورية الموحدين الاولى فى جزيرة العرب .

Muhammad b. 'Abd Al Wahhab (1703/4 - 1792) and the Beginnings of the First Unitarian Empire in Arabia

وهذه هي الاطروحة التي تقدم بها لنيل درجة الدكتوراه من جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٤٨ . وكذلك فعل وايندر B. Winder فى اطروحته لجامعة برنستون ١٩٥٠. وهي تاريخ الدولة السعودية من ١٢٣٣/١٨١٨ – ١٣٠٨/١٨٩١ A History of the Sa'udi State 1233/1818 - 1308/1819

وقد استخدم هذان نسخة بومباى ، وحذا حذوهما امين الريحاني فى كتابه تاريخ نجد الحديث وملحقاته . هذا ولقد طبع وايندر بحثه وصدر فى لندن عام ١٩٦٥ تحت اسم Sa'udi Arabia in the Nineteenth Century

اما المؤرخ النجدي عثمان بن عبد الله بن بشر المتوفي عام ١٢٨٨هـ/١٨٧١م فقد ارخ للحركة الوهابية منذ بدايتها على شاكلة زميله ابن غنام حتى حوادث عام ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م ، ومؤلفه هو عنوان المجد فى تاريخ نجد ، وكتابه مخطوط محفوظ فى المتحف البريطاني بدوره تحت رقم Or 7718 وفى نهايته تاريخ الفراغ منه وهو ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م. ولعل فى هذا الدليل على ان نسخة المتحف البريطاني من اقدم النسخ التي بقيت من ذلك الكتاب (٢٠) . وقد بين ابن بشر منذ البداية « ١ : ١ ــ ٤ » انه سيدون تاريخ نجد فى ظل آل سعود ، وهو تاريخ حولي ، دون فى كل سنة اهم الاحداث التي وقعت فى عهد الامير السعودى الذى عاصرها . وهو مؤرخ مدقق مخلص وقد جرى على شاكلة ابن غنام فى تدوين انتصارات وهزائم الوهابيين على حد سواء ، وهو امين فى وصفه لتلك الاحداث غير انه حرص على ان يطيل عند الحديث عن النصر وان يختصر عند الحديث عن الهزيمة . ولقد استشهد ابن بشر بمن سبقه من مؤرخين « ١ : ٤ ــ ٥ » ، غير انه لم يشر الى تاريخ ابن غنام البتة ، على الرغم من انه اقتبس منه شعره مرة واحدة « ١ : ٩٥ » (٢١) . على ان الفحص الدقيق لتاريخ ابن بشر وتاريخ ابن غنام لا يترك مجالا للشك فى ان ابن بشر قد صاغ تاريخه على نسق تاريخ ابن غنام ، بل جاءت صيغ الوصف للحوادث متشابهة تماما فى كثير من المواضع مع فارق اساسي هو ان تاريخ ابن بشر اقل سجعا من

---

(٢٠) ربما توفرت نسخ اقدم منها لدى السعوديين . وقد نشر تاريخ ابن بشر فى بغداد سنة ١٩١١/١٣٢٨ فى مجلد واحد موجز ، ثم فى مكة فى مجلدين سنة ١٩٣٠/١٣٤٩ ثم فى القاهرة بعد ذلك سنة ١٩٤٦ . وقد اعتمدنا فى استشهاداتنا على نسخة مكة ، وكذلك فعل رنتز ووايندر ، اما البطريق فاعتمد على طبعة بغداد .

(٢١) نظم ابن غنام قصائد طويلة ليخلد بها ذكرى الانتصارات الوهابية على الاعداء . ففي صفحتي ٩٨ و ٩٩ من كتاب الغزوات قصيدة تبين السرور الذى عم الوهابيين يوم ان فتحوا مدينة الرياض وفى الصفحات ٢١٤ ــ ٢١٧ من نفس الكتاب ، قصيدة اخرى تظهر اغتباط الوهابيين لمصرع ثويني ، شيخ قبيلة المنتفق .

سابقه ، ثم انه لا يستطرد كما يفعل ابن غنام (٢٣) ويكتسب تاريخ ابن بشر اهمية اخرى ، عندما يصف فى « سوابقه » ، وهي الحوادث التي وقعت فى نجد قبل قيام الحكم الوهابي ، احوال بني خالد ، حكام شرقي الجزيرة واطراف نجد فى القرن السابع عشر ومطلع الثامن عشر . وبنو خالد لهم اهمية خاصة فى تاريخنا هذا لانهم كانوا حماة شرقي الجزيرة من خطر بدو وسط الجزيرة ، ومن هنا استطاعت مدن شرقي الجزيرة ان تنعم بالاستقرار وبالتالي تزدهر تجارتها ، وكان هذا هو حال مدن العتوب الناشئة فى هذه الفترة ، والواقع ان « سـوابق » ابن بشر التاريخية هذه هي التواريخ الثابتة الوحيدة التي استطعنا ان نرسم منها شجرة لحكام بني خالد ، كما يرى الناظر فى آخر كتابنا هذا .

ثم ان تاريخ ابن بشر يكتسب اهمية من جانب آخر حين يصبح مصدرا لحوادث القرصنة العربية ، كما وصفت فى كتب الغرب ، والتي كان يقوم بها القواسم ، سكان رأس الخيمة فى نهاية القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر حين اصبحوا اتباعا للحكم الوهابي « ١ : ١٤٦ » ، وكذلك رحمة بن جابر ، شيخ الجلاهمة ، النازل بقطر والدمام .

وأيضا يكتسب هذا المؤرخ اهميـة من حيث انه مؤرخ وهابي يسجل الاحداث التي ادت الى احتلال الزبارة والبحرين فى نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر وكانتا من ممتلكات العتوب فى الجنوب وايضا من حيث انه يسجل ما اعقب ذلك من صراع بين الوهابيين وامام مسقط على السيادة على البحرين اذ كان يدعى السيادة عليها . وبالاضافة الى هذه الاهمية المتعلقة بشرقي الجزيرة ، فان عنوان المجد له اهمية كبرى فى بيان حوادث جنوبي الجزيرة العربية فى اليمن ، ثم جنوبي شرق الجزيرة فى عمان ومسقط ، وكانت مسقط ذات علاقات تجارية كبيرة بالخليج العربي من ادنى جنوبيه الى اقصى شماليه . ومن الثابت المعروف

---

(٢٢) انظر على سبيل المقارنة حوادث عام ١١٦٧هـ/١٧٥٣م و ١٢١٠هـ/١٧٩٥م .

ان حركات الخليج جميعها مترابطة فأية هزة فى الجنوب كانت تؤثر فى الشمال وعكس هذا صحيح بدوره ، والامثلة فى تاريخنا الحالي على ذلك متوفرة .

ولا تنحصر اهمية تاريخ ابن بشر وابن غنام فى كونهما معاصرين للاحداث التي يرويانها من وجهة النظر الوهابية ، بل تمتد الى ابعد من هذا بالنسبة لتاريخ العتوب عامة وتاريخ الكويت خاصة اذ تتوفر فيهما اشارات واضحة للغزوات الوهابية على ممتلكات العتوب فى الجنوب أى فى قطر والبحرين وفى الشمال اى فى الكـويت . وهما يتحدثان عن الهجمات المضادة التي شنها العتوب على الوهابيين بدورهم (٢٣) .

واذ كان ابن غنام وابن بشر يؤرخان الاحداث من وجهة نظـر وهابية ، فقد كان هناك جماعة من المؤرخين العراقيين الذين ارخوها من وجهة نظر عثمانية ، اى انهم حرصوا على تبيان وجهة النظر العثمانية فى الحركة الوهابية والاعتداءات الوهابية المتكررة على شرقي الجزيرة والعراق .

والى هذه الطائفة من المؤرخين ينتمي ياسين بن خير الله الخطيب العمرى (٢٤) صاحب كتاب الدر المكنون فى مآثر الماضية من القرون . واقد ولد ياسين فى الموصل سنة ١١٥٨هـ/١٧٤٥م ، اى انه كان فتى مدركا عندما بدأ الوهابيون يشنون هجماتهم على شرقي الجزيرة العربية

---

(٢٣) انظر الفصل السادس من هذا الكتاب .

(٢٤) ياسين من عائلة عريقة فى العلم والفضل ، وكان جده ثم ابنه من بعده عالمين لهما مؤلفات عدة . قارن من اجل الاطلاع على تلك المؤلفات .
Brockelmann, Supp. II, 781 - 782

وممتلكات الدولة العثمانية فى العراق فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر الميلادى ومطلع التاسع عشر وقد وضع ياسين اكثر من مؤلف (٢٥) •

وتبدأ حوادث الدر المكنون بالعام الاول للهجرة وتنتهي بانتهاء حوادث عام١٢٢٦هـ/١٨١١م• ومن الواضح ان هذه الحقبة الطويلة التي تناولها كتاب الدر المكنون جعلت المؤلف يوجز بقدر استطاعته • وعلى الرغم من هذا الايجاز ومن ان الحوادث المتعلقـة بالكويت والعتوب وغيرهم من سكان شرقي الجزيرة قد كانت قليلة شديدة الاقتضاب ، اذا قورنت بحوادث ابن غنام وابن بشر ، فان ذلك الايجاز وتلك القلة لا تقللان من اهمية الكتاب من حيث ايراده وجهـة النظر العثمانية فى الوهابية ، اذ كان يستظل بعلم السلطنة العثمانية (٢٦) وعلى الرغم من ان المؤلف ليس شيعيا الا ان الكتاب يوضح العواطف الشيعية تجاه اعمال الوهابيين ، والتي تتبين فى كل غزو يقوم به الوهابيون للمشاهد الشيعية المقدسة فى النجف او فى كربلاء • (ورقة ٣٨٧ من نفس الكتاب) • ومن المؤسف حقا ان لا يأتى ياسين على أى وصف تفصيلى لرد الفعل العثمانى على تلك الغزوات الوهابية ، على الرغم من ان هجمات مضادة قد سيرها والي بغداد على الوهابيين اكثر من مرة •

---

(٢٥) نشر محمود صديق الجليلي مؤلفه غرائب الاثر فى الموصل سنة ١٣٦٩هـ/١٩٤٩م . انظر عباس العزاوى : العراق بين احتلالين (بغداد ١٩٥٤) ٦ : ٢٠٨ وفى المتحف البريطاني نسختان خطيتان من كتاب الدر المكنون تحت رقمي Add 23 312-3, انظر من اجل مؤلفاته الاخرى Brockelmann, Supp. II, 781-782 والمخطوطات التي يشير اليها بروكلمان محفوظة فى برلين والقاهرة وباريس والموصل . وهناك مخطوطة اخرى من الدر المكنون محفوظة فى باريس تحت رقم ٤٩٢٩ (انظر بروكلمان Supp. II, 781) .

(٢٦) ووجهة النظر العثمانية هذه ترد فى المؤلفات السورية المعاصرة كذلك . انظر على سبيل المثال كتاب المصباح السارى ونزهة القارىء لابراهيم خليل الديراني ، (طبع بيروت ١٢٧٢هـ/١٨٥٥م) .

ويمكن ان نجد وصفا للهجمات العثمانية عند مؤرخ آخر عاش فى البصرة وبغداد وهو عثمان بن سند البصرى (٢٧) ، فى كتابه المسمى مطالع السعود بطيب اخبار الوالي داود (٢٨) الذى الفه بناء على تكليف من داود باشا والي بغداد سنة ١٢٤١هـ/١٨٢٥م(٢٩)٠وابن سند فى مطالعه لا يقتصر على سيرة داود باشا ، بل يبدأ تاريخه هذا من وقت مبكر اذ يتناول فيه احداث العراق وعلاقته بجيرانه منذ عام ١١٨٨هـ/١٧٧٤م أى منذ مولد داود باشا وتستمر حوادثه حتى ١٢٤٢هـ/١٨٢٦م ٠ وكذلك وردت حوادث سابقة لتولي داود باشا ولاية بغداد ، ولعل اهمها وصفه لحصار الفرس للبصرة ثم ما كان من امر استيلائهم عليها وخروجهم منها اى الفترة ما بين ١٧٧٥ و ١٧٧٩ ، ثم اخبار قبيلة المنتفق وغيرها من قبائل جنوبي العراق وشرقي الجزيرة ، وكذلك وصفه لحملات ثويني ضد الوهابيين عام ١٧٨٦ و ١٧٩٧ ثم كذلك وصفه حملة علي باشا ، كيخيا بغداد ، عليهم عام ١٧٩٨/٩٩ ٠ ولا ريب فى ان هذا الكتاب يعكس لنا شعور مؤلفه المعادى للوهابيين فى اكثر من موضع منه ٠ ولنضرب مثلا قصيدته الطويلة التي يحيى فيها ذكر ثويني ، امير المنتفق ، والذى اغتالته يد طعيس بناء على تدبير الوهابيين ، كما يقول (انظر الورقتين

---

(٢٧) الشيخ عثمان بن سند البصرى نجدى الاصل من قبيلة عنزة كان مالكى المذهب . قيل انه ولد فى جزيرة فيلكة من اعمال الكويت (انظر مقالة محمد بهجت الاثرى فى مقدمة كتاب مختصر مطالع السعود لابن سند ، الذى نشره الشيخ امين الحلواني فى بومباى ثم اعاد نشره محب الدين الخطيب فى القاهرة سنة ١٣٧١/١٩٥١ ، صفحة ط) سنة ١١٨٠/١٧٦٦ وهاجر فيما بعد الى البصرة وقد توفي ببغداد سنة ١٢٤٢/١٨٢٦ حسب بعض الروايات (انظر مقالة بعنوان الشيخ عثمان بن سند البصرى فى مجلة لغة العرب ، المجلد الثالث ، ١٩١٣ ، ١٨٠ ـ ١٨٦ بقلم كاظم الدجيلى) وفى روايات اخرى انه توفي سنة ١٢٤٠ او ١٢٤٦ او ١٢٤٧ او ١٢٤٨ او ١٢٥٠ هـ . (انظر لذلك مقالة محمد بهجت الاثرى السابقة الذكر صفحة يب) .

(٢٨) هذه التسمية ماخوذة عن نسخة برلين الخطية ، ورقة ١٤ .

(٢٩) انظر مطالع السعود ، ورقة ١٣ .

٧٩ و ٨٠) (٣٠) ، ولعل هذا المصدر هو اول مصـــدر وجدنا به نص الرسائل المتبادلة بين علي باشا وسعود حينما انسحب علي باشـــا من الاحساء عام ١٧٩٩ (٣١) • وقد رتب ابن سند حوادثه ترتيبا حوليا ، غير ان مطالع السعود يزخر بعدد لا بأس به من التراجم للعلماء والادباء الذين عاصرهم او اخذ عنهم ، وكذلك لعدد من مشايخ القبائل واعلامها •

ولعثمان بن سند كتاب آخر يسمى سبائك العســجد فى اخبار احمد نجل رزق الاسعد وهو يهمنا بنوع خاص ونحن ندرس تاريخ الكويت فى هذه الفترة المبكرة وواضح من عنوان الكتاب ان ابن سند ألفه فى سيرة احمد بن رزق احد اثرياء تجار الكويت ، واليه والى خليفة ابن محمد يعزو ابن سند تأسيس مدينة الزبارة ، التي اشتهرت فى بداية النصف الثاني من القرن الثامن عشر • وقد سبق نشر هذا الكتاب ايضا فى بومباى سنة ١٣١٥ هـ/١٨٩٧م (٣٢)وعلى الرغم من أن هذا الكتاب ملىء بالسجع المجوج ، فان المؤرخ يستطيع ان يجد فيه تراجم لنيف واربعين عالما من علماء شرقي الجزيرة على عهد ابن سند ثم انه يستطيع ان يجد فيه كذلك اشارات محققة الى مدينـــة الكويت الناشئة وكذلـــك الى تحركات عتوب الكويت والبحرين • فهنالك اشارة مقتضبة الى عبد الله ابن صباح حاكم الكويت ، وخليفة بن محمد اول حاكـــم للزبارة من العتوب • ولعل هذا الكتاب اول كتاب ترد فيه اشارةواضحة تنسب بناء الزبارة للعتوب (ص ١٩) • وهو كذلك مصدرنا العربي المعاصر

---

(٣٠) قال المؤلف هذه القصيدة مناقضا بها قصيدة الشيخ حسين بن غنام التي امتدح فيها القاتل ، وهو العبد طعيس .

(٣١) المصدر الذى استخدمته هو مخطوطة برلين ، وهي ناقصة فى نهايتها وغير كاملة اذ انها تقف عند حوادث ١٢٣١هـ/١٨١٥م ، ويذكر الدجيلى فى مقاله السابق فى لغة العرب مخطوطتين احداهما محفوظة فى المكتبة المرجانية والثانية بمكتبة الاباء الكرمليين ببغداد . ويقول العزاوى فى تاريخ العراق بين احتلالين ، ٦ : ٦٣ ان لديه نسخة خطية اخرى .

(٣٢) من هذا الكتاب مخطوطة بالمتحف البريطاني رقمها Or. 7565

الوحيد الذى يقرر ان العتوب لم يفرضـوا مكوسـا على التجارة فى الزبارة ، ولعل هذا السلوك من لدن خليفة ين محمد انما كان بمثابة تشجيع التجار على تفريغ وشحن بضائعهم هناك (ص ٢٠) • واهمية سبائك العسجد تنبع ايضا من كون المؤلف معاصرا للاحداث التى يرويها ، ثم من حيث معرفته الشخصية ، فى الغالب ، بالعلماء الذن يترجم لهم فى كتابه ، هذا على الرغم من ان ابن سند ، كما يتضح من نهاية الكتاب ، كتب مؤلفه هذا تخليدا لذكرى احمد نجل رزق بناء على طلب اكبر انجال ابن رزق الخمسة • وهذا الكتاب معروف للمشتغلين بالتاريخ من سكان الكويت والبحرين ، وقد اشار اليه الشيخ عبد العزيز الرشيد والشيخ يوسف بن عيسى القناعي (٣٣) عندما حاولا ان يحددا تاريخ بداية حكم آل صباح فى الكويت وآل خليفة فى البحرين •

واستخلاص الحقائق التاريخية من كلام ابن سند المسجوع ومن مؤلفاته المليئة باشعاره ، امر عسير للغاية ، غير ان الصبر والاناة والدقة توصل الساعي الى هدفه ، اذ كان عالما موفور المعرفة مشهودا له بها ، ثم كان معاصرا للاحداث التاريخية التي يرويها وهنا تكمن اهمية مطالع السعود وسبائك العسجد •

ومن بين المصادر العربية المعاصرة والمهمة لدراسة الحقبة التى تتناولها كتاب لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب • والكتاب مجهول مؤلفه (٣٤) وقد نسب خطأ الى محمد بن عبد الوهاب فى

---

(٣٣) مؤرخان كويتيان سنذكر مؤلفاتهما فيما بعد .

(٣٤) لقد بذلت قصارى جهدى لمعرفة مؤلف هذا الكتاب الهام فاتصلت بالمهتمين بتاريخ الجزيرة العربية فى الكويت والبحرين والمملكة العربية السعودية ولكن احدا لم يستطع ان يعين فى معرفة اسمه ، ولعل سبب ذلك ان الكتاب كان مجهولا عندهم ، اذ لم تذع شهرته الا منذ امد يسير بعد ان ازداد بحث تاريخ الجزيرة العربية فى الآونة الاخيرة . ولعل وجود نسخة خطية واحدة منه فقط ، وهي نسخة المتحف البريطاني ، هو السبب فى قلة دراية المهتمين بالتاريخ به .

فهارس المتحف البريطانى بلندن نظرا لانه قد جلد معه كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب (٣٥) • ونظرا لاهمية هذا الكتاب ، ثم لقلة معرفة المؤرخين بمحتوياته رأينا ان نوجز هذه المحتويات ، ثم نبين اهميته لدراسة تاريخ الكويت وشرقى الجزيرة العربية •

يعالج لمع الشهاب الحركة الوهابيـــة منذ بدايتهـــا حتى عـــام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م (٣٦) وهو يقع فى خمسة فصول وخاتمة • اما الفصل الاول فيتناول سيرة محمد بن عبد الوهاب وبداية دعوته • وفى الفصل الثانى يبين المؤلف كيف قبل محمد بن سعود دعوة الشيخ وكيف تم الاتفاق فيما بينهما على نشر الدعوة • وثالث الفصول جاء فى نسب محمد ابن سعود وحسبه ورابعها فيه تفصيل لحكم آل سعود فى الجزيرة ابتداء من محمد بن سعود حتى عبد الله بن سعود ، اى انه يعالج فى تفصيل التوسع السعودى منذ البداية فى نجد والاحساء والعراق وعمان وسورية وغيرها • وخامس الفصول يبين توسع الوهابيين فى الحجاز غربا ثم اليمن جنوبا وفيه بيان بالقبائل العربية النازلة فى تلك الديار • اما الخاتمة ففيها شرح مستفيض لتعاليم الوهابية كما نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم كيف فند بعض علماء المسلمين دعاواه •

وصاحب لمع الشهاب فى كل هذا يختلف عن ابن غنام وابن بشر فى انه لا يسجل الاحداث ويتركها بدون تعليق ، فهو يورد الحقيقة التاريخية ثم يأخذ فى علاج اسبابها ثم نتائجها ، وهو مجد فى عمله حريص

---

(٣٥) عرف كتاب لمع الشهاب سبيله للمتحف البريطاني سنة ١٨٦٠ عندما اشتراه المتحف من ارملة المستر تيلور ، الذى مر ذكره .

(٣٦) لعله من الطريف ان نلاحظ ان لمع الشهاب ، على ما يبدو ، قد كتب فى نفس السنة التي نسخه فيها حسن بن جمال بن احمد الريكي ، والتي يذكرها الناسخ على انها عام ١٢٣٣ هـ (انظر ورقة ٢٨٠ من لمع الشهاب) . ولعل حسن بن جمال هذا هو مؤلف لمع الشهاب وان لم يشأ ان ينسب الكتاب اليه نظرا لما فيه من آراء جريئة تمس معاصريه .

على ان يصل الى الحقيقة ، فهو يمضى الى الزبير والكويت (الورقة ٢٠ ، الورقة ٢١) ليسأل أهل العلم عنها وهو ليس بمنحاز الى جانب دون آخر على شاكلة ابن غنام وابن بشر او مؤرخي العراق ممن اشرنا اليهم • وهو ان احسن الوهابيون ذكر حسناتهم وان أساءوا فلن يغفر لهم السيئة (٣٧) •

وهو المؤرخ العربى الوحيد بين معاصريه الذى افاض فى الحديث عن بنى خالد ذاكرا مناقبهم (الاوراق ٢٢٢ — ٢٢٦) • وأيضا هو مصدرنا الوحيد الذى نستطيع ان نستقى منه معلومات متصلة عن تعاقب شيوخهم ، ولو انه فاته ان يقرن ذكرهم بتواريخ ولايتهم ووفاتهم او عزلهم او قتلهم (٣٨) • ويبدع المؤلف عندما يعالج اسباب زوال الملك عن بنى خالد • ويرى محقا انه كان فى مقدورهم ان يوقفوا الزحف الوهابى ، لولا تفرق كلمتهم وتنازعهم على السلطان • وسبب ذلك ، فى رأيه ، يرجع الى الدسائس والمؤامرات التى كان يدبرها الوهابيون لهم (انظر الاوراق ٧٩ — ٨١) •

وتبلغ دقته مدى بعيدا حين يتحدث عن المسافات بين المدن فى نجد والاحساء والعراق ، وذلك عندما تعرض للهجمات الوهابية على الاحساء ، وكذلك للحملات العثمانية على الاحساء ونجد ، فهو يذكر المسافات والابعاد وفقا لاكثر من رواية ثم يذهب الى ترجيح اقربها للصواب • وتاريخه لا يفتقر الى الاحصاءات ، فهو قدر المدخول لآل سعود عام ١٢٣٢هـ/١٨١٦م من عموم اجزاء الجزيرة العربية بمبلغ ٢،٢١٠،٠٠٠ ريال (الورقتان ٢٣٦و٢٣٧) ، واما من اطاع آل سعود من سكان الجزيرة آنذاك فكانوا مليونين وثلثماية الف نفس (الورقتان ٢٣٧و٢٣٨) •

---

(٣٧) انظر على سبيل المثال انتقاده لمسلك الوهابيين تجاه علي بن احمد الخالدى ، الذى قتلوه صبرا بعد ان اعطاه سعود الامان (اوراق ٨٦ — ٨٨) •

(٣٨) امكننا ان نلتقط اسماء مشايخ بني خالد من المجلد الاول لتاريخ ابن بشر ، غير انهم منتشرون فى صفحات عدة ، وله الفضل فى تحديد ولاية او وفاة معظم شيوخ بني خالد •

ولصاحب لمع الشهاب رأى فى مسلك الوهابيين تجاه القرصنة فى البحار ، ذلك انه يرى ان الشيخ علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان يرى ان اعمال القرصنة التى كان يقوم بها القواسم من اهل رأس الخيمة هى حلال وواجب دينى (الورقتان ٢٤٧ ـ ٢٤٨) ، وهو يدعى ان الوهابيين اتخذوا من القواسم اداة للقرصنة وأنهم كانوا يحرضونهم على ذلك (الاوراق من ٩٦ ـ ١٠٩) . ومما لا ريب فيه ان وصفه لحملة علي باشا ، كيخيا بغداد ، عام ١٢١٣هـ/١٧٩٨م على الاحساء ، لا يضارعه اى وصف معاصر دونه مؤرخ عربى ، وهو يحلل اسباب انكسار على باشا تحليلا لا نجده عند أى مؤلف سواه(الاوراق١٧٣ـ١٨٧)[٣٩] ولم يفت المؤلف ان يقرر انه شهد خروج الحملة على الاحساء وهو فى البصرة .

ودعته الامانة العلمية ان يعيد النظر فى بعض ما اورده من اخبار بعد ان فرغ من تدوين كتابه ، وكانت هذه الاعادة عام ١٢٣٣هـ/١٨١٧م اى بعد عام من فراغه من تدوينه . وفى الكتاب وصف للاحساء لا نجد له مثيلا فى اى من معاصريه (الاوراق ٢١٥ ـ ٢٢١) .

ولا بد أن نذكر أن لمع الشهاب يعانى من امر مهم بالنسبة للمؤرخين هو ايراده الكثير من الحوادث دون ان يورد تاريخ وقوعها ، ومن هنا كان لزاما علينا ان نحددها مستعينين بغيره من المصادر المعاصرة . ومهما يكن من امر فان لمع الشهاب مصدر غنى بالاخبار ، وقد اتخذ سبيل عدم الانحياز فى تدوينها ، فهو اذن بالاضافة الى كونه معاصرا للحوادث

---

(٣٩) حدثنا ابن سند فى مطالع السعود عن حملة علي باشا ، غير ان ذلك الحديث جاء مقتضبا من ناحية ، ومن ناحية ثانية يفتقر الى بيان الاسباب والنتائج التي ابدع صاحب لمع الشهاب فى بيانها . اما ابن بشر فقد ارخ لهذه الحملة من وجهة النظر الوهابية كعادته ، ولا يمكن لمن يقرأه ان يقنع بما يورده من اسباب لانتصار الوهابيين ، فهو يرى ان ذلك النصر يرجع الى ان الوهابيين كانوا اقدر على القتال لما جبلوا عليه من قوة . انظر حوادث عام ١٢١٣ فى ابن بشر .

التى يصفها يكتسب صفة الحياد بين المتخاصمين ، وهى صفة لا بد للمؤرخ المنصف من ان يتحلى بها ، وقد غابت عن معظم معاصريه من المؤرخين العرب (٤٠) •

والمؤلف الذى يقترب من لمع الشهاب فى اعتداله وعدم انحيازه لاطراف الصراع فى منطقة الخليج العربى فى هذه الحقبة هو كتاب عنوان المجد فى بيان احوال بغداد وبصرة ونجد لواضعه ابراهيم بن فصيح بن صبغة الله الحيدرى البغدادى (٤١) • ويكاد المؤلف ان يكون قد نقل تسميته عن عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر وهو ما اشرنا اليه قبل قليل • غير ان هذا الكتاب لم يكتب بالطريقة الحولية التى عهدناها فى ابن غنام وابن بشر ، بل قسم المؤلف الكتاب ، كما سماه ، الى ثلاثة اقسام أحدها دون فيه اخبار بغداد وتاريخها ، ودون فى الثاني تاريخ البصرة وفى الثالث اخبار نجد • وحرص ابن فصيح قبل ان يدون تاريخه ان يزور كثيرا من انحاء البلاد التى ذكرها فى كتابه • ومما يذكر عنه شخصيا انه كان موظفا بالبصرة عند تدوينه هذا الكتاب وكان جده اسعد الحيدرى مفتى الحنفية فى بغداد ، وعلى هذا فابن فصيح سني المذهب • اما تاريخ تدوين الكتاب فهو ١٢٦٨هـ/١٨٦٩م بالبصرة •

والذى يهمنا بصورة خاصة من كتاب ابن فصيح هذا هو الفصل الخاص بالبصرة ، ذلك انه دون فيه علاقات البصرة ببلدان الخليج العربى ، وبين فيه اسماء بعض العائلات العربية ممن كان يقطن افرادها البصرة والكويت والبحرين وغيرها فى آن واحد (قارن ورقتى ٩١و٩٢)•

---

(٤٠) التاريخ المثبت فى آخر مخطوطة المتحف البريطانى بلندن وهو ١٢٣٣هـ/١٨١٧م يجعلنا نعتقد انها من اقدم المخطوطات التي يمكن ان تكون قد نسخت من لمع الشهاب .

(٤١) نشر هذا الكتاب فى بغداد سنة ١٩٦٢ ، ومنه نسخة خطية محفوظة بالمتحف البريطاني ، وهي التي اعتمدنا عليها ورقمها Or. 7567

على ان الفصل الخاص بتاريخ نجد يجب ان لا يمر دون ان نعلق على جزء منه بعض الشيء ، فقد اورد ابن فصيح فى ذلك الجزء نصوص الرسائل المتبادلة بين زعماء الوهابيين وبعض ابنائهم وعمالهم . ولما دون الشيخ محمود شكرى الالوسى ، المؤرخ والعالم العراقى الجليل ، كتابه تاريخ نجد ، اقتطف عن ابن فصيح بعض هذه الرسائل ، ثم بعضاً من العبارات التى يعرض فيها للوهابية بشيء يسير من النقد ، ولكن فات الشيخ الالوسى ان يشير الى انه انما ينقل ذلك عن ابن فصيح ، ولما قدم الشيخ سليمان بن سحمان النجدى لذلك التاريخ ، ادهشه ان يجد الآلوسى يكاد يناقض نفسه فهو حينا يمتدح الوهابيين وحينا — حين ينقل اقوال ابن فصيح — ينقد اعمالهم (انظر ابن فصيح ، ورقة ١١٣). والتبس الامر على الشيخ سليمان ووجه بعض النقد للالوسى ، ولو اطلع الشيخ سليمان على عنوان المجد فى تاريخ بغداد وبصرة ونجد ، لعلم ان الآلوسى انما كان فى نقده ناقلا . وقد صنع ذلك حين اقترب من نهاية كتابه تاريخ نجد .

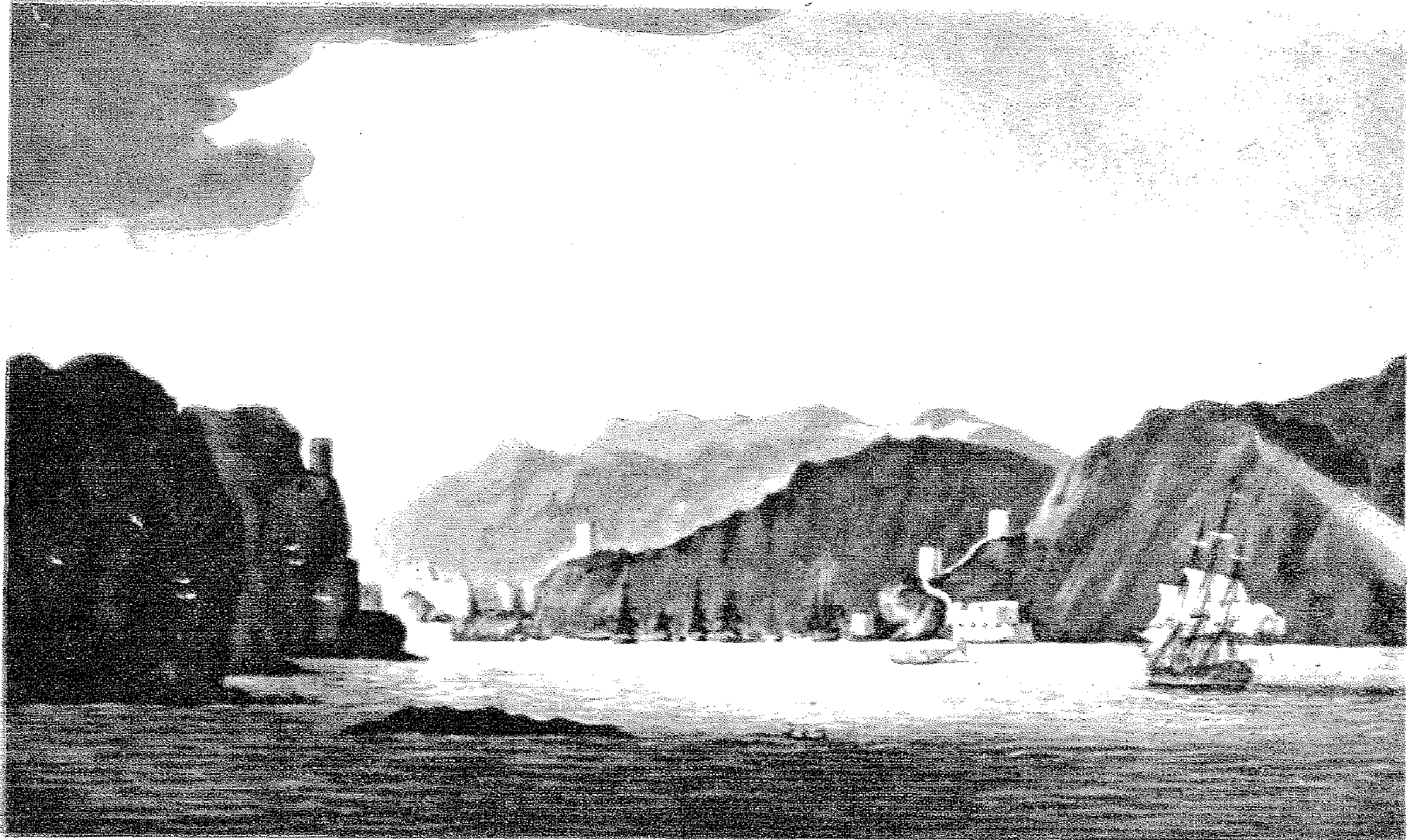
ومهما كان من امر الشيخ سليمان وعدم رضائه عن اقوال ابن فصيح سوف يبقى تاريخه موثوقا به للعراق وشرقي الجزيرة العربية فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ذلك ان ابن فصيح كان معاصرا وناقلا امينا للاحداث التي دونها فى تاريخه (٤٢) .

أما مخطوطة الدرر المفاخر فى أخبار العرب الأواخر (٤٣) التى

---

(٤٢) بالاضافة الى نسخة المتحف البريطاني الخطية من كتاب عنوان المجد فى بيان احوال بغداد وبصرة ونجد ، هنالك نسختان اخريان فى برلين وهما Berl. Olt, 180 و Berl. Olt. 2985 انظر Brockelmann, Supp. II, 791

(٤٣) مخطوطة المتحف البريطاني Add. 7385



ميناء مسقط كما يظهر فى لوحة بالالوان المائية رسمت عام ١٨١٠ ومحفوظة بالمتحف البريطاني بلندن .

الفها الشيخ محمد البسام النجدى (٤٤) فهى كتاب معتدل دون فى مطلع القرن التاسع عشر بناء على طلب من المستر ريش ممثل شركة الهند الشرقية فى بغداد، كما اثبت ذلك فى آخر أوراق المخطوطة ، عام ١٨١٨ • ويكتسب كتاب الدرر المفاخر اهمية كذلك من كون مؤلفه معاصرا للاحداث التى يرويها ، فالشيخ محمد البسام كان جنديا فى الجيش الوهابى الذى حارب طوسون باشا ابن محمد علي باشا والي مصر (انظر ورقة ١٤) • والواقع ان اهمية هذا الكتاب الحقيقية ترتكز على انه يضع بين ايدينا دراسة معاصرة لاوضاع القبائل العربية فى شبه الجزيرة والخليج عند فترة تدوينه أى فى أواخر القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر • والمؤلف يضع بين ايدينا كذلك ثبتا بتعداد مقاتلة كل قبيلة من مشاة وفرسان ، وهذه الارقام مدونة على صفحات عدة وقد قمنا بجمع اعدادها فكان المجموع ١٫٠٧٩٫٤٨٨ رجلا ، أى نحو مليون وثمانين ألف مقاتل • وحاولنا ان نضبط تاريخه وفقا للمصادر الاخرى ، فاخذنا ما دونه عن القواسم ، سكان رأس الخيمة وما جاورها من بلدان (الورقتان ٣٨ ، ٣٩) فوجدنا انه يتفق مع ما ورد فى المصادر الاخرى ، ثم ان الفصل الخاص بقبائل الاحساء له اهميته الخاصة فى تبيان اسماء الاماكن والبلدان والنواحى المختلفة هناك ، مع ملاحظة اننا نفتقر الى خريطة ترجع الى ذلك العهد تبين تلك المواضع •

اما علاقات عمان ومسقط بالكويت وسائر مدن العتوب فى شرقى الجزيرة ، فذلك امر امكن الرجوع اليه فى مؤلفات ، لا تزال محفوظة

---

(٤٤) الف الشيخ محمد البسام النجدى هذه المخطوطة بناء على طلب المستر ج• سي• ريش J. C. Rich ، المتوفي فى شيراز سنة ١٨٢١ • وكان المستر ريش هذا يعمل ممثلا مقيما لشركة الهند الشرقية الانجليزية فى بغداد فى الفترة ما بين ١٨٠٨ و ١٨١٢ • ويحتفظ المتحف البريطاني بمجموعة مخطوطاته العربية والميداليات التي حصل عليها ثم التحف الاثرية التي اقتناها • واما مجموعة اوراقه الخاصة فهي محفوظة فى مكتبة وزارة شئون الهند بلندن (حاليا وزارة شئون الكومونويلث) •

مخطوطة فى المكتبات البريطانية ، وضعها عمانى هو حميد بن محمد بن رزيق ، الذى يصف فيها احوال عمان ومسقط على عهد البو سعيديين فى تاريخ اسبق (٤٥) وقد دون ، على ما نعلم ، اربعة مؤلفات تاريخية ، فتاريخه المسمى الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيديين،والمحفوظ حاليا فى مكتبة جامعة كمبردج بانجلترا ، عرفه الرأى العام الاوروبى فى عام ١٨٧١ ، عندما نقله الى الانجليزية المستر بادجر Badger ، الذى عمل فى عمان ردحا من الزمن (٤٦) • وهناك مخطوطتان اخـريان بقلم ابن رزيق رجعنا اليهما فيما يتعلق بتاريخنا هذا ، احداهما هى السيرة الجلية المسماة سعد السعود البوسعيدية (٤٧) وهى موجز وضـع بموجبه كتاب الفتح المبين • والسيرة الجلية فى آخرها تاريخ نسخهاوهو ١٢٧١هـ/١٨٥٤مبينما تاريخ الفتح المبين هو ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م واضاف المؤلف للفتح المبين سيرة آل بو سعيد منذ حكم احمد بن سعيد ، وهذا الجزء يشمل نحو مائة ورقة بينما تبلغ عدد ورقات الشطر الاول من الكتاب ١٥٦ • اما السيرة الجلية فهى فى ثلاثين ورقة كتبت بخط ادق واصغر من خط الفتح • واما الثالثة فهى صحيفة القحطانية ،

---

(٤٥) يرجع الحكم البوسعيدى فى مسقط وعمان الى عهد أحمد بن سعيد وهو الحكم الذى بدأ عام ١١٥٤هـ/١٧٤١م . جاء حكم آل بوسعيد ليخلف حكم اليعاربة فى عمان . ولقد استمر احمد بن سعيد فى حكم عمان من ١١٥٤هـ/١٧٤١م حتى ١١٨٨هـ/١٧٧٥م .

(٤٦) نشر بادجر هذا الكتاب باسم تاريخ ائمة عمان وسادتها
History of the Imams and Seyyids of Oman
وهو عنوان غير دقيق اذا قيس بالاصل العربى ، ذلك ان هذا التاريخ يتناول تاريخ عمان فى عهد البوسعيديين ، ثم فى عهود سابقة لذلك التاريخ ، حين حكم عمان الاباضية من الخوارج ابتداء من حكم جلندا بن مسعود ١٣٥هـ/٧٥٣م كاول امام فيها وانتهى حكم السلطان ثوينى ابن سعيد ١٢٧٣هـ/١٨٥٦م . ولعله يجدر بنا ان نذكر ان بادجر أخطأ خطأ آخر عندما سمى المؤلف سليل بن رزيق ظانا ان « سليلا » هو اسم علم ، بينما دون المؤلف اسمه فى المخطوطة اكثر من مرة حميد بن محمد ، واشار مرة او مرات معدودات الى نفسه على انه سليل ابن رزيق (الورقة ١٥٥) بمعنى انه ابن رزيق المذكور . (قارن للفظ « سليل » كتاب الاشتقاق لابن دريد القاهرة ، ١٩٥٨ ، صفحات ٣٥٩ ــ ٦٠) .

(٤٧) محفوظة فى مكتبة جامعة كمبردج Add. 2893

وهى محفوظة فى جامعة اكسفورد بانجلترا ([٤٨]) • ويحتفظ المتحف البريطانى بمخطوطة رابعة هى صحيفة العدنانية لابن رزيق ايضا •

واهمية مؤلفات ابن رزيق هذه بالنسبة لتاريخنا ، هى انها تاريخ لعمان وعلاقات عمان بالخليج العربى والجزيرة العربية بيد احد ابناء عمان وعلمائها الذين يعرفون نواحى عمان وقبائلها معرفة صحيحة • فهى اذن تعكس لنا الاتجاهات السياسية والفكرية فى عمان المعاصرة تجاه احداث الجزيرة والخليج سواء الحركة الوهابية او اعمال القواسم مما وصف بالقرصنة ، فى الخليج ، او تحركات القوى الاجنبية فى المنطقة ، وهى اشارات غير قليلة سيشار اليها فى مواضعها من هذا التاريخ •

ليست هذه هى كل المصادر العربية التى عالجت تاريخ الكويت والمناطق المجاورة لها فى هذه الحقبة التى نحن بصدد التأريخ لها ، وانما هنالك مصادر أخرى غيرها سوف نعود لذكرها والاشارة اليها فى متن الكتاب •

ولا بد لنا من ان نشير قبل ان نختتم تقويمنا لمصادرنا العربيـــة المذكورة ، الى ان هذه هى المرة الاولى على ما نعلم ، التى يستخدم فيها مؤلف هذه المصادر جميعا حين دراسة تاريخ الكويت وعتوبها وكذلك عتوب الزبارة والبحرين بل لعله باستثناء تاريخ ابن غنام وابن بشر وترجمة الفتح المبين ، لم يستفد احد على ما نعلم ، مما حوته تلك الكتب الآنفة الذكر من معلومات قيمة •

---

(٤٨) قدم هذه المخطوطة هدية الى رودز هاوس Rhodes House بجامعة اكسفورد سلطان زنجبار فى شهر نوفمبر سنة ١٩٢٩ اثر زيارته للجامعة • وهذه المخطوطة بخط مؤلفها اذ قرر ذلك فى نهايتها حين دون تاريخ الفراغ منها وهو عام ١٢٦٩هـ/١٨٥٢م • ولعل هذه المخطوطة اسبق فى التاليف من المخطوطتين السابقتين •

ثالثا ـ الروايات المحلية :

ولما كانت نشأة الكويت الحديثة غير بعيدة ، رأينا جريا على العادة المتبعة حاليا بين المؤرخين، ان نستفيد مما يعرف بالرواية المحلية للتاريخ، والرواية المحلية للتاريخ عند العرب قديمة ، وان كان هذا ليس مقام تقويمها ، والمعروف ان تاريخا عاما حافلا للعرب ، حتى على عهد الاسلام الاول ، لم يدون قبل العصر العباسي ، على عهد شيخ المؤرخين الطبرى، ولكن ذلك لم يمنع العرب من رواية تاريخهم للفترة الاسلامية وحتى للفترة الجاهلية وتلك الرواية استخدمت اساسا لدراسة التاريخ العربي المبكر. وكان للرواية المحلية في كل من الكويت والبحرين جماعتها على عهد العتوب، وهى رواية امكن الاستفادة منها كما سيتضح من سياق تاريخنا الراهن . وعهدنا بشرقي الجزيرة عامة والكويت خاصة يعود الى عام ١٩٥٣ حين مكثنا فى الكويت زهاء خمسة أعوام نبحث فى تاريخها ونسعى وراء ما استعصى معرفته من دقائقه الماضية لا سيما ما كان من امر نشأة مدينة الكويت بالذات . والروايات المحلية استخلصناها من افواه القوم حديثا، ثم من الكتب التي دونها بعض الرواة فى الكويت والبحرين، ونحن نربط بين الكويت والبحرين فى تاريخنا الحالي نظرا لاننا نعالج الفترة المبكرة الاولى من تاريخ الكويت ، حين احتضنت الكويت العتوب جميعهم اى كل من سكن الكويت ، ثم من نزح الى الزبارة وخور حسن بقطر ، ثم من احتل البحرين ونزل بها لاحقا . ولعله من المؤسف حقا ان الاوراق التي قد تعود الى مطلع القرن الثامن عشر ، وحتى نصفه الثاني ، لم يحتفظ بها احد فى الكويت ، ومن هنا كان اعتمادنا ، فيما يتعلق بهذه الفترة ، على المصادر الاجنبية .

والرواية المحلية لتاريخ الكويت ، التي يمكن ان نخضعها للمناقشة سجلها شيخان جليلان ، هما الشيخ عبد العزيز الرشيد فى كتابه تاريخ الكويت ثم الشيخ يوسف بن عيسى القناعي فى كتابه صفحات من تاريخ الكويت .

اما الشيخ عبد العزيز الرشيد ، فقد جاء كتابه فى جزئين (٤٩) تحدث فى اولهما عن الحياة الاجتماعيـة للكويتيين على عهده ، وهي حياة لاتبعد فى صورتها عن حياة سكان المدينة فى القرن الثامن عشر ، وذلك هو حال معظم البلدان العربية ، اذ ان التطورات الصناعية الحديثة التى طرأت على الكويت فى النصف الثاني من قرننا الحالي لم يكن لها اثر يذكر قبل ذلك ، شأنها شأن سائر البلدان العربية حوالي ذلك التاريخ ، والذى اثر فى تطوير الحياة عموما فى الكويت انما هو استفادة الدولة استفادة كبرى وحكيمة من موارد النفط بعد عام ١٩٤٦ • ولعل قرب الصورة التى رسمها الشيخ عبد العزيز الرشيد فى تاريخه لحياة السكان الاجتماعية والمهنية فى ميدان الغوص مثلا هي مثل بارز على ما نقول ، ولا شك ان الغوص على اللؤلؤ فى مياه الخليج ، على عهد الشيخ عبد العزيز الرشيد لم يختلف بالفعل عن عشرات بـل مئات السنين التي سبقته •

اما فى الجزء الثاني ، فان عبد العزيز الرشيد يمدنا بكل ما يمكن ان تقوله الرواية المحلية الكويتية فى تولية آل صباح شئون الحكم وتوزيع العدل بين سكان المدينة الناشئة (٥٠) • وكان لنشر تاريخ الرشيد هـذا عام ١٩٢٦ أثره فى المفكرين الكاتبـين من العـرب فى ذلـك الحين • فان الاب أنستاس مارى الكرملي مثلا ساءه ان يرى الجزء الاول من ذلك التاريخ يظهر دون ان يكون به ما يشفي الغليل مـن تاريخ مشيخات الخليج العربي والكويت نفسها • ولما ظهر الجزء الثاني لم يخف الاب انستاس سروره به وانه اطفأ ظمأه من حيث تطلعه لمعرفة

(٤٩) نشر الكتاب لاول مرة فى بغداد سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م •

(٥٠) انظر فى هذا الموضوع نظريته المتعلقة بنشاة الكويت وتسلم آل صباح شئون الحكم فيها فى الفصل الثاني من كتابنا هذا •

تاريخ الكويت ، وانهى تعليقاته على ذلك الكتاب برجائه من الشيخ عبد العزيز الرشيد ان يستمر فى تدوين تاريخ ما تبقى من مشيخات الخليج ، وان كان الرشيد لم يقم به (٥١) •

اما الشيخ يوسف بن عيسى القناعي ، فله رأيه الخاص فى نشأة الكويت وتسلم آل صباح زمام الحكم فيها (٥٢) اما تاريخ الشيخ يوسف نفسه فهو صفحات من تاريخ الكويت طبعت عام ١٩٥٤ ، وهي كتاب موجز فى ذلك التاريخ ، يبدأ بتولية صباح الاول الحكم وينتهى بمبارك آل صباح الذى توفى عام ١٩١٥ •

والامر الذى لا جدال فيه ان الشيخ يوسف بن عيسى كتب من واقع دراية ومعرفة واسعة ، فهو عالم فاضل ، يعرف الرواية المحلية حق المعرفة • والكتاب على الرغم من صغره فى الحجم عني عناية خاصة بتركيز الحقائق حتى يستفيد من يقرأ الكتاب بأكبر قدر من المعلومات المركزة عن تاريخ مدينته التي ينتمي اليها ، وهي الكويت • وظهرت فيما بعد بعض الكتب التي تتحدث عن تاريخ الكويت واستفادت دون ريب من هذين التاريخين للرشيد والقناعي ، الا انها لم تأت بجديد مطلقا بالنسبة لمعضلة نشأة الكويت المبكرة ، غير انها قد تكون ذات فائدة فى دراسة تاريخ الكويت فى القرن العشرين •

هذا عن الرواية المحلية فى تاريخ الكويت ، اما البحرين فكان لنا فيها سندان اولهما ما دونه ونشره محمد النبهاني ، صاحب التحفة

---

(٥١) انظر مقالة الاب انستاس فى مجلد لغة العرب ٤ ، ١٩١٤ ص ٨٩ حيث تبدو رغبة الكتاب العرب ملحة فى انتظار مؤلفات تعالج تاريخ الخليج العربي وانظر كذلك تعليقات الاستاذ يوسف اسعد داغر فى مجلة الاديب العدد السابع سنة ١٩٥٨ حيث تجد تعليقا مناسبا على تطلعات الاب انستاس الكرملي وغيره .

(٥٢) فى النسخة التي لدى من تاريخ الرشيد تعليقات هامة بقلم الشيخ يوسف على ذلك التاريخ ، وكان قد قدم هذه النسخة الينا احد طلبتنا من ابناء القناعات عند قيامنا بالتدريس فى الكويت .

النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية ، اذ ان احد اجزاء هذا الكتاب هو تاريخ البحرين ، وهو الذى روى فيه النبهاني الرواية المحلية فى تاريخ عتوب البحرين ، وعلى رأسهم آل خليفة ، وقد اشرنا الى ذلك ، عند دراسة نشأة الكويت واحتلال العتوب للبحرين وكذلك عند تأسيس مدينة الزبارة . وتاريخ البحرين للنبهاني تاريخ عام حاول مؤلفه ان يتحدث فيه عن تاريخها منذ اقدم الازمنة حتى مطلع القرن العشرين .

وخلاصة القول فى الرواية المحلية العتبية فى الكويت والبحرين هي اننا قبلناها حيث لم نجد سواها من معلومات فى وثائق شركة الهند أو كتب الرحالة او الكتابات الاخرى للمؤرخين المختلفين من اوروبيين وعرب ولا شك ان انعدام الوثائق التاريخية المحلية ، جعل من العسير علينا التأكد من بداية تسلم آل صباح حكم الكويت ، وهو أمر استعنا على تحديده بما ورد فى مصادر اخرى .

ونستطيع فى خاتمة تحليلنا هذا لمصادرنا ان نبين كيف وفقنا بينها ، وكيف استفدنا منها سواء الاوروبية او العربية .

وقد اتضح من تحليلنا الماضي لمصادرنا العربية أنه باستثناء تاريخ ابن غنام وتاريخ ابن بشر ثم مطالع السعود لابن سند ، لا نجد من بينها تاريخا يورد الحوادث مرتبة ترتيبا زمنيا . اما وثائق شركة الهند الشرقية ثم الرحلات فقد ورد فيها التاريخ محددا فى الغالب باليوم والشهر بالاضافة الى السنة . وهكذا عملت المصادر الاوروبية على ضبط السنين الناقصة . ويجب علينا ان نقرر فى هذا المقام ان التواريخ العربية التى ذكرت السنين جاءت ، على وجه العموم ، مضبوطة وموافقة لما ورد فى كتابات الاوروبيين (٥٣) وقد امدتنا سجلات شركة الهند الشرقية

---

(٥٣) لنضرب لذلك مثلا حملة ثويني امير المنتفق لعام ١٧٨٦ ثم حملته فى ١٧٩٧ ضد الوهابيين ، ثم حملة علي باشا ، كيخيا بغداد ، ضد الوهابيين ايضا عام ١٧٩٨/٩٩ . هذه الحملات جميعها وردت صحيحة مضبوطة فى المؤلفات العربية التي حددت تاريخها وفصلته .

الانجليزية بمعلوماتنا عن نمو واطراد قوة العتوب البحرية ، ولم نجد لذلك تفصيلات فى سواها ، اما المؤلفات العربية المعاصرة فقد امدتنا بمعلوماتنا التي اعتمدناها فى بيان العلاقات بين القبائل العربية النازلة فى شرقي الجزيرة وعلى شواطىء الخليج العربي (٥٤) •

واما الرواية المحلية ، فقد اعتمدناها عندماناقشنا مسألة تأسيس مدينة الكويت ، وعند دراسة اصل سكانها ثم ما كان من استقرار العتوب فى الكويت باذن من شيخ بني خالد •

---

(٥٤) مثال ذلك الصراع المستمر الطويل الامد بين الوهابيين وبني خالد .

الفصل الثاني

الأوضاع العامة في الخليج العربي
في النصف الأول من القرن الثامن عشر

الفصل الثاني

الاوضاع العامة في الخليج العربي
(١٧٠٠ ـ ١٧٥٠)

ان دراسة ظهور الكويت ، ثم تطورها من بعد ذلك ، تحتم علينا ان نتناول بالدرس الاوضاع العامة فى الخليج العربي المعاصرة لظهور الكويت كمدينة ناشئة فى مطلع القرن الثامن عشر (١) . لعل السبب الاساسي الذى يحتم علينا مثل هذه الدراسة التاريخية يكمن فى ان العتوب عموما تحركوا من ديارهم فى نجد ، فى النصف الثاني من القرن السابع عشر ، ثم انتشروا ، كما سنرى فى الفصل الثالث من تاريخنا هذا ،

---

(١) ان الدراسات التاريخية المتعلقة بالجزيرة العربية عامة وشرقي الجزيرة خاصة قليلة بل نادرة ، وهذه الدراسات تعتمد الى حد كبير على تاريخي ابن غنام وابن بشر ، المشار اليهما آنفا ، وهذان المؤلفان لم يوردا الكثير من احداث شرقي الجزيرة العربية فى مطلع القرن الثامن عشر الميلادى لسببين اولهما انهما وهابيان يؤرخان للحركة الوهابية ، وثانيهما انهما يعنيان بها فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، اذ أن النصف الاول من ذلك القرن يكاد يكون خلوا من النشاط الوهابي فى شرقي الجزيرة العربية . وتصبح هذه القلة والندرة اشد حينما نقصر البحث على تاريخ الكويت فى مؤلفي ابن غنام وابن بشر ، فالعلاقات الوهابية الكويتية الخاصة لم تبدأ قبل عام ١٧٩٠ ، اى حوالى نهاية القرن الثامن عشر . اما المؤلفات العلمية التى نشير اليها ، اى كتابات المؤرخين المحدثين ، فنقصد بها ابحاث الدكتور البطريق ثم الدكتور رنتز والدكتور وايندر والدكتور العقاد ، وجميع ابحاثهم لا تزال مخطوطة محتفظا بها فى مكتبات الجامعات التي تقدموا فيها لنيل درجة الدكتوراه كل على بحثه ، وقد سبقت الاشارة الى مؤلفات هؤلاء الاساتذة باستثناء الدكتور العقاد الذى ترد الاشارة الى رسالته فى ثبت المصادر ، وقد اطلعنا عليها بعد ان رتبت جامعة لندن استعارتها من جامعة السوربون بباريس . وقد نشر وايندر بحثه كما ذكرنا وذلك مؤخرا عام ١٩٦٦ .

فى انحاء الخليج ، واستقربهم المقام نهائيا فى الكويت ، فى مطلع القرن الثامن عشر • ثم يمكننا ان نضيف الى هذا السبب سببا آخر وهو ان تاريخ البلدان المحيطة بالخليج هو تاريخ مترابط متشابك ، يصعب فهم جزء منه دون ادراك ما كان يجرى فى نفس الوقت فى الاجزاء الاخرى • وهذا التشابك والترابط فى تاريخ الخليج العربي يمكن ان نعزوه الى اكثر من سبب •

لعل اول أسباب هذا الترابط يكمن فى القبائل العربية النازلة على شواطىء الخليج • فهذه قبائل عديدة ، كانت ، فى القرن الثامن عشر والفترة السابقة له ، تخضع خضوعا مباشرا لشيوخها ، ولم يكن لاحدى القوى الدولية التي كان يمكن ان تمارس نفوذها فى مناطق الخليج اى اثر على تلك القبائل العربية ، كما سيتضح من سياق حديثنا عن تلك القبائل ، سواء من نزل منها بالشاطىء الشرقي من الخليج او الغربي او جنوبي العراق فى البصرة ومن حولها • ثم ان ظاهرة الترابط والتشابك هذه تتمثل بدورها فى الشركات التجارية الاوروبية المتداخلة المصالح والعاملة فى منطقة الخليج العربي فى هذه الفترة • لقد كان لتلك الشركات الاوروبية وكالات تجارية تقوم فى اطراف الخليج ، وكانت تنتقل بوكالاتها من منطقة الى منطقة تحت ضغط ظروف خاصة بحكم اضطرارها لمراعاة مصالح الشركة وضرورة استمرار نشاطها ومكاسبها بالتالي ، ثم مراعاة الظروف المحلية فى البلدان التي تنزل بها الوكالة والظروف الخاصة التي تتجدد فى كل بلد بحكم اوضاعها الداخلية من ناحية ثم بحكم علاقات ذلك البلد بجيرانه من ناحية ثانية ، وكان لتلك الوكالات علاقاتها بالطبع بتلك البلدان جميعها •

والذى يمعن النظر فى القوى العاملة فى الخليج العربي فى هذه الفترة يرى ان هناك ثلاث قوى ، يمكن ان نعتبرها المحركة للاحداث فى الخليج العربي ، وحتى هذه الحركة كانت تقوى وتضعف تبعا لظروف

خاصة داخلية ، اى تعمل فى داخل حدود او مناطق نفوذ تلك القوى ، وخارجية ، اى تؤثر فى نشاط تلك القوى بحكم عامل خارجي لا ينبع من تلك القوى نفسها •

وهذه القوى الثلاث تتمثل فى النفوذ الفارسي فى المنطقة الشمالية الشرقية من الخليج ، والنفوذ العثماني فى بلاد العراق ، والقوى العربية فى شواطىء الخليج الغربية والجنوبية • وعلى الشاطىء الغربي من الخليج ، اى فى منطقة نفوذ القوة العربية المستمر طوال القرن الثامن عشر ، بزغ نجم الكويت حوالي عام ١٧١٦ ، وفى تلك المنطقة ايضا مدّ عتوب الكويت نفوذهم جنوبا حين اقاموا مدينة الزبارة بقطر عام ١٧٦٦ ، وحين احتلوا جزر البحرين عام ١٧٨٢ (٢) •

ولعله يجدر بنا كذلك ان نشير الى ان ظهور مدينة الكويت فى هذه الفترة بالذات ، قد ساعدت عليه عوامل ثلاثة ايضا ، اولها ذلك النشاط التجارى الذى كان يموج به الخليج العربي فى هذه الحقبة والذى تأتى عن وجود الحركة التجارية للشركات التجارية الاوروبية ، وثانيا انعدام قوة كبرى تتحكم فى مصير الخليج العربي ، فى تلك الآونة، من بين تلك القوى الثلاث المشار اليها آنفا ، وثالثا قيام الكويت فى منطقة عربية يرعاها بنوخالد ، وكان حكم بني خالد فى شرقي الجزيرة العربية حكما طابعه حب السلام والحفاظ عليه حتى تستمر تجارة شرقي الجزيرة العربية فى ازدهار ، وهذا ما شهد به رجال الشركة الانجليزية التجارية ، اى شركة الهند الشرقية الانجليزية •

---

(٢) قارن لظهور الكويت فى مختارات حكومة بومباى :

"Chronological Table of Events connected with the Govt. of Muscat, from 1730-1843, etc.," pp. 140-141

ثم كذلك :

"Historical Sketch of the Uttoobee Tribe of Arabs (Bahrain) from the year 1716 to the year 1817," pp. 362-363

واما فيما يتعلق بالرواية المحلية لظهور الكويت فانظر الفصل التالي من كتابنا ، وانظر كذلك الفصل الرابع لظهور مدينة الزبارة والفصل الخامس لاحتلال البحرين .

والذى سنهدف اليه فى هذا الفصل من كتابنا ، هو تبيان الكيفية التي عملت بها هذه العناصر الثلاثة مجتمعة لكي تكون عونا للكويت فى نشأتها •

أولا ـ الشركات الاوروبية التجارية ونشاطها فى الخليج العربي :

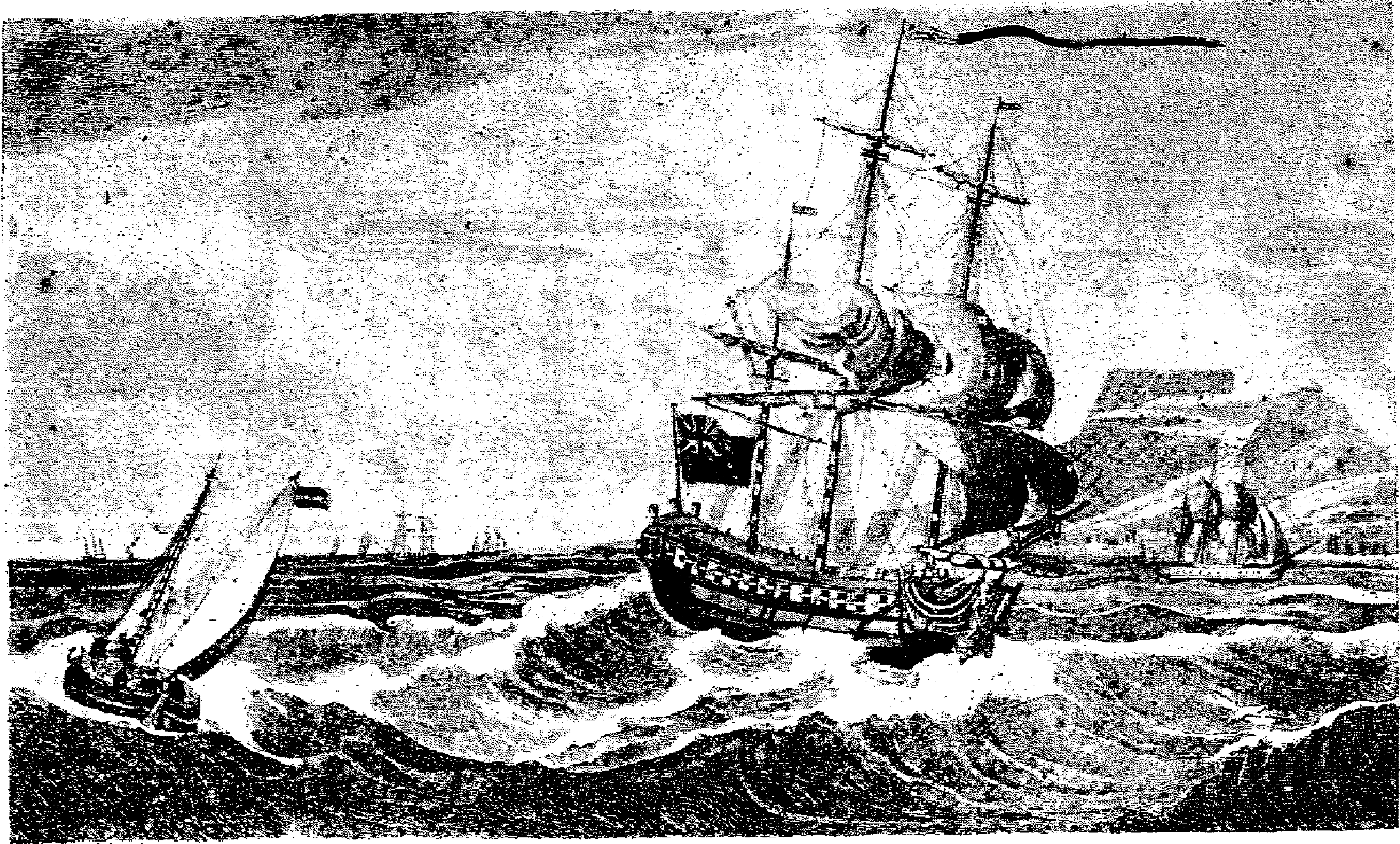
شركة الهند الشرقية الانجليزية

اما نشاط شركة الهند الشرقية الانجليزية فى الخليج العربي فيمكن ان ننظر اليه من زاويتين ، أولاهما التجارة الانجليزية فى الخليج العربي عامة وما تبع ذلك من صراع بين هـذه الشركة والشركات التجارية الاوروبية الاخـرى العاملة فى الخليج ، اى الصراع بين الشركات الاوروبية فى الخليج العربي ، ثم من زاوية علاقة هذه الشركة الانجليزية بالقبائل العربية المتعددة النازلة فى البلدان المحيطة بالخليج العربي من كل جانب دون استثناء لاى جزء من اجزاء الخليج العربي • غير انه من المعلوم ان الانجليز لم يكونوا هم اول امة أوروبية ربطتها مع الخليج العربي علاقات تجارية ، اذ سبقهم الى ذلك البرتغاليون والهولنديون ثم نافسهم ايضا الفرنسيون فى هذه التجارة ، ولو ان المنافسـة الفرنسية كانت ذات صبغة سياسية اكثر منها تجارية •

ولقد كان البرتغاليون أول امة أوروبية عرفت طريق الهند (٣) فى عام ١٤٩٨ ، عندما أوصلهم اليها البحار العربي أحمد بن ماجد وذلك فى

---

(٣) والذي أرشدهم اليها هو البحار العربي المشهور أحمد بن ماجد ، الذى أرشد أسطول فاسكو دى جاما الى الطريق من شرق افريقيا الى الهند ١٤٩٨ ، بعد ان فشل البرتغاليون فى الاستدلال عليها بمفردهم قبل ذلك التاريخ . انظر بحثا مفصلا فى هـذا الموضوع تحت اسم شهاب الدين أحمد بن ماجد فى Encyclopaedia of Islam/I (دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الاولى) .



سفينة من سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية فى القرن الثامن عشر

(مجموعة المتحف البحرى بلندن)

اعقاب اكتشاف كريستوفر كولمبوس لاميركا سنة ١٤٩٢ • ولقد أسس البرتغاليون نفوذهم فى الخليج العربي فى مطلع القرن السادس عشر الميلادى وبقوا كذلك دون منازع أوروبي حتى القرن السابع عشر حينما أخذت قلاعهم تتهاوى واحدة تلو أخرى ، اذ فقد البرتغاليون سيطرتهم على البحرين سنة ١٦٠٢ وعلى هرمز سنة ١٦٢٢ • واستطاع عرب مسقط وعمان طرد البرتغاليين من مدينة مسقط الحصينة حوالي عام ١٦٥١(٤)• لقد كان الخليج العربي ميدانا للصراع بين البرتغاليين والعثمانيين فى تلك الحقبة ، وكان البرتغاليون قد اشتبكوا مع العثمانيين فى معارك بحرية فى البحر الاحمر ، ويذهب بعض المؤرخين الى أن من أهم أسباب محاولة العثمانيين الاحتفاظ بميناء البصرة بعد أن احتلوا العراق حوالي ١٥٣٤ ، هو الوقوف ضد الغزو البرتغالي لاراضي الدولة العثمانية • غير أن هذا ليس مقام مناقشة المنافسة البرتغالية العثمانية على السيادة البحرية فى الخليج العربي والبحر الأحمر ، فهي حقبة تسبق الحقبة التي ظهرت فيها الكويت الى حيز الوجود كمدينة تجارية كبرى فى الخليج •

ان الوجود السياسي البرتغالي فى مياه وشواطىء الخليج والذى زال فى منتصف القرن السابع عشر ، لا يعني أن الوجود التجارى البرتغالي قد زال ايضا ، فان سفن البرتغاليين قد بقيت تؤم موانىء الخليج بعد ذلك بقصد التجارة ، وكانت تتردد على وكالتهم التجارية فى جزيرة كنج فى القرن الثامن عشر • وكذلك كانت تتردد على نفس الوكالة التجارية البرتغالية فى كنج ايضا ، سفن التجار الهنود من مسلمين وهندوس(٥) •

---

(٤) انظر F. C. Danvers, Report on the India Office Records Relating to Persia and the Persian Gulf (London), *120*

وانظر كذلك : Lorimer, Gazetteer, I, i, 836

(٥) قارن Lorimer, I, i, 68

ولقد عملت قوتان أوروبيتان متضامنتين على طرد البرتغاليين من الخليج العربي ، واقصاء نفوذهم التجارى وكذلك السياسي عنه ، وهما الانجليز والهولنديون ، ممثلين فى شركة الهند الانجليزية وشركة الهند الهولندية ، وذلك منذ مطلع القرن السابع عشر(٦) وقد شنّ الفريقان معركة مشـــتركة على البرتغاليين حتى نجحـــا فى اقتلاع جذور النفوذ البرتغالي من الخليج(٧) .

أما الفرنسيون ، فيبدو أنّ وجودهم فى الخليج كان سياسيا اكثر منه تجاريا ، ولقد كان للفرنسيين أيضا شركة تسمي شركة الهند الشرقية الفرنسية ، وهي شركة بدأت فى العمل منذ بداية القرن السابع عشر ، غير أنها كانت تضعف ويزول نشاطها بين فترة وأخرى (٨) .

ولم ترس قواعدها ثانية الا عام ١٦٦٤ ، يوم أن دعم الاقتصادى والوزير الفرنسي الشهير كولبير Colbert هذه الشركة . وقد سارت هذه الشركة على نفس النظام الانجليزى لشركة الهند الشرقية الانجليزية

---

(٦) انظر A. T. Wilson, the Persian Gulf, (London 1954), 160

(٧) المصدر السابق ١٦١ .

(٨) أرسل الفرنسيون أول حملة تجارية الى الهند عام ١٥٠٣ فى عهد لويس الثاني عشر ، غير ان شيئا لم يسمع عن السفينتين اللتين تكونت منهما هذه الحملة واللتين اقلعتا من ميناء الهافر بعد سفرهما . ثم اعاد الفرنسيون محاولتهم للتجارة مع الهند فى شهر يونيه ١٦٠٤ ، اى بعد مائة عام ، وذلك عندما تأسست شركة ببراءة صادرة من الملك هنرى الرابع تخولها حق التجارة المطلقة مع الهند لمدة خمسة عشر عاما . ثم عادت الشركات الفرنسية تتأسس وتندمج فى بعضها بعد ذلك وتحمل نفس الاسم . غير ان النشاط والنجاح لهذه الشركة الفرنسية يعود الى عهد الكاردينال ريشيلو Richelieu عام ١٦٤٢ ثم الى عهد الاقتصادى الفرنسي الشهير الوزير كولبير Colbert منذ عام ١٦٦١ الذى اصدر براءة تكوين الشركة الجديدة Compagnie des Indes عام ١٦٦٤ بتشجيع خاص من الحكومة لتغطية خسارتها ، وكان راس مال الشركة ١٥ مليون ليرة اى نحو ستمائة الف جنيه استرليني ، والى هذه الحقبة من القرن السابع عشر وما بعدها يرجع عهد فرنسا باستعمار اجزاء من الهند ثم منافستها لانجلترا وذلك طوال القرن الثامن عشر . انظر لتفاصيل اوفى عن نشاط الفرنسيين فى الهند وتأسيس شركتهم : Danvers, 175-90

المؤسسة فى ٣١ ديسمبر عام ١٦٠٠ ، وفى الهند حذت حذو الانجليز فى محاولة امتلاك الاراضي وتأسيس وكالات تجارية تستند على من يدافع عنها من النزلاء المستعمرين الفرنسيين • ثم أخذت تمد تجارتها الى منطقة الخليج العربي حيث صار لها وكالات تجارية فى بعض بلدانه • غير انه فى بداية القرن الثامن عشر كادت الشركة الفرنسية تغلق وكالتها فى بندر عباس (جمبرون) ، ولم يعد الفرنسيون لمزاولة نشاطهم التجارى فى الخليج ، على ما يبدو ، على نطاق واسع سوى عام ١٧٧٥ ، عندما أعادوا المقيم الفرنسي الى البصرة • ولقد كان شأن الفرنسيين كشأن البرتغاليين من حيث التجارة • اذ ان اغلاق وكالاتهم التجارية لم يكن معناه انقطاع السفن الفرنسية عن ارتياد الخليج بقصد التجارة مع البصرة وغيرها من موانىء الخليج ، فان وثائق شركة الهند الشرقية الصادرة عن وكالتها فى البصرة تتحدث عن مثل تلك التجارة[٩] • وهذا يعني ان النفوذ الفرنسي فى الخليج فى النصف الاول من القرن الثامن عشر يمكن ان نغفله ، ففرنسا لم تلعب دورا خطيرا لا فى سياسة ولا فى تجارة الخليج آنذاك •

اما الامتان الاوروبيتان اللتان احتلتا مركز الصدارة فى تجارة الخليج فى النصف الاول من القرن الثامن عشر ، فهما الهولنديون والانجليز[١٠] •

وكان التجار الهولنديون بدورهم قد أسسوا عام ١٦٠٢ شركة الهند الشرقية الهولندية • وقد لعب الهولنديون دورا رئيسيا فى طرد البرتغاليين من الخليج متضافرين مع الانجليز • غير ان الانجليز كانوا موقنين بأن خطر الهولنديين التجارى والسياسي لا يقل عن الخطر

---

(٩) انظر الرسالة ١٥٧١ بتاريخ ٢٩ يولية ١٧٢٦ (بصرة)من هسي Houssaye الى مجلس المديرين فى سجلات الوكالات ١٤ •

(١٠) كان للانجليز والهولنديين وكالات تجارية فى البصرة وبندر عباس •

البرتغالي ، ومن هنا بدا وكأن كلا من الأمتين تحاول ان تحتكر تجارة الخليج العربي فى القرن السابع عشر ، وقد وقعت عدة اشتباكات بين حليفي الامس ، فى ذلك القرن •

على ان العلاقات الهولندية الانجليزية خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر لا تبدو سيئة كالقرن السابع عشر ، بل العكس هو الصحيح ، اذ تتحدث وثائق وكالة جمبرون (بندر عباس) الانجليزية عن ان سفنا هولندية كانت تنقل رسائل تلك الوكالة وكذلك بعض السلع الخاصة بها من ذلك الميناء الى البصرة[11] • على ان هذه الصداقة سرعان ما تبدلت بعداوة منذ الشطر الاول من القرن الثامن عشر ، اى عندما احتل الانجليز المركز الاول فى تجارة الخليج العربي ، وتفوقوا على جميع البلدان الاوروبية المتاجرة مع الخليج ، وكانوا بالطبع يعملون على احتكار جميع تجارة الخليج •

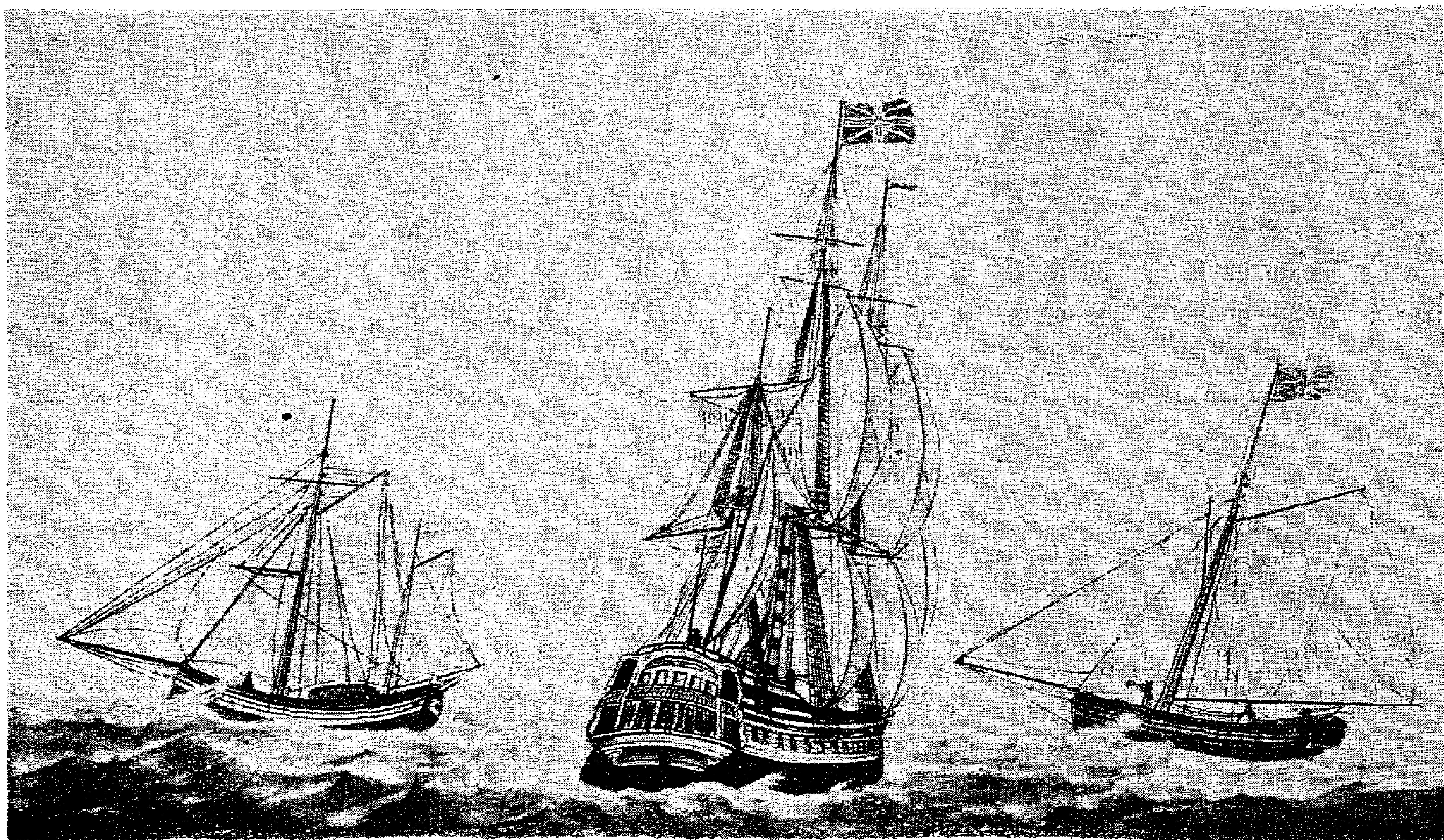
ولعلنا الآن قد بلغنا المرحلة التي لا بد من ان نتحدث فيها عن النشاط الانجليزى فى الخليج ، حتى تتضح معالم الصورة التي نحاول ان نرسمها للمحيط الذى بدأت فيه الكويت فى الظهور على مسرح الحوادث فى الخليج •

النشاط الانجليزى فى الخليج ١٧٠٠ — ١٧٥٠

اما النشاط الانجليزى فى الخليج ، فتبينه رسائل الوكالات التجارية الانجليزية التي انتشرت فى اطراف الخليج فى هذه الحقبة المبكرة من تاريخ الكويت ، فلقد كان للانجليز وكالات تجارية فى جمبرون واصفهان والبصرة وغيرها من مدن فارس والعراق • ان تلك الرسائل تعكس امام قارئها أمرين قام ، على ما يبدو ، من اجلهما سبب تأسيس تلك الوكالات

---

(١١) رسالة من وكالة جمبرون الى مجلس المديرين بتاريخ ٧ مايو عام ١٧٣٧ ثم قارن كذلك
E. Ives, A Voyage from England to India in the year 1754 etc. (London, 1773), 206



سفينة من سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية فى القرن الثامن عشر
(مجموعة المتحف البحرى بلندن) .

التجارية الانجليزية فى منطقة الخليج • اما اول هذين الأمرين فهو ان الشركة كانت تهدف الى توزيع البضائع التي كانت تتاجر فيها ســواء أكانت انجليزية أم غير انجليزية ، متجهة لحسابها فى الخليج العربي ، وسواء احملتها سفن الشركة ام غيرها من السفن التي تنقل البضاعة فى الخليج • واما الامر الثاني الذى كان يكمن وراء انشاء هذه الوكالات فى الخليج فهو محاولة تأمين البريد الذى كان ينقل من لندن الى الهند وبالعكس(١٢) •

ولقد كان هــذا هو الهــدف الرئيسي مــن وراء العناية بوكالة الشركة فى البصرة بصورة خاصة(١٣) • وقد وجدت الشركة آنذاك انها فى وضع يحتم عليها ان تعتمد من اجل نقل البريد على احد طريقين ، كان بمقدور كل منهما ان يضمن لها سرعة ايصــاله • اما اولهما فهو طريق البحر الاحمر وثانيهما فقد كان طريق الخليج العربي ، وكان البريد يسافر بحرا من الهند عبر البحر الاحمر فالاسكندرية ثم البحر المتوسط

---

(١٢) بخصوص البضائع التي كانت تفرغ فى وكالات الشركة بالخليج ، انظر قائمتين ضمن رسالة صادرة من جمبرون الى مجلس المديرين بلندن ، بتاريخ ٢٥ مارس ١٧٢٧ وهذه القائمة تحتوى على البضائع التالية : من بومباى : الفلفل الاسود ، السكر ، الرز ، جوزة الطيب ، القطن ومنسوجاته •

من الهند : الرز البنغالي والمنجهورى ، السكر ، الزنجبيل ، الزعفران الهندى ، الفلفل الاسود ، والمنسوجات •

ومن جمبرون : كانت سفن الشركة تحمل الفاكهة وماء الورد • وأكثر ما لفت نظرنا في قوائم الوكالة التجارية الكميات الكبيرة من الاصواف الاوروبية المباعة فى بلدان الخليج ، ثم الكميات الكبيرة من الحرير الفارسي الى أوروبا •

(١٣) يمكننا ان نرى اشارات واضحة الى الاهداف من تأسيس وكالة البصرة والعناية بها فى أكثر من رسالة صادرة منها الى مجلس المديرين بلندن فى النصف الأول من القــرن الثامن عشر • غير ان اشارة واضحة الى الهدفين الاساسيين من ذلك التأسيس ، ترد فى رسالة من المستر لاتوش Latouche ، الوكيل بالبصرة ، الى خلفه المستر مانيستي Manesty حتى يكون الأخير على بينة من أهداف الوكالة بالبصرة • انظر الرسالة رقم ١٢٩٩ فى مجلد ١٨ من سجلات الوكالات الصادرة عن البصرة بتاريخ ٦ نوفمبر ١٧٨٤ •

فانجلترا بطريق القارة الأوروبية ، او بحرا من الهند عبر الخليج العربي الى الكويت او البصرة ثم برا « بالطريق الصحراوى السريع » الى مدينة حلب بسوريا ومن هناك يستمر برا عبر آسيا الصغرى فأوروبا أو الى اللاذقية ثم بحرا الى اليونان او ايطاليا ثم عبر القارة الى انجلترا . ولقد اثبت هذا الطريق الثاني تفوقه على الطريق الاول من وجهة عملية أولا ثم من حيث درجة الامان التي كان يتمتع بها الطريق الصحراوى آنذاك . وكان وجه الخطر الوحيد الذى يتعرض له ذلك البريد عبر الصحراء هو الخوف من القبائل العربية النازلة حول الطريق الذى يمر به البريد ، وقد أمنت الشركة شر ذلك الخوف بأن اشترت رضاءها بالهدايا النقدية أو العينية من مختلف البضائع (١٤) . ومجمل القول فى اهمية طريق الصحراء هذا انه اثبت مع مرور الزمن وتعاقب سنوات القرن الثامن عشر انه هام بالنسبة للشركة الانجليزية ليس فيما تعلق من شئون أخبارها فى الخليج العربي فحسب ، وانما بالنسبة لما كان يجرى من احداث فى شتى بقاع الهند ، وايصال ذلك الى مكتب الشركة الرئيسي بلندن ، اذ المعروف ان بناء الامبراطورية البريطانية فى الهند كان على يد شركة الهند الشرقية هذه ، وكانت السنوات الاولى من القرن الثامن عشر هامة فى أحداثها من حيث تأسيس النفوذ الانجليزى فى الهند وتتضح اهمية هذا الطريق بل تزداد ، ابان النصف الثاني من القرن الثامن عشر(١٥) ، قبل حرب السنوات السبع (١٧٥٦ — ١٧٦٣)

---

(١٤) لقد اشارت رسائل الوكلاء الموجهة الى رؤسائهم بلندن الى هذا الخطر الذى كانت تتعرض له رسائلهم على يد تلك القبائل العربية النازلة على ذلك الطريق الصحراوى العظيم ، وذلك خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر ، وللاطلاع على ذلك على سبيل المثال يرجع الى رسالة صادرة من جمبرون تحمل رقم ٢٣٣٠ تاريخ ٢ مارس ١٧٢٤ فى المجلد ١٤ من سجلات الوكالات ثم الى رسالة صادرة من البصرة برقم ٦٧٠ بتاريخ ١٩ مايو ١٧٤١ فى المجلد رقم ١٥ .

(١٥) لزيادة المعرفة بالطريق الصحراوى انظر الفصل السابع من هذا الكتاب صفحات ٢٧٣ — ٢٨١ ، ثم لمعرفة سبب تفوق الخليج العربي والطريق الصحراوى على طريق البحر الاحمر فى هذه الحقبة انظر نفس الفصل ، صفحات ٢٨١ وما يليها .

بين فرنسا وانجلترا وبعد تلك الحرب ، ولا يخفى ان كلا من الانجليز والفرنسيين كانوا حريصين على نقل اخبار فرنسا وانجلترا الى مستعمراتهم الجديدة فى الهند وعلى طريقها ، وكذلك الى وكالاتهم التجارية المختلفة .

على ان هذا لا يعني ان رجال الشركة الانجليزية قد حرصوا على السياسة اكثر من حرصهم على التجارة ، اذ الواقع ان التجارة كانت تأتي بالنسبة لهم ، طوال القرن الثامن عشر فى المرتبة الاولى ، وبعدها تأتي السياسة . غير انه من غير المعقول ان يفصل بين الأمرين ، فان ممثل الشركة كان يجد نفسه متفاعلا بالاحداث الجارية من حوله،اى فى الاقطار التى تتاجر الشركة فيها ، ثم كذلك متفاعلا بالاحداث التى تجرى فى وطنه الاصلى ، وكان من الصعب على وكيل الشركة او ممثلها ان ينأى بنفسه عن تلك الاحداث . على ان اقدام نابليون على غزو مصر عسكريا ، لا تجاريا ، عام ١٧٩٨ ، قد قلب الاوضاع وصارت السياسة تأتى فى المقام الاول قبل التجارة ، والواقع ايضا ان رجال الشركة او ممثليها فى وكالاتها المختلفة ، قد اكتسبوا صفة دبلوماسية بعد فترة تقل عن نصف قرن منذ صدور براءة تأسيسها فى ٣١ ديسمبر عام ١٦٠٠ (١٦) ، ففى عام ١٧٠٨ تم اتحاد الشركتين الانجليزيتين المتنافستين على تجارة الهند ، وهما الشركة القديمة وشركة جديدة ، أسست لتنافسها ، وصار اسم الشركة المنبثقة عن ذلك الاتحاد هو : الشركة الانجليزية المتحدة للتجار الانجليز المتاجرين مع الهند الشرقية (١٧) ، ومنذ ذلك

---

(١٦) انظر Wilson فى كتابه السابق : ١٦٩ .

(١٧) تمييزا عن جزر الهند الغربية West Indies ، اذ كانت هذه التجارة قائمة مع الهند وغيرها من بلدان الشرق الاقصى فسميت East Indies أى جزر الهند الشرقية واسم الشركة هو The United Company of the Merchants of England Trading to the East Indies

غير اننا سنستخدم فى هذا الكتاب اسم شركة الهند الشرقية الانجليزية على الدوام .

الاندماج اصبح ممثلو الشركة يتمتعون بما يتمتع به رجال السلك القنصلي (١٨) .

ان اضفاء صفة القنصل على ممثل الشركة كان عملا له خطورته ، ذلك لان ممثلي الشركة كانوا ممثلين وتجارا فى آن واحد ، أى انهم فى الوقت الذى كانوا يصرفون فيه شئون الشركة وتجارتها ، كانوا ايضا يصرفون شئون تجارتهم الخاصة بهم فى تلك الديار التى يعملون فيها . وبالطبع كانت علاقات الشركة مع الدول التى تعمل فى اراضيها تتعرض للتحسن والسوء اذا تحسنت او ساءت علاقة ممثلها بالحكومة المحلية ، تلك العلاقة التى كانت تتأثر بعوامل قد تكون شخصية الى حد كبير . ولقد قامت امثلة عديدة على مثل هذه المشاكل ، وكان يعمل على حلها سفير الحكومة البريطانية فى اسطمبول من ناحية وحاكم مدينة بومباى الانجليزى ، وهو ممثل الشركة بالطبع هناك من ناحية اخرى (١٩) . واذا اخذنا بعين الاعتبار ايضا ان الشركة الانجليزية كانت تعمل على الارض الفارسية والارض العثمانية فى الخليج العربى ، رأينا المشاكل التى كانت ستواجهها حين تتأزم العلاقات بين الفرس والعثمانيين ، لا سيما حينما يطلب كل فريق منهما العون البحرى من سفن الشركة فى عملياته ضد عدوه لا ريب ان موقف الشركة فى مثل تلك الظروف كان حرجا للغاية ، اذ انها لم تكن لتستطيع ان تتخلى كلية عن امداد اى من الطرفين المتنازعين بالسفن المطلوبة فى التو . هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى حرص كل من الفرس والعثمانيين على ان يطلبوا من ادارة الشركة فى بومباى بالهند ، بناء سفن حربية لاستخدامها فى مثل

---

(١٨) انظر Wilson ايضا : ٧٠ .

(١٩) لعل مثل المستر صموئيل مانيستي Manesty هو اوضح مثل لمثل ذلك الخلاف ، فقد نشأ بينه وبين متسلم البصرة ووالي بغداد خلاف عام ١٧٩٢ ادى الى نقل نشاط الوكالة الانجليزية من البصرة الى الكويت ، حيث ظلت تعمل هناك حتى عام ١٧٩٥ . ولم تكن الكويت فى وضع تجارى يماثل وضع البصرة آنذاك ، ومع ذلك اصر مانيستي وزميله هارفورد جونز على ذلك النقل رغم ما فيه من مضار لعلاقات الشركة مع والي بغداد ومتسلم البصرة .

تلك الظروف ، وكانوا يدفعون ثمن تلك السفن عادة بالنقد • ان بناء اسطول عثمانى فى الخليج على يد الانجليز فى الهند لم يكن ليرتاح اليه شاه فارس ، وكذلك كان حال والى بغداد عندما كانت الشركة تقوم ببناء اسطول فارسي يستخدمه الشاه ضد العثمانيين وغيرهم من القوى العربية فى الخليج (٢٠) • من هنا كانت الشركة تتعرض لضغط سياسى من ناحيتين ، ولذلك كانت تجد نفسها مضطرة لاغلاق وكالتها فى احد المكانين ، والانتقال بنشاطها التجارى الى الآخر ، وهـذا ما قامت به شركة الهند الشرقية فى العقد الثالث من القرن الثامن عشر حين وجدت أن البصرة مكان يفضل جمبرون (بندر عباس) لمزاولة نشاطها ، وفعلا اغلقت ابواب وكالـة جمبرون وانتقلت لمزاولـة نشاطها التجارى فى البصرة لم ينظر الفرس بعين الرضا الى هذا التصرف مـن جانب الشركة ، على الرغم من ان الشركة قد بررت تصرفها هذا بأن مرده يرجع الى اضطراب الاحوال فى فارس بعد ان تعرضت لغزو الافغان • لقد فسر الفرس هذا الانتقال على انه عمل عدائى موجه ضدهم ، تتخذه الشركة فى ظروف سيئة للغاية •

اما نحن فنستطيع ان نفسر انتقال ، او بالاحرى تنقل ، نشاط الشركة بين الاراضى الفارسية والعثمانية بأحد أمرين : اولهما ان الشركة كانت حريصةً على ان تظهر للجانب الذى يبدى لها العداء لأى سبب كان ، ان بامكانها ان تمارس نشاطها التجارى فى منطقة الخليج العربى من ارض غير ارضه واقعة على الخليج نفسه ، واما الامر الثانى الذى كان يفرض على الشركة نقل نشاطها من مدينة ما الى اخرى فهو تعسف الحكام المحليين مع ممثلى الشركة ومحاولة فرض شروط مجحفة على تجارة الشركة فى المدن الخاضعة لنفوذ اولئك الحكام سـواء منهم

(٢٠) انظر فيما يلي سياسة نادر شاه فى الخليج العربي فى الصفحات التالية من هذا الفصل •

الاتراك ، فى المدن الخاضعة للباب العالى فى اسطمبول ، او الحكام العرب الذين كانوا يسيطرون سيطرة تامة على الموانىء الفارسية الواقعة على الخليج العربى ، او الحكام الفرس فى المدن الداخلية بفارس ، حيث قامت للشركة بعض الوكالات لتصريف بضائعها فى فارس ، ثم لشراء بضائع فارسية لبيعها فى الهند وأوروبا وغيرها من البلدان ، التى كانت واقعة ضمن منطقة احتكار الشركة •

غير ان الامور لم تسر دائما وفقا لمخططات او آمال ممثلى الشركة فمتسلم البصرة مثلا ، الذى ظن رجال الشركة انه اقل جشعا من حكام بوشهر وجمبرون ، لم يكن يقل عنهم تسلطا • غير انه ، من ناحية اخرى كان من المتعذر على رجالالشركة ان يرضوا بتصرفاتهم كلا من الفرس والاتراك ، ومع ذلك فانصافا لهولاء الرجال لا بد من القول بانهم قد عملوا جهدهم على الابقاء على رواج تجارة الشركة فى وكالاتهم والبلدان التى تقوم فيها تلك الوكالات حول الخليج العربى (٢١) •

غير ان الحروب والاوضاع المضطربة فى منطقة الخليج العربى قد عملت ضد مصالح الشركة التجارية مما جعل المستر مارتن فرنش Martin French ، من وكالة البصرة يكتب الى رؤسائه بلندن عام ١٧٣٢ قائلا :

« ان الحرب مع بلاد فارس قد وضعت حدا لنشاط الشركة التجارى فى هذه الوكالة ، وقد مضت علينا عدة اشهر لم نبع فيها اية

---

(٢١) لم تكد وكالة البصرة تباشر عملها حتى أقام متسلم البصرة العقبات فى سبيلها . وقد تحدث المستر هسي Houssaye عن ذلك فى رسالته الموجهة من البصرة الى مجلس المديرين بلندن ، اذ يقول المستر هسي فى تلك الرسالة ان الباشا أراد ان يفرض ويقبض الجمارك على البضائع قبل ان تبيعها الشركة (رسالة من المجلد ١٤ صادرة عن البصرة فى ١٠ ابريل ١٧٢٦) ، وكذلك تتحدث رسالة برقم ٢٣٨٤ من المجلد ١٥ صادرة عن جمبرون بتاريخ ٢٥ مارس ١٧٢٧ عن صعوبات مماثلة تلقاها بضائع الشركة من سلطات جمبرون الفارسية .

بالة من البضائع • وعلى هذا فاننا نرى انه من غير المستحب ان تفرغ السـفن أيـة بضـائع فى البصرة فى الوقت الحاضر الى ان ينجلي المـوقف (٢٢) » •

وانه لمن الواجب علينا ايضا ان ننصف الحكومتين الفارسـية والعثمانية من حيث ما كانتا تقدمانه رسميا من تسهيلات لشركة الهند الشرقية للاتجار فى البلدان الواقعـة تحت سلطانهما • فقـد منحت الحكومة العثمانية الشركة طائفة من الامتيازات للاتجار فى ارجاء الاقطار التابعة لها ، وكذلك منحت الحكومة الفارسية تلك الشركة امتيازات او «رقم» مماثلة • ومن تلك الامتيازات على سبيل المثال السماح للشركة ان تجبى ضرائب قنصلية من السفن الانجليزية التى كانت تحمل بضائع لتفريغها فى ميناء البصرة وميناء جمبرون (٢٣) • وكانت هذه الضريبة القنصلية تدر على الشركة ارباحا طائلة فى اوقات السلم لا فى الحروب ، ولقد كانت الوكالات تعجز عـن جمعها احيانا حتى فى أوقات السلم بسبب تدخل الحكام المحليين من فرس وأتراك •

---

(٢٢) رسالة من مارتن فرنش الى مجلس المديرين بلندن فى المجلد ١٥ صادرة عن البصرة بتاريخ ١٩ مارس ١٧٣٢/٣٣ • وانظر كذلك رسالة اخرى منه بتاريخ ٢٥ يونيه ١٧٣٢ فى نفس العدد •

(٢٣) كانت نسبة هذه الضريبة القنصلية تصل الى مبلغ ٢٪ وكانت حصيلتها فى البصرة عام ١٧٢٥ قد بلغت ١٧٩٥ شاهي ، انظر مجلد ١٤ رسالة ٥٥٩ • كانت حسابات الوكالات الانجليزية فى الخليج العربي تقدم بالروبية الهندية أو العملة المحمودية أو الشـاهية الفارسية • وعلى الرغم من ان قيمة هذه العملة كانت تتعرض للهبوط والصعود ، فانه بمقدورنا ان نعطى فكرة عن قيمتها من واقع سجلات الشركة ، فالرسالة رقم ٦٤٩ فى مجلد ١٥ الصادرة عن البصرة بتاريخ ٢٢ فبراير ١٧٣٦ تقول ان كل روبية هندية كان يقابلها خمس قطع فارسية من نوع المحمودية • وفى الرسالة ٢٥٧٨ فى مجلد ١٥ ايضا بيان بأن فى الجنيه الاسترليني الواحد ثمانين شاهيا • انظر للعملة والموازين الجدول الخاص بذلك فى السفر الثاني من هذا الكتاب •

ولم يكن خطر تدخل هؤلاء الحكام المحليين هو الخطر الوحيد الذى كانت تتعرض له تجارة الشركة ، اذ كانت القرصنة فى مياه الخليج امرا يهدد تجارة الشركة ، كما كان يهدد تجارة الخليج عامة (٢٤) ، وعلى ذلك فقد حرص وكلاء الشركة على مطالبة حكومة بومباى ، حيث مراكز الشركة فى الهند ، بامدادهم بعـدد كاف مـن السفن المزودة بالمدفعية اللازمة لحراسة دور الوكالة بالخليج ، ثم كذلك حرصوا على ان يكون لكل وكالة حرسها الخاص بها والذى كان ينتقل مع الوكالة فى تنقلاتها بين موانىء الخليج ، ان دعت الضرورة لمثل ذلك الانتقال . كان وجود مثل تلك السفن الحربية راسية غير بعيد عنها ، أمرا مزعجا للوكالة بقدر ما كان أمرا نافعا ، أما الازعاج فمصدره هو الحكام المحليون الذين كانوا يطلبون دوما ان تساهم تلك السفن فى حروبهم ضد غارات سفن عرب الخليج على موانيهم فى فارس والعراق ، وكان من العسير بالطبع على رجال الوكالات ان يرفضوا مثل تلك الطلبات (٢٥) . وهكذا عملت وكالات الشركة بشتى الطرق على استمرار النشـاط التجارى فى الخليـج ، ذلك النشـاط الذى كان بلا ريب يدر على الشركة الارباح ثم انه قد كان عاملا اساسيا فى تقدم واطراد نمو موانىء الخليج العربى . ان تقارير وكالات الشركة الانجليزيـة فى النصف الاول من القرن الثامن عشر الذى هو قيد بحثنا الآن ، لا تذكر الكويت

---

(٢٤) لا بد من ان تختلف وجهة النظر الى القرصنة باعتبار المتعرض لها ووجهة نظره ، وكانت وجهة نظر الانجليز فى تعرض المراكب العربية لسفنهم فى الخليج أن هذه قرصنة ، ولم يكن تعرضهم لتلك السفن قرصنة . وكان الانجليز فى هذه الفترة ينظرون الى أعمال الفرنسيين فى البحار الشرقية والغربية ضدهم على انها قرصنة ، ولا ريب ان الفرنسيين رأوا نفس الرأى فى اعمال السفن الانجليزية ضد تجارتهم . وسوف يكون للقرصنة أو ما عرف بذلك الاسم حديث آخر فى الجزء التالي من تاريخ الكويت عند تدويننا تاريخ التوسع الانجليزي فى الخليج فى الفترة التي اعقبت عام ١٨٢٠ .

(٢٥) كان الحاح الوكالات فى الخليج على بومباى مستمرا دون انقطاع بخصوص تزويدها بالسفن الدفاعية اللازمة . ينظر على سبيل المثال تقرير وكالة جمبرون المقدم الى مجلس المديرين بلندن فى رسالة رقم ٢٣٨٤ مجلد ١٤ صادرة عن جمبرون فى ٢٥ مارس ١٧٢٧ .

فى قليل أو كثير ، والحال كذلك مع غيرها من مدن الشاطىء العربى بالخليج ، غير ان هـذا لا يعنى بحال من الاحوال ان مدنا تجارية لم تنتعش بسبب تجارة الشركة المشار اليها آنفا ، وانما كان الازدهار يزداد هنا ويقل هناك ، وكانت التقارير بالطبع تتناول المناطق المتاجـر معها دون سواها ، وتتناول الاحـداث المحيطة بمراكز نشاط الشركة دون غيرها ، تلك المناطق والاحداث التى ستتحرك الى غربى الخليج فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر • ومما لا ريب فيه أن ذلك النشاط التجارى الذى شهدته مياه الخليج نتيجة لتجارة شركة الهند الشرقية الانجليزية والشركات الاوروبية الاخرى ، ثم لحركة سفن مسـقط والسفن الهندية فى مياهه ، كل ذلك ساهم فى حركة غير عادية كانت تقوم فى مدن صغيرة فى غربى الخليج ، ما لبثت ان نمت وازدهرت مع حلول النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وعلى رأسها مدينة الكويت على ما سنفصله فى الفصل التالي •

ثانيا ــ الاوضـاع السائدة في بلاد فارس والعـراق (١٧٠٠ ــ ١٧٥٠)

أما العامل الثانى الذى ساهم فى احتلال الكويت وغيرها من مدن العتوب مكانا مرموقا فى عالم الخليج العربى بعد حين ، بالاضافة الى ذلك الازدهار التجارى فى الخليج الناجم عن نشاط الشركات التجارية الاوروبية ، فهو الاوضاع المهلهلة السائدة فى فارس والعراق فى النصف الاول من القرن الثامن عشر • ولقد كانت فارس من جهة والعراق فى ظل الاتراك العثمانيين من جهة أخرى ، هما البلدين الوحيدين اللذين كان بمقدورهما بما لهما من قوة عسكرية ان يلعبا دورا هاما فى سياسة الخليج العربى فى هذه الحقبة غير انه لا الاتراك ولا الفرس كانوا فى وضع يمكنهم من ان يلعبوا مثل ذلك الدور الهام ، وهكذا خلا ميدان

الخليج العربى السياسى فى هذه الحقبة من اية قوة كبرى تفرض هيمنة كلية عليه ، ومن هنا صار فى مقدور المدن الناشئة أن تتطور وتتقوى ، دون ان تتعرض لخطر جشع الحكام الفرس أو الاتراك • وسنتناول أوضاع فارس والعراق فى هذه الحقبة بشىء من التفصيل (٢٦) •

الاوضاع السياسية فى بلاد فارس

أما احوال فارس فكانت خلال الربع الاول من القرن الثامن عشر مضطربة متغيرة متبدلة لا استقرار فيها • فقد تعرضت فارس للغزو الافغاني ثم العثماني ثم الروسى على التوالى ؛ وكان من الطبيعى اذن خلال هذه الفترة ان يتحرر الخليج العربى من اية سيطرة فارسية ،ولم يأخذ الخليج العربى مكانا مرموقا فى الدبلوماسية الفارسية الا بعدعام ١٧٢٦ عندما سيطر نادر شاه على فارس جميعها ، وبدأ يتلفت بانظاره الى الخليج العربى ، وتبنى حينذاك « سياسته البحرية » فى الشمال والجنوب ، اى فى بحر قزوين والخليج العربى (٢٧) • ولقد أشار الى سياسة نادر شاه هذه وامتدحها ، اللورد كرزون حين قال : انه لا يعيب عبقرية نادر شاه بحال من الاحوال انتهاجه سياسة بحرية ، بعد أن استطاع خلال فترة قصيرة من الزمن ان يجعل فارس تتبوأ مكان الصدارة بين دول آسيا من حيث قوتها العسكرية ، وذلك حين تطلع الى خلق بحرية قوية تسيطر على المياه الفارسية فى الشمال ، فى بحرقزوين وفى الجنوب ، فى الخليج العربى (٢٨) • ولا ريب ان افتقار فارس الى اسطول قوى فى الخليج العربى كان عاملا هاما فى عدم قدرتها

---

(٢٦) انظر Ives, 207, 222-223

(٧٢) انظر لاوضاع فارس المضطربة فى هذه الحقبة .
L Lockhardt, Nadir shah, A Critical Study based mainly upon Contemporary Sources, (London 1938), pp. 1-17

(٢٨) انظر G. N. Curzon, Persia and the Persian Question (London,1892) two Vols.. Vol. II, P. 271

السيطرة حتى على اتباعها من العرب الذين كانوا ينزلون الشواطىء الشرقية من الخليج (٢٩) • وعلى الرغم من ان نادر شاه كان اول من فكر فى أهمية الاسطول البحرى بالنسبة لبلاده بين حكام تلك البلاد ، الا انه كان بذلك يعمل على خط يتعارض تماما مع الظروف الطبيعية التى تحكمت فى بلاد فارس والتى جعلت الفارسى بطبعه نفورا من ركوب البحر (٣٠) ولعل هذا النفور الفارسى من البحار يتجلى فى أمير البحر الذى اختاره نادر شاه لتولى قيادة الاسطول ، « ذلك الفارسى الذى لم ير فى حياته اية سفينة (٣١) • » ومهما يكن من أمر فان الاسطول الفارسى كان قوام بحارته من الهنود ومن البرتغاليين (٣٢) ، وقد قام ذلك الاسطول الفارسى بهجوم بحرى على البصرة عام ١٧٣٥ ، الا ان متسلمها التركى ، قد أجبر سفينتين انجليزيتين كانتا فى الميناء آنذاك ان تعملا معه ضد الاسطول الفارسى، الذى بادر بالانسحاب (٣٣) ونحن وان كنا لا نعرف بالضبط حجم الاسطول الفارسي آنذاك ومقدار فعاليته ، الا أننا نعرف من رسالة ارسلها ممثل شركة

---

(٢٩) انظر الرسالة رقم ٦٣٠ مجلد ١٥ من المستر فرنش الى مجلس المديرين بلندن والصادرة بتاريخ ٢٠ مايو ١٧٣٢ •

(٣٠) انظر P. Sykes, A History of Persia. (London 1921) two Vols.. Vol. II, p. 271

(٣١) المصدر السابق . ثم انظر كذلك Curzon. II, 392 والذى علق على ذلك الاختيار مقتبسا اقوال المؤرخ هانوى Hanway حيث يقول : « غير انه ليس هنالك من دليل على جهل الفرس بالبحار اقوى من اختيار مرزا مهدى ليكون اميرا للبحر ، وهو الذى لم ير فى حياته قبل ذلك آية سفينة » . ثم انظر ايضا .
Niebuhr, Description de L' Arabie, 269-70

(٣٢) انظر Niebuhr فى المصدر السابق والصفحة السابقة ثم كذلك Curzon, II, 239

(٣٣) انظر الرسالة رقم ٦٤٧ مجلد ١٥ من المستر فرنش الى مجلس المديرين الصادرة عن البصرة بتاريخ ٥ يونية ١٧٣٥ .

الهند الشرقية الانجليزية فى جمبرون ، عام ١٧٣٩ ، أنه كان يتكــون من ثلاث سفن كبيرة وثلاث متوسطة ، وعدد اكثر من السفن الصغيرة الحجم (٣٤) اما الميناء الذى كان يتجمع فيه ذلك الاسطول فهو ميناء بوشهر ، اذ سبق وان اختار نادر شاه عام ١٧٣٤ ذلك الميناء مرسى لاسطوله وسماه منذ ذلك التاريخ بندر نادرية (٣٥) .

فارس والبحرين

ويهمنا مادمنا فى معرض سياسة نادر شاه البحرية فى الخليج العربى ان تتعرض لسياسته تجاه البحرين وذلك بالنظر الى ان البحرين ستصبح جزءا من دولة العتوب فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، ثم لأن الكويت قد ساهمت فى تلك الاحداث التى أدت الى احتلال البحرين وانتزاعها من الفرس . لقد تعرضت البحرين فى مطلع القرن الثامن عشر الى هجوم سلطان مسقط عليها ، وكانت البحرين آنذاك تخضع للشيخ جباره وهو من عرب الهوله الذين كانوا يحتلون الساحل الشرقى من الخليج العربى (٣٦) . ويبدو أن سلطان مسقط وامام عمان قد تبادلا احتلال البحرين هو والهوله فى مطلع القرن ، حين كان الشيخ جباره يحكم البحرين دون منازع ، ودون أن يعترف لأحد بالسيادة عليه او عليها ، فقد بينا من قبل ان احوال الفرس لم تكن لتسمح للشاه بالتدخل فى شئون البحرين أو غيرها من بلدان الخليج . كان نزول عرب مسقط

---

(٣٤) رسالة رقم ٢٤٥٦ مجلد ١٥ بتاريخ ٣١ مارس ١٧٣٩ .

(٣٥) انظر Lockhart, 92

(٣٦) قارن Niebuhr, Description, 284-86 ، والهولة هم من عرب عمان أصلا (نفس المصدر) . ويتبين من المصادر المعاصرة ان عرب الهولة فى البحرين قد اضطروا اهل مسقط للجلاء عن جزيرتهم بعد ان اجأوا هم الى الجلاء عنها والى اخلائهم بالتالى قرى البحرين حتى يتجنبوا تسلط أهل مسقط عليهم .

بالبحرين واحتلالهم لها فى عهد الامام سلطـان بن سيف الثانى ، عام ١٧١٨ وهو من الأئمة اليعاربة • ويتبين من المصادر المعاصرة أن عرب الهولة فى البحرين قد اضطروا أهل مسقط للجلاء عن جزيرتهم بعد أن لجأوا هم الى الجلاء عنها واخلاء قرى البحرين من سكانها من الهولة حتى يتجنب الهولة تسـلط اهـل عمان عليهم (٣٧) • أمـا الحملة الفارسية لاحتلال البحرين فقد وجهها اليها نادر شاه عام ١٧٣٦ ،وكان يدعمه فى ذلك الغزو القوات العربية البحرية النازلة على الساحـل الشرقى من الخليج وهم عرب بوشهر من المطاريش ثم عرب الهولة ، ويبدو أن نادر شاه قد ادرك ان حكم البحرين لا يمكن ان يستتب الا بتولية حاكم عربى عليها وليس فارسى الاصل ، ومن هنا جاء تعيـين الشيخ غيث ثم الشيخ نصر آل مذكور من عرب المطاريش حاكمين على البحرين • ولقد استمرت سلطة المطاريش على البحرين قائمة منذ ذلك التاريخ حتى عام ١٧٨٢ حين انتزع العتوب السيادة على البحرين من الفرس أو بلغة ادق من الذين كانوا يحكمونها باسم شاه فارس وهم عرب المطاريش الذين كانت لهم السيطرة على بوشهر أيضا والمناطق المجاورة لها ، والذين لم يكن للشاه عليهم سوى نفوذ اسمي (٣٨) •

ولعل المرء يتساءل عن السر الذى جعل البحرين محـل أطماع القوى العاملة فى الخليج فى هذه الفترة • ان السبب الاهم يكمن فى غنى المنطقة المحيطة بالبحرين غنى لا مثيل له باللؤلؤ • فقد كانت هذه المنطقة من اغنى مناطق الخليج باللؤلؤ وما زالت كذلك حتى يومنا هذا•

---

(٣٧) انظر Lorimer, I, i, 836-7 أما Wilson فيقدم تاريخ احتلال اهل مسقط للبحرين سنة فيجعله ١٧١٧ (انظر ص ١٧٢ من كتابه) • ويشير الى هذه الحادثة محمد ابن خليفة النبهاني فى كتابه التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية ، تاريخ البحرين ، (القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م : ١١٢) •

(٣٨) انظر لتفاصيل احتلال العتوب للبحرين رسالة المستر لاتوش Latouche وكيل الشركة الانجليزية بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن فى مجلد ١٧ بتاريخ ٤ نوفمبر ١٧٨٢ وانظر كذلك تاريخ البحرين للنبهاني : ١١٤ — ١١٥ •

وكانت حصيلة اللؤلؤ البحراني تصل الى نصف مليون روبية هندية كل عام ، وهو مبلغ كبير تنافس من أجله المتنافسون على امتلاك البحرين ومن ثم السيطرة على ثروتها المائية هذه (٣٩) • وبخلاف هذه الثروة من اللؤلؤ لم تكن البحرين تتمتع بتجاره هامة اخرى ، ولم تكن للشركات الاوروبية وكالات تجارية بها فى النصف الاول من القرن الثامن عشر •

لقد وقفنا قليلا عند سياسة نادر شاه لنرى أثرها المباشر فى البيئة العربية من حول الخليج العربى ، ولا بد من ان نقف قليلا أيضا لندرس الطريقة التى تم لنادر شاه بها بناء أسطوله هذا ، ولسوف نتتبع أخبار ذلك الاسطول حتى تحطمت آخر سفنهالفارسية فى حياة نادر شاه لا بعد مماته •

عندما اراد نادر شاه بناء أسطوله اتجه الى شركتى الهند الشرقيتين العاملتين بجد ونشاط فى الخليج وهما الشركة الانجليزية والهولندية ، وطلب منهما أن تبيعاه سفنا حربية وأن تبنيا له سفنا أخرى فى موانىء الهند وغيرها من البلدان التى كانت لهما فيها وكالاتتجارية وتم لنادر ما اراد على يد الهولنديين والانجليز ، وبدأت تحركات اسطوله فى الخليج ، وهذه هى التى تهمنا بطريق مباشر ، فالقوى البحرية العاملة فى الخليج كانت اما اوروبية أو عربية محلية • لقد طلب نادر شاه من العرب النازلين بالشاطىء الشرقى من الخليج العربى من هولة ومطاريش ان يمدوه بدورهم بالسفن اللازمة لذلكالاسطول فأمدوه ببعضها ولكنهم رفضوا ان يسلموه جميع سفنهم • وبالطبعكان للعرب النازلين على الشاطىء الشرقي اتصالات لا تنقطع مع اخوانهم

---

(٣٩) انظر لتقدير هذه الثروة المائية واهميتها « تقرير عن تجارة شرقي بلاد العرب » فى منتخب سلدنها Saldanha **ص ٤٠٧ وهو التقرير الذى أعده مانيستي** Manesty **وجونز** Jones

فى العراق وعلى الشاطىء الغربى من الخليج ، ومن هنا تبدولنا أهمية تكوين نادر شاه لاسطوله ، ثم كذلك من هنا تتبين لنا النهايةالحتمية لمطامعه البحرية ولاسطوله • لقد درج عرب الخليج حتى ذلك التاريخ على ان يهجروا البلد التى يحتلها مغتصب وينتقلوا فى سفنهم ، حيث ينزلون عند ابناء عمومتهم منتظرين ساعة الانتقام • وهذا هو مافعله عرب الهولة بالضبط اذ انتظروا حتى عام ١٧٤١ اى قبل وفاة نادرشاه وهاجموا الاسطول الفارسى ووضعوا ايديهم عليه ، ومات حلم نادر شاه فى تكوين بحرية فارسية فى الخليج • لقد ادى استيلاء عربالهولة على الاسطول الفارسى الى اشتداد الضغط مـن قبل نادر شاه على الشركات الاجنبية لتزويده بسفن أخرى لعله يستطيع بها أن يسترد أسطوله الضائع غير أنه على الرغم من انصات الشركات لندائهوصدور الاوامر الهولندية والانجليزية لبناء السـفن فى الهند لحساب نادر شاه (٤٠) فان نادر شاه لم يوفق فى اعادة بناء اسطوله ، ولعلنا نتساءل عن السبب فى ذلك • أغلب الظن ان نقطة الضعف الاولى تكمن فى اختيار البحارة الذين يسيرون السفن • سبق أن قلنا ان نادر شاه اختار بحارة من الهنود والبرتغاليين لاسطوله • على انه على ما يبدو قـد وجد نفسه مضطرا لاستخدام العرب كذلك ، لاسيما من ظن انهم من اتباعه مـن الهولة والمطاريش • غير أن نادر شاه قد نقل هؤلاء البحارة العرب من الخليج الى بحر قزوين اى الى الشمال حتى يقطع صلتهم باخوانهمعلى الشاطىء الغربى ، وبالطبع لا يمكن ان يرضى هؤلاء عن مثل هـذا التصرف (٤١) • فهنا أخطأ نادر شاه مرتين ، المرة الاولى لاختياره العرب بحارة لاسطوله ، والثانية عندما نقلهم الى الشمال بدلا مـن

---

(٤٠) انظر الرسالة رقم ٦٧١ مجلد ١٥ الموجهة من توماس دورل Thomas Dorrill بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن والصادرة بتاريخ ١٦ ديسمبر ١٧٤١ •

(٤١) انظر Niebuhr, Description, 270 ؛ Curzon, II, 392

ابقائهم في الجنوب، ثم أخطأ نادر شاه مرة اخرى عندما أنشأ مركزا لصناعة السفن فى بوشهر وأخذ ينقل اليه الاخشاب من الشمال من مازندران، ولا يخفى ما فى ذلك من نفقات باهظة فى الجهد الآدمى اللازم لنقلها ، ثم المصاعب الجمة التى تصاحب ذلك النقل • أما نتيجة هـذه السياسة البحرية فقد كانت ، كما جاء على لسان نيبور ، بضعة ألواح خشبية بقيت ملتصقة بهيكل سفينة ، بعيد وفاة نادر شاه بقليل (٤٢) على انه يجب أن لا يفهم من هذا ان شاهات فارس قد تركوا أحلام نادر شاه جانبا فى هذه الحقبة ، فهم وقد عاودتهم الاطماع فى الاستيلاء على البصرة وبغداد ، فى عهد كريم خان زند عام ١٧٧٥ ، قد لجأوا الى العرب من جديد يطلبون عونهم البحرى دون أن يفرضوا عليهم شروط نادر شاه • فقد ساهم فى تلك الحملة على البصرة عرب الشاطىء الشرقى من الخليج وهم المطاريش النازلون ببوشهر وحكامها ، ثم بندر ريق وبنو كعب الذين كانت شهرتهم قد ذاعت فى بداية النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، وسنعود الى ذكرهم فى حينه فى الفصل الرابع من كتابنا هذا •

الاوضاع السياسية فى العراق فى العهد العثماني

هذا ماكان من شأن اوضاع فارس السياسية وعلاقتها بالخليج فى النصف الاول من القرن الثامن عشر ، أما اوضاع العثمانيين فى العراق فلم تكن احسن حالا من جيرانهم الفرس ، ولسوف نرى كيف أنه لم يكن بمقدورهم بالتالى ان يلعبوا اي دور ذى بال كقوة يمكن أن يحسب حسابها فى الخليج •

---

(٤٢) انظر Curzon, II, 392 **وكذلك** Sykes, II, 372 **ثم تعليقات نيبور على ما رآه فى بوشهر عندما مر بها عام ١٧٦٥ فى** Description, 273

كانت السلطة العليا فى العراق تتركز فى يد والى بغداد اى باشا بغداد منذ الاحتلال العثمانى للعراق عام ١٥٣٤ ، غير ان سلطان ذلك الوالى كان ضعيفا فى العراق نفسه نظرا لتدخل الباب العالى فى اسطمبول فى تعيين وعزل الولاة ، وكان هؤلاء الولاة من المماليك ، على شاكلة مماليك مصر ، ثم نظرا لان نفوذ باشا بغداد لم يكن يصل الى متسلمية البصرة جنوبا بالعراق ، ثم كذلك ايضا بالنظر لان والى بغداد كان دائما فى حالة حرب مستمرة مع شاهات فارس منذ الفتح العثمانى للعراق (٤٣)

والدارس لتاريخ العراق جنوبى بغداد فى هذه الحقبة يتبين أن متسلمية البصرة كانت شبه مستقلة عن بغداد ، وكان ذلك المتسلم لا يستطيع الدفاع عن البصرة دون أن يستمد العون بانتظام من القبائل العربية النازلة اطراف المدينة ، ولو تصادف أن انضمت هذه القبائل الى الفرس او الى اية قوة مهاجمة للبصرة ، فلابد للمتسلم من التسليم للغزاة . وقد كانت سلطة المتسلم نفسها لا تكاد تخرج عن نطاق أسوار مدينة البصرة نفسها . أما القبائل العربية النازلة حول البصرة فكان من أشهرها قبيلة المنتفق ، أو المتفق كما يحلو للبعض تسميتها ، وكانت هذه القبيلة تنزل الاراضى الواقعة الى الغرب من البصرة ، ثم بنـــو كعب الذين كانوا ينزلون الاراضى الواقعة الى الشرق والجنوب الشرقى من البصرة . وفى الوقت الذى استمر فيه ولاء المنتفق لمتسلم البصرة وباشا بغداد طوال القرن الثامن عشر تقريبا ، كان بنو كعب لايدومون على ولاء لاحد ، فهم طورا مع الفرس وطورا مع الاتراك واحيانا مع الطرفين فى آن واحد ، أى كانت لبنى كعب قدرة عجيبـــة على تبديل سياسة الولاء تبعا لظروفهم (٤٤) . والى جانب المنتفق وبنى كعب

(٤٣) خضعت البصرة للاتراك سنة ١٥٤٦ ، انظر
S. H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, (Oxford 1925), 31

(٤٤) انظر Niebuhr, Voyage en Arabie, Tome II, 187-188 لقد عالجنا هذه القبائل العربية بشيء من التفصيل فى الفصل الرابع من كتابنا هذا .

كانت هناك قبائل الظفير ، وهؤلاء كان ولاؤهم لباشا بغداد ومتسلم البصرة أشبه ما يكون بالتام طوال القرن الثامن عشر (٤٥) •

ان علاقة هذه القبائل العربية النازلة بالعراق مع عرب شرقى الجزيرة كانت علاقات ود وصداقة خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر ، غير ان تلك الصداقة سرعان ما انتقلت الى عداء مستحكم فى النصف الثانى من ذلك القرن (٤٦) ولقد حرص متسلم البصرة دوما على كسب صداقة تلك القبائل ، غير انه لم يكن دائم التوفيق •اما حرصه على ذلك فمرده تجارة البصرة اولا ثم تجارة بغداد ثانيا فان اى اضطراب يعكر صفو الأمن بالبصرة كان طبيعيا ان يؤثر فى تجارتها وكذلك الحال مع التجارة المنقولة برا وبالطريق النهرى بين البصرة وبغداد • أما كمية هذه التجارة المنقولة بين البصرة وبغداد والمتجهة شمالا فقد كانت كبيرة على حد تعبير احد الرحالة الانجليز الذين نقلوا تجارتهم على احدى القوافل المتجهة من بغداد الى البصرة (٤٧) •

---

(٤٥) الظفير أو الضفير هم قبائل نجدية الاصل هاجرت الى العراق واستقرت بجوار البصرة. انظر عباس العزاوى، عشائر العراق (بغداد ١٣٦٥هـ/١٩٤٥م) ج ١ ، ٢٩٥ — ٣٠٤ . اما المنتفق فهم كذلك من نجد نزلوا بعد هجرتهم منها الى العراق بين بغداد والبصرة . انظر ابراهيم بن صبغة الله الحيدرى ، عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد ، مخطوطة المتحف البريطاني ، ورقة ٥٨ ، ثم انظر كذلك محمد البسام ، الدرر المفاخر فى أخبار العرب الأواخر ، ورقة ٤٣ .

(٤٦) انظر الفصل الخامس ، صفحات ١٧٤ — ١٧٨ .

(٤٧) يقول ابراهام بارسونز Parsons ان التجارة المحمولة على الفرات ودجلة كانت دوما عظيمة A. Parsons, Travels in Asia and Africa (London, 1808) 154 ثم انظر كذلك Wilson, 67-68

أما مرد حرص العثمانيين على البصرة واستتباب الاحوال فيها ، فقد كان يرجع بادىء الامر عند احتلالها عام ١٥٤٦ الى مقاومة النفوذ البرتغالى فى الخليج وفى ديار الاسلام عامة ، غير أن اقتلاع جذور النفوذ البرتغالى من الخليج العربى فى اوائل القرن السابع عشر ، لم يفقد البصرة أهميتها من وجهة النظر التركية العثمانية ، اذ ان مركز البصرة التجارى كان ممتازا لا سيما بعد ان أسست الشركات الاوروبية فيها وكالاتها التجارية (٤٨) . وعلى هذا فقد حرص والي بغداد على استتباب الامن فى نواحيها ، ذلك أن عظم التجارة فيها أو قلتها كان يتوقف على ذلك الامر الى حد بعيد . والواقع ان مقدار التجارة بالبصرة وبينها وبين بغداد وسائر اجزاء البشالك (الولاية) كان يتوقف على عدة عوامل يأتى فى مقدمتها شخص متسلم البصرة . فجشع ذلك المتسلم او حكمته وتعقله ، وحسن تصرفه مع وكلاء الشركات التجارية ، كل ذلك كان له أثره فى مقدار التجارة بالبصرة (٤٩) .

والعامل الثانى يكمن فى السلم والامان واستتبابهما ، فالتجارة تنمو وتزدهر حين يخيم السلام على أرجاء البلدان التى تنتقل فيها التجارة . والسلام فى البصرة لم يكن يتحكم فيه الغزو الفارسى فحسب، بل كانت تحكمه القبائل العربية النازلة بأطراف البصرة ، اذ أن أى خلل فيه نتيجة لتدخل تلك القبائل المشار اليها آنفا كان يعطل التجارة لا فى البصرة فحسب بل فى سائر مدن العراق الشمالية كبغداد وغيرها (٥٠) .

---

(٤٨) أسست شركة الهند الشرقية الانجليزية وكالتها بالبصرة سنة ١٦٤٣ . انظر Wilson 163 وكذلك Longrigg, 108

(٤٩) لقد سبق القول الى ان المستر فرنش French ، ممثل الشركة الانجليزية فى البصرة قد كتب فى فترة مبكرة بتاريخ ١٠ ابريل ١٧٢٦ ، الى مجلس المديرين بلندن يقول : ان باشا بغداد قد ساءت علاقته بالوكالة والسبب انه يطلب منا ان ندفع الجمارك قبل بيع البضائع . الرسالة رقم ٥٦١ مجلد ١٤ .

(٥٠) انظر تقريرا من مجلس وكالة جمبرون الانجليزية الى مجلس المديرين بلندن فى رسالة رقم ٢٣٨٤ مجلد ١٤ مؤرخة ٢٥ مارس ١٧٢٧ .

وكانت هذه القبائل نفسها أيضا تعمل فى نقل التجارة على القوافل ما بين نجد وشرقى الجزيرة العربية والبصرة وبغداد وبلدان الشام كذلك • وهذا طريق تجارى قديم عرفته القبائل العربية منذ مئات السنين • كان هذا الطريق يمر بقرية الجهرة ، ذات الماء العذب ، وذلك لحاجة رجال القوافل وجمالها للماء والاستراحة ، ولا ريب أن الكويت قد استفادت وهى تنشأ من مرور القوافل عن ذلك الطريق ، ولقد كانت الجهرة والكويت وغيرها فى هذه الحقبة خاضعة لسلطان شيخ بنى خالد أقوى حكام شرقى الجزيرة آنذاك ، كما سنتبينه بعد حين •

ثالثا ــ الاوضاع السياسية فى نجد وشرقى الجزيرة العربية فى النصف الاول من القرن الثامن عشر :

كانت قبيلة بنى خالد هى أقوى القبائل العربية فى شرقى الجزيرة خلال العقود الخمسة الاولى من القرن الثامن عشر ، وكان سلطانها يمتد من قطر جنوبا حتى الكويت وحدود العراق شـمالا ، اى أن جميع شواطىء الخليج العربى الغربية من قطر الى العراق كانت ضمن نفوذ شيخ بنى خالد • أما مدى توغل نفوذهم فى نجد اى وسط شبه الجزيرة فسندرسه فى الفصل التالى من هذا الكتاب (٥١) •

ولقد ذهب السالمى فى تحفته الى القول بأن بعض قبائل بنى خالد كانت تنزل عمان الصير أو الساحل المهادن (٥٢) • وتاريخ نفوذ بني خالد فى شرقى الجزيرة أقدم بالطبع من القرن الثامن عشر ، اذ يبدو أن

---

(٥١) لقد اعتمدنا فى استخراج التحديد الزمني لحكم بني خالد على سوابق ابن بشر فى تاريخه عنوان المجد فى تاريخ نجد ، فانظر الجزء الاول منه : ٨ ، ١٥٤ ، ١٨٣ ، ٢١١ ، ٢١٨ . أما كتاب لمع الشهاب فقد أمدنا بمعلومات قيمة تنقصها التواريخ . انظر لمع الشهاب : ٢٢٣ ــ ٢٢٨ و ٢٣٥ . ولقد مرت اشارة موجزة الى هذا فى الفصل الاول .

(٥٢) نور الدين عبد الله بن حميد السالمي ، تحفة الاعيان بسيرة اهـل عمان ١ : ١١ ، ١٢ .

ملكهم قد بدأ فى تلك الديار فى القرن السادس عشر ، غير أنه قد رسخ فى الفترة التالية • وتشير الكتابات التاريخية العربية الى انه كان بمقدور شيوخ بنى خالد ان يتحدوا تحرشات شرفاء مكة بهم عام ١٥٨١ عندما أراد هؤلاء ان يتحدوا سلطة بنى خالد فى الاحساء (٥٣) • ويبدو لنا أن قبائل بنى خالد كانت خلال القرن السادس عشر تجوس شرقى الجزيرة العربية من قطر الى البصرة طوال الوقت متنقلة حسب ما تمليه الظروف الجوية عليها ، على أنه لا يبدو أنهم كانوا على علاقات طيبة مع العثمانيين الذين بدأ سلطانهم على العراق فى العقد الرابع من ذلك القرن والذين افتتحوا الاحساء فيما بعد بمساعدة قبائل المنتفق وأقاموا فيها حكما عثمانيا بعد أن أزالوا عنها سلطة آل جبرى وهم من قبيلة قيس (٥٤) • وقد استمر الحكم العثماني فى الاحساء حتى عام١٠٨٠هـ/١٦٧٠م عندما استولى عليها منهم براك بن غرير آل حميد الخالدى (٥٥) • ولقد تداول حكم الاحساء من الاتراك العثمانيين أربعة باشوات قبل ان يطردهم منها براك وهم فاتح باشا ثم علي باشا فمحمد باشا واخيرا عمر باشا الذى استسلم لبراك (٥٦) الذى ظل يحكم فى بنى خالد حتى وفاته سنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م ، اذ انتقل الحكم بعد ذلك الى أخيه محمد ابن غرير •

ان دارس تاريخ الجزيرة العربية فى هذه الحقبة لا بد ان يعنى بمعرفة الرقعة التى كان بنو خالد يبسطون سلطانهم عليها • تلك الرقعة

---

(٥٣) ابن بشر ١ : ٢٤ ــ ٢٥ •

(٥٤) ابن بشر ١ : ٢٥ •

(٥٥) يذكر لونجريج Longrigg اسم براك فى هجوم على الاحساء قام به باشا البصرة ما بين ١٦٣٢ ــ ١٦٣٤ ولعل براكا هذا هو جد براك الذى طرد العثمانيين من الاحساء •

(٥٦) يذهب لونجريج الى القول بان الحكم العثماني للاحساء فى هذه الفترة كان اسميا لا واقعيا ، اذ ان الدولة العلية لم تجب الضرائب من أهل الاحساء ، ولم تسند نفوذ باشواتها فى الاحساء باية قوة مادية أو عسكرية • انظر Longrigg, 38

التى ذكرنا أنها تمتد من قطر جنوبا الى البصرة شمالا بمحاذاة الخليج العربى من ناحية ووسط الجزيرة العربية من ناحية اخرى • ان هذا الموقع الجغرافى الذى تحكم فيه بنو خالد جعلهم بالضرورة يحتكون بالحكم العثمانى فى العراق من جهة ثم بصغار الامراء الذين كانوا يحكمون مدن نجد المختلفة فى العقود الخمسة الاولى من القرن الثامن عشر • ثم انهم ببناء ملكهم فى الاحساء ، صاروا يمتلكون أغنى بقعة زراعية فى شرقى الجزيرة تلك البقعة التى كانت تهوى اليها افئدة سكان نجد ، الذين كانت لبعضهم بساتين ومزارع فيها ولقد كانت الاحساء محل انظار سكان نجد اذا حل بالاخيرة الجدب ان هذا الاتصال بنجد جعل بنى خالد يقفون مواقف معينة من أولئك الامراء ، ولعل أوضح مثل على ذلك ما كان من موقف شيخهم سليمان بن محمد آل حميد من الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى بدأ دعوته فى العيينة بنجد فى ظل شيخها عثمان بن معمر ، والعيينة من أقاليم العارض بنجد • لقد طلب شيخ بنى خالد من ابن معمر هذا ان يمنع محمد بن عبد الوهاب من بث دعوته والا فانه ، أى سليمان بن محمد آل حميد ، سيمنع عنه ريع نخيله فى الاحساء والبالغ نحو ستين الف ريال من الذهب • وبالطبع افلح شيخ بنى خالد فى تهديده ، واضطر محمد بن عبد الوهاب الى مغادرة العيينة الى الدرعية ، حيث آزره اميرها محمد بن سعود (٥٧) • ولن ندخل الآن فى تفاصيل ما اعقب ذلك ، اذ سيأتى الحديث عنه فى

---

(٥٧) انظر لتفاصيل ذلك ابن غنام : الغزوات ١ : ٣ ـ ٤ ثم كتاب لمع الشهاب ٣٢ ـ٣٤ . ثم انظر لسنوات الجدب التي اصابت الجزيرة العربية فى اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر ، ابن بشر ؛ ١ : ٦٢ ، ٧٥ ، ١٦٤ ، ٢١٨ ، ٢٢٣ .

فصل لاحق ، ولكن يكفى ان نقول ان هذه الحادثة قد أدت الى مناصبة محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود وأولاده من بعده لبنى خالد العداء ، مما أدى فى النهاية الى سقوط الاحساء فى أيديهم عام ١٧٩٥ كما سنفصله فيما بعد •

نعود الى الحديث عن البلدان التى كانت تستظل بحكم بنى خالد وعن طبيعة الحكم الخالدى فيها • لم تكن الاحساء بواحاتها الخصبة (٥٨) هي البقعة التي يحسد على ملكها بنو خالد ، بل انه كانت تحت سلطانهم مدن هامة وموانىء مزدهرة فى هذه الحقبة ، مثل القطيف والعقير ، اذ أنه من هذين الميناءين كانت تصل القوافل الى بلدان نجد فى الداخل حاملة السكر والقهوة والبهارات الاتية من الهند ومن اليمن (٥٩) • ولقد كانت الكويت بالطبع فى موقع يسمح لها بالمشاركة فى هذه التجارة ، غير أنها لم تكن قد اكملت مقومات نموها فى هذه الفترة ، ولكنها ساهمت فيها بعد ذلك فى نصف القرن الثامن عشر الثانى • ولعله من الجدير بالملاحظة بالنسبة لما يتعلق بطبيعة التكوين القبلى لبنى خالد أنهم كانوا ينقسمون الى شطرين ، فمنهم من كان قد استقر بالمدن والقرى ومنهم من فضل حياة البادية • ولما كانت المدن فى شتى بقاع الجزيرة العربية تطلب الحماية من بعض القبائل البدوية النازلة فى جيرتها ، صار بمقدور القبائل المتنقلة من بنى خالد أن تمنح تلك الحماية لسائر المدن فى منطقة ملكهم • اما مقر تلك القبائل المتنقلة فكان على ما يبدو هو واحة الاحساء نفسها ، ومن ذلك المقر كانت تتوجه غزوات بنى خالد

---

(٥٨) الاشارة الى الخصوبة هنا نسبية بالطبع اى بالنسبة للجزيرة العربية عامة .

(٥٩) انظر « تقرير عن تجارة البلدان العربية الواقعة على ساحل الخليج العربي » فى منتخب سلدنها Saldanha ، اذ أنه على الصفحات ٤٠٥ ـ ٤٠٩ من ذلك التقرير نجد التفصيلات المتعلقة بالدور الذى كانت تلعبه كل من العقير والقطيف فى نقل تلك البضائع الى داخل الجزيرة اي الى نجد .

الى نجد (٦٠) غربا ، وكذلك الى البصرة شمالا حيث اصطدموا بقبائل الظفير النازلة باطرافها (٦١) .

أما علاقة بنى خالد بالعتوب فى الكويت فى هذه الفترة فهى موضع اهتمامنا الخاص . فالى شيخ بنى خالد يعزى بناء الكوت أو الحصن الذى أخـــذت الكويت اسمها منه (٦٢) وفى عهـــد بنى خالد ترعرعت الكويت ونمت حتى صار بمقدورها فى نهاية القرن الثامن عشر ان تقاوم أقوى القوى البحرية والبرية العربية العاملة فى الجزيرة العربية وفى الخليج . وفى بلاد بنى خالد هذه أسس العتوب مدينتهم الثانية عـــام ١٧٦٦ ، وهى مدينة الزبارة بقطر ، والتى كتب لها شأن عظيم فى التجارة خلال الحقبة القصيرة التى عاشتها ، قبل ان تصل اليها يد الدمار فى مطلع القرن التاسع عشر . ولا ريب ان الحماية التى كان يمنحها بنو خالد للعتوب هى التى مكنت الزبارة من الازدهار (٦٣) . ولا ريب كذلك أن تقدم الكويت وغيرها من مدن شرقى الجزيرة العربيـــة فى ميدان التجارة انما يرجع الفضل فيه فى بادىء الامر الى حكم بنى خالد الذى كان يرعى التجارة برعايته للسلم والامن فى ربوع شرقى الجزيرة العربية ، ولعل خير ما يدلل على هذا الذى نذهب اليه ما جاء فى التقرير الذى كتبه المستر مانيستي Manesty والمستر جونز Jones عن ذلك السلم الخالدى (٦٤) . والذى لاحظناه من دراستنا المجملة والمفصلة

---

(٦٠) ابن بشر ١ : ١٨٣ – ١٨٤ .

(٦١) المصدر السابق .

(٦٢) انظر يوسف بن عيسى القناعي ، صفحات من تاريخ الكويت : ٥

(٦٣) لقد هاجر آل خليفة وغيرهم من العتوب من الكويت الى الزبارة عام ١١٨٠/١٧٦٦ . انظر من أجل ذلك عثمان ابن سند ، سبائك العسجد ١٨ – ١٩ ، وانظر كذلك منتخبات حكومة بومباى : ٣٦٣ .

(٦٤) انظر التقرير فى منتخب سلدنها : ٤٠٨ .

لتاريخ بنى خالد فى القرن الثامن عشر بأسره انهم لم يكونوا قوة بحرية كما كان حال القواسم مثلا أو العتوب أو عرب مسقط (٦٥) ٠

ومهما يكن من أمر فان الحكم الخالدى لشرقى الجزيرة العربية بما جبل عليه من بسط الامان على سائر الاجزاء المستظلة به ، قد كان أمرا لازما لاعطاء الكويت الفرصة حتى تنمو وتزدهر دون أن تتعرض لاعتداءات القبائل البدوية النازلة فى أطراف البصرة أو الى الشرق من مدينة الكويت ٠ ولا شك أن نمو المدن وتقدمها وبناءها الممالك يتأتى

---

(٦٥) القواسم فى رأس الخيمة ، (تشير الوثائق الانجليزية الى القواسم بلفظ Joasmees اى الجواسم بينما يشير لمع الشهاب اليهم بلفظ القواسم(الاوراق ٤٦ — ١٠٤)، انظر مختارات حكومة بومباى : ٣٠٩ — ٣٥٩ حيث تجد مقالة عنوانها :

"Historical Sketch of the Joasmee Tribe of Arabs; from the Year 1747 to the Year 1819"

والعتوب بالطبع فى الكويت . واما عرب مسقط فاليهم تشير المقالة المدونة فى مختارات حكومة بومباى بعنوان :

"Historical Sketch of the Rise and Progress of the Government of Muskat etc . . . . " P. 168 ff.

تقول تلك المقالة :

« ان تاريخ سيادة عرب مسقط على الخليج العربي يمكن ارجاعه الى عام ١٦٩٤/١٦٩٥ ؛ عندما بدا للعيان انهم قوة تسعى الى بسط سيطرتها على الخليج العربي . وفى العام التالي صار الابحار فى مياه الخليج أمرا خطرا بعد أن ازداد نفوذهم عن العام السابق ، حتى أن الوكيل الانجليزي فى جمبرون كتب فى تقرير له يقول : « ان الوباء (الخطر) المسقطي فى طريق الهند ، لا يعدله الا الخطر الجزائرى فى البحر الابيض المتوسط . (ص ١٦٨) ولقد أدت سيادة مسقط هذه الى احتلالهم عدة اماكن على سواحل الخليج العربـي وارتكابهم بعض اعمال القرصنة فيه (نفس المصدر) . ولم يكن باستطاعة الانجليز أو البرتغاليين مقاومة نفوذ مسقط الصاعد . وكذلك قل عن فارس ، فانها فى الثلاثين سنة الاولى من القرن الثامن عشر ، كانت أعجز من ان تفرض على مسقط أى نفوذ . وقد باءت محاولة نادرشاه ، التي كانت تهدف الى احتلال مسقط ، بفشل ذريع ، اذ أن الاحتلال الفارسي لمسقط وبعض مدن عمان ، سرعان ما زال بفضل جهود القائد العماني أحمد بن سعيد ، الذى صار اماما لعمان عام ١٧٤٤ على أثر هزيمته للفرس (نفس المصدر : ١٦٩ ، ثم انظر كذلك المرجع عينه : ١٢٢ قارن كذلك حمد بن محمد بن رزيق فى كتابه « الفتح المبين » : ١٥٣ — ١٥٥، ثم فى كتابه « السيرة الجلية » : ١٩ — ٢٣ ،ومهما يكن من أمر، فان أسطول مسقط كان طوال القرن الثامن عشر خطرا ليس على الاساطيل العربية المحلية العاملة فى الخليج فقط ، بل كذلك على الاساطيل الاوروبية . وليس ادل على مدى قوته من أن امام عمان حاول فى هذه الفترة أن يفرض اتاوات على السفن العابرة مضيق هرمز .

عن اتقان اقتناص أنسب الفرص لذلك النمو والتقدم والازدهار ، وهى فى حالها هذه تشبه الافراد ، وهذه هى سنة الطبيعة ، والبقاء للاصلح •

ولا يبقى بعد هذا العرض السريع للاوضاع العامة فى منطقة الخليج سوى أن نتحدث عن نجد • ففى الوقت الذى تجمعت فيه خيوط النفوذ فى شرقى الجزيرة العربية بيد حازمة هى يد شيخ بنى خالد ، كانت أحوال نجد لا تزال تشكو من الافتقار للوحدة • لقد كان كل أمير مستقلا استقلالا تاما بتصريف شئون مدينته أو قريته أو قبيلته ، وكان قوله هو الفصل • ولم يبدأ أولئك الامراء ولا شيوخ تلك القبائل بالخوف على سلطانهم من الضياع قبل عام ١٧٤٥ عندما بدأت قوة الدرعية فى الظهور على حيز السياسة العامة فى نجد ، وذلك بعد أن لجأ اليها محمد ابن عبد الوهاب وتحالف مع محمد بن سعود على نشر دعوته ، واقامة دولة الموحدين فى نجد [٦٦] • ان هذه اليقظة التى اصابت نجد ، قد امتدت ، وأخذت فى حماس ذلك الامتداد ، تتحرك شرقا نحو الاحساء ، على ما سنبينه فى موضعه بالفصل الخامس من هذا الكتاب عند الحديث عن الصراع بين بنى خالد والوهابيين ، غير انه يجمل بنا فى هذا المقام أن نشير الى أن الوهابيين قد اتخذوا من بنى خالد ، موقف المدافع لا المهاجم ، مدى عشرين سنة منذ ١٧٤٥ وحتى ١٧٦٥ ، غير أنهم بعد ذلك اتخذوا موقف المهاجم ، اذ توالت غزواتهم على أرض الاحساء واشتدت بنوع خاص فى الفترة ما بين ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م و ١٢١٠هـ/١٧٩٥م ، حتى تم لهم القضاء على نفوذ بنى خالد فى الاحساء وشرقي الجزيرة العربية [٦٧] •

---

(٦٦) ان عام ١٧٤٥ هو العام الذى شهد بداية نشاط الوهابيين الفعلي فى نجد . انظر كذلك ابن غنام ٢ : ٤ ، ثم ابن بشر ١ : ٥

(٦٧) انظر ابن غنام ٢ : ١٨٥ — ١٩٢ ، وابن بشر ١ : ١٠٠ — ١٠٢ ،وكذلك لمع الشهاب ٨٥ — ٩٣ .

ومجمل القول أن عوامل ثلاثة شاركت فى منح الكويت الفرصة للنمو والازدهار فى النصف الاول من القرن الثامن عشر • أما اولها فهو النشاط التجارى الملحوظ للشركات الاوروبية ونقل البضائع بحرا عن طريق الخليج وبرا بالطريق الصحراوى ، ولا نكاد نشك بحـال مـن الاحوال فى أن الكويت قد استفادت من المساهمة بتلك التجارة استفادة بدا أثرها واضحا فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر • واما العامل الثانى ، فهو ضعف الفرس والاتراك وانعدام نفوذ كل من الدولتين فى الخليج ، مما أتاح الفرصة للمدن الصغيرة النامية ان تتطور دون خوف من خطر قوة أكبر منها ، قد تتدخل فى شئونها الداخلية وتفرض عليها سلطانها ، وبذلك تحد من حريتها فى العمل والكسب • واما العامل الثالث ، فقد كان وقوع الكويت فى منطقة النفوذ الخالدى فى شرقي الجزيرة ، وقد رأينا حرص بنى خالد على استتباب الامن والسلام فى المنطقة ، حتى تزدهر التجارة ، وازدهار التجارة كان بالطبع الركن الاساسى لنهضة الكويت ، تلك النهضة التى سنتولاها بالدرس فىالفصل القـادم •

الفصل الثالث

الكويت - نشأةً وتقدّماً

لوحة رقم (٥)



واجهة معبد يوناني كشف عنه فى جزيرة فيلكا فى حفريات البعثة الدنمركية للآثار (متحف الكويت) .

الفصل الثالث

الكويت ــ نشأةً وتقدماً
١٧٠٠ ــ ١٧٦٠

الكويت منذ أقدم العصور
حتى مطلع تاريخها الحديث

تقع الكويت على الركن الشمالي الغربي للخليج العربي(١) الذى يقع بدوره على مقربة من بلاد ما بين النهرين القديمة ، والذى كان وما زال يشكل طريقا ملاحيا عالميا هاما يصل حضارات الشرق الادنى القديم ، التي قامت فى بلاد ما بين النهرين وسوريا والاناضول ومصر ، بحضارات جنوبي وجنوب شرقي وشرقي آسيا فى الهند والصين . ولن يكون بالتالي حديثنا عن امكانية الوجود الحضارى لدولة الكويت فى التاريخ القديم من قبيل التخرص والتكهن ، بل لقد أضاف التنقيب الاثرى الذى بدأ فى الكويت ــ فى أرضها البرية والبحرية ــ ما يثبت ما ذهبنا اليه (٢) . وكما كانت الكويت تنفتح غربا على الجزيرة العربية ، التى هى جزء لا يتجزأ منها ، كما تنفتح بحرا على الخليج العربى ، كان لابد من ان يكون تاريخها

---

(١) انظر الخرائط آخر الكتاب .

(٢) لا تزال النتائج العلمية التي توصلت اليها البعثة الدنمركية للتنقيب عن الآثار والتي بدأت أعمالها منذ عام ١٩٥٨ فى جزيرة فيلكة غير متوفرة على وجهها الكامل للباحثين . هذا وقد صدر تقرير عن قسم المتاحف لوزارة التربية والتعليم بالكويت عام ١٩٦٤ احتوى عرضا موجزا لاعمال الحفر منذ عام ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٣ وبه ثلاثة وتسعون شكلا ، يصور بعض ما عثر عليه من آثار فى جزيرة فيلكة وكذلك أماكن التنقيب وعملياته .

من قديمه ووسيطه وحديثه ترتبط ارتباطا وثيقا بالجهات المشار اليها ، وهى أشد ما تكون ارتباطا بالجزيرة العربية وسكانها •

ولما كان تاريخ الكويت ، بل واسم الكويت لم يعرف بذلك المسمى الا فى مطلع القرن الثامن عشر ، جاء تاريخنا الحالي يقتصر على نشأة الكويت وتطورها منذ ذلك الوقت • غير أنه لما كان التاريخ حلقات متسلسلة متصلة ، ولما ثبت بالدليل المادى الاثرى الملموس والظاهر للعيان أن للكويت تاريخا سطره من نزل أراضيها الحالية فى العصور القديمة ولا بد كذلك فى الوسيطة مثل ماهو قائم فى الحديثة ، كان لا بد من أن نشير فى عجالة الى شيء من ذلك التاريخ (٣) •

وصف تاريخ الجزيرة العربية فى العصور التاريخية القديمة بالغموض (٤) ولعل ذلك الغموض قد نشأ عن قلة المعلومات التى توفرت فى مطلع قرننا الحالى والقرن الماضى للعلماء ، اذ لم تتح لهم الفرص الكافية للتنقيب عن الآثار البشرية الراجعة للعصور التاريخية فى شتى انحاء الجزيرة • غير ان ما تفتقت عنه الحفريات الاثرية فى جزيرة فيلكة الكويتية (٥) فى النصف الثانى من هذا القرن ، سيحتم اعادة النظر فى آراء زيدان وغيره فى تاريخ الجزيرة القديم بالنسبة الى هذا الجزء من الجزيرة العربية على الاقل •

ومهما يكن من أمر ، فقد درج واضعو تاريخ الجزيرة العربية عند تناول تاريخها قبل الاسلام ، أي فى عصور الميلاد الاولى والالف سنة السابقة للميلاد ، درجوا على ان يتناولوا بالبحث دول الجنوب العربى ،

---

(٣) هذا وسنعود للتعليق التاريخي على مدينة الكويت وجزيرة فيلكة فى السفر الثاني من هذا الجزء من تاريخ الكويت .

(٤) قارن جورجي زيدان : تاريخ العرب قبل الاسلام : ٩

(٥) تبعد جزيرة فيلكة نحو ٣٠ كيلو مترا عن مدينة الكويت .

التى بسطت سلطانها على ما يعرف حاليـا بحضرموت وعدن واليمن وأقامت نفوذها فى عصور قد تمتد الى ما قبل عام ١٢٥٠ ق٠م وهذه الدول هى دولة معين والتى امتد حكمها منذ نحو ١٢٥٠ ق٠م وحتى عام ٦٥٠ ق٠م ثم دولة سبأ والتى حكمت فى فترة معاصرة لدولة معين منذ نحو ٩٥٠ ق٠م وانتهى عهدها الاول على ما يبدو عام ٦٥٠ ق٠م ثم أعقب ذلك عهد سبأ الثانى الذى امتد بعد ذلك حتى عام ١١٥ ق٠م حين انفردت بالحكم دولة حمير الاولى التى استمر عهدها الى حوالى عام ٣٢٥ م وأعقبتها حمير الثانية حتى عام ٥٢٥ م ٠ وهذا التاريخ يدخلنا العصر الجاهلى السابق لظهور الاسلام ، ولسنا هنا فى معرض تفصيل تاريخ الجزيرة العربية فى العصور القديمة ، غير أننا لا بد من ان نتساءل أين وقفت الكويت فى تاريخها القديم من هذا التاريخ ؟ ٠

قلنا اننا بالطبع لا نستطيع الجزم واصدار الاحكام عن تاريخ الكويت قبل أن تنشر البعثة الدنمركية للآثار استنتاجاتها ٠ ومع ذلك فان المعروضات الحالية فى متحف الكويت ومتحف فيلكة ، تظهر بما لا يدع مجالا للشك بأن للكويت باعا فى التاريخ الحضارى الانسانى القديم ٠ وان جاز للمؤرخ ان يتحدث من واقع تجربته فلنا ان نسجل فى هذا المقام أننا قد حظينا عام ١٩٥٨ ، أثناء وجودنا بالكويت برفقة الاستاذ العالم الدكتور ب٠ف جلوب ، رئيس البعثة الاثرية الدنمركية مدى شهرين ، وقمنا بالتجول معه فى مناطق صحراوية فى اطراف جون الكويت ، غير بعيد عن الجهرة ، القرية التى قد تكون ذات أهميـة تاريخية (٦) وقد اشار الدكتور جلوب الى حجارة الظران وغيرها من مخلفات الانسان الاول الصياد الذى كان يعيش على هذه البقعة من العالم ، وقال ان عمر هذه الاسلحة الحجرية يرجع الى نحو خمسين

(٦) يشير الى أهمية هذه المواقع التاريخية من حول الجهرة صاحب لمع الشهاب فى الصفحات ٤٣٠ ــ ٤٣٤ ٠

ألف سنة ، وهي بالطبع معروفة في البلدان الاخرى التى عاش فيهـا الانسان الصياد • وكذلك اطلعنى الدكتور جلوب على تمثال صلصالى يشبه ملوك بلاد ما بين النهرين من العصر الاشورى (ق ٨ ق•م) كانت البعثة قد عثرت عليه حديثا في جزيرة فيلكة ، وتحدث عن الفخار المتناثر في أرجاء فيلكة وكيف أنه يرجع الى العصور القديمة المختلفة ابتداء من الالف الثالث قبل الميلاد • وقد كان لنا الشرف آنذاك بأن نقوم بترجمة التقريرين الاولين اللذين قدمتهما البعثة لدائرة المعارف الكويتية (٧) •

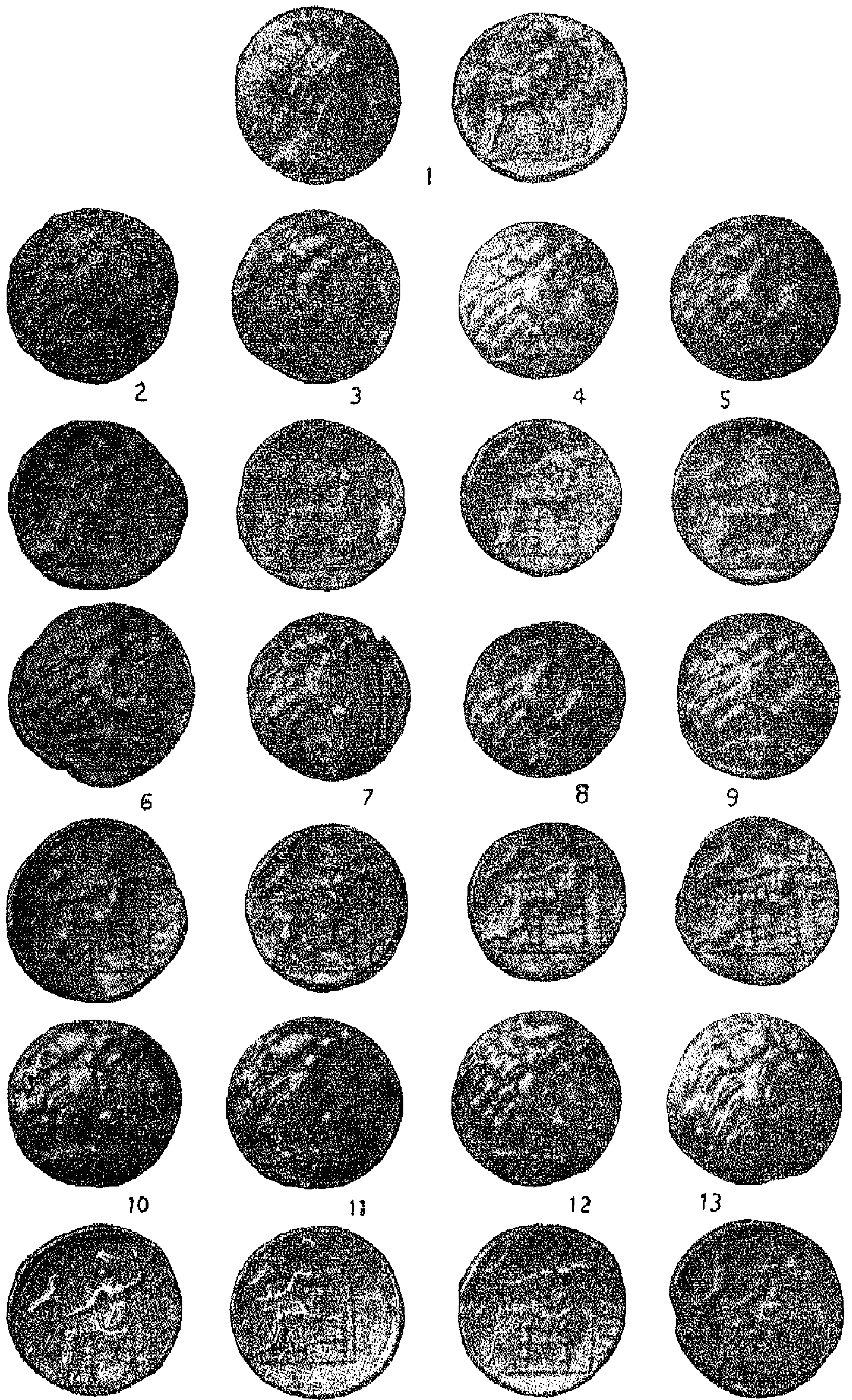
لم يعد بعد هذا ادنى شك في ان الكويت كان لها دورها في تاريخ الحضارة القديم ، أى في العصور التاريخية القديمة ، ولا نستطيع بالطبع ان نجزم في اصل سكان الكويت وفيلكه في تلك الفترة فذلك يترك امره لاساتذة التاريخ القديم عامة واعضاء البعثة الدنمركية خاصة على ان الحقيقة الكامنة وراء ظهور هذا التراث الحضارى الانسانى القديم في جزيرة فيلكة بشكل واضح انما هى توفر المياه العذبة في الجزيرة وهو امر يتطلبه البحارة حين نقلهم التجارة عبر الخليج شمالا وجنوبـا •

غير انه لا بد لنا من أن نتساءل عن علاقة الكويت بدول الجنوب العربى في تلك الفترة مـن التاريخ العربى القديم • ان آراء مؤرخى الجزيرة العربية تتجه الى ان دولة معين ثم سبأ وحمير من بعدها كانت لها مراكزتجارية تنتشر على الخليج العربى وعلى الفرات وعلى الطريق البرى المتجه من اليمن جنوبا من معين وصرواح ومأرب وصنعاء الى تيماء وغيرها من مدن الحجاز والبتراء وغزة شمالا ، فهل كان لدول الجنوب شأن في فيلكة مثلا ؟ اننا وان كنا لا نستبعد هذا ، فاننا ننتظر

---

(٧) وزارة التربية حاليا .

نشر تقرير مختصر عن أعمال بعثة الآثار الدنمركية في جزيرة فيلكة في سنة ١٩٥٨ و ١٩٥٩ في مجلة الكويت اليوم بعددها ٢١٨ على صفحتي ٨ و ٩ بتاريخ ٢٩ مارس ١٩٥٩ .



نقود فضية يونانية من جزيرة فيلكا (متحف الكويت)

لوحة رقم (٦)

ما سيكشف عنه علماء الآثار فى بلاد اليمن ذاتها ، ولعل الاشارات الواردة فى أحدث ما كتب عن هذا الموضوع تفيد أن أمرا كهذا ليس بالمستبعد (٨) .

ولن نترك هذه العجالة فى تاريخ الكويت القديم تمضى دون ان نشير الى عصر الاسكندر المقدونى والسلاقسة من بعده ، فقد عثر بين آثار فيلكة على معابد يونانية وعلى قطع نقدية فضية ترجع الى ذلك التاريخ ، وهذا كشف أثرى هام بالطبع ، اذ انه قد يشير الى ان فيلكة قد ضربت بها النقود اليونانية (٩) والذى يهمنا من مقارنة هـــذه العملة هو مقارنتها مع النقود الفضية التى ضربت فى عهد السبئيين والحميريين فى بلاد اليمن ، ذلك انها جاءت تضاهى فى اشكالها النقود المسكوكة فى اثينا (١٠) . ثم ان احداها حملت اسم الملك أب يثيع ، وهو ملك من ملوك معين .

ومجمل القول فى آثار فيلكة ، والذى توصلنا اليه من النظر اليها فى المتحف بالكويت ومما نشر من صورها ، أنها آثار تبدو مشابهة الى حد بعيد للآثار المعاصرة او السابقة لها من الحضارات المختلفة ســواء اكانت فارسية أم يونانية أم هندية أم من بلاد ما بين النهرين أم كريتية ،

---

(٨) قارن احمد فخرى ــ دراسات فى تاريخ الشرق الادنى القديم ــ القاهرة ١٩٦٤ ــ صفحة ١٢٣ وما يليها . وانظر كذلك ما دونة فيليب حتى فى تاريخ العرب مطول ــ الجزء الاول (بيروت ١٩٦١) : ٦٣ ــ ٨٧ وكذلك ((تقرير شامل عن الحفريات)) فى جزيرة فيلكا ١٧ ــ ١٨ .

(٩) لربما كانت هذه النقود قادمة من دار ضرب أخرى بسبب الاتقان فى دولة السلوقيين.

(١٠) كانت نقود اثينا تصدر للخارج اعتبارا من القرن الرابع قبل الميلاد ، والنقود التي ضربت فى بلاد اليمن جاءت عليها صورة البومة بالاضافة الى صورة ملك سبأ أو حمير . والبومة هي شعار مدينة أثينا وجاءت عليها صورة الاسكندر بالطبع وقد كانت عملة الاسكندر من العملات القيمة فى العالم القديم . انظر مادة Numismatics فى Encyclopaedia ثم انظر كذلك القطعة المعينية التي عثر عليها بفيلكة ، وعليها اسم ملك معين أب يثيع ــ أى المنقذ، انظر للاسم زيدان ــ العرب قبل الاسلام : ١٣١ وانظر ((تقرير شامل عن الحفريات)) : ١٨ .

ولنضرب على ذلك الامثلة التالية • فتمثال ارتميس المنقذة (١١) هو بعينه شبيه لتمثال بطلمى معاصر من اتتاج الاسكندرية (١٢) وشكل المروحة والعمود ذو القاعدة الفارسية والتاج الايونى (١٥) يبدو فيه الاثران الفارسى والايونى الاغريقى واضحين (١٦) • ثم الاختام التى وصفت بأنها فريدة فى بابها اذ انها جاءت مستديرة بارزة (١٧) لهـا نظائرها فى الاختام الكريتية (١٨) •

وعلى الرغم من ان هذا لايقلل من شأن فيلكه الاثرى كمستودع لهذه النفائس ، الا انه يدل كذلك على انها كانت فى حضارتها صدى للحضارات القديمة السابقة لها فى دنيا العالم القديم بحضاراته المتنوعة الخصبة ، والسبب فى هذا التأثير الخارجى على آثار فيلكه هـو انها بحكم كونها مرفأ للسفن العابرة للخليج كانت دائمـة التأثر بالعالم الخارجى الذى لم تنقطع صلتها به •

أشرنا منذ قليل الى دول الجنوب العربى وكانت آخرهـا دولة حمير الثانية التى زال ملكها على يد الاحباش عام ٥٢٥م ، وفى عهد هذه الدولة الاخيرة ظهرت دولة كنده فى نجد وشرقى الجـزيرة العربيـة وشمالها • وعلى الرغم من ان هذا ليس هو مقام الحديث فى دولة كنده

---

(١١) انظر الشكل ٢٤ ص ٦٩ من كتاب تقرير شامل الخ •

(١٢) انظر Ibrahim Noshy, The Arts in Ptolemaic Egypt, (London 1937), Pl. x, 2.

(١٣) تقرير شامل ، شكل ٨ ص ٤١ •

(١٤) انظر R. Lullies, Creek Sculpture, (London 1960), Pl. 140
Berve and Gruben, Greek Temples (LOND. 1963), Pl. 97

(١٥) تقرير شامل شكل ٧ ص ٤٠ •

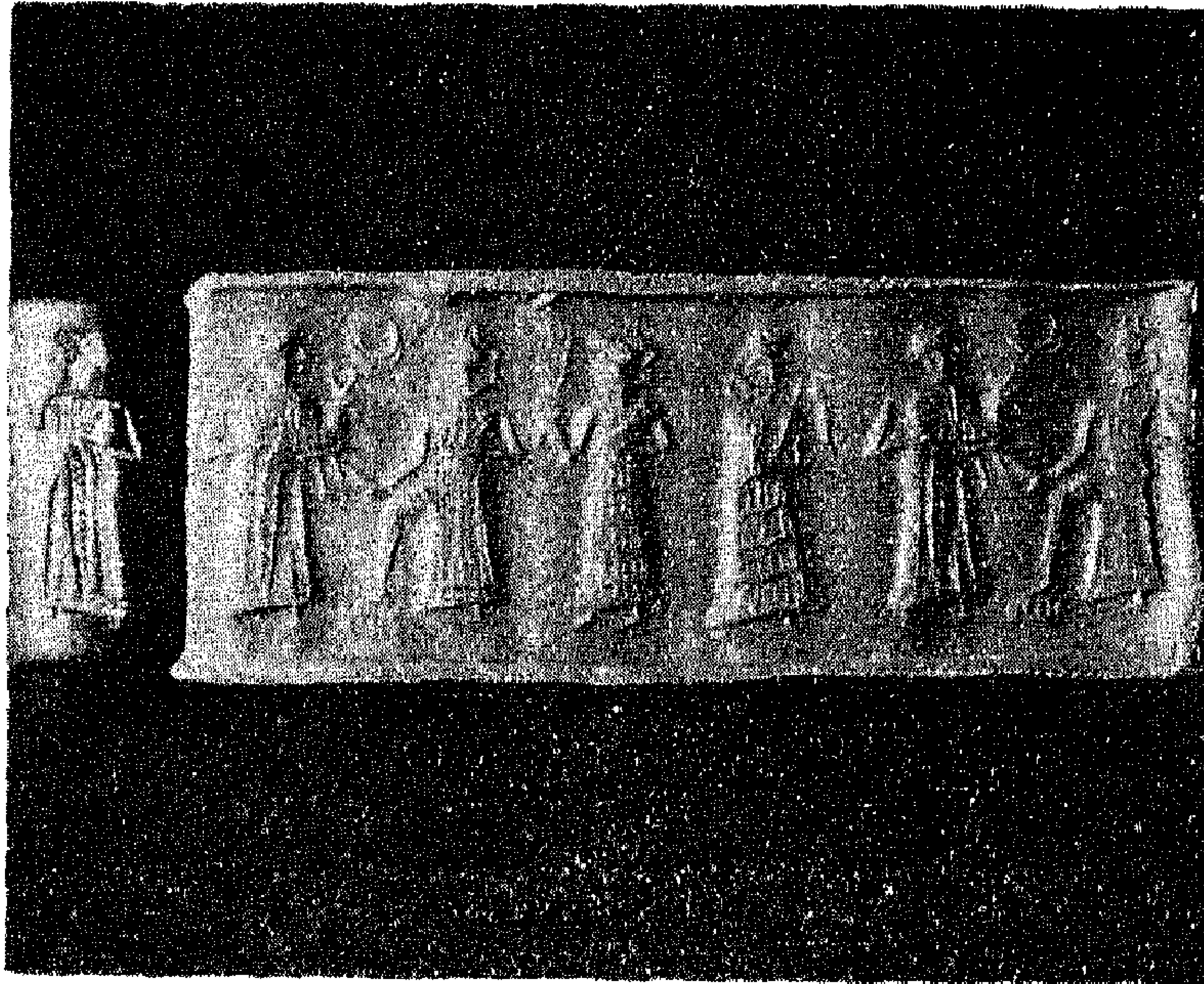
(١٦) انظر لذلك J. H. Breasted, Ancient Times, (New York 1944) figure 181, page 429.

(١٧) الاشكال من ٧٦ – ٩٣ صفحات ١٤٣ – ١٦١ من تقرير شامل

(١٨) انظـر Encyclopaedia Brit., 1959 edition, p. 682

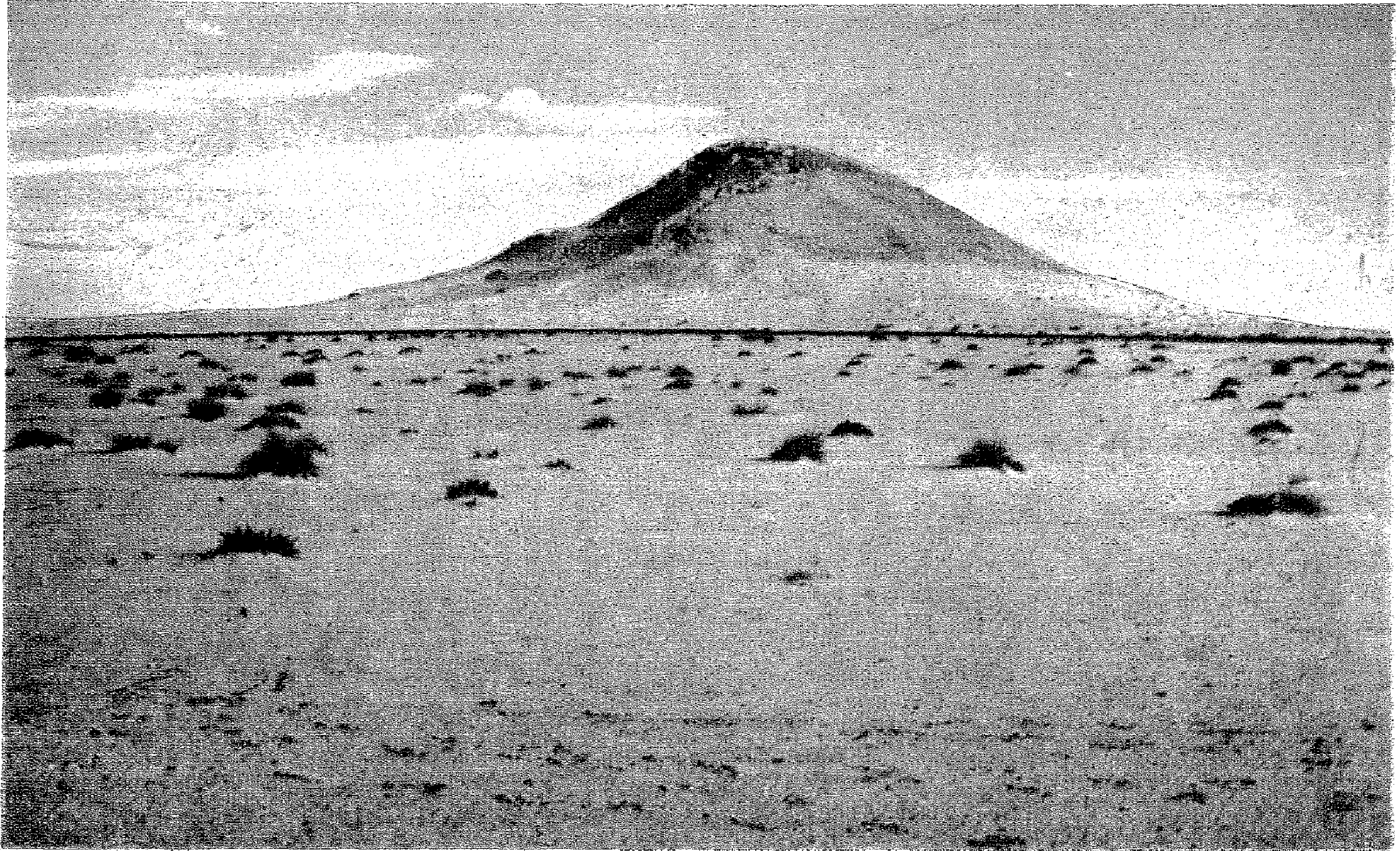






ـ تمثال من الطين المحروق لأرتميس عثر عليه فى فيلكه (متحف الكويت) ـ
ختم مستدير وختم اسطواني مما عثر عليه بفيلكة (متحف الكويت)

لوحات رقم (٧ و ٨)



جبل وارة (أواره) بالاحمدى بالكويت من تصوير المؤلف في شهر
نوفمبر ١٩٦٦ .

وتاريخها ، الا انها لما كانت تقف على عتبة تاريخ العالم الوسيط (١٩) وبالنظر الى ما كان من علاقة لدولة كنده ببلاد العراق، ولا سيما بمناذرة العراق (٢٠) ثم ما كان لها من دور فى شرقى الجزيرة ويوم أواره بالذات ، وهو من اشهر ايام العرب (٢١) راينا أن نقف قليلا عند ذلك اليوم .

شهد عام ٥٢٩ ميلادية قيام حكم الحارث بن عمرو بن حجر الكندى ، ملك كنده ، على ملك الحيرة ، وكان الحارث ، كما يروى الاخباريون العرب ملكا دخيلا على المناذرة . ولما واتت الظروف المنذر بن ماء السماء انتزع الملك من الحارث وطارد فلول جيشه من بكر وتغلب الى البادية والصحراء وهزمهم عند جبل اوارة (٢٢) . واغلب الظن ان جبل اوارة ما هو الا موضع واره الحالى والجبل قائم هناك حتى يومنا هذا ، وهو مرتفع من الارض ، اتضحلنا من المعاينة

---

(١٩) ظهرت كنده فى اوجها فى منتصف القرن الخامس الميلادى وزالت حوالي عام ٥٤٠م اى ان فترة حكمها استمرت نحو قرن من الزمن ، ومعلوم ان التاريخ الوسيط يبدأ عام ٤٧٦م اى بسقوط روما فى أيدى القبائل الجرمانية المتبربرة وينتهى عام ١٤٥٣م بسقوط القسطنطينية فى يد الاتراك العثمانيين .

(٢٠) وكان المناذرة بالطبع احدى دولتين عربيتين ظهرتا وزالتا امام الفتح العربي الاسلامي فى النصف الاول من القرن السابع الميلادى ، وهما دولة المناذرة بالعراق والغساسنة بالشام .

(٢١) أيام العرب هي الحروب التي كانت تقع بين قبائلهم شمالية ضد جنوبية أو شمالية ضد شمالية أو جنوبية ضد جنوبية .

(٢٢) يبعد موضع جبل وارة نحو اربعين كيلو مترا جنوبى مدينة الكويت . وقد أورد ياقوت فى معجمة ذكر أوارة فى خمسة مواضع ، واشار الى ما اورده الشعراء فى ذكرها كالاعشى ، وابن دريد ، والبعيث الجهني ، وزهير . قال زهير (ياقوت ١ : ٣٩٤) :

عداوية هيهات منك محلها ... اذا ماهي احتلت بقدس أوارة

وقال الاعشي (ياقوت ٤ : ١٣٦) :

وتكون فى السلف الموا ... زى منقرا وبنى زراره

ابناء قوم قتلوا ... يوم القصيبة من أواره

الشخصية ، أنه جبيل وليس بالجبل ومع ذلك فهو بالنسبة للاعرابى جبل • فهل تكون ارض الكويت اذن قد شهدت فى وازة يوما من ايام العرب الخالده ؟ أغلب الظن ان هذا صحيح ، وان هزيمة الحارث كانت هنا فى وارة ، وكان من نتيجتها ضياع ملكه ، وملك كندة بعده بنحو عشر سنين •

أما أهمية الحارث الذى نازل المناذرة والغساسنة ، فهو أنه حاول لاول مرة فى تاريخ العرب قبل الاسلام ان يقيم دولة موحدة فى الجزيرة واطرافها ، وما قيامه بقتال المناذرة والغساسنة ، الا الخطوة الاساسية فى هذا السبيل (٢٣) •

القبائل العربية فى شرقي الجزيرة
فى الجاهلية وصدر الاسلام

لا ريب أن الصورة التى جاءت عليها الكويت من ناحية القبائل التى نزلت بها لن تتضح بدون ان نشير ، ولو فى ايجاز ، الى اوضاع القبائل العربية فى شرقى الجزيرة أى فى المنطقة الممتدة ما بين قطر جنوبا والبصرة شمالا • ولعلنا نستهل بحثنا هنا بالقول انه كان من العسير على المختصين فى شئون القبائل العربية وتحركاتها ان يحددوا الاماكن التى كانت تنزل بها تلك القبائل وكذلك الزمن الذى كانت تقضيه فيها قبل حركتها من مكان الى مكان •

غير أن الاشارات الواضحة فى المصادر المتأخرة المتوفرة تذكر اسماء القبائل التالية على أنها هى التى كانت تنزل بلدان شرقى الجزيرة العربية ، أى ذلك القوس المسمى بالبحرين فى العهد الاسلامي اللاحق

---

(٢٣) انظر حتى ــ تاريخ العرب مطول ١ : ١١٦ .

للعهد الجاهلي وهي : عبد القيس ، وتميم ، وبكر بن وائل وتغلب وحنيفة واسد والمنتفق وعنزة • ولن ندخل في تفاصيل انساب هذه القبائل ، فليس هذا مقام ذلك •

شرقي الجزيرة منذ فجر الاسلام حتى نهاية العصور الوسطى

وبدخول الاسلام شرقي الجزيرة العربية (٢٤) ، دخلت القبائل المشار اليها آنفا في الدين الحنيف ، وارتد بعضها عند حدوث الردة حال وفاة الرسول ، غير انها عادت لحظيرة الاسلام من جديد ، وساهمت في الفتوح الاسلامية في بلاد العراق وفارس • وببداية العصور الوسطى في التاريخ الاسلامي في القرن السابع الميلادي،تبدأ الجزيرة العربية دورا جديدا من حياتها ، اذ قذفت بابنائها وجيوشها الى خارج الجزيرة ، واخذت على ما يبدو بعض اطرافها ترسل ابناءها لفتح البلدان المجاورة ومن ثم الاستقرار فيها • ولعل هذا القول ينطبق على الركن الشمالي الغربي من الخليج ، حيث تقوم دولة الكويت ، وحيث قامت قرى عامرة ذات يوم مثل كاظمة والجهرة • وكاظمة بالذات كان لها دور في عهد مناذرة الحيرة ، ثم في بداية الفتوح الاسلامية في بلاد العراق وفارس ففيها كانت موقعة ذات السلاسل بين هرمز قائد الفرس وخالدبن الوليد قائد الجيوش العربية الاسلامية • ولقد كانت البحرين في عهد الخلفاء الراشدين وعهد بني امية من اعمال العراق ، وكانت حدود البحرين الجنوبية آنذاك عمان ، « فلما ولي بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحدا (٢٥) » •

---

(٢٤) كان ذلك على يد العلاء بن عبد الله بن عماد الحضرمي سنة ٨ هـ •

(٢٥) معجم ياقوت ج ١ ص ٥٠٦ - ٥٠٧ •

ويبدو للناظر فى تاريخ شرقى الجزيرة العربية خلال حكم الامويين والعباسيين أى فى الفترة ما بين القرن الاول الهجرى السابع الميلادى والقرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، ان بلاد شرقى الجزيرة العربية قد انزوت الى حين عن مسرح الاحداث بعد ان انتقـــل مركز الثقل فى دار الاسلام الى دمشق ثم الى بغداد، اللهم باستثناء فترة وجيزة هى فترة حكم القرامطة فى القرن الثالث ـ الرابع الهجرى التاسع/العاشر الميلادى حين اتخذ هولاء من الاحساء عاصمة لهم وهددوا بغداد اكثر من مرة . ولم يعد لشرقى الجزيرة العربية نشاط قبل بداية العصور الحديثة ، او حين قدم البرتغاليون الى مياه الخليج العربي فى اوائل القرن السادس عشر ، وهذا حدث سنعالجه فيما بعد .

غير انه يجدر بنا أن نشير الى ان القبائل العربية لم تزل تتردد على الركن الشمالى الغربي من الخليج طوال تلك الفترة الراكدة من تاريخه ، ويبدو ان منطقة كاظمة كان لها ذكر تكرر فى أخبار الشعراء وغيرهم . فقد اكثر ياقوت من ذكرها فى معجم البلدان . وهو فى ذكره هذا قد بين أهمية موضعها وانها كانت معروفة فى عهده (القرن السابع الهجرى ـ الثالث عشر الميلادى) ، وكذلك فى العهود السابقة لعهده ، وذلك بما رواه من ذكرها عند غيره ممن سبقه من المؤلفين ، وما أوردوه فيها من اشارات الشعراء(٢٦) . وكذلك وردت الاشارة فى ياقوت الى الروضة(٢٧)

---

(٢٦) ذكرها ياقوت فى عشرين موضعا من معجمه ، انظر ج ١ ص ٣١٨ ، ٧٣٣ وج٢ـ٣٧٦، ٤٢٧ ، ٤٦٤ ، ٤٧٦، ٧١٨، ٧٥٧، و ج ٣ ـ ٢١١ ، ٣٣٢، ٤١٥، ٥٩٥، ٦٢٠، ج ٤ ـ ٢٢٨ ، ٢٩٨ ، ٤٧٥ ، ٤٨١ ، ٥٧٣ ، ٦٠٥ ، ٨٠٧ .

(٢٧) معجم البلدان ٤ ص ٤٨١ .

وهو ماء بقرب كاظمة ثم المقر (٢٨) ، غير بعيد عن الجهرة وهو « جبل كاظمة » او« موضع بكاظمة » (٢٩) •

ولن ندخل هنا فى تفصيل أكثر من هذا عن تاريخ المواضع أو تلك القبائل فى العصور القديمة أو الوسطى ، حتى لا نميل بالقارىء بعيدا عن درب هذا التاريخ الذى يعالج تاريخ الكويت ، تلك المدينة التي صار اسمها علما على دولة الكويت الحديثة •

بداية تاريخ الكويت فى العصور الحديثة :

ان نقطة البداية فى تاريخ الكويت الحديثة تبدأ مع هجرة جماعة ينتمون بأصلهم الى قبيلة عنزة فى النصف الاول من القرن الثامن عشر ، واستقرار نفر من هؤلاء وهم العتوب فى المكان الذى يعرف اليوم بالكويت (٣٠) • أما قولنا بأن تلك هي البداية فله أسباب تبرره ، لعل من أهمها كون الكويت قد صارت بعد ذلك بقليل نقطة تجمع ثم انطلاق العتوب لتأسيس امارات أخرى بعد أقل من نصف قرن من وجودهم فى الكويت ، عاصمتهم الاولى • ولاشك ان لازدهار أية مدينة أسبابا • واما أسباب ازدهار مدينة الكويت ونجاح العتوب فى تكوين دويلات مستقلة فى شرقى الجزيرة العربية ، على ما ستراه فيما بعد ، فهى لاتخرج بدورها عن عوامل ثلاثة أولها استقرار العتوب فى منطقة كانت تخضع لحكم بنى خالد ، وقد سبق ان بينا كيف كان حكم هؤلاء القوم مشجعا لازدهار التجارة بما جبل عليه من طبيعة المحافظة على الامن والنظام •

---

(٢٨) معجم البلدان ٤ ص ٦٠٥ •

(٢٩) والى ذلك الموضع يشير جرير فى شعره :

تبدل يا فرزدق مثل قومي لقومك ان قدرت على البدال
فان اصبحت تطلب ذاك فانقل شماما والمقر الى وعال

(٣٠) مدينة الكويت هي عاصمة دولة الكويت الحالية بحدودها القائمة اليوم والتي حددها مؤتمر العقير المنعقد فى تلك المدينة سنة ١٩٢٢ •

وثانيها أن ازدهار الكويت انما بدأ فى القرن الثامن عشر فى شرقي الجزيرة العربية وفى وقت كانت قوى الشر المحيطة بها غارقة فى بحر من الفوضى والانحلال والضعف ، بحكم الاضطرابات الداخلية فى العراق وفارس ، وما كان بينهما من حروب مستمرة لم تهدأ منذ القرن السادس عشر ، ثم ماكان من السبات العميق الذى كانت تغط فيه نجد ، وانقسامها الى مشيخات صغيرة متنافرة لا توحد بينها كلمة . هذه امور ساعدت على سرعة تطور الكويت المذهلة حقا ، اذ أنها قفزت فى أقل من نصف قرن الى مدينة بحرية من الدرجة الاولى بحسب مقاييس العصر . ثم الى جانب هذين العاملين ، كان عامل الحركة التجارية التي نشأت عن نشاط الشركات الاوروبية فى الخليج آنذاك . غير أن كل هذه العوامل ما كانت لتوفر للكويت تلك النشأة السريعة والسير الحثيث الى احتلال المكان الذى تبوأته فى الخليج فى القرن الثامن عشر لولا موقعها الجغرافى الممتاز على الطريق التجارى الصحراوى بين الخليج وبلاد الشام ، ثم موقعها الجغرافى الممتاز كميناء على طرف الخليج الشمالي الغربي ، وهذه هي الامور التي سنتناولها بشيء من الايضاح فى الفصل الحالي من الكتاب ، مبينين كيف آل حكم الكويت الى آل صباح ، ثم طبيعة ذلك الحكم المبكر فى تاريخ الكويت .

الموقع الجغرافي

تقع مدينة الكويت على بعد ثمانين ميلا الى الجنوب الشرقي من البصرة ، وتبعد نحو ١٨٠ ميلا عن الشمال الغربي لبوشهر ونحو ٢٨٠ ميلا عن جزر البحرين ، وهي تتجه الى الخليج فى وضع شمالي غربي حيث تطل على جون الكويت بين بدايته فى رأس الارض ونهايته عند قرية الجهرة (٣١) .

---

(٣١) قارن Lorimer, Gazetteer, II, i, 1048

جون الكويت

أما الجون نفسه فهو منفذ كبير لمياه الخليج ، ذو تكوين لافت للنظر وهو يقع فى شمال غربي الخليج العربي ، ويبلغ أقصى طوله نيفا وعشرين ميلا وأقصى عرضه نحـو عشرة أميال • أما شكله فأقـرب ما يكون الى شكل الهلال وهو يستدير فى الشمال وطرفاه يشيران الى الجنوب الغربي • والجون فى حد ذاته علامة مميزة فى الساحل العربي من الخليج ، رأسه فى خور الصبية شمالا ونهايته تمتد جنوبا حتى رأس الارض (٣٢) • وفى مواجهة الصبية والى الشرق من الكويت تقع جزيرة فيلكا وهي غير بعيدة عن منبسط طيني يصل ما بين مصب شط العرب وخور الصبية• والمدخل الى الجون،وهو منحصر بين هذا المنبسط الطينى ورأس الارض يبلغ اربعة أميال عرضا • وفى جنوبي الجون تقع ثلاثة تجويفات أولها الشرقي ، ويقع ما بين رأس الارض ورأس عجوزة وهو ضحل لا يصلح لرسو السفن ، وثانيها الاوسط ، بين رأس عجـوزة ورأس عشيرج ، وعلى جانبه الشرقى تقع الكويت وجزيرة أم النمل بالقرب من رأس عشيرج • والثالث يقع عليه رأس كاظمة وتشرف عليه الجهرة •

المياه والمؤن

أما الارض المحيطة بهذا الجون فهى منخفضة ما عدا الناحيـة الشمالية حيث تقع تلال الزور الموازية للشاطىء والتى يتروواح ارتفاعها بين ١٥٠ و ٤٠٠ قـدم •

وتمتاز معظم أجزاء هـذا الجون بأنها صالحة للملاحة ورسـو السفن • وقد اشار احد التقارير الانجليزية عام ١٨٤٥ ، والذى وضعه

---

(٣٢) انظر الخريطة رقم ٢ الموسومة « جون الكويت » فى آخر الكتاب •

أحد موظفى حكومة بومباى الى أن ميناء الكويت يستطيع أن يستوعب جميع سفن الاسطول البريطانى دون ان تشعر تلك السفن بمضايقة من رسوها مجتمعة فيه (٣٣) .

لم تكن مدينة الكويت فى ذلك الوقت ، أرضا زراعية فهى فقيرة فى هذا الباب ، اذ ليس بها حتى أشجار النخيل. كذلك كانت مياه الشرب معدومة فى المدينة وأقرب بئر كان يبعد عنها نحو ميل ، وحتى مياه هذه الابار ، على حد تعبير السير هارفورد جونز بريديجز ، وكان قد أقام بالمدينة مدة ، عام ١٧٩٠ ، قد كانت « حلوة ومرة ومالحة فى آن واحد » (٣٤) . وكانت مياه هذه الآبار تحلو عقب نزول الأمطار مباشرة . ثم سرعان ما تتحول الى ماء مالح بعد انقطاعها (٣٥) .

أما جو الكويت فيعتدل فى الغالب عندما تهب عليها الرياح الشمالية الغربية أو ريح الشمال . وفى الصيف تهب عليها الرياح ليلا من جهة الغرب باردة اثر قدومها من الصحراء . وعلى الرغم من قسوة صيف الكويت وشدة الرطوبة فى شهرى يوليه وأغسطس من كل عام ، فانها قد اشتهرت بين بلدان الخليج بأنها ألطفها مناخا وأقلها أوبئة . وربما كان هذا هو السبب فى اختيار شيخ بنى خالد لها كمقره الصيفى بعيد تأسيسها (٣٦) .

---

(٣٣) كتب هذا التقرير الليفتنانت كمبول ، مساعد المقيم البريطاني فى بوشهر . انظر : مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ١٠٩ .

(٣٤) Brydges, H. J., An Account of the Transactions of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the Years 1807-1811, to which is appended a brief History of the wahauby, 2 Vols., (London, 1834), Vol. II, p. 12.

(٣٥) القناعي ــ صفحات من تاريخ الكويت : ٧ ــ ٨ .

(٣٦) المرجع السابق : ٥ .

اشتقاق الاسم « كويت »

أما اسم الكويت فهو تصغير « الكوت » بمعنى القلعة . ولعل هذا الاسم المصغر فيه الكفاية فيما يتعلق بما كان لها من مقام بسيط بين موانىء الخليج عند نشأتها . قبل ان تصبح عاصمة دولة الكويت الحالية (٣٧) . وكذلك كانت الكويت تسمى فى القرن الثامن عشر « بالقرين » وهو كذلك تصغير القرن بمعنى قرن الحيوان ، أو التل (٣٨) .

تأسيس مدينة الكويت

من العسير جدا أن نحدد تاريخا ثابتا لتأسيس مدينة الكويت ، والسبب فى ذلك انعدام المراجع التى تشير الى مثل هذا . وعلى كل فان الرواية المحلية الكويتية ترى أن المدينة قد تأسست فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى . فالشيخ القناعى فى تاريخه ، بعد أن قرر ان الكويت انشأها أمير من امراء بنى خالد (٣٩) ، يرى انها بنيت عام

---

(٣٧) فى مقال تحت عنوان « فى تسمية مدينة الكويت » للأب انستاس مارى الكرملي نشر فى مجلة المشرق البيروتية فى عددها العاشر سنة ١٩٠٤ قال ان الكويت مشتقة من الكوت والكوت فى لغة جنوبي العراق وما جاوره من البلدان فى بلاد العرب وفارس هو البيت الذى يبنى على شاكلة القلعة حتى يسهل الدفاع عنه . وهو بيت تحيط به عادة بيوت أخرى . ويطلق اسم الكوت على ذلك البيت شريطة أن يقع بقرب الماء سواء أكان ذلك ماء البحر أو النهر أو بحيرة او ماء مستنقع . ثم أصبح ذلك الاسم يطلق على القرية ان بنيت فى مثل ذلك الموقع . وضرب امثلة بكوت الافرنجي وكوت الزين وكوت العمارة وكوت بندر . انظر الصفحات ٤٤٩ ــ ٤٥٨ من ذلك العدد .

(٣٨) ويبدو ان سكان شرقى الجزيرة يحبون التصغير حتى فى أسماء حكامهم ونضرب مثلا لذلك اسماء عريعر ودجين وسعدون من حكام بني خالد وهي اسماء شاعت بين شيوخ تلك القبيلة . وكذلك الحال فى الكويت حيث نجد كلمات مثل عشيرج والشويخ وفحيحيل وغيرها . وفى ياقوت ــ معجم البلدان ٤ : ٨٠ القرين كأنه تصغير قرن ، قرين نجده باليمامة عنده قتل نجدة الحرورى . وفى المعجم ٣ : ٦٣٨ هى قرية بوادى عروات .

(٣٩) كان نفوذ بني خالد يمتد شمالا حتى مدينة البصرة وقد سبق بيان ذلك فى الفصل الثاني .

١١٠٠هـ/١٦٨٨م وأن البانى هو براك ، حاكم بنى خالد (٤٠) • واما الشيخ عبد العزيز الرشيد ، المؤرخ الكويتي، فلم يجزم بتاريخ بل اكتفى بالقول ان الكويت أسست فى أواخر القرن نفسه (٤١) • وأما الشيخ النبهاني ، الذى اعتمد بدوره على الرواية المحلية ، فزعم أنها أسست عام ١٠١٩هـ/١٦١١م (٤٢) • وأما الشيخ عثمان بن سند البصرى ، الذى عاش فى فترة غير بعيدة عن تأسيسها ، والذى ألف كتابه « سبائك العسجد » حوالى عام ١٨٠٠م ، فانه لم يزد على أن أورد أشارة يستفاد منها أنها ، أى الكويت ، قد بدأت تكسب شيئا من الاهمية فى مطلع القرن الثامن عشر (٤٣) •

وهذه الاشارات والروايات المختلفة تتفق جميعها على ان الكويت قد أسست قبل بداية القرن الثامن عشر الميلادى • على أنه يجدر بنا أن نلاحظ أن القناعى يحدد عام ١١٠٠هـ/١٦٨٨م ويبرر ذلك بأن براك كان هو مؤسس المدينة ويستفاد منه أن براك هذا قد أسسها فى ذلك التاريخ • غير أنه علينا ، اذا أردنا أن نوافق القناعى على رأيه ، ان نقدم تاريخه قليلا وذلك لأن براك المشار اليه كان قد توفى قبل عام ١١٠٠هـ/١٦٨٨م • فبراك ، أمير بنى خالد ، قد امتد حكمه من عام ١٠٨٠هـ/١٦٦٩م حتى موته عام ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م (٤٤) •

---

(٤٠) صفحات من تاريخ الكويت : ٥ •

(٤١) تاريخ الكويت ١ : ١٠ ــ ١١ •

(٤٢) التحفة النبهانية ــ الكويت : ١٢٦ •

(٤٣) أجرى ابن سند ذكر الكويت حين كان يتكلم عن ذهاب رزق ، وهو تاجر كويتي واسع الثراء ، الى الكويت ، قبل مبارحته اياها الى الزبارة فى قطر فى ركب آل خليفة . والاشارة : « لم تعمر قبل ورود أبيه العظيم الشان الا بريهة من الزمان » . والمقصود بابيه رزق •

(٤٤) قارن ابن بشر ١ : ٦٥ ، ٨٠ •

وصول العتوب الى الكويت

طور التنقل والترحال

ومهما يكن من أمر ، فان الكويت ، على أغلب الظن ، كانت قرية صغيرة اتخذها بعض الصيادين من البدو مقرا لهم فى وقت ما من القرن السابع عشر ، واستقر هؤلاء حول الكوت الذى انشأه شيخ بنى خالد فيها . وعلى تلك القرية الصغيرة وفدت جماعات العتوب، وهم مجموعات من الاسر العربية المختلفة النسب .

أما تاريخ وفود العتوب ، فهو أمر لا يزال موضع نقاش وجدل ، وكذا قل فى تسميتهم بالعتوب ، ثم فى الطريق الذى سلكوه حتى بلغوا الكويت .

فى تسمية العتوب

ان ذلك التحالف من الاسر العربية،والذى اطلق عليه اسم العتوب، تنوعت الاشارة أليه فى المراجع العربية والاوروبية ، فالبعض يسميهم بنى عتبة (٤٥) ، والبعض « العتوب » (٤٦) وآخرون يسمونهم « عتوبيين » أو بنى عتبة (٤٧) . ومهما يكن من أمر اختلاف ذلك الاسم ، فكل تلك التسميات ترجع الى الأصل الثلاثي « عتب » وهو فعل معناه : اكثر من الترحال من مكان الى آخر (٤٨) . غير أن المصادر العربية المؤلفة فى أواخر القرن الثامن عشر والتاسع عشر تشير اليهم

---

(٤٥) سبائك العسجد : ١٨ .

(٤٦) لمع الشهاب : ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٧ .

(٤٧) هذه تسمية رجال شركة الهند الشرقية وموظفي حكومة بومباى . انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٢ ــ ٣٧٢ .

(٤٨) ابن منظور ــ لسان العرب (بيروت ١٣٤٧/١٩٥٥) : ٥٧٩ .

باسم « العتوب » (٤٩) ، وهى التسمية التى سندرج عليهـا فى كتابنا هذا • أما الكولونيل ديكسون ، الذى عاش فى الكويت منذ ١٩٢٩ حتى وفاته بها سنة ١٩٦٠ ، والذى عمل معتمدا بريطانيا بها ، وكان على اتصال مباشر ودائم بأهل الكويت وحكامها ، فيرى بدوره أن الاسم « عتوب » مشـتق من الفعـل عتب ويضيف أن المغفور له الامـير الشيخ عبد الله بن سالم آل صباح ، قد أخبره أن أجداده سموا بذلك الاسم بعد ارتحالهم من الجنوب شمالا الى الكويت أى انهم « عتبوا الى الشمال » (٥٠) • واشتقاق أسماء القبائل مـن الافعال غير غريب على شرق الجزيرة العربية ، فقبائل الظفير أو الضفير مجموعات من قبائل شتى تضافرت فسميت بذلك الاسم ، وكذلك الحال مع عرب المنتفق واسمهم مشتق من الاتفاق وهم بدورهم قبائل عربية شتى مختلفة الاصل والنسب •

فى الطريق الى الكويت

ومهما كان من امر اشتقاق اسم العتوب ، فان جميع المراجع التى تحدثت عن تاريخ الكويت ، قديمة كانت ام حديثة ، تتفق فيما بينها على ان جماعات كبيرة من القبائل ترجع فى اصلها الى عنزة وغيرها من نجد أما عنزة فهى قبيلة عربية كبرى تنزل اليوم شمالى الجزيرة العربية ونجد ، وكذلك اطراف العراق والشام • وينسب آل صباح وآل خليفة وغيرهم من الاسر العتبية انفسهم الى بطون عنزة هـذه • فآل صباح وآل خليفة (٥١) ينتمون الى جميلة وهى فخذ من عنزة ، وانهم كانوا فى الاصل ينزلون الهدار

---

(٤٩) لمع الشهاب ، الأوراق : ٩٥ ، ١٠١ ، ١٠٧ ، ١٧٦ . ابن رزيق ـ السيرة الجلية : ١٨٦ ، الفتح المبين . ١٩٣ ، ١٩٧ .

(٥٠) Dickson, H. R. B., Kuwait and har Neighbours (London, 1956), 26-27

(٥١) انظر الرشيد ١ : ١٢ ، حيث يبدى الراى فى اصل آل صباح . اما آل خليفة فانهم ينتسبون الى جميلة كذلك .

من الافلاج في نجد الجنوبي الشرقي ، ومن هناك هاجروا مع سـائر العتوب الى قطر ، ومنها أبحروا الى الكويت • وعلى الرغم من أن هذه الرواية لا تعين على وجه التدقيق متى تمت هذه الهجرة ، الا انه يمكننا القول انها ربما كانت جزءا من هجرة عنزة الكبرى التي تمت في أواخر القرن السابع عشر الميلادي حينما هاجرت عنزة وغيرها من قبائل شرقي الجزيرة العربية بسبب القحط من منازلها (٥٢) • وقد نتج عـن تلك الهجرة ان وصل عرب الرولة في أوائل القرن الثامن عشر الى سوريا ، وهؤلاء من احدى الجماعتين الكبيرتين اللتين تنقسم اليهما عنزة القبيلة الأم ، وهما عنزة الشمالية والجنوبية • والرولة ينتمون الى الاولى • والى الثانيـة ينتمي آل سعود وآل صباح وغيرهم (٥٣) • وجماعات العتوب هم ، كما مر بنا ، في الاصـل أسر تربطها وشائج القربى ، اتجهت في هجرتها شرقا الى الاحساء وقطر ، ومن تلك النواحي هاجرت لتستقر نهائيا في الكويت • وليس لدينا الدليل الكافي لكي نحـدد بالضبط تاريخ هجرة العتوب ، غير انه ، كما مر بنا في الفصل الثاني (٥٤) قـد مرت بقلب جزيرة العرب سنوات جدب عديدة خـلال النصف الثاني من القرن السابع عشر واوائل الثامن عشر ، وقـد دعـا ذلك الجدب الكثير من القبائل للهجرة ولا بد بالتالي أن كان العتوب ممن هاجر شرقي الجزيرة ، كنتيجة لذلك الجدب (٥٥) • ولقد استقر العتوب

---

(٥٢) لم يستطع المستشرق اوبنهايم أن يحدد وقتا لتلك الهجرة ، غير انه ذكر أن جميلة لا تزال تقيم بالأفلاج . وأوبنهايم يرى ان العتوب هاجروا من الأفلاج كذلك .

انظر M. Von Oppenheim, Die Beduinen, (Leipzig, 1939), I, 62

وانظر كذلك Ashkenazi, "The Anaza Tribes" in South-Western Journal of Anthropology, (New Mexico, 1948) ; 222-39.

(٥٣) انظر Musil, A., The Manners and Customs of the Ruwala Bedouins (New York, 1926), 46

(٥٤) انظر ما سبق صفحة ٧٦ .

(٥٥) انظر Dickson, Kuwait and her Neighbours, p. 26

بعدها فى قطر ، وكانت تخضع لنفوذ بنى خالد • ومن قطر ، كما تورد الرواية المحلية الكويتية ، واصل العتوب تنقلهم حتى استقروا فى الكويت نهائيا • أما البلدان التى طاف بها العتوب قبل حلولهم بالكويت فلا نستطيع كذلك ان نحددها على وجه الدقة • غير اننا نميل الى الاعتقاد ان العتوب لا بد ان يكونوا قد قضوا فترة طويلة فى قطر ، قد لا تقل بحالة عن خمسين سنة ، استطاعوا خلالها ان يتعلموا ركوب البحر ، ويصبحوا بالتالى امة بحرية • ولعلنا بهذا نستطيع ان نفسر الرواية المحلية القائلة بسفرهم الى الكويت بحرا • وفى الواقع ، فان الرواية المحلية تزعم ان العتوب لم يسافروا دفعة واحدة من قطر او الاحساء الى الكويت ، بل انها تقرر انهم تفرقوا من قطر الى مختلف موانىء الخليج العربي ، ثم عادوا بعدها ليتجمعوا فى الكويت أسرة اثر أخرى (٥٦) • والروايات المحلية تفترض ثلاثة أماكن نزلها العتوب بعد أن غادروا قطر ، ومن احداها توجهوا الى الكويت بعد ردح من الزمن •

أما المكان الاول فهو خور الصبية الواقع الى الجنوب من البصرة والرواية هنا تقول ان العتوب طردوا من ذلك المكان بناء على أوامر متسلم البصرة بعد أن مارسوا ضربا من الاعتداء على القوافل القادمة الى البصرة ، وكذلك بعد اعمال سلب ونهب قاموا بها فى شط العرب (٥٧) • والثانى يفترض أنهم أتوا الكويت عبر الخليج بعد ان طردوا من الشاطىء الشرقى ، وكان الطارد لهم القبائل العربية الاخرى النازلة ذلك الشاطيء (٥٨) • بينما يميل آخرون للاعتقاد أنهم ابحروا من قطر الى الكويت بعد أن اختلفوا مع آل مسلم ، اصحاب قطر •

---

(٥٦) انظر القناعي : ٩ ، والرشيد ٢ : ١٥ ــ ١٦ •

(٥٧) الرشيد ١ : ١٦ ، النبهاني ــ الكويت ١٢٨ •

(٥٨) يرد اسم جزيرة قيس ثم ميناء عبدان من بين الأماكن التي كان ينزل فيها العتوب قبل مقدمهم الى الكويت . انظر القناعي : ٩ •

أما القناعى فى تاريخه فقد حاول التوفيق بين هـذه الآراء المختلفة زاعماأن العتوب قد نزلوا قطر وهم فى طريق هجرتهم من الافلاج • ومن قطر تفرقت الاسر العتبية الى سائر الموانىء على الشاطىء الشرقي للخليج العربي • ومن ثم عادت تلك الاسر تتجمع فى الكويت من جديد • وهو يضرب مثلا بأسرته ، القناعات ، الذين وصلوا الكويت منذ نحو مائتي عام قادمين من الساحل الشرقي للخليج ، ومن العراق ومن الجنوب ، اى من قطر (٥٩) وعلى هذا يمكننا أن نرجح أن العتوب انما قدموا مـن الجنوب بعد أن أمضوا على شاطىء الخليج بقطر أو الاحساء نحو نصف قرن ، بعد هجرتهم من الافلاج ، وهي مدة لازمة وكافية للتدرب على ركوب البحر ، الذى لا بد وأنهم ركبوه فى طريقهم الى الكويت •

الوصول الى الكويت

ونحن بالتالى لا نستطيع أن نجزم بتاريخ محدد لوصول العتوب الى الكويت • وفى هذا المقام علينا أن نميز بين أمرين احدهما وصول آل صباح الى الكويت ، أولئك الذين صار رئيسهم صباح بن جابر شيخا على الكويت حوالي عام ١٧٥٠ ، ثم وصول باقي الاسر العتبية • اذ أنه على الرغم من أن المستر واردن (٦٠) Warden وغيره مـن موظفي حكومة بومباى الانجليز قد زعموا بأن آل صباح ومعهم آل خليفة وآل جلاهمة وغيرهم من العتوب قد وصلوا الكويت حوالي ١٧١٦ ، واحتلوا البلدة وبدأوا فى ادارة شئونها ، فاننا لا نملك الا أن نقول ان فى مثل هذه العبارة بعض المغالاة • فأولا ، من الثابت أن العتوب لم ينزلوا الكويت دفعة واحدة ، فبعض الاسرات كانت اسرع فى الحضور مـن غيرها (٦١) • وثانيا فان عبارة المستر واردن فى حد ذاتها تحمل فى

---

(٥٩) القناعي : ٩٩ — ١٠٠ •

(٦٠) انظر مختارات بومباى (٢٤) : ٣٦٢ •

(٦١) القناعي : ٩ ، الرشيد ١ : ١٤ — ١٦ •

طياتها خطأ فى الترتيب الزمني للحكام ،فان صباح وخليفة لم يكونا قد ظهرا على مسرح الحوادث كزعيمين لجماعتيهما بعد (٦٢) • على أن هذا يجب أن لا يعني بحال أن اسلاف صباح بن جابر لم يكونوا قد وصلوا الكويت فى مثل ذلك الوقت المبكر من تاريخ تلك الاسرة الحاكمة فى بداية القرن الثامن عشر (٦٣) •

حكام الكويت من ١٧٠٠ — ١٧٥٠

اما اشخاص الحاكمين فى الكويت فى النصف الاول من القرن الثامن عشر فهي غير واضحة المعالم ، ولم يجدنا فى هذا المضمار مراجعة سجلات شركة الهند الشرقية ، ولا المخطوطات العربية أو الرواية المحلية أو حتى ما دونه الرحالة الاوروبيون المعاصرون • على أنه يبدو أن الكويت حتى العقد الخامس من القرن الثامن عشر كانت تخضع لحكم أمراء بني خالد المباشر • فقد شهد مطلع ذلك القرن حكم الامير القوى سعدون بن محمد بن غرير آل حميد (٦٤) • وبعد وفاة سعدون تولى الحكم فى بنى خالد أخوه علي بعد صراع نشب بينه وبين ولدى سعدون ، وهما دجين

---

(٦٢) اليك ترجمة نص عبارة المستر واردن كما جاءت فى (مختارات بومباى (٢٤) : ٣٦٢) « حوالي عام ١٧١٦ استوطنت ثلاث جماعات من قبائل العرب يسمون بني صباح وآل خليفة وآل جلاهمة على موضع فى شمالي غربي الخليج العربي يقال له الكويت . وكانت هذه القبائل مدفوعة الى عملها ذلك بعوامل الطموح الشخصي التي وحدتها لتستولي على ذلك المكان . اما بنو صباح فكانوا يخضعون للشيخ سليمان بن احمد وبنو الجلاهمة لجابر ابن عتوبي وبنو خليفة لخليفة بن محمد » .

(٦٣) انظر فيما يلي من صفحات تدبرنا لهذه الآراء المتضاربة والرأى الذى خلصنا به .

(٦٤) ابن بشر ١ : ٢١٨ .

ومنيع (٦٥) وذلك عام ١٧٢٢ • وبعد وفاته عام ١٧٣٦ تولى الحكم أخوه سليمان (١٧٣٦ ــ ١٧٥٢) (٦٦) •

ويبدو أن ذلك الصراع بين شيوخ بني خالد على تولي رياسة القبيلة والنفوذ فيها ، وهو الصراع الذى أعقب وفاة سعدون سنة ١٧٢٢ ، قد فت فى عضد بني خالد ، وخفف من شدة قبضتهم على القبائل التي كانت تخضع لهم وتؤدى لهم الاتاوات ، ومن ثم بدأت هذه القبائل والجماعات تمارس نوعا من الاستقلال الذاتي وبدأت تنفصل عن تبعيتها لبني خالد ، غير أنها حافظت على ولائها لهم • غير ان الكويت لم تستطع على مايبدو ان تنال مثل ذلك الاستقلال الا فى العقد السادس من القرن الثامن عشر • اما من كان اول حكام الكويت فأمر ذلك غير بين • فقد ذكر المستر واردن (Warden) فى مقالته عن العتوب التي دونها فى سنة ١٨١٧ ان أول رئيس لآل صباح هو الشيخ سليمان بن احمد الذى كان يتولى الحكم حوالي سنة ١٧١٦ (٦٧) ولما كنا لا نجد اى ذكر للشيخ سليمان هذا فى الروايات المحلية أو أى مصدر آخر ، سوى ما ذكره المستر واردن ، كأول حاكم للعتوب من آل صباح ، جاز لنا ان نشك فى قوله ونميل الى القول بأن حاكم الكوت قبل آل صباح انما كان من بنى خالد • وعلى هذا فأغلب الظن أن سليمان بن أحمد الذى ذكره المستر واردن انما هو حاكم بني خالد المسمى سليمان بن محمد ، ومن السهل تحريف محمد الى احمد لا سيما وأن سليمان هذا كان يسمى سليمان آل حميد نسبة الى بطن من أشهر بطون بني خالد ، وقد حكم سليمان ابن محمد آل حميد هذا بني خالد من ١٧٣٦ حتى ١٧٥٢ (٦٨) •

---

(٦٥) المصدر السابق •

(٦٦) المرجع السابق ١ : ٢٧ •

(٦٧) مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٢ •

(٦٨) ابن بشر ١ : ٢٧ •

ونستطيع أن ندعم نظريتنا هذه على أساس الحقائق التالية • انه من السهل أن نحرف اسم محمد الى احمد كما بينا ، لاسيما عند ذكر اسم العائلات بعد أن عرفنا ان سليمان بن محمد كان يذكر اسمه مقرونا بأسرته آل حميد • ثم ان العتوب انما نزلوا الكويت ، بموافقة وتحت حماية بني خالد كما ورد فى الروايات المحلية (٦٩) • ويمكننا أن نضيف الى هذا أن نفوذ بنى خالد بقى ثابت الاركان ومركزا فى يد شيخ واحد حتى وفاة سليمان بن محمد آل حميد فى سنة ١٧٥٢ • ولا داعي للشك فى ان الصراع بين أفراد الاسرة الحاكمة من بني خالد عقب وفاة سعدون سنة ١٧٢٢ قد أتاح للعتوب ، كما اتاح لغيرهم من القبائل المنضوية تحت حكم بني خالد ، نوعا من الاستقلال الداخلي • غير ان حدة ذلك الصراع لم تكن من القوة بالمقدار الذى يجعل زمام الامور يفلت من يد سليمان ابن محمد طوال مدة حكمه • غير ان وفاة سليمان سنة ١٧٥٢ وعودة الخلاف بين افراد الاسرة الحاكمة من بني خالد من ناحية ثم بدء الخطر الوهابي القادم من نجد على شرقي الجزيرة، كل هذا جعل العتوب يتمتعون بنوع من الاستقلال عن حكم بني خالد ، وهو استقلال قد لا نبالغ اذا وصفناه بأنه كان تامًا •

تولي صباح ١٧٥٢

وهكذا اذن يمكننا القول بأن سليمان الذى أشار اليه المستر واردن ليس الا سليمان بن محمد آل حميد ، الذى طرده منافسه سعدون ابن عريعر آل حميد من الاحساء الى الخرج فى جنوبي نجد عام ١٧٥٢ حيث توفى فى نفس السنة (٧٠) • ثم تمضي الرواية المحلية الكويتية الى القول بأن صباح قد اختير وفق الطريقة العربية العشائرية من لدن

---

(٦٩) القناعي : ٩ والنبهاني ـ الكويت : ١٢٨ ـ ١٢٩ •

(٧٠) ابن بشر ح ١ : ٢٧ •

أهل الكويت لتصريف شئون المدينة والفصل فيما قد يقع بين سكانها من خلافات (٧١) • ويبدو انه لم يكن لصباح شهـرة كبيرة قبيـل تسلمه شئون المدينـة فوالده جابر مثلا لم يرد له ذكر فى الروايات المعاصرة (٧٢) •

وكذلك فان اسم صباح لم يرد فى رحلات الرحالة الاوربيين الذين مروا بالمنطقة فى وقت قريب من حكمه أو أثناء حكمه للكويت ، على الرغم من انهم اشاروا الى الكويت وأوضحوا انها تخضع لحكم شيخ عربي •

علاقة الكويت بالهولنديين
الدكتور آيفز فى جزيرة خارج سنة ١٧٥٨
منطقة نفوذ شيخ الكويت

غير أنه يبدو أن حكم صباح كان قد استقر وتركز قبيل عام ١٧٥٨ بقليل على الكويت والمنطقة المجاورة لها • ويبدو كذلك ان الكويت أصبحت محطة للقوافل المسافرة بين حلب وشرقي الجزيرة العربية ، وفى هذا دلالة على نمو الكويت وازدهارها تجاريا فى ذلك التاريخ المبكر من

---

(٧١) الرشيد ٢ : ٢ وكذلك انظر ما ذكره فى هذا الصدد سيف مرزوق الشملان فى كتابه من تاريخ الكويت (القاهرة ١٩٥٩) ١١٦ – ١١٧ . ان ما ذكره الشملان فى هذا الباب هو ترديد لأقوال القناعي والرشيد .

(٧٢) عندما وجه الشملان سؤالا الى الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة عن والد صباح ، أجاب بانه جابر وقد ردد الشيخ محمد شعرا نبطيا كان يردده آل بن علي عند مغادرتهم الكويت الى قطر مع آل خليفة وفيه يرد ذكر جابر وهذه هي الأبيات :

يقول ارشـيد بن عمـار ومن بنا — حسـين القوافي من بيوت القصايد
يا مبلـغ عني صـباح بن جابـر — فتى الجود جزل ما تهمه الزهايـد
ركبنا بحـال مع ارجـال وسـفنا — تطاول بنا شروى الهـار العدايـد
يجدونها ربعـي من اولاد سـالم — مصـاريعها ما بين دوس الوسـايد

انظر من تاريخ الكويت : ١٠٥ .

عمرها . وقد كانت القوافل المارة بالكويت تحمل معها منها بضائع الهند التي كانت تصل الكويت على السفن الكويتية ، وبالاضافة الى البضائع كانت تحمل معها كذلك الركاب المسافرين الى حلب ممن يكونون قد وصلوا شمالي الخليج العربي قادمين من الهند أو جنوبي الخليج (٧٣) . ولعل الظروف التي أحاطت بجماعة من المسافرين الاوربيين فى هذا الوقت جديرة بالايراد والسرد فى هذا المقام ، وهي الظروف التي لابست سفر الدكتور آيفز ورفاقه ، اذ ان تلك الظروف كما رواها الدكتور آيفز نفسه فى كتابه هي المكان الاول — على ما نعلم — الذى ورد فيه ذكر الكويت فى مؤلف رحالة أوروبي .

ففي شهر مارس عام ١٧٥٨ رسا المركب المقل للدكتور آيفز ورفاقه المسافرين بصحبته والقادم من الهند ، رسا على جزيرة خارج فى شمالي غربي الخليج وكان هؤلاء القوم فى طريقهم الى أوروبا (٧٤) . نزل المسافرون فى ضيافة البارون كنبهاوزن Kniphausen رئيس الوكالة التجارية الهولندية التي اتخذت من تلك الجزيرة مكانا لنشاطها التجارى، ونقلوا اليه رغبتهم فى معرفة أسرع الطرق المؤدية الى حلب ، فأشار عليهم البارون بأن يركبوا قاربا (فلوكه Felucca) الى الكويت ومن هناك يستطيعون السفر بسرعة مع القوافل المتجهة الى حلب ، وأضاف البارون أن شيخ الكويت صديق عزيز عليه « وأنه مدين له بفضل سابق وعلى هذا فهو تحت تأثيره » أى ان شيخ الكويت يدين للبارون بنوع

---

(٧٣) Ives, op. cit., 207

(٧٤) كانت جزيرة خارج هذه هي مركز نشاط شركة الهند الهولندية الشرقية منذ عام ١٧٥٤ عندما نقلت الشركة نشاطها من البصرة واغلقت وكالتها فيها . ولمعرفة المزيد عن « خارج » ينظر

Ives, op. cit., 2o7-216 ; Niebhur, Voyage en Arabie, II, 149-166; Parsons, op. oit., 190-198.

وكذلك السفر الثاني من هذا الكتاب .

من السلطان . واضاف البارون أن القافلة ستقطع المسافة بين الكويت وحلب فى مدة تتراوح بين خمسة وعشرين وثلاثين يوما ، وبذا فان فى استطاعتهم أن يختصروا زمنا يتراوح بين اسبوعين الى اربعة عما لو أرادوا السفر صعدا فى شط العرب الى البصرة ثم الى بغداد فى دجلة واكمال باقي الرحلة من بغداد بطريق الصحراء المعهود :

« ذلك الطريق الذي كان البارون متأكدا من أنه سبيل يطرقه التجار بكثرة ، وان اى أوروبي يستطيع أن يسلكه فى أمان واطمئنان دون أن يصحب معه اكثر من خادم واحد كرفيق لسفره (٧٥) » .

وعلى هذا أُعدَّ قارب" للابحار الى الكويت يوم ٣١ مارس، غير أن القارب لم يعد سوى فى اليوم الرابع عشر من شهر ابريل ، وكان فيه « ذلك العربي الذى طال انتظاره (٧٦) » ثم جرت المفاوضات بين البارون والشيخ بخصوص المبلغ الذي سوف يتقاضاه الاخير من المسافرين الانجليز نظير ايصالهم سالمين الى حلب . فحدد الشيخ مبلغ الفي قرش ، بينما ارتأى البارون أن لا يزيد المبلغ عن الف قرش أو ألف ومائة . ولما كان البون شاسعا بين المبلغين أخفقت المفاوضات وعاد الشيخ الى مدينته وركب المسافرون الانجليز البحر الى البصرة (٧٨) .

---

(٧٥) Ives, op. cit., 207

(٧٦) Ives, 207 **لعل الذى وصل من الكويت هو ممثل لشيخها ولو ان آيفز يقول انه شيخ تلك المدينة .**

(٧٧) كان الجنيه الاسترلينى آنذاك يعادل ستة قروش ونصفا ، وكانت قيمة القرش روبية هندية وأربع آنات . قارن المصدر السابق : ٢٢٣ .

(٧٨) انظر المصدر السابق لتفصيل المفاوضات : ٢٢٢ — ٢٢٤ .

غير أن الشيخ قبل أن يغادر مجلس البارون وبعد أن أخفقت المفاوضات خاطب البارون مغاضبا بقوله :

« انك ، ياسيدى ، تعاملنى معاملة غير كريمة • قل باللهعليك أية علاقة تربطك بهؤلاء المسافرين ؟ لقد ساد الود علاقاتنا منذ أمد طويل ، ولم أكن اتوقع أن تحابي غرباء على حسابي (٧٩) » •

وعندما جاء دور المؤرخين للتعقيب على هذه الحادثة ، زعم لورمر Lorimer ان تصرف البارون مع الشيخ يدل على أن الشيخ كان خاضعا لنفوذ البارون ، وربما انه وقع فى ذلك الخطأ بعد أن قرأ حرفية الكلمات التى أوردها آيفز من أن الشيخ كان « واقعا تحت تأثير البارون (٨٠) » • فالواقــع أن الشيخ لــم يكن تابعا للبارون بحال ، وان كان هنالك علاقات قائمة بينهما ، فانها قامت على قــدم المساواة ورائدها المنفعــة المشتركة • فالبارون والشيخ كانا يستفيدان مــن نقل التجــارة عبر الصحراء على الجمال بطريق تتجنب المرور بالبصرة • وكان الغرض من تجنب البصرة أن لا يستفيد متسلمها من المكوس التي كان يفرضها على البضائعالمارة بمدينته • واذا تذكرنا أن البارون كنبهاوزن Kniphausen قد خرج من البصرة مطرودا لخلاف نشب بينــه وبين ذلك المتسلم ، أدركنا الفائدة التي تعود عليه من جراء خسران المتسلم لتلك المكوس التي كانت كبيرة • أما شيخ الكويت فكان يستفيد فائدة كبرى مــن ذلك الخلاف نظرا لتحول الكثير من السفن الهولندية وغيرها الى ميناء الكويت لتفريغ شحنتها من البضائع فيها وليس فى البصرة • وكانت هذه البضائع تصدر الى الشام وأوروبا •

---

(٧٩) المصدر السابق : ٢٢٤ •

(٨٠) قارن Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf, I, i, 1000

اتساع رقعة نفوذ شيخ الكويت

ولاشك أن شيخ الكويت ، بما كان له ولتجار بلده من يد في نقل التجارة عن طريق البحر والقوافل من الكويت واليها ، قد أفاد فائدة مادية كبيرة ، ثم انه ارتبط بعلاقات مع جيرانه • غير أنه من العسير بل يكاد يكون من قبيل المستحيل ، ان نحدد الرقعة التي كان يعمها نفوذ شيخ الكويت في هذه الفترة التاريخية • ولكننا نستطيع القول بأن نفوذه كان يتعدى اسوار مدينة الكويت ممتدا في صحرائها غير بعيد عنها • وأن قصته مع الدكتور آيفز ورفاقه توضح ان العرب النازلين على الطريق الصحراوى من الكويت الى حلب كانوا على وفاق معه ، والا ما امكنه أن يتعهد بارسال المسافرين سالمين الى حلب •

ومهما يكن من أمر فان الأدلة المكتوبة التي تحدد اتساع رقعة مشيخة حاكم الكويت آنذاك لا وجود لها • غير أننا نستطيع ان نفترض وجود مثل ذلك النفوذللشيخ علي الجهرة ، فيالطريق الى البصرة ، والتي كانت محطة للقوافل المتجهة من الكويت الى البصرة والى الشام • هذا عن البر أما في البحر فيبدو ان سلطانه كان قائما على الجزر القريبة من الكويت (٨١) • أما مقدار ثراء الشيخ وبالتالي مدينة الكويت ، فيمكن استقراؤه من قصته مع الدكتور آيفز يوم أن رفض عرض البارون مع ان المبلغ المعروض كان ، بمقاييس ذلك العصر ، كبيرا •

أما عن مصادر ثروة الكويت ، فلعل التجارة المشار اليها آنفا عبر الخليج ، من والى الهند ، والتي كانت تحملها سفن التجار الكويتيين وغيرهم ثم القوافل (٨٢) الى الكويت ، كانت تمثل مصدر الدخل

---

(٨١) انظر Niebuhr, Description, 286,

(٨٢) ذكر الدكتور آيفز في رحلته (٢٢٢) أن القافلة التي كان يزمع السفر معها الى حلب في صحبة رفاقه ، كانت تتألف من خمسة آلاف جمل يرافقها الف مسافر ما بين جمال وغير جمال •

الاكبر بالنسبة لتلك المدينة . وكانت اللآلىء والغوص عليها تكـــون مصدرا آخر من مصادر دخل المدينة . وقد بلغ عدد القوارب المستغلة فى هذا الباب فى الكويت،وفقالرواية الرحالةنيبور عام١٧٦٥،ثمانمائة(٨٣) ولعله مما تجدر اليه الاشارة فى هذا المقام ايضا أن عتـــوب الكويت اعتادوا الابحار جنوبا فى الخليج طلبا للغوص على اللؤلؤ على ساحل بني خالد فى اتجاه البحرين (٨٤) .

وبالطبع لم يكن آل صباح وحدهم هم التجار الذين نقلوا تلك البضائع أو سيروا السفن للغوص على اللؤلؤ ، بل انه قد أسهم معهم فى هذا المضمار من سكن الكويت من الاسر العتبية الاخرى (٨٥) .

وصف الكويت

ويبدو ان هذه الاسر ، قد نزلت بحي من المدينة صـــار يعرف باسمها ، وكان يعرف كذلك بالجهة او الاتجاه . ونزول كل جماعة أو قبيلة بحي أمر مألوف فى الامصار العربية منذ الفتوح الاسلامية الاولى . وهكذا كانت المدينة مقسمة الى « حي شرق » و « قبلة » وهو الغرب بالنسبة للاتجاهات الاربعة لأن ذلك الحي يشـــير الى اتجاه مكة ثم « الوسط » . وفى الحي الاخـــير كان ينزل آل صباح (٨٦) ، الذين آل اليهم الحكم فى المدينة .

---

(٨٣) Niebhur, Description, 296

(٨٤) انظر للغوص على اللؤلؤ الفصل السابع من هذا الكتاب فيما بعد .

(٨٥) انظر « صفحات من تاريخ الكويت » : ٦٧ ، « ومن تاريخ الكويت » : ١١٥ ثـم مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٢ وبعض هذه الأسر لا تزال تقطن البحرين والكويت فى آن واحد .

انظر كذلك الرشيد ١ : ١٨ .

(٨٦) احتفظ العتوب ، ومن نزل بالمدينة من بعدهم بهذه الاقسام حتى السنوات الاخيرة من وقتنا الحاضر ، عندما أخذت المدينة فى الاتساع وأخذ يعمها العمران الجديد وخطت شوارعها الحديثة العصرية ولا شك ان معالمها آخذة فى التغير لا سيما بعد هدم اسوارها عام ١٩٥٧ وبعد أن اخذت تمتد خارج الأسوار وفقا لهندسة تنظيمية مرسومة .

سور المدينة

وكانت مدينة الكويت مسورة فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، غير انه يبدو أن ذلك السور لم يدع لوجوده داع عند نشأة المدينة فى مطلع القرن ، لا سيما وان نفوذ حماتها ، بني خالد ، كان قويا فى تلك الآونة ، وكان هذا كافيا لردع أية محاولة للهجوم على المدينة الناشئة • والرواية المحلية تفيد أن المدينة لم تكن مسورة فى بداية عهدها ، وكما هو معروف من الرواية المحلية من اهمال ذكـر التواريخ ، لا تذكر الرواية شيئا عن التاريخ الذى سورت فيه المدينة لأول مرة • غير اننا نستطيع ان نحدد ذلك بالفترة التي بدأ فيها نفوذ حماتها من بني خالد يضعف اثر التنافس بين شيوخ تلك القبيلة على الحكم • وعلى هذا يمكننا ان نؤرخ بناء سور الكويت على وجـه التقريب بحوالي عام ١٧٦٠ ، أى بعد نحو ثمانية أعوام من وفاة سليمان ابن محمد آل حميد ، حاكم بنى خالد ، وعندما بداللعيانأن نفوذ تلك القبيلة على شرقي الجزيرة قـد بدأ يتزعزع • وكان السـور مبنيا من الطين مما جعله عرضة للانهيار اثر نزول الامطار الغزيرة • وسور من طين كهذا لم يكن بمقدوره درء خطر قوى قد يدهم المدينة ، غير انه كان كافيا لوقايتها من هجمات بدو الصحراء • وبقي شأنه كذلك حتى مطلع القرن العشرين • اما السبب فى بناء ذلك السور ، فقد عللته الروايات المحلية بأنه أقيم لدرء خطر القبائل المجاورة للمدينة بعد أن أخذ نفوذ بني خـالد فى الانهيار التدريجي (٨٧) • وعلى هـذا فعلى الرغم من أن تاريخا لبناء ذلك السور لم يرد له ذكر فى الرواية المحلية ، فاننا يمكننا أن نؤرخه بحكم صباح ، لان عهد ذلك الحاكم كان هو الزمن الذى بدأ فيه حكم بني خالد فى التضعضع • وتفيد سجلات

---

(٨٧) قارن « صفحات من تاريخ الكويت » : ١٣ .

شركة الهند الشرقية بأن المدينة كانت مسورة فى العقد الثامن من القرن الثامن عشر (٨٨) •

نظام الحكم

ولقد ادى ضعف الدفاع عن المدينة الى تخويل شيخها صباح سلطات واسعة • وتفيد الرواية المحلية أن صباح قد اختير من لدن الاسر العتبية (٨٩) المختلفة للنظر فى شئون المدينة وسكانها ، وعلى هذا فان حكمه لم يكن مطلقا بالقدر الذى كنا تتوقعه من شيخ عربي يحكم مدينة أو قبيلة • ومرد هذا يرجع الى ان العتوب كانوا منذ نزولهم الكويت تجارا مستقرين ولم يكونوا بدوا متنقلين ، وكانوا قد مروا بعهد التنقل والبداوة ، وهم فى طريق رحلتهم من نجد الى قطر ، فى ابان القرن السابع عشر •ولذا وجدنا انه علي الرغم من أن سلطة شيوخ العرب فى تلك الآونة من تاريخ الجزيرة كانت مطلقة ، بيد فان سلطة شيخ الكويت لم تكن كذلك ، فهو يستشير قومه فى كل ما يخص بلدته ، لا سيما أمورها التجارية (٩٠) •

ولعلنا نجد فى لجوء الكثير من تجار البصرة الى الكويت ، حين هاجم الفرس البصرة عام ١٧٧٥ ، بقصد ممارسة نشاطهم التجارى منها، ما يعزز ما ذهبنا اليه من المركز الممتاز الذى كان يتبوأه تجار الكويت فى مجتمعها •

القضاء

اما عن تصريف شئون الحكم ، فكان من الطبيعي أن يمارس شيخ الكويت السلطات التي يمارسها معاصروه من شيوخ القبائل العربية ، فقد كان الشيخ ينظر فى تطبيق العدالة بين جماعته • والشيء الطبيعي

---

(٨٨) انظر الرسالة رقم ١١٥٢ فى المجلد ١٧ من سجلات الشركة الانجليزية •

(٨٩) انظر « صفحات من تاريخ الكويت » : ١١

(٩٠) انظر « صفحات من تاريخ الكويت » : ١١ •

فى مثل هذه الحالة أن يسترشد الشيخ بالقرآن ، والسنة ، والعرف ، غير ان الرواية المحلية ، كما يدونها الرشيد والقناعي فى تاريخيهما ، تظهر بجلاء أن الاحكام المرعية فى الكويت آنذاك ، لم تسر مطابقة لاحكام الشريعة الاسلامية ، بقدر ما كانت مطابقة للسالفة [91] . وليس هذا الامر بغريب على بيئة مثل بيئة الكويت ، التي لم تزد على ان كانت جزءا من بيئة شرقي الجزيرة العربية ، حيث سادت شريعة السالفة أو العادة السارية ، مما استنكره الشيخ محمد عبد الوهاب فى دعوته الاصلاحية الكبرى للمجتمع الاسلامي فى ذلك العصر .

وكذلك قل عن حال العتوب من آل خليفة وشيعتهم فى الزبارة . غير أن هذا لا يمنع وجود قاض فى الكويت منذ تأسيسها ، فالعلماء كانوا موفورى العدد فى الاحساء فى القرنين السابع والثامن عشر ، وابن سند فى كتابه « سبائك العسجد » ، يترجم لنيف واربعين من هؤلاء ، ومن المترجمين جماعة من معاصريه [92] . وقد كان اثر هؤلاء العلماء على معاصريهم كبيرا ، ولم تخل منهم مدينة من مدن الاحساء أو نجد . ولقد كان محمد بن عبد الوهاب ابن واحد من هؤلاء ، وهو الشيخ عبد الوهاب بن سليمان ، قاضي العيينة . ولقد قام محمد ابن عبد الوهاب بجهد كبير لاقناع الكثير من العلماء بآرائه التي نادى بها ، وهي آراء لم تخرج بحال عما ورد فى القرآن الكريم وسنة الرسول وصحابته . ولقد سافر محمد بن عبد الوهاب الى معظم مدن نجد والحجاز حيث اجتمع بعلمائها ، واستفاد منهم ، وناظر بعضهم [93].

---

(٩١) انظر الرشيد ١ : ٧٥ — ٧٦ ، والقناعي : ٣٣ — ٣٥ .

(٩٢) توفي عثمان بن سند عام ١٨٢٦/١٢٤٢ . انظر مقالة كاظم الدجيلي : « الشيخ عثمان بن سند البصرى » فى لغة العرب (بغداد ذو القعدة ١٣٣١هـ/١٩١٣م) : ١٨٠ — ١٨٦ .

(٩٣) انظر ابن غنام ١ : ٣٠ — ٣١ ، لمع الشهاب : ٦ — ٧ .

ويذكر ابن سند ، فى كتابه السابق الذكر ، وبين من ترجم لهم من العلماء ، الشيخ محمد بن فيروز (٩٤) ونجله عبد الوهاب بن محمد بن فيروز (٩٥) • ويرد اسم الشيخ محمد بن فيروز فى الرواية المحلية الكويتية ، على انه أول من تولى شئون القضاء بالكويت (٩٦) • ويؤرخ القناعى والرشيد وفاته بعام ١١٣٥هـ/١٧٢٢م • ويتفق المؤرخان على ان ابن فيروز هذا ، كان القاضي فى عهد صباح (٩٧) • ولما كنا قد برهنا على ان صباح ، لا يمكن أن يكون قد أصبح شيخ الكويت قبل عام ١٧٥٢ ، فاننا نستطيع أن ندرك أن المؤرخين ، قد جانبا الصواب فى تاريخ تلك الوفاة •

أما ابن سند ، المعاصر للشيخ محمد بن فيروز ، فقد حدد سنة ولادته بعام ١١٤٦هـ/١٧٣٣م وسنة وفاته بعام ١٢١٦هـ/١٨٠١م (٩٨) • ويضيف ابن سند ، ان ابن فيروز قد ولد فى هجر (الاحساء) وانه دفن فى مدينة الزبير ، الواقعة بين الكويت والبصرة (٩٩) • ولما جرت عادة علماء ذلك العصر على التجول من مكان الى آخر ، فاننا نميل الى الاعتقاد بأن ما دونه ابن سند هو الصحيح ، وان ما دونه القناعي

---

(٩٤) سبائك العسجد : ٩٣ ــ ٩٤ .

(٩٥) المرجع السابق : ٩٦ .

(٩٦) القناعي : ٣٥ ــ ٣٦ ، الرشيد ١ : ٧٥ ــ ٧٦ .

(٩٧) المرجعان السابقان

(٩٨) سبائك العسجد : ٩٦ .

(٩٩) المرجع السابق .

والرشيد يبعد عن الصواب (١٠٠) . ومهما يكن من أمر فاننا نستطيع ان نستنتج مما ذكرته الرواية المحلية عن ابن فيروز ، ومما دونه ابن سند عن تاريخ حياته ، انه كان اول قاض فى الكويت ، وانه قام بهذه الوظيفة فى عهد الشيخ صباح .

عبد الله بن صباح ثاني حكام الكويت

اذا كانت الروايات التاريخية تختلف فى الزمن الذى ولي فيه صباح الحكم ، فانها لم تتفق على سنة وفاته بحال ، وقد وردت فى احداها على انها عام ١١٩٠هـ/١٧٧٦م ، وهذا خطأ بَيِّن" (١٠١) . ولقد خلف صباح بعد وفاته خمسة ذكور هم سلمان ومالك ومبارك ومحمد وعبد الله ، وكان الاخير اصغرهم سنا . وتتفق الروايات المحلية على ان عبد الله اختير ليخلف اباه فى الحكم لمزايا انفرد بها دون اخوته وهي الشجاعة ، وحب العدل ، والحكمة ، والسخاء ، وهي جميعها صفات يحب العربي ان يتحلى بها حاكمه (١٠٢) . وكانت سنة تولي عبد الله الحكم وفق ما رواه لورمر (Lorimer) فى تاريخه المعتمد على وثائق شركة الهند الشرقية ، هي ١٧٦٢م (١٠٣) . اما عثمان بن

---

(١٠٠) ذكر القناعي فى تاريخه القائمة التالية لقضاة الكويت .

١ ـ محمد بن فيروز (لم يذكر تاريخ توليه) .

٢ ـ محمد بن عبد الرحمن العدسانى ١١٧٠هـ/١٧٥٦م ـ ١١٧٩هـ/١٧٦٥م .

٣ ـ محمد بن محمد العدسانى (١١٧٩هـ/١٧٦٥م ـ ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) .

٤ ـ محمد صالح العدسانى (١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ـ ١٢٢٥هـ/١٨١٠م) .

وشغل هؤلاء منصب القضاة فى الكويت خلال القرن الثامن عشر . ولعله من الجدير بالملاحظة أن ثلاثة قد توارثوا المنصب وهم من أسرة العدساني التي قدمت الكويت اصلا من الاحساء (القناعى : ٣٦) .

(١٠١) الرشيد ٢ : ٢ هذا ما دونه الرشيد ، غير أن عبد الله قد حكم خمسين سنة وتوفي سنة ١٨١٤ .

(١٠٢) القناعي : ١ ، الرشيد ٢ : ٣ .

(١٠٣) Lorimer, Gazetteer etc., II, ii, table 9

سند ، فعلى الرغم من انه لم يعط تاريخا محددا لتولي عبد الله زمام الامور فى الكويت ، الا انه يستفاد مما دونه ان عبد الله كان يتولى شئون الحكم قبل ١١٨٨هـ/١٧٧٤م ببضعة أعوام (١٠٤) • امـا القناعى فيذكر أن سنة وفاته كانت ١٢٢٩هـ/١٨١٣م (١٠٥) • اما الرشيد فيعطى نفس تاريخ القناعي (١٠٦) • ويضيف القناعي الى ذلك ان عبد اللـه قد حكم نحوا من سبعين سنة ، وهذا يعني انه تولى الحكم قبل عام ١١٥٩هـ/١٧٤٦م • ولما كان هذا لا يتنفق مع ما بيناه من تولى صباح الحكم عام ١٧٥٢ ، فاننا يمكننا ان نقدر ان عبد الله قد بـدأ حكمـه عـام ١٧٦٢ أو بعيد ذلك بقليل اى قبل هجرة آل خليفة من الكويت الى الزبارة فى قطر عام ١١٨٠هـ/١٧٦٦م (١٠٧) •

الخلاصة

وهكذا امضي العتوب النصف الاول من القرن الثامن عشر وهم يبذلون الجهود الصادقة لتنمية مدينتهم وتركيز انفسهم فيها •وقد اختاروا حوالى ١٧٥٢م أول حاكم لهم من آل صباح وهو صباح بـن جابر ، مؤسس الاسرة الحاكمة • وقد خلفه فى الحكم ابنه عبد الله بن صباح حوالي عام ١٧٦٢ ، وكانت هجرة آل خليفـة وغيرهم مـن العتـوب واستقرارهم فى الزبارة ثاني مدينة للعتوب فى عهد عبد الله هذا •

---

(١٠٤) سبائك العسجد ١٨ .

(١٠٥) صفحات من تاريخ الكويت : ١٠ .

(١٠٦) الرشيد ٢ : ٩ .

(١٠٧) انظر سبائك العسجد : ١٨ ، وكذلك مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٢ .

الفصل الرابع

- اطراد نمو الكويت
- العتوب يؤسسون الزبارة بقطر ١٧٦٦
- ظهور البحرية الكويتية

الفصل الرابع

اطراد نمو الكويت

العتوب يؤسسون الزبارة بقطر

ظهور البحرية الكويتية

بينا فى الفصل الماضي كيف استطاع عتوب الكويت الانفـراد بحكم مدينتهم ، وكيف أن شيخها كان له نفوذ على مناطق أخرى غير مدينة الكويت تكاد تكون قريبة من حدود دولة الكويت الحالية ان لم تزد عنها • وسنتناول فى الفصل الراهن تطور الكويت فى الفترة ما بين ١٧٦٠ و ١٧٧٥ ، ذلك التطور الذى جعل فئة من عتوب الكويت تهاجـر جنوبا لتؤسس مدينة عتبية أخرى فى قطر هي الزبارة ، التي بلغت شأوا عظيما من الازدهار نافست معه شقيقتها فى الشمال • ولا ريب أن هذا التطور قد اقترن بنمو قوة الكويت البحرية فى الخليج ، ومع ذلك سنحاول هنا ان نتابع ذلك النمو ، وان نبين علاقات الكويت مع القوى العربية البحرية الاخرى بقدر ما تسمح به مصادر البحث •

اخذت مدينة الكويت تزدهر بسرعة فائقة فى العقد السادس من القرن الثامن عشر ، ولم يكد العقد السابـع ينتصف حتى استـرعى نموها انتباه القوى الاخرى فى الخليج ، فوقف بعضها منه مـوقف اللامبالاة ووقف البعض موقف المعاداة • لقد سبق أن ذكرنا ان القوى التى كان يمكن ان تؤثر فى نمو الكويت هي الفرس والاتراك والشركة

الانجليزية ثم القوى العربية الاخرى فى المنطقة ، ونعنى بذلك القوى العربية البحرية فى الخليج والقوة الوهابية فى نجـد •

اما القوى الثلاث الاولى فلم يكن لها أثر معاكس لذلك النمو ، فالفرس كما بينا لم تكن لديهم القوة البحرية ، ولم يتمتعوا بالسلم الداخلي فى بلادهم حتى يفكروا فى مهاجمة الكويت • والاتراك العثمانيون لم يكونوا أحسن حالا من الفرس ، فحال باشـا بغـداد ومتسلم البصرة كان شبيها بحال الفرس ، ويبدو أنهم لم يفكروا فى اثارة عداء بني خالد بمعاودة الهجوم على الاحساء فى هذه الفترة ، ولو أن مثل ذلك الهجوم قد تم فى وقت متأخر ، وكان هدفه القضاء على نفوذ الوهابيين فى الاحساء • واما شركة الهند الشرقية فكان يهمها أن يبقى الخليج العربي منطقة امان لسفنها تؤمه انى شاءت وحيث شاءت ، ولم تشر وثائق الشركة الى ان الكويت قد اتخذت سبيل غيرها من القوى العربية البحرية فى الخليج ، وكان سبيلها القرصنـة والاعتـداء على السفن عابرة الخليج من مختلف الجنسيات ، مثل القواسم ، أهل رأس الخيمة ، وحتى القواسم لم يكونوا قد بلغوا مرحلة الخطورة فى هذه الفترة من تاريخ الخليج ، فالقرصنة لم تكن اذن لتشغل بال الشركة (١) •

اما الوهابيون فكانت مراكزهم فى الدرعية وغيرها من بلاد نجد بعيدة عن الكويت ، ولم تكن هجماتهم شـمالا وشرقا قد اسـتعرت نيرانها بعد • غير أن العتوب ، كان لا بد وان يتأثروا بالهجوم الوهابي على الاحسـاء فى وقت لاحق ، عندما انشأوا مدينة الزبارة بقطر ، غير بعيد عنها وذلك عام ١٧٦٦ (٢) • اما وجه الخطر الحقيقي الذى كان

---

(١) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٠٧ تحت مقالة بعنوان :
"Historical Sketch of the Joasmee; etc."

(٢) انظر لتأسيس الزبارة ابن سند ، سبائك العسجد : ١٨ ، ثم
"Historical Sketchof the Uttoobee Tribe of Arabs"
فى مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٢ .

يمكن ان يهدد الكويت فى هذه المرحلة من تاريخها ، ويهـــدد معهـــا الزبارة فقد جاء من عرب بني كعب ، الذين كانت مدينة الدورق مركز قوتهم وسلطتهم (٣) ، ثم عرب بندر ريق وبوشهر (٤) •

وفى هذه الفترة اعتاد عرب بني كعب مهاجمة السفن الناقلـــة للتجارة ، والمتجهة الى البصرة ايا كانت هذه السفن ، ولا نشك فى ان الرواية المحلية الكويتية التي تتحدث عـــن عـــداء بني كعب للكويت صادقة وان اختلفنا معها فى سبب العداء (٥) • اذ مما لا ريب فيه ان ازدهار الكويت ، وعمل سفنها بنقل التجـــارة فى الخليـــج ، وتأسيس العتوب للزبارة التي سرعان ما ازداد ثراؤها ، كل ذلك يمكن أن يجعل نهب الكويت أمرا مرغوبا فيه لدى بني كعب ، ولقد هدد بنـــو كعب تجارة الكويت دون ريب ، وهم لم يخشوا بأس اسطولها لانهـــم ، كانوا قادرين على الوقوف فى وجه اساطيـــل الشركـــة الانجليزيـــة ، ومحاربة كريم خان زند ، شاه فارس عندما ضم قواه الى قوى الشركة وحاول عام ١٧٥٩ دون طائل أن يخضـــع الشيخ سليمان ، شيـــخ بني كعب • ولقد فشلت حملة تركية انجليزية مشتركة فى القضاء على بني كعب والاستيلاء على مدينتهم ، الدورق ، فيما بعد عام ١٧٦٥ (٦) •

---

(٣) يرجع بنو كعب فى أصلهم الى نجد ، وقد هاجروا منها فى القرن السابع عشر واستقروا شرقي البصرة على الحدود العثمانية الفارسية ــ انظر
Niebhur Description de L'Arabie 276-7

(٤) ترجع قبائل بندر ريق وبوشهر فى اصلها الى عمان ، اذ منها هاجروا واستقروا فى تينك المدينتين • اما شيخ بندر ريق فكان مير مهنا وينتمي فى أصله الى قبيلة بني صعب • اما حاكم بوشهر فكان الشيخ نصر وهو من مطاريش عمان • ولقد كانت هناك قبائل عربية اخرى تنزل فى ديار بني صعب والمطاريش وتخضع لحكم مير مهنا والشيخ نصر ، انظر المصدر السابق ٢٧٣ ــ ٢٨٠ •

(٥) ترجع الرواية المحلية الكويتية سبب العداء مع بني كعب الى أن شيخ هؤلاء قد طلب الزواج من اخت للشيخعبد الله بن صباح (والبعض يقول ابنته) • انظر لذلك الرشيد ٢ : ٣

(٦) Wilson, The Persian Gulf, 184

وكذلك فان الوهابيين لم يكونوا قد اصبحوا فى وضع يسمح لهم بالتحرك نحو شرقي الجزيرة فى هذه الفترة ما بين ١٧٦٠ — ١٧٧٥ ، غير انه لا بد من ان نشير الى اوضاع نجد فى هذه الفترة حتى نستطيع على ضوء ذلك ان نفهم التحركات الوهابية اللاحقة لهذا التاريخ • كان الوهابيون طوال هذه الفترة منهمكين فى توسيع دائرة نفوذهم فى نجد ، محاولين فى نفس الوقت التوسع شرقا فى الاراضي الخاضعة لحكم شيخ بني خالد • غير ان حوادث الفترة ما بين ١٧٥٠ وحتى ١٧٧٠ تبين ان الوهابيين لم يكونوا قد بلغوا مبلغ بني خالد من القوة والمنعة • وقد اشار الى ذلك المؤرخان الوهابيان ، ابن غنام وابن بشر ، بكل وضوح عندما ارخا احداث عامي ١١٧١ هـ / ١٧٥٧ م و ١١٧٢هـ/١٧٥٨ (٧) • وعلى الرغم من ذلك فان عبد العزيز بن محمد ، قام بغزوة وهابية على الاحساء عام ١١٧٦هـ/١٧٦٢م (٨) وكان رد الفعل الخالدى على ذلك ، هجوما قاده عرعر بن دجين بن سعدون ، شيخ بني خالد على الدرعية ، عاصمة الوهابيين عام١١٧٨هـ/١٧٦٤م ،حاول بهفى مرتين متتاليتين الاستيلاء على الدرعية (٩) • ويضيف لمع الشهاب معلقا على هذا الهجوم ان عرعر لم يتعرض من قبلها للهجوم على الوهابيين طيلة سبع سنين انتهت عام ١٧٦٤ ، وذلك لان الوهابيين كانوا قد طلبوا السلام (١٠) ويبدو أن الوهابيين وبني خالد كانوا حريصين على نوع من المصالحة يستمر اطول فترة ممكنة ، غير أن عرعر هاجم الدرعية بعد ان علم بأنها تتعرض لهجوم من قبل دهام بن دواس ، صاحب الرياض وهجوم آخر ، كان يشن على الوهابيين فى نفس الوقت وتقوم به قبائل العجمان من اليمن (١١) •

---

(٧) ابن غنام ٢ : ٦٤ وابن بشر ١ : ٤٢ •

(٨) ابن غنام ٢ : ٧٢ وابن بشر ١ : ٤٦ •

(٩) ابن غنام ٢ : ٧٧ •

(١٠) لمع الشهاب : ٤٣ — ٤٤ •

(١١) المصدر السابق ثم انظر
Alois Musil, Northern Najd (New York. 1928), 259

ولا ريب أن هذه الحالة المضطربة فى العراق وفارس والجزيرة العربية ، قد مهدت السبيل ، أو جعلت من الميسور على فريق من العتوب ان يغادروا الكويت صوب الجنوب لتأسيس مدينة الزبارة ، ونعني بذلك آل خليفة ومن انضم لهم من عتوب الكويت . وما كنـا لنطيل الوقوف عند هجرة آل خليفة هذه لولا أنهـم عتوب اولا مـن اهل الكويت ، ولولا انهم لم يرحلوا عن الكويت بمفردهم ، بل صحبتهم فئات أخرى من اهل بلدة الكويت . ولننظر الآن فى الاسباب التي ادت الى هذه الهجرة ، ولم اختار المهاجرون الاقامة فى الزبارة بقطر .

الاسباب التي حملت آل خليفة ورفاقهم على الهجرة من الكويت

تعزو الرواية المحلية تلك الهجرة الى ما سبق أن أشرنا اليه مـن خلافات بين بني كعب وبين شيخ الكويت . ذلك ان الخلاف تطور الى مرحلة حَدَتْ ببنى كعب ان يفرضوا على شيخ الكويت شروطا رآها آل صباح مقبولة وشايعهـم بعض العتوب فى ذلك ، ورآهـا آخرون ومن جملتهم آل خليفة غير مقبولة (١٢) ومن هنا جاءتهم فكرة الهجرة ومغادرة الكويت . ونحن على الرغم من عـدم قدرتنـا على الاقتناع بهذا السبب وعلى ما يبدو فيه من وجاهة ، فاننا نميل الى الاعتقاد بأن هنالك اسبابا اخرى حفزتهم الى تلك الهجرة . فالمستر فرانسيس واردن Francis Warden فى استعراضه لنشـأة العتوب ــ يقرر ان الكويت بعد أن بلغت درجة عظيمة من التقدم فى الخمسين سنة الاولى من عمرها (١٧١٦ ــ ١٧٦٦) ، بدا ان سكانها لا بد وان يتشاحنوا فيما بينهم بسبب ذلك التقدم والثراء ، ويمضي الى القول :

(١٢) لم نجد للشروط التي تقدم بها بنو كعب لآل صباح كما تشير بعض الروايات المحلية اي ذكر فى المراجع المعاصرة .

« بأن تكدس الثروة جعل الجماعة المسئولة عن التجارة (آل خليفة) فيها (الكويت) يبدون رغبة فى الانفصال عن الآخرين لينفردوا بذلك الثراء الناجم عن التجارة » ٠

ويضيف بأن آل خليفة ، كانوا آنذاك تحت رئاسة خليفة بن محمد ، الذى ينتسب اليه آل خليفةاليوم ، وقد اخذ على عاتقه القيام بهذا الدور ٠ فبين لآل صباح والجلاهمة القدر الكبير من الثراء الذى يمكن أن يحصلوا عليه جميعا فيما لو نزل هو وجماعةمن العتوب بالمنطقة الغنية باللؤلؤ والواقعة على ساحل الخليج بالقرب من البحرين وقطر ، وفيما لو أنشأوا فيها مركزا للتجارة والغوص على اللؤلؤ ومباشرة ذلك بأنفسهم ٠ وقد وافق آل صباح على خطة قريبهم هذا ، ومن ثم ارتحل مع عدد كبير من اسرتــه الى الجنوب (١٣) ٠ هذه اذن هى الاسباب التي جعلت خليفة (١٤) يغادر الكويت ، ولا ريب ان رواية المستر واردن وهو الذى عاش فى فترة غير بعيدة عن تلك الهجرة جديرة بأن تنال من الباحث كل تدبر وعناية ٠

ومهما يكن من امر فان خليفة وصحبه وجدوا انهم لا بد من ان يغادروا الكويت ويتجهوا فى النهاية جنوبا الى قطر (١٥) ٠

اختيار الزبارة

ليس هنالك مجال للشك فى ان خليفة ورفاقه يمموا شطر قطر بحرا ٠فقد مضت على العتوب سنوات استطاعوا خلالها ان يكونوا بحارة

---

(١٣) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٢ ــ ٣٦٣ ٠

(١٤) انظر « صفحات : ١١ وابن سند ، المعاصر لهذه الحوادث يذكر الاسم على انــه خليفة بلقب « أشرف بنى عتبة » انظر سبائك العسجد : ١٩

(١٥) كانت قطر آنذاك ماهولة بقبائل عدة اشهرها آل مسلم ٠

مهرة ، ولا ريب انهم قد ابحروا فى الخليج صعدا ونزلوا فى امان تام قبل هجرتهم الاخيرة جنوبا بوقت طويل • فهم قد ساهموا فى الغوص على اللؤلؤ فى مواسمه(١٦) ، وذلك بارسال قواربهم الى الشواطىء الغنية باللآلىء بالقرب من البحرين وقطر ، حيث كان الغوص على اللؤلؤ مباحا للجميع دون قيد او شرط ، سوى دفع مبالغ محددة لحاكم البحرين او حاكم قطر فى نظير ما يجمع من ذلك اللؤلؤ • وهم كذلك قد ساهموا بدورهم فى نقل التجارة والبضائع الى مختلف موانىء الخليج،وعلى هذا فانهم كانوا معدين للقيام بأى مغامرة بحرية قد يتعرضون لها • سار المرتحلون من العتوب جنوبا بعد ان غادروا الكويت فى طريقهم الى قطر ، وعرجوا على البحرين قبل النزول على ساحل قطر ، لعلهم يجدون فيها مقاما ، غير ان نزولهم الى البر قد رفض • ولا يخفى ان البحرين كانت معروفة للعتوب حتى قبل استقرارهم الاول فى الكويت ، فهم قد عرفوها فى طريق هجرتهم من سواحل قطر والاحساء وتفرقهم فى مدن الخليج وجزره قبل استقرارهم النهائي فى الكويت • وقد كانت البحرين فى هذا الوقت تخضع لحكم شيوخ بنى مذكور ، وهم فى نفس الوقت حكام بوشهر • وكان آل مذكور يعترفون بنفوذ حاكم فارس عليهم ، غير ان ذلك الاعتراف كان اسميا لا يظهره واقع الامور فى البحرين ولا فى بوشهر فى ذلك الوقت(١٧) •

الزبارة والقوى التي حولها

على اننا يجب ان نذكر ان مجيء العتوب الى الزبارة لم يكن فجأة • فالعتوب قد عرفوا المكان منذ امد بعيد ، اولا فى خلال اقامتهم

---

(١٦) يجرى الغوص على اللؤلؤ فى أشهر الصيف . انظر لتفاصيل الغوص فى تلك الفترة Niebuhr, Description, 286 ثم منتخب سلدنها : ٤٠٧ – ٤٠٨ •

(١٧) انظر Niebuhr, Description, 284-6

الاول بقطر قبل الهجرة الى الكويت ثم لما كان لهم من يد فى نقل التجارة بين البحرين وقطر والاحساء برا وبحرا بعد ذلك (١٨) .

ومهما يكن من امر فقد وقع اختيار المهاجرين على الزبارة واتخذوها كموطن لهم . وقبل المضى فى وصف ذلك المكان ، لنقف قليلا عند القوى التى كانت تحيط به ، والتى كان يمكن ان تؤثر فى طبيعة استقرار مهاجرى العتوب به . فعلى الرغم من أن المعلومات التى لدينا عن الزبارة نفسها قليلة نادرة ، فان الحال مختلف فيما يتعلق بجيرانها . فقد كان يحكم شبه جزيرة قطر آنذاك قبيلة عربية قوية هى قبيلة آل مسلم . ولقد كان آل مسلم المشار اليهم آنفا مقيمين بقطر حين هجرة العتوب منها لاول مرة اثناء ترحالهم فى مطلع القرن الثامن عشر . وكان هؤلاء يدينون بالولاء لبني خالد الذين كانوا ، كما سبق القول ، يسيطرون على شرقى الجزيرة العربية من قطر جنوبا الى البصرة شمالا . اما العلاقات بين العتوب وبنى خالد فكانت لا تزال طيبة وودية عند هجرة آل خليفة هذه الى الجنوب ، ولذا لم يلاق العتوب اية صعوبات تذكر عندما نزلوا على ساحل قطر الغربى . والى الشمال من الزبارة تقع جزر البحرين ، المسماة احيانا آنذاك وقبل ذاك أوال(١٩) وكانت البحرين تخضع خضوعا مباشرا لحكم عرب بوشهر . اما سكان تلك الجزر فكانوا فى معظمهم من اصل عربى من عرب الهولة(٢٠) وكانت النفوس الطامحة فى الخليج تتطلع الى احتلال تلك الجزر دوما نظرا لغناها باللؤلؤ اولا ثم ببساتين النخيل التى كانت تدر دخلا سنويا قدره مائة الف روبية هندية(٢١) وكان معظم هذا الدخل يصرف على حامية أوال(٢٢) .

---

(١٨) اعتادت القوافل أن تنقل البضائع من عمان بطريق الصحراء الى البصرة وحلب انظر : Niebuhr Description, 295 ثم Ives, op, cit., 222
ومنتخب سلدنها : ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(١٩) انظر Niebuhr, Description, 284

(٢٠) المرجع السابق : ٢٨٦ .

(٢١) المرجع السابق .

(٢٢) انظر الفصل السابع فيما يتعلق بالغوص على اللؤلؤ : ٢٨٥ .

وصف الزبارة

ابحر العتوب ، بعد ان منعوا من النزول فى أوال ، شرقا حيث نزلوا بالزبارة على ساحل قطر • وكان بودنا ان ندون وصفا لتلك المدينة فى هذا الوقت ، غير اننا لم نجد اشارة اليها قبل عام ١٧٦٦ ، ثم نظرا لان ذلك النشاط والعمران والتقدم الذى سجله تاريخ المدينة ما لبث ان انهار عام ١٨١٠/١٨١١ اى بعد نحو أربع واربعين سنة من عمرانها ، وذلك بعد ان داهمها سلطان مسقط ودمرها(٢٣) غير اننا نستطيع ان نرسم صورة لتلك المدينة مما دونه آخرون ، فى وقت متأخر عن هذا ، من رجال شركة الهند الشرقية الانجليزية(٢٤) ثم الرواية التاريخية المحلية •

الموقـــع

تقع مدينة الزبارة ، او بلغة ادق اطلال مدينة الزبارة الحالية ، على الشاطىء الغربى من شبه جزيرة قطر ، على مسافة خمســة أميال الى الجنوب من خور حسن(٢٥) • وهى تقع فى نهاية جــون عميق يحمل نفس الاسم ورأسه الغربى يسمى رأس عشيرج ، وفى هذا الجون كذلك جزيرة تسمى الزبارة(٢٦) • ولا ريب انه يصبح بمقدورنا ، بعد الاطلاع

---

(٢٣) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ١٢٤ ، ٣٦٨ •

(٢٤) نشير هنا الى تقريرين اولهما كتبه سنة ١٨١٨ الكابتن روبرت تيلور R. Taylor مساعد الوكيل السياسي البريطاني فى شرقي الجزيرة العربية والثاني الكابتن جورج بارنس بروكس G, B. Brucks من ضباط بحرية حكومة الهند فى الفترة ما بين ١٨٢٢ – ١٨٢٩ • وكان الكابتن بروكس واحدا من خمسة ضباط من بحرية حكومة الهند قاموا بعمل مساحة بحرية لشواطىء الخليج العربي فى الفترة ما بين ١٨٢١ – ١٨٢٩ •

(٢٥) كانت هذه المدينة هي المكان الذى لجأ اليه الجلاهمة من العتوب الذين عملوا فيما بعد بالقرصنة البحرية بعد تأسيس الزبارة عام ١٧٦٦ ، وفتح البحرين عام ١٧٨٢ • انظر شرحا مطولا عن الجلاهمة لا سيما عن رحمة بن جابر شيخ الجلاهمة فى مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٥٢١ – ٥٢٩ ، وكذلك انظر الجزء الثاني من تاريخنا هذا الذى يتناول النصف الأول من القرن التاسع عشر •

(٢٦) لعله من الطريف أن نذكر أن اسم رأس عشيرج مشترك بين الزبارة والكويت • ولقد زار ووصف الزبارة عام ١٩٠٤ لورمر مؤلف Gazetteer of the Persian Gulf

على مختلف المصادر التى ورد فيها ذكر الزبارة ، ان نرسم صورة لما كانت عليه احوالها فى العقد السابع من القرن الثامن عشر والفترة التى اعقبت هذا التاريخ حتى مطلع القرن التاسع عشر • فالكابتن تيلور يذكر ان بالمدينة ٤٠٠ بيت وان اهلها كانوا متحالفين مع اهل خور حسن اى الجلاهمة(٢٧) • اما الكابتن بروكس فقال :

« تقع الزبارة على خط عرض ٢٦° شمالا وخط طول ٣٠ً ٨٦َ ٥١° شرقا • وهى مدينة كبيرة ، الا انها حاليا (١٨٢٤) مدمرة • وهى واقعة فى جون ، وكانت قبل دمارها مدينة ذات تجارة عظيمة » •

واضاف قوله بأنها كانت « اصلا اهم مدن العتوب وبقى ذلك حالها حتى انقسموا على انفسهم »(٢٨) اما لورمر فانـه يفصل فى وصـف تحصينات المدينة اذ يقول « ان المدينة كانت قلعة آل خليفة ، حكام البحرين » وانها « كانت مسورة ومحاطة بقلاع يتراوح عددها بين عشرة الى اثنتي عشرة ، تحيط بالمدينة فى شكل دائرة نصف قطرها سبعة اميال، ومن بينها قلاع فريحة وحلوان وليشا وعين محمد وقلعة مرير ورقيات وام الشرويل وثغب • وكل هذه القلاع الآن (١٩٠٤) مدمرة مهجورة ما عدا ثغب التى يتردد عليها سكان خور حسن يستقون من آبارها • ويقال ان قلعة مرير كانت تتصل بالبحر بخوير كانت مياهه تسمح للسفن الشراعية بالوصول اليها لتفرغ حمولتها على بوابة القلعة ، غير ان هذا الخوير قد سدته الرمال فى الوقت الحاضر » (٢٩) •

---

(٢٧) قارن مختارات من حكومة بومباى (٢٤) : ١٧ •

(٢٨) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٥٦٢ • لسنا ندرى ما الذى يقصده بروكس بالانقسام اللهم الا اذا كان يعني ان العتوب كانت لهم دولة موحدة حتى مطلع القرن التاسع عشر تشمل الكويت والبحرين ومنطقة الزبارة وأجزاء من ساحل الاحساء ، فالمعروف أن سلطة شيخ الكويت كانت تشمل العتوب جميعا فى مطلع القرن التاسع عشر . انظر الفصل الثامن من كتابنا هذا .

(٢٩) انظر Lorimer, op. cit., I., i, 787

موارد المياه

اما عن موارد المياه فى المدينة العتبية الجديدة ، فيبدو ان العتوب الذين اعتادوا قلة المياه فى مدينتهم الاولى الكويت ، لم يبدوا بالغ اهتمام بمصادرها فى المدينة الجديدة ، ذلك ان المياه العذبة كانت خارج المدينة ومتوفرة فى اجزاء كثيرة من قطر ، غير ان اقرب مورد كان يقع على بعد فرسخ من اسوار الزبارة (٣٠) . ولعل هذا الاهمال فى الحرص على مصادر المياه دليل على ان العتوب ، وهم تجار قبل كل شيء ، انما كانوا يهتمون بالميناء الصالح فى البقعة التى ينزلونها(٣١) .

النزول فى الزبارة

وعلى اية حال فقد بدأ العتوب المهاجرون يستقرون سريعا فى الزبارة ، وعالجوا الوضع السياسى المحيط بهم بالحكمة ، اذ كان عليهم ان يتعاملوا مع قوتين عظيمتين تحيطان بهم . اما الاولى ــ وكانت القوة الكبرى فى المنطقة ــ فهم بنو خالد ، وعهد العتوب بهم قديم ، ففى كنفهم اسسوا مدينتهم الاولى الكويت . ولا نجد اى دليل على ان بنى خالد قد اساءوا الى العتوب فى موطنهم الجديد بالزبارة ، او انهم تحرشوا بهم لهذا السبب او ذاك ،بل لعله من الصواب ان نقول انه لم يكن هنالك ما يدعو الى مثل ذلك اطلاقا . اما الثانية فكانت قبيلة آل مسلم وموقف هؤلاء من العتوب لم يكن وديا خالصا . ونحن نبنى رأينا هذا لا على دليل بعينه سطر فى المراجع المعاصرة،بل اتخذناه بعد ان رأينا العتوب يشرعون فى تحصين مدينة الزبارة بالاسوار ثم بالقلاع فور

---

(٣٠) لمع الشهاب : ٩٥ ، (الفرسخ نحو اربعة أميال ونصف الميل) .

(٣١) ان قلة المياه فى داخل المدينة قد اعطى الوهابيين الفرصة لتشديد الخناق على العتوب بعد ان فصلوا بينهم وبين آبار المياه خارج المدينة على ما سنراه عند الحديث عن علاقات آل خليفة بالوهابيين فى نهاية القرن الثامن عشر . انظر الفصل السادس .

نزولهم بها ، وذلك بقصد الدفاع عنهـا وحمايتها مـن اى هجـوم خارجى(٣٢) ولعل سلوك العتوب فى تحصين مدينتهم يرجع فى مـرده الى انهم شعروا انه لم يعد بامكانهم ان يحتموا بنفوذ بنى خالد ، اذ ان الخلافات الداخلية بدأت توهنه ، وقد سبق ان رأينا ان الكويت وغيرها من البلدان والقبائل الخاضعة لنفوذ بنى خالد ، بدأت بعد وفاة سليمان ابن محمد آل حميد الخالدى فى ممارسة نوع من الاستقلال الذاتى (٣٣) وعلى هذا يبدو ان آل مسلم فى قطر قد بدأوا يمارسون فى وقت معاصر لهذا ، شيئا من الانفراد بحكم شبه جزيرة قطر فهم وان لم يعارضوا فى فكرة نزول العتوب بالزبارة ، الا انهم ، على ما يبدو ، لم ينظروا بعين الرضا الى نجاح مدينتهم التجارى • ولا شك ان الزبارة بحكم موقعها قريبا من الاحساء التى بدأت تحس بالخطر الوهابى فى وقت مبكر من العقد السادس فى القرن الثامن عشر ، قد جعل العتوب يرون فى بنى خالد جماعة لن تستطيع الدفاع عنهم اذا شغلوا بحرب الوهابيين عن حماية نفوذهم فى الداخل ، ان ثار عليهم آل مسلم او غيرهم من القبائل المنضوية تحت حكمهم • ولهذا ادرك عتوب الزبارة انهم يجب ان يعتمدوا على مصادرهم الخاصة وقواهم المحلية فى الدفاع عن مدينتهم(٣٤) • ولعل ما ذهبنا اليه يتفق مع الرواية المحلية لآل خليفة والتى تقول بأن آل مسلم طلبوا من العتوب الزكاة ، فرفض العتوب دفعها ، وبدأوا فى تحصين مدينتهم استعدادا لما قد يقوم به آل مسلم من مضايقات للمدينة الناشئة ، وهكذا استطاعوا فى بحر العامين الاولين من نزولهم بالزبارة الفراغ من بناء سور المدينة وقلعة مرير وذلك عام ١١٨٢هـ/١٧٦٨م(٣٥)•

---

(٣٢) انظر لمع الشهاب : ٩٥ •

(٣٣) انظر ما سبق فى بداية هذا الفصل •

(٣٤) قارن لمع الشهاب : ٨٠ ــ ٨٤ •

(٣٥) انظر النبهاني ــ تاريخ البحرين : ١٢١ •

لقد بقيت الاحوال بين العتوب فى الزبارة وآل مسلم بعد هذا التحصين هادئة ، ولم يتحرش آل مسلم بالزبارة الا بعد هذا التاريخ بنحو عشرين سنة ، ذلك انه حوالى ١٧٩٠ بدأ الوهابيون فى تشديد حملاتهم على بني خالد فى الاحساء وقطر ، وقد انضم آل مسلم (٣٦) • كما انضم الكثير من القبائل العربية النازلة بالاحساء وقطر ، للقوى الوهابيــة رغبــة ورهبة(٣٧) •

التقدم فى الزبارة

هذا وقد كان التقدم الذى احرزته الزبارة سريعا للغاية، ففى الوقت الذى استغرق تحويل الكويت من مركز صغير لصيد الاسماك الى مدينة ذات بال نحو خمسين سنة(٣٨) ، فان الزبارة قد صارت من اهم موانىء الخليج فى مدة وجيزة لا تزيد على عشر سنين وقد ادى هذا التقدم السريع الى منافستها لسائر موانىء الخليج التجارية ، ومن ثم اضمرت لها موانيء الساحل الفارسى بالذات السوء ، ولعل مرد ذلك ان الزبارة جذبت اليهــا جــزءا كبيرا من تجارة البحرين التابعة آنذاك لعــرب بوشهر(٣٩) •

ان ذلك النمو السريع الذى حققته الزبارة فى خلال فترة قصيرة من عمرها يرجع فى المقام الاول الى التجارة فى اللؤلؤ • فقد كان اختيار

---

(٣٦) آل مسلم كبنى خالد من ربيعة ، وكانت ديارهــم بفويرط وفريحــة ، وكان فى استطاعتهم ان يعدوا للقتال الفي محارب (لمع الشهاب : ٢٣٤) . وكانت تنزل فى قطر قبيلتان اخريان اقل شانا من آل مسلم ، هما آل ابي حسين ، ومنازلهم فى اليوســفية ، ويعدون ١٥٠٠ مقاتل ، ثم المعاضية ويعدون ٣٠٠٠ مقاتل وينزلون الرويضة والطبيخ. وهاتان القبيلتان من ربيعة . وكان ينزل بقطر قبائل اخرى كان بمقدورها ان تجند خمسة آلاف محارب (لمع الشهاب : ٢٣٦) .

(٣٧) انظر لمع الشهاب : ٩٤ – ٩٥ و ١٠١ – ١٠٣ وابن بشر ١ : ١٠٦ وابن غنام ٢ : ١٩٨ .

(٣٨) قارن مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٢ – ٣٦٣ .

(٣٩) Lorimer, op. cit 187

العتوب للزبارة موفقا كل التوفيق من حيث كونها واقعة فى مواجهة البحرين وقريبة من سواحل بنى خالد فى الاحساء وقطر ، وهى من اغنى بقاع الخليج فى اللؤلؤ • وتجارة اللؤلؤ فى هذه المنطقة من العالم ، ولا سيما فى البحرين ، موغلة فى القدم • ولقد كان حظ الزبارة من تلك التجارة قليلا فى البدء ، غير ان ذلك القليل سرعان ما ازداد(٤٠) • ويضرب لنا ابن سند مثلا على ذلك ، التاجر الكويتى الشهير رزق ، الذى كان من أوائل من عمروا الزبارة ، حتى قيل انه حضر مع خليفة بن محمد ، مؤسس اسرة آل خليفة ، عندما هاجر مع جماعته الى الزبارة ١٧٦٦(٤١) • ولكى يرينا مقدار الثراء الهائل الذى جمعه رزق من تجارة اللؤلؤ ، قال ابن سند ان رزقا المذكور قد بدأ تجارته بثلاثةدنانيراستدانها من الوالى(٤٢)• وما لبثت هذه الدنانير ان تضاعفت فى زمن قصير • ويذهب ابن سند فى حديثه عن رزق ان الاخير كان هو الذى اشار على خليفة باختيار موقع الزبارة ، (٤٣) ، وانه ساعده فى بناء المدينة • ثم انهما رأيا انه لا بد من تشجيع التجار على النزول فيها ، فكانت خير وسيلة رأياها ان يعفيا البضائع القادمة اليها من المكوس(٤٤) • ويؤيد قول ابن سند هذا من حيث الاعفاء من المكوس ، ما ورد فى تقرير خاص بتجارة الخليج كتبه احد وكلاء الشركة الانجليزية عام ١٧٩٠ اذ يقول : « ان حكومة الزبارة لا تجمع اى نوع من الجمارك على السلع التجارية »(٤٥) •

---

(٤٠) ابن سند ـ سبائك العسجد : ١٨ ـ ١٩ •

(٤١) المصدر السابق •

(٤٢) لسنا ندرى من « الوالي » الذى يشير اليه ابن سند ، وأغلب الظن أن المقصود هو عريعر بن دجين ، حاكم الاحساء من آل حميد ، ذلك أن ابن سند يذكر أن « رزق » غادر الكويت قاصدا الأحساء وكانت تلك المنطقة جميعها خاضعة لبني خالد . انظر سبائك العسجد : ١٨ •

(٤٣) المرجع السابق : ١٩ •

(٤٤) سبائك العسجد : ٢٠ •

(٤٥) انظر منتخب سلدنها : ٤٠٩ •

لا شك ان سياسة التجارة الحرة هذه قد بدأت تؤثر فى تجـارة الميناءين المجاورين للزبارة والواقعين فى حوزة بنى خالد ، وهما العقير والقطيف . ففى هذين الميناءين كانت المكوس المفروضة على البضائع المستوردة ليست عالية اذا ما قيست بالمكوس فى موانىء اخرى واقعة على الخليج ، ذلك ان :

« حكومة القطيف تحسن معاملة التجار الذين يتمتعون فيهـا بالحماية الكاملة لاشخاصهم وممتلكاتهم ، والمكوس التى تجبى منهـم معتدلة ، وتنحصر فى البضائع المستوردة . فبالة القهوة يدفع عنهـا « زر محبوب »(٤٦) ويدفع « روبن »(٤٧) من الفلفل الاسود وواحد فى المائة عن كل السلع الاخرى ، ما عدا مواد التموين »(٤٨) .

ولقد كانت العقير هى الميناء الذى يمد منطقة الاحساء ، مقـر شيخ بنى خالد ، وكذلك قبائل بنى خالد الرحل المقيمة بالداخل ، بكل ما تحتاجه من مواد تموينية وسلع اخرى(٤٩) اما القطيف فكانت تقوم بنفس العملية لمدن داخلية اخرى فى نجـد مثـل الدرعيـة والرياض

---

(٤٦) الزر محبوب هو نقد عثماني . زر = ذهب ومحبوب = محبوب . أما قيمته آنذاك كما اورده آيفز فى رحلته ، وكان بالبصرة عام عام ١٧٥٨ ، فان الزر محبوب الواحد يعادل ١٩ محموديا و ٧٥ فلسا (انظر رحلته : ٢٣٦) .

(٤٧) الروبن Robin مكيال هندى للقمح يستعمل فى ملبار . بعضهم يرى أنه يعادل ١/٤ كندي . وهو فى هذه الحالة ربما كان مشتقا من الكلمة العربية ربع أو ارباع . انظر مادة Robin فى Wilson, A. A., A Glossary of Judicial and Revenue Terme .... of the Govt. of British India, (London, 1855)

وانظر كذلك السفر الثاني من هذا الكتاب حيث كشف العملة والموازين .

(٤٨) منتخب سلدنها : ٤٠٨ .

(٤٩) Captain G. Sadleir, Diary of a Journey across Arabia from el-Khatif in the Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, puring the year 1819, (Bombay, 1866), 30.

والمنفوحة([50]) • غير ان سياسة التجارة الحرة هذه التى اتبعها عتوب الزبارة ، لم يكن لها نظير فى الكويت ، حيث كانت حكومة الاخيرة « تجمع مكوسا على تجارة الواردات تشابه ما كانت تجمعه حكومة القطيف »([51]) ، وحتى هذه فقد كانت بدورها تافهة اذا ما قيست بما كانت تفرضه حكومة مسقط من مكوس حيث « كانت قيمتها تصل الى ٦ ١/٢ بالمائة على جميع الواردات بما فى ذلك المواد التموينية »([52]) •

اما فى البصرة ، فقد كانت حكومتها تجبى الضرائب على جميع الواردات سواء منها ما كان قادما من بغداد برا ، او عن طريق الخليج بحرا ، وكذلك المكوس العالية تجبى عن كل البضائع المصدرة منها بطريق البحر او بطريق الصحراء الى حلب ، ما عدا ما صدر منها عن طريق تجار اوروبيين ، او ما كان خاصا بالمواد التموينية •

« فالمكوس على الاقمشة الواردة عن طريق البحر ومن بغداد كانت قيمتها ٧ ١/٢ بالمائة ، واما السلع المختلفة الاخرى (كالتوابل وما شاكلها) فكانت ٨ ١/٢ بالمائة • والبضائع المصدرة الى حلب كانت تدفع عنها مكوس مماثلة لما سبق ، اما المصدرة عن طريق البحر فتدفع ٥ ١/٢ بالمائة » ([53]) •

مقدم الجلاهمة الى الزبارة

وكنتيجة للسياسة التجارية هذه والتى انفردت بها الزبارة ، بدأ التجار يفضلون التعامل مع الزبارة والكويت عند نقلهم لتجارة الهند وبلاد العرب الى سوريا ، والولايات العثمانية الاخرى • وكانت النتيجة الحتمية لهذا التفضيل نموا سريعا شهدته الزبارة ، فسارعت جماعات

---

(٥٠) المرجع السابق ثم انظر كذلك منتخب سلدنها : ٤٠٨ •

(٥١) انظر منتخب سلدنها : ٤٩٠ •

(٥٢) المرجع السابق : ٤٠٧ •

(٥٣) المرجع السابق : ٤١١ •

كبيرة من عتوب الكويت بالهجرة الى المدينة العتبية الجديدة لتنال نصيبها من الثراء الذى اخذ يعمها • وكان من بين المهاجرين الجلاهمة ، وهم فى الاصل اسرة عتبية كبيرة ، لم تكن تقل شأنا عن آل صباح وآل خليفة ، وكانوا قد اسهموا بقسط كبير فى التجارة البحرية فى الكويت(٥٤) • وليس فى المراجع اشارات واضحة الى تعداد الجلاهمة المهاجرين الى الزبارة او الى تعداد الجماعات الاخرى التى امت الزبارة ، من الكويت والبلدان المجاورة فى قطر ، غير انه يبدو ان تعداد الجلاهمة كان كبيرا ، ولذلك خشى آل خليفة ان تؤول الامور الى الجلاهمة ، فعملوا على اخراجهم من المدينة(٥٥) • ويبدو ان الجلاهمة لم يتجهوا من الكويت الى قطر الا بعد ان تركز اقرباؤهم من آل خليفة بالزبارة(٥٦) • ويبدو كذلك ان العقد السابع من القرن الثامن عشر قد شهد تمركز السلطات بين العتوب فى جماعات ثلاث هم آل صباح وآل خليفة والجلاهمة • اما آل صباح فقد تناولناهم بالبحث فى مقام سابق ، حيث بينا كيف تركزوا فى الكويت، وكيف ان آل خليفة تزعموا عتوب الزبارة• اما الاسرة الثالثة وهم الجلاهمة ، وكان يقال آل جابر ، فقد اكتسبوا شهرة عريضة فى اواخر القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر كقراصنة(٥٧) • ولما كان الجلاهمة فرعا من الشجرة العتبية ، رأينا ان نتناول تاريخهم فى ايجاز ، شأنهم شأن آل خليفة فى البحرين والزبارة•

عندما قدم الجلاهمة الزبارة أكرمهم آل خليفه فى البداية ، غير ان خلافا ، تحدثت عنه الوثائق المعاصرة ، ما لبث ان نشب بين آل خليفة والجلاهمة • ولقد كانت نتيجة هذا الخلاف بالغة الاهمية ، بالنسبة

---

(٥٤) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٣ •

(٥٥) المرجع السابق •

(٥٦) قارن « سبائك العسجد » : ١٨ — ١٩ •

(٥٧) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٥٢٢ — ٥٢٩ • سيرد تفصيل تاريخ الجلاهمة فى الجزء الثاني من هذا التاريخ •

للطرفين المتنازعين ، لا سيما بعد ان اضطر الجلاهمة الى الجلاء عن الزبارة والنزول فى مكان قفر يقع الى الشرق منها وهو « رويس » . بدأ الجلاهمة بعد ذلك يركزون همهم فى تقوية اسطولهم البحرى ، واضعين نصب اعينهم الانتقام ممن نالهم أذاه ، وهم آل خليفة(٥٨) .

الصراع بين الجلاهمة وآل خليفة (٥٩)

كان لزاما على خليفة بن محمد والحالة هذه أن يواجه خطرا بالغا يهدد كيان المدينة الناشئة . وكان مصدر الخطر لا ينحصر فى الجلاهمة فحسب ، بل ان آل مسلم ايضا كانوا لا يزالون ينظرون اليه بعين الريبة. بدأ الجلاهمة بالقيام بسلسلة من الهجمات البحرية على السفن المملوكة لآل خليفة ، ومصادرة حمولتها ، فأدى ذلك الى اعتقاد خليفة بأن الجلاهمة بعملهم هذا انما يهددون وجوده فى حد ذاته . وعلى هذا ، فانه عمل جاهدا فى سبيل تنمية قوته الضاربة عن طريق الجنود المرتزقة وغيرهم ، ونجح أخيرا فى الاحاطة بالجلاهمة الذين استماتوا فى الدفاع عن ثروتهم المكدسة فى مستقرهم برويس . وأخيرا ، انتهى الصراع بمقتل شيخ الجلاهمة جابر . وبدا أن التفوق العسكرى والعددى المتوفر لآل خليفة ، لا بد قاض على الجلاهمة قضاء مبرما . وهذا ما حدث بالفعل فلم ينج من الجلاهمة غير القليل ممن استطاعوا الفرار . وتمضى الرواية الى القول بأن آل خليفة وحلفاءهم بعد انتصارهم المؤزر ، فتكوا بكل من وقع تحت أيديهم من الجلاهمة ، ولم ينج الا القليل من الاطفال والنساء(٦٠) .

---

(٥٨) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٣

(٥٩) مصدرنا لتفاصيل هذا الصراع ينحصر فيما ورد فى مختارات حكومة بومباى خاصا بالعتوب فى التقرير المسمى
"Historical Sketch of the Uttoobee Tribes etc."

(٦٠) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٣ .

وكان طبيعيا أن يؤدى انتصار آل خليفة هذا الى سيطرتهم على جميع العتوب النازلين بالزبارة والمنطقة المحيطة بها • غير أن هذا العداء بين آل خليفة والجلاهمة ، على الرغم من حدته ، لم يمنعهم جميعا من دفن احقادهم والوقوف جنبا الى جنب أمام الخطر المشترك الذى بدأ يتهددهم عام ١٧٧٥ ، وذلك عندما اتفق عرب بوشهر وبندر ريق والدورق على مهاجمة الزبارة ، وبعد ان تفاقم خطر العتوب التجارى ، وبعد أن بدأوا يحتكرون جزءا كبيرا من تجارة الخليج العربى • وكانت نتيجة تلك المحاولة ، كما سنرى فيما بعد ، فشل الحلفاء وانتصار العتوب واحتلالهم للبحرين عام ١٧٨٢ •

العلاقات بين الكويت والقوى العاملة فى الخليج
(١٧٦٦ – ١٧٧٠)

ولعله من المفيد لدارس تاريخ هذه الفترة أن يتوقف قليلا لكى يتبين الاوضاع السائدة فى البلدان المحيطة بالخليج ، حتى يتبين له كيف ساهمت تلك الاوضاع فى تسهيل مهمة عتوب الكويت وعتوب الزبارة فى الاعلاء من شأن مدينتيهم الناشئتين •

ففى جزيرة العرب نفسها كان العقد الثامن فترة جس نبض بين الوهابيين الذين كانوا يدعمون مراكزهم فى نجد وبين بنى خالد حكام الاحساء • ولا ريب أن اى تدهور فى أوضاع بنى خالد كان لا بد أن يؤدى الى تعرض العتوب فى الزبارة والكويت الى خطر محقق يتأتى عن هجوم الوهابيين • لقد سبق أن أشرنا الى أن عريعر أو عرعر شيخ بنى خالد ، قد هاجم الدرعية ،العاصمة الوهابية،عام ١١٧٨هـ/١٧٦٤م ، بعد أن نقض الهدنة القائمة بينه وبين الوهابيين ، مغتنما فرصة تعرض الدرعية لهجوم دهام بن دواس،شيخ الرياض،ثم لهجوم العجمان من اليمن(٦١)•

---

(٦١) ابن غنام ٢ : ٧٦ – ٨٠ ، وابن بشر ١ : ٤٨ ، ولمع الشهاب : ٤٢ – ٤٣ •

ولقد بينت هذه الوقعة للوهابيين ان بنى خالــد ســوف يغتنمون أية فرصة للقضاء عليهم ، مهما قام بين الطرفين من مواثيق • فكانت اوضاع الوهابيين وبني خالد فى هذه الفترة ، ما بين ١٧٦٦ و ١٧٧٠ ، أوضاع المتربص المنتظر الفرصة السانحة للاجهاز على عدوه ، غير أن كلا من الطرفين لم يجد فى نفسه آنذاك المقدرة على القيام بهجوم مباشر على عدوه ، وعلى ذلك بقى نفوذ بنى خالد قويا فى شرقى الجزيرة ، واستمر عهدهم الذى كان خير عهد لازدهار التجارة قائما ، وكان لذلك أثر لا ريب فى استمرار فترة ازدهار العتوب التجارية ، وبالتالى نمو قوتهم البحرية ، اذ لم تتعرض مدينة الكويت لهجوم وهابى مباشر ، الا بعد أن تمكن الوهابيون من القضاء على قوة بنى خالد ، فى أواخر القرن الثامن عشــر •

الحرب بين عمان والقواسم

والى جنوب القوتين السابقتين ، وعلى نفس ارض جزيرة العرب، كانت تصطرع قوتان أخريان هما سلطنة مسقط مع عرب رأس الخيمة ، ذوى النفوذ فىعمان الصير(٦٢) ، ولم تكن العلاقات بينهذين الطرفين أحسن حالا مما كانت عليه علاقاتالوهابيين ببنى خالد • ففى ١٧٥٨ كان الامام أحمد بن سعيد قد وطد نفوذه على قبائل عمان وركز نفسه فى مسقط ، وأخذ يستعد لغزو عمان الصير ، حيث يقيم القواسم ، الذين كانوا يتمتعون حتى هذا الوقت باستقلالهم كاملا(٦٣) • وفى سنة ١٧٦٢

---

(٦٢) عمان الصير هو ما يعرف بساحل عمان •

(٦٣) القواسم يحتلون المنطقة الواقعة بين جمبرون وراس بردستان على ساحل الخليج العربي • اما تسميتهم فتنسب الى الشيخ قاسم جد الشيخ راشد بن مطر ، شيخ القواسم المشهور الذى كان يقيم برأس الخيمة • انظر
Miles, S. B., The Countries and Tribes of the Persian Gulf, (London, 1919) Vol. II, 269.

سير عليهم الامام احمد حملة بقيادة السيد علي بن سيف ، وكانت الحملة تتألف من سفن مختلفة الحجم ، بلغت فى تعدادها اربع عشرة . سارت هذه الحملة قاصدة عمان الصير وصدرت اليها الاوامر بحصار ذلك الساحل حصارا شديدا . وكانت نتيجة ذلك الحصار ، أن اعترفت جميع مدن ذلك الساحل،بسلطة امام مسقط،ما عدا مدينة رأس الخيمة(٦٤) . غير انه فى عام ١٧٦٣ ، توجــه الشيخ صقر ، شـــيخ رأس الخيمة ، مع عمه عبد الله الى مدينة الرستاق فى عمان ، حيث قابلا الامام واتفقا معه على أن يسحب أسطوله المحاصــر لساحلهم ، شريطة أن يعترف باستقلال مدينة رأس الخيمة ، مركز القواسم ، مع خضوع باقى الشاطىء لحكمه.وقد بقى هذا الوضع السياسى قائما لمدة تبلغ العشرين عاما(٦٥) . ولقد عملت هـــذه الحالة بدورها ، اى العلاقة القلقة بين السلطـــان وشيوخ رأس الخيمة ، على منح العتوب فرصة مواتية للنمو ، دون أن يحسبوا حسابا لسلطان مسقط أو لشيخ القواسم ، حتى كان عـــام ١٧٨٢ . ففى هذا العام هاجم العتوب البحرين ، وكان عليهم أن يواجهوا عرب بوشهر الذين كانوا قد احتلوا جزر البحرين عام ١٧٥٣(٦٦) .

الحالة فى بلاد فارس (١٧٦٠ — ١٧٧٠)

سبق أن قلنا ، فى الفصل الثانى ، أن العلاقات كانت قائمة باستمرار بين ساحل فارس الجنوبى ، على الخليج العربى، وشرقى الجزيرة العربية، نظرا لان ذلك الساحل كان مأهولا بالعرب الذين كانوا على اتصال دائم بعرب شرقى الجزيرة ، الذين كانوا بدورهم فى حركة مستمرة فى اتجاه الساحل الشرقي من الخليج ، حيث كانت هجرتهم الى ذويهم هناك .

---

(٦٤) Miles, Countries and Tribes, II, 269

(٦٥) المرجع السابق .

(٦٦) Miles, Countries and Tribes, II, 269

ولما أراد نادر شاه أن يوطد أقدامه على ساحل الخليج الشرقى ، اعتمد على مشاته الفرس ، ثم لما أراد أن يبسط نفوذه خارج حدود فارس عبر الخليج العربى ، اعتمد على ضباط من الفرس لقيادة سفنه التى كان يسيرها ملاحون من العرب • وهو بهذا قد عمل على ابعاد العنصر العربى من جيشه البرى ، وأسند اليه أعمالا غير رئيسية فى بحريته ، وهذه سياسة كان مآلها الفشل الذريع ، اذ أنه لم يستطع أن يفرض تفوقه فى مياه الخليج(٦٧) • على ان الفوضى كانت تعم فارس من عام ١٧٤٧ عند وفاة نادر ، حتى عام ١٧٥٧ عند استلام كريم خان زند أعنة الامور فى ايران • ان تسلم كريم خان لأعنة الامور ، وبسط نفوذه على فارس ، وتركيز السلطات فى يده تركيزا كاملا ، كل هذا جعل أفق علاقاته مع العرب القاطنين فى سواحل الخليج من مملكته صافيا ، وقد استمر ذلك الصفاء حتى وفاته عام ١٧٧٩ • ولقد كانت سياسة كريم خان مع العرب النازلين بفارس ، بخلاف سياسة نادر ، ودية للغاية ، فهو قد طلب منهم العون فى كفاحه لتوطيد نفوذه فى منطقة الخليج العربى(٦٨) • على ان هذا يجب أن لا يعنى أن العرب قد تعاونوا مع كريم خان بمحض ارادتهم ، فهم فى الواقع قد سببوا له الكثير من المشاكل • غير أننا قبل أن نخوض فى علاقات العرب مع كريم خان ، نرى لزاما علينا فى هذا المقام ، أن ندرس أوضاع كبرى القبائل العربية على الساحل العربى من الخليج •

كريم خان والعرب

ثلاث قبائل عربية هى التى كانت ترسم الخريطة السياسية للجزء الجنوبى من بلاد الفرس فى العقد السابع من القرن الثامن عشر • وهؤلاء

---

(٦٧) علق نيبور على عمله هذا بقوله : ان الجنود العرب من اهل السنة ، وهم بحارة نادر ، فتكوا برؤسائهم الفرس وسلموا الاسطول الى اخوانهم العرب •

قارن Description de L' Arabie, 273

(٦٨) انظر Malcolm, op. cit., II, 134

هم عرب بوشهر ، وحاكمهم آنذاك الشيخ نصر آل مذكور ، وهم من عرب المطاريش العمانيين ، ثم عرب بندر ريق ، النازلون الى الشمال من بوشهر ، والجماعة الثالثة هم بنو كعب ومركزهم الدورق • ولقد سبقت الاشارة فى الفصل الاول الى نشاط هؤلاء فى النصف الاول من القرن الثامن عشر(٦٩) • وبالاضافة الى تلك القوى القبلية الثلاث الكبيرة ، كان هنالك عرب الهولة النازلون على الجزء الجنوبى من الساحل الشرقى من الخليج ، والمنتشرون كذلك فى جزائر قشم وقيس وهرمز وغيرها من الجزر الصغيرة المنتشرة فى جنوبى الخليج • وعرب الهولة هؤلاء ، لم يلعبوا دورا كبيرا فى الحوادث التى وقعت فى العقد السابع من القرن الثامن عشر ، وانما الذى أخذ دورهم هم جماعة القواسم • ولما كانت هذه الحوادث لا علاقة مباشرة لها بتاريخ الكويت والعتوب عامة ، فلن نتعرض لها فى هذا الموضع من الكتاب •

الشيخ نصر ، شيخ بوشهر

اما عن عرب بوشهر ، فقد احتلوا البحرين عام ١٧٥٣(٧٠) وكانوا حكام تلك الجزر عندما قـدم العتوب الى الزبارة عام ١٧٦٦(٧١) • وعندما عبر نيبور الخليج فى طريقه من الهند الى اوروبا عام ١٧٦٥(٧٢) مر ببوشهر وقال ، فى معرض حديثه عن الامارات العربية المستقلة على الساحل الشرقى من الخليج ، ان هذه المدينة هى ميناء شيراز ، عاصمة كريم خان زند ، حاكم بلاد فارس(٧٣) • وفى عام ١٧٦٣ اقامت شركة

---

(٦٩)انظر الصفحات ٦٤ ـ ٧٧ فيما سبق .

(٧٠) انظر Lorimer, op. cit., I, i, 738

(٧١) انظر صفحة ١٣٥ فيما سبق .

(٧٢) انظر Niebuhr, Voyage en Arabie, I 1, 75-78

(٧٣) قارن Niebuhr, Description, 273

الهند الشرقية الانجليزية وكالتها التجارية فى بوشهر عوضا عن وكالتها فى جمبرون (بندر عباس) ، بعد أن هاجمها الفرنسيون ونهبوها عام ١٧٥٩(٧٤) . اما عن اصل عرب بوشهر فيقول نيبور :

« ان العرب النازلين فى منطقة بوشهر ليسوا من الهولة . وقد امتازت بينهم ثلاث أسر ، اثنتان منهما كانتا تنزلان ببوشهر منذ أمد بعيد جدا . أما الثالثة ، والمسماة بالمطاريش فقد جاءت مؤخرا من عمان ، حيث كانت تعمل فى صيد السمك . وسرعان ما تضافرت الاسر الثلاث واستطاعت أن تستولى على زمام الامور فى بوشهر ، وهو الامر الحاصل حاليا ، وهو لا شك قد تم قبل عام ١٧٦٥ بكثير »(٧٥) .

ولم يكن الشيخ نصر يحكم تلك المدينة وجزر البحرين فحسب بل : انه كان يمتلك ممتلكات واسعة فى « خرم شهر » التى كان يحكمها باسم كريم خان ، الذى لم يكن ليطمئن الى الشيخ نصر سوى بعد أن ترك أولاده رهينة لديه . ولقد كان من دواعى الغبطة بالنسبة لشيراز ، ان يكون الشيخ نصر حليفهم فى مقابل تلك الممتلكـــات فى « خرم شهر »(٧٦) .

ولقد كان للشيخ نصر أسطول تمكن بواسطته من المحافظة على بقاء البحرين خاضعة لنفوذه(٧٧) ، حتى كان احتلال العتوب لها عام ١٧٨٢ .

بندر ريـــق

والى الشمال من بوشهر قامت مشيخة بندر ريق ، حيث كان شيخها يتمتع بنفوذ يمتد الى أبعد من حدود مدينة بندر ريق والمدن المجاورة

---

(٧٤) انظر Low, History of the Indian Navy, I, 152-3

(٧٥) Niebuhr, Description, 273

(٧٦) Niebuhr, Description, 274

(٧٧) المرجع السابق .

لها ، اذ كان يصل حتى اماكن أخرى فى « خرم شهر » • ولقد عاون شيخ بندر ريق ، عام ١٧٥٣ ، شيخ بوشهر فى احتلال البحرين ، وربما كان السبب فى ذلك ، أنهما ينتميان الى قبائل عمانية ، فأولهما من بني صعب وثانيهما من المطاريش • أما حاكم بندر ريق ، فى العقد السابع من القرن الثامن عشر ، فقد كان مير مهنا ، نجل مير ناصر • أما من حيث المذهب الديني ، فكان عرب بني صعب من أهل السنة ، وقد كان هذا مذهب جد مير مهنا ، الذى وضع حجر الاساس فى نفوذ اسرته ببندر ريق • غير أن مير مهنا ، نظرا لعلاقاته مع شاه ايران ، رأى انه من الخير له ان يتحول الى مذهب الشيعة ، وأن يتزوج من ايرانية شيعية • وكانت النتيجة الحتمية لهذا أن اصبح العرب ينظرون الى أسرة مير مهنا على انها فقدت عراقتها(٧٨) • ولقد لعب ناصر وولده مير مهنا ، دورا بارزا فى احداث الخليج العربى ، فى الفترة ما بين ١٧٥٣ ، عندما سمح مير ناصر للهولنديين باقامة وكالة تجارية لهم فى جزيرة خارج ، وعام ١٧٦٩ ، عندما فر مير مهنا من بندر ريق لاجئا الى الكويت ، بعد أن اشتد الحصار على جزيرة خارج • وفى خلال هذه المدة ، كان على شيخ بندر ريق ، أن يحارب ضد الهولنديين ، والفرس ، والانجليز على التوالى • فبعد أن أقام الهولنديون بخارج مدة قصيرة ، وقع الخلاف بين رئيسهم البارون كنبهاوزن Kniphausen ، ومير ناصر ، بعد أن رفض الاول أن يدفع للثانى أكثر مما نصت عليه اتفاقية تأجير الجزيرة كوكالة هولندية(٧٩) •

ولقد استمرت تلك العداوة قائمة بين الهولنديين وشيخ بندر ريق حينما تولى مير مهنا مشيخة بندر ريق ، بعد أن قتل والده عام

---

(٧٨) Niebuhr, Description, 274

(٧٩) Ives, op. cit., 213

١٧٥٨ (٨٠) ولقد كانت علاقة مير مهنا مع الفرس لا تقل سوءا عنها مع الهولنديين • غير أنه احتفظ بعلاقات ودية مع باشا بغداد العثماني ومع متسلم البصرة(٨١) • اما علاقة مير مهنا بشركة الهند الشرقية الانجليزية فسنعرض لها فيما بعد •

بنو كعب

والقوة الثالثة التى كان لها شأن كبير فيما يتعلق بتجارة وسياسة الخليج ، هم بنو كعب • ان أهمية بني كعب ، بالنسبة لدارس تاريخ الكويت فى هذه الآونة ، تفوق أهمية بني صعب والمطاريش ، وذلك بما كان لهم من علاقات مع العتوب وبني خالد •

اصلهم

سبقت الاشارة الى أن بني كعب يرجعون فى أصلهم الى نجد ، ومنها توجهوا فى القرن السابع عشر ، على حد قول نيبور ، الى أقصى بقعة تقع فى شمال الخليج العربى ، حيث كانت تلك البقعة تخضع لحكم الاتراك الافشار وقد بلغت قوتهم شأوا عظيما فى منتصف القرن الثامن عشر ، وكان شيخهم آنذاك سليمان ، الذى بلغت شهرته أوروبا ، نتيجة لصراعه مع الانجليز وأسره لبعض سفنهم(٨٢) • وقد بقى الشيخ

---

(٨٠) Niebuhr, Description, 274 استولى مير مهنا فى النهاية على جزيرة خارج فى ديسمبر من عام ١٧٦٥ ، والقى بالهولنديين خارجها • انظر رسالة من المستر رنش Wrench ، الوكيل الانجليزي بالبصرة ، الى مجلس المديرين بلندن ، والرسالة صادرة من البصرة بتاريخ ٢١ اغسطس ١٧٦٤ ، وفيها يتنبأ المستر رنش بقرب تسليم الهولنديين لمير مهنا (الرسالة رقم ٨١٩ فى المجلد ١٦) •

(٨١) غير ان هذه العلاقات الودية لم تمنع الباشا من ان يأمر المتسلم بقطع رأس مير مهنا عندما وصل البصرة قادما من الكويت عام ١٧٧٠ •

قارن Parsons, 198

(٨٢) انظر Niebuhr, Description, 276

وكذلك Niebuhr, Voyage, II, 151, 186

سليمان يحكم فى بني كعب حتى عام ١٧٦٦ ، وتمكن أثناء حكمه من الاستيلاء على مينائى الدروق والفلاحية من الافشار • ولما كانت الرقعة التى كان ينزل فيها بنو كعب تقع فى منطقة كان يتنازعها العثمانيون والفرس ، فقد كان على الحكام مـن بني كعب ، أن يراوغوا الطرفين للاحتفاظ باستقلالهم ، وهذا ما فعله الشيخ سليمان ، الذى نجح فى الحفاظ على اسـتقلال بنى كعب ، دون أن يدفـع جزية لأى مـن الدولتين(٨٣) •

كريم خان والهجوم على بني كعب

غير أن ذلك لم يق بني كعب شر هجوم الفرس عليهم • ففى سنة ١٧٥٧ هاجمهم كريم خان زند بقصد اخضاعهم ، وكان نفوذه لما يتركز تماما فى فارس • غير أن صعوبات أخرى قد واجهته فى بقاع مختلفة من مملكته ، حالت دون نجاح حملته على بني كعب ، وكل ما حصل عليه من نتائج كان فرض اتاوة عليهم ، غير أن نتيجة فشل كريم خان ، جعلت الشيخ سليمان أكثر تحرشا من ذى قبل ، وقد بدأ فى الحال فى تكوين اسطوله الحربى ، ودشن اول سفينة منه عام ١٧٥٨(٨٤) ، ولما يأت عام ١٧٦٥ حتى أصبح فى حوزته عشر « جلبوتات » Gallivats كبيرة ، ونحو سبعين مركبا صغيرا(٨٥) • وفى نفس هذا العام سير كريم خان حملة أخرى على الشيخ سليمان ، وكان ينتظر أن يشترك معه والي بغداد العثماني فى هذا الهجوم ، غير أن الاخير شغل بأمور أخرى، فوجد الشيخ سليمان منفذا للهرب من حصار كريم خان واجتاز شط العرب ، ونزل فى الاراضى العثمانية ، حيث وجد مأوى بعيدا عن كريم خان وأما

---

(٨٣) Niebuhr, Voyage, II, 187-188

(٨٤) انظر Niebuhr, Description, 276

(٨٥) المصدر السابق . وجلبوت تجمع محليا على « جوالبيت » •

كريم خان فقد دمر الدروق ، عاصمة بنى كعب[٨٦] • ويذكر نيبور ، الذى زار البصرة فى سنة ١٧٦٥ ، أن اراضى بني كعب كانت تمتد من صحراء جزيرة العرب الى اراضى هنديان[٨٧] وشمالا الى امارة حويزة ، « وهى مدينة أخرى سكانها من العرب » • ومنطقة بني كعب هذه تتخللها عدة أنهار صغيرة وكبيرة ، وهي خصبة تنتج البلح بكميات كبيرة ، وكذلك الارز والحنطة ، كما أنها غنية بمراعيها • أما اهم مدنها فهى الدورق وحفر وغوبان[٨٨] وقد اتخذ الشيخ سليمان حاكم بنى كعب من المدينة الاخيرة مقاما له[٨٩] •

العثمانيون والانجليز يحاربون بني كعب

لم يمض وقت طويل على فشل حملة كريم خان على بنى كعب ، حتى صار هؤلاء مصدر ازعاج كبير للعثمانيين الذين بدأوا بدورهم يشنون عليهم الحملات • وقد وقف الانجليز الى جانب العثمانيين فى هذا الصراع بعد أن تحالفوا مع هؤلاء • وعلى الرغم من أن العثمانيين والانجليز قد عملوا جنبا الى جنب فى تلك العمليات الحربية الموجهة ضد بنى كعب ، الا انهم فشلوا فى احراز النجاح المطلوب ، ففى عام ١٧٦٥ ، وجد الانجليز انفسهم مشتركين فى معركتين ، اولاهما المعركة التى خاضوها ضد مير مهنا ، صاحب جزيرة خارج ، وكانوا قد انضموا الى جانب كريم خان فى حصاره لتلك الجزيرة ، غير أن معركتهم مع ميرمهنا لم تكن حاسمة ، أما المعركة الثانية فكانت ضد بنى كعب ، وكان هؤلاء

---

(٨٦) Niebuhr, Voyage, II, 188; Description, 276

(٨٧) هي مقاطعة صغيرة تقع فى الشمال من بندر ريق على اطراف ممتلكات بني كعب وكانت تخضع لحكم شيخ عربي . انظر
Niebuhr, Description, 277

(٨٨) Niebuhr, Description, 277

(٨٩) المرجع السابق .

قد اغتنموا فرصة فشل الحملة الموجهة ضد جزيرة خارج ، فاستولوا على ثلاث سفن انجليزيةفيشط العرب • وعندها جهزت حكومة بومباي على جناح السرعة ، اكبر حملة بحرية توجهها الى الخليج العربي من الهند ، وكانت تتألف من اربع سفن ، وفصيلة من المشاة الاوروبيين والمدفعية • نظم الانجليز والعثمانيون حربهم ضد بنى كعب فى البحر والبر ، محاولين اعادة الاستيلاء على المراكب الانجليزية ، التى وقعت فى حوزة بنى كعب ، غير ان بنى كعب سرعان ما احرقوا تلك المراكب ، فحاول الانجليزان يدمروا ويحرقوا بعض مراكز بنىكعب فى خورموسى ولكنهم ردوا على اعقابهم بعد ان تكبدوا خسائر جسيمة(٩٠) •

وهنا تدخل كريم خان ، زاعما بأن بنى كعب هم من رعاياه ، وأصر على ان ينسحب العثمانيون والانجليز من ارض بنى كعب ، التى هى فى رأيه أراض فارسية • وعلى هذا ، فقد انسحب العثمانيون ، وانتهت الحملة الى نتيجة غير حاسمة ، ومما زاد فى غيظ الانجليز ان امدادات قوية كانت حينذاك فى طريقها اليهم من بومباى(٩١) •

غير ان الانجليز ، بسبب الفشل المتكرر الذى صاحب حملاتهم على بنىكعب ، قد اصروا على ان يفرضوا حصارا بحريا على بنى كعب لمدة سنتين • وكانت نتيجة ذلك الحصار ان المحاصرين قد بلغوا فى نهاية العامين حالة يرثى لها ، من حيث النقص فى المؤن والرجال ، فاضطروا الى رفع الحصار عن بنى كعب • وهكذا فقد بقى بنو كعب لمدة طويلة شوكة فى جانب التجارة العثمانية والفارسية والانجليزية على حد سواء ولقد كانت صيحات الوكالة التجارية الانجليزية بالبصرة ، التابعة لشركة

---

(٩٠) Niebuhr, Voyage, II, 187 وانظر كذلك الرسائل ٨٩٣ ، ٩١٨ ، ٩٢٠ من المجلد (١٦) من سجلات الوكالات . وانظر كذلك عدة مكاتبات أخرى فى نفس المرجع أرسلت ما بين ١٧٦٥ ،١٧٦٦ •

(٩١) Niebuhr, Voyage, II, 188

الهند الشرقية الانجليزية،كانت عالية بحيث بلغت مجلس المديرين فى لندن الذين اشتد ضغطهم على الحكومة الانجليزية ، مقترحين عليها أن ترسل اسطولا قويا الى الهند والخليج العربى « ليحمى مصالح شركة الهند الشرقية الانجليزية ، ومصلحة الشعب البريطانى »(٩٢) .

علاقة العتوب بالقوى الاخرى
فى الخليج العربي حتى ١٧٧٥

(أ) الوهابيون :

وهكذا كان على العتوب فى الكويت والزبارة ، ان يقيموا علاقاتهم على هذه الصورة او تلك ، مع القوى المشار اليها آنفا ، ففى الجزيرة العربية ، بقى ميزان القوى بين بنى خالد والوهابيين غير مختل ، على الرغم من أن الوهابيين قد حققوا هدفهم الاساسى الرامى الى بسط نفوذهم على نجد ، بعد أن فتحوا الرياض ، عاصمة دهام بن دواس فى سنة ١١٨٧هـ/١٧٧٣م ، مما مكن الوهابيين أن يتوجهوا نحو شرقى الجزيرة(٩٣) . كان بنو خالد لا يزالون متحدين ولديهم القوة لمواجهة اى هجوم وهابى على ديارهم . غير انه بعد موت رئيسهم عريعر سنة ١٧٧٤ ، نشبت الحرب بين ولديه بطين وسعدون اللذين اختلفا على رئاسة القبيلة ، وانتهت تلك الحرب بمقتل بطين سنة ١٧٧٧(٩٤) .

---

(٩٢) وقع هذا الخطاب الموجه الى الحكومة البريطانية المستر بولتن Boulton **والمستر كولبروك** Colebrooke **عن رئاسة شركة الهند بلندن ، وقدم الى اللورد فيكونت ويموث** Lord Viscount Weymouth **بتاريخ ١٧ مارس ١٧٦٩ . انظر الرسالة ٩ فى المجلد (١٦) فى سجلات الوكالات .**

(٩٣) انظر ابن غنام : ٩٤ — ١٠٠ . فى هذه الصفحات يبدو الاثر الكبير الذى احدثه فتح الرياض فى الوهابيين عامة وابن غنام خاصة حتى انه خلده بقصيدة طويلة . وانظر كذلك ابن بشر ، ١ : ٦٠ — ٦١ .

(٩٤) ابن بشر ، ١ : ٦٢ .

لقد بقي بنو خالد حتى هذا الوقت على جانب كبير من القوة بحيث كان بمقدورهم أن ينقلوا المعركة دائما الى نجد ، وعلى هذا بقيت الكويت والزبارة ، اى ممتلكات العتوب تنعمان بالسلام والطمأنينـــة ، غير خاشيتين خطر التدخل الوهابى فى شئونهما ، مما جعل تجارتهما تستمر فى ازدهارها .

(ب) عرب جنوب فارس :

على ان الخطر الاكبر على المدن العتبية الناشئة ، انما كان مصدره بحريا . فمير مهنا كان قد استولى على جزيرة خارج من الهولنديين عام ١٧٦٥ ، واستمر يقوم بالقرصنة البحرية فى الخليج ، ناهبا السفن المختلفة دون تمييز(٩٥) . وكذلك كان هناك الخطر القادم من البحرين وكانت البحرين خاضعة لحكم آل مذكور ، شيوخ بوشهر . ولقد كانت البحرين من اغنى بقاع الخليج ثراء فى اللآلىء وتجارتها ، ولا شك أن سكان البحرين وحكامها ، بدأوا يشعرون بخطر المنافس التجـــارى الجديد ، اى العتوب ، الذين بدأوا يحتكرون ، مع عرب مسقط ، تجارة الخليج ، لا سيما ما كان منها متجها نحو شرقى الجـــزيرة العربيـــة ووسطها . وكذلك كان لابد لمدينتى الزبارة والكويت العتبيتين أن تواجها تهديدا خطيرا من عرب بنى كعب ، على ماسنراه بعد حين .

(ج) مير مهنا فى الكويت ، ١٧٦٩ :

كان العتوب قد أقاموا علاقات حسنة مع جزيرة خارج منذ أن احتلها الهولنديون عام ١٧٥٣(٩٦) . ولا بد ان هذه العلاقات الطيبة قد استمرت قائمة بعد أن استولى مير مهنا على جزيرة خارج وطرد

---

(٩٥) انظر الخطاب الموجه من بنجامين جرفيز (وكالة بوشهر التجارية الانجليزيـــة) الى تشارلز كروملن Charles Crommelin ورئيس الشركـــة فى بومباى ، والمؤرخ ٥ يناير ١٧٦٥ فى الرسالة ٩٠١ مجلد (١٦) من سجلات الوكالات .

(٩٦) انظر ما سبق صفحات ١٠٩ ــ ١١٣

الهولنديون منها ، ولعل هذا يفسر لنا لم لجأ مير مهنا الى الكويت بعد ان اشتد عليه حصار كريم خان • ويصف لنا هذه الحادثة الرحالة الانجليزى المعاصر بارسونز فيقول :

جمع مير مهنا بعض المقربين لديه ، ومعهم عدد من الرجال كافين للابحار بسفينة سريعة، وتم ذلك فى ظلام الليل (ولم ينس مير مهنا أن يحمل معه بعض كنوزه) وفى الليلة التالية وصلوا القرين (الكويت) فى بلاد العرب ، ومنها توجهوا الى البصرة ، حيث ظن أنه سيكون هناك بمأمن من كل خطر ، لاسيما وهو قد كان محافظا على المعاهدة القائمة بينه وبين والي بغداد ، الخاصة بعدم تعرضه لاية سفينة متجهة الى البصره او عائدة منها • وقد أحسن المتسلم استقباله وأكرم وفادته باعتبار أنه صديق لسيده باشا بغداد(٩٧) •

ونحن نميل الى الاعتقاد بأن العلاقات القائمة بين متسلم البصرة وشيخ الكويت آنذاك كانت ودية للغاية ، ولقد كان من سياسة رؤساء العتوب ان يقيموا علاقات ودية مع مختلف القوى التى تجاورهم ، غير ان هذه الصداقة يجب ان لا تعنى بحال الخضوع لحكم اجنبى • أما السبب الذى اقام هذه العلاقات الودية بين الكويت والبصرة ، فهو الزيادة المطردة فى قوة بنى كعب من ناحية ، ثم قوة عرب بوشهر من ناحية اخرى •

(د) بنو كعب :

سبق ان بينا خطر بنى كعب المتزايد ، وكيف انهم كانوا يشكلون

---

(٩٧) Parsons, op. oit., 196-198 . يمضي بارسونز فى اتمام قصة مير مهنا ورفاقه ، فيقول بأن متسلم البصرة قد ارسل بخبر مير مهنا الى باشا بغداد وأفاده بأن ميرمهنا يطلب منه الحماية ، ويرجو أن يسمح له بالمثول بين يديه فى بغداد ولثم اليدين • ولما كان الباشا على علم سابق بجرائم ميرمهنا غير الطبيعية ، رأى أنه لا يستحق الحياة ، فأرسل الى متسلم البصرة يأمره بقتله حال وصول رسالته اليه ... وبالفعل قام المتسلم بقتل ميرمهنا ، وعفا عن رفاقه •

خطرا على نفوذ متسلم البصرة ، وعلى تجارة شركة الهند الشرقية الانجليزية فيها ، وكيف أن كريم خان ، القائم بالحكم فى فارس ، قد تدخل لحمايتهم عندما بدا ان المتسلم والشركة فى طريق اخضاعهم محتجا بأنهم من اتباعه • وكذلك كان الحال مع الشيخ نصر آل مذكور ، شيخ بوشهر ، اذ كان يتمتع بحماية كريم خان(٩٨) ، الذى عينه قائدا للاسطول الفارسى فى الخليج العربى(٩٩) • وكيما يستطيع العتوب درء خطر بنى كعب وشيخ بوشهر ، عملوا على كسب صداقة رجال شركة الهند الانجليزية ومتسلم البصرة العثمانى • ولما كانت قوة العتوب البحرية لم تكتمل بعد ، فانهم كذلك قد ابقوا على علاقات الود مع عرب بنى خالد ، حكام شرقى الجزيرة العربية • غير أن قوة بنى خالد لم تحل دون هجوم بنى كعب على ميناء القطيف ، وكان ميناء هاما من موانىء بنى خالد ، وتدميره ونهبه(١٠٠) • « وقد عادت سفن بنى كعب الى الدورق(١٠١) حاملة غنائم القطيف التى يقال انها كانت وفيرة » (١٠٢) لقد قام بنو كعب بمفردهم بهذا الهجوم ، على الرغم من انهم كانوا يعملون فى تحالف مع شيخ بوشهر منذ عام ١٧٧٠ ، وقد عملوا جميعا كأداة فى يد كريم خان ، يحركها حيث وأنى اراد ضد العثمانيين وغيرهم من القوى المتنافسة فى منطقة الخليج العربى ، ولعل اوضح مثل على ذلك هو حصار البصرة سنة ١٧٧٥ •

---

(٩٨) Parsons, op. cit., p. 189

(٩٩) لما لم يكن للفرس اسطول بحرى فانهم اعتمدوا فى هذا المضمار اعتمادا كليا على اساطيل بني كعب وشيخ بوشهر ـ وكان ذلك طوال مدة حكم كريم خان ـ قارن Malcolm, vol. II., p. 141

(١٠٠) انظر خطابا موجها من رجال الوكالة الانجليزية بالبصرة مور Moore ولاتوش Latouche وابراهام Abraheam الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ١٣ مايو ١٧٧٤ فى الرسالة ١٠٧٤ مجلد (١٧) فى سجلات الوكالات •

(١٠١) ميناء بني كعب على الحدود العراقية الفارسية •

(١٠٢) خطاب آخر من وكالة البصرة الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٨ يوليو ١٧٧٤ فى الرسالة ١٠٧٥ مجلد (١٧) فى سجلات الوكالات •

طاعون البصرة عام ١٧٧٣

ان ذلك الهجوم على القطيف قد تم فى وقت كانت فيه تلك المدينة فى دور النقاهة من وباء الطاعون الذى حل بها عام ١٧٧٣ منتقلا اليها من البصرة • هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى ، فان الهجوم تم فى اعقاب وفاة عريعر ، أمير بنى خالد وكان عريعر قوى الشكيمة يخشاه الاعداء • ولما كان ذلك الوباء قد أثر فى الاحداث الجارية فى منطقة الخليج العربى تأثيرا غير قليل ، فلا نرى بأسا فى الحديث عنه بايجاز •

بدأ الطاعون يتفشى فى البصرة اولا فى مطلع عام ١٧٧٣ بعد ان انتقلت الاصابات به من بغداد • ولقد كان طاعون بغداد شديد الوطأة على حياة المدينة التجارية ، بحيث اثر فيها تأثيرا بالغا(١٠٣) • ولقد شل الوباء الحركة فى البصرة فى شهرى ابريل ومايو من نفس العام(١٠٤) • ونتيجة لذلك فقد هرب من البصرة من استطاع ، ومن بينهم رجال وكالة شركة الهند الشرقية الانجليزية ، الذين غادروا البصرة الى بومباى تاركين فى الوكالة الطبيب رايلى Reilly • وقد سبب هرب الكثيرين من البصرة انتشار الوباء فى الكويت والقطيف والبحرين ، وكثير من المدن الساحلية فى شرقى جزيرة العرب • وعلى الرغم من أن الوفيات فى المنطقة الاخيرة كانت اقل من البصرة الا ان عدد الضحايا بلغ نحو مليونين(١٠٥) • ولعله من الجدير بالملاحظة ان خسائر بنى كعب والشاطىء الشرقى من الخليج ، كانت ضئيلة للغاية ، والسبب فى ذلك

---

(١٠٣) انظر رسالة من المستر مور والمستر لاتوش والمستر ابراهام بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ أول ابريل ١٧٧٣ رقمها ١٠٥٦ مجلد (١٧) فى سجلات الوكالات .

(١٠٤) انظر خطابا من Mr. Michael Reilly (طبيب الوكالة الانجليزية بالبصرة الى المستر Charles T. Coggan احد موظفي شركة الهند الشرقية بلندن والخطاب صادر من البصرة بتاريخ ١٧ اغسطس ١٧٧٣ ورقمه ١٠٦٠ مجلد (١٧) .

(١٠٥) انظر رسالة من المستر مور ورفاقه بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ١٦ يناير ١٧٧٤ رقمها ١٠٦١ مجلد (١٧) .

أنهم قد اتخذوا الاحتياطات الكافية لمنع انتقال اى شخص من المناطق الموبوءة الى بلادهم(١٠٦) • اما وفيات البصرة ، والقرى المجاورة لها ، فقدرت بمائتى الف نفس(١٠٧) • وقد كتب المستر مور ورفاقه بعد عودتهم الى البصرة فى تقريرهم الذى ذكروا فيه هذه الوفيات ، كتبوا يقولون :

« لن يبدو فى تقريرنا هذا اى شيء من المبالغة ، اذا تذكرنا ان الوفيات اليومية فى شهر واحد بالبصرة وحدها ، كانت تتراوح بين الفين وسبعة آلاف واخيرا عندما زال المرض فى الخامس والعشرين من مايو اصبحت البصرة تكاد تكون خالية من السكان »(١٠٨) •

الآثار الناجمة عن الطاعون

ان النتيجة المباشرة لهذا الطاعون كانت تدمير تجارة البصرة تدميرا يكاد يكون كاملا ، وقد افادت من ذلك الموانىء الناشئة على شاطىء الخليج العربى والتى اخذت تنافس البصرة • غير ان نصيب الشاطىء الغربى كان اكبر من نصيب الشاطىء الشرقى ، فبوشهر على الساحل الشرقى ، كانت قد تضاءلت فى الاهمية التجارية قبل ذلك ، عندما اوقفت شركة الهند الشرقية الانجليزية نشاط وكالتها التجارية بها ونقلته الى البصرة ، ولكنها كانت تطمع فى عودة الانجليز اليها(١٠٩) •

---

(١٠٦) المصدر السابق •

(١٠٧) المصدر السابق •

(١٠٨) المصدر السابق • ذكر ابن غنام ، وكان معاصرا لذلك الوباء ، أن الموتى كانوا يعدون بمئات الآلاف وأن معظم سكان البصرة هلكوا بسببه •
انظر ابن غنام ٢ : ٩٩ – ١١٠

(١٠٩) فى سنة ١٧٦٣ أصدر كريم خان زند أمرا صار الانجليز بمقتضاه يتمتعون بميزات أكبر بكثير من الامم الاوروبية الاخرى فى موانىء بلاده وتجارتها عموما ، فقد جاء فى ذلك الامر « أن لا أمة أوروبية ، أو أشخاصا أوروبيين سوف يتمتعون بحق توريد أية بضائع صوفية الى ميناء على الشاطىء الفارسي سوى الشركة الانجليزية وحدها • واذا ما حاول أحد أن يفعل ذلك فأن بضاعتهم ستصادر • » انظر الرسالة ٧٨٢ المجلد (١٧) فى سجلات الوكالات •

وعلى الرغم من علاقات الود القائمة بين البصرة من ناحية ، والكويت والزبارة من ناحية أخرى ، فان المدينتين العتبيتين قد جذبتا اليهما جزءا كبيرا من تجارة البصرة . وكذلك استمرت العلاقات الطيبة بينهما وبين الوكالة الانجليزية بالبصرة فى نمو مطرد ، وأخذت الوكالة تستأجر سفنهما ، وسفنا عربية أخرى لنقل رسائلها الى مسقط ، تلك الرسائل التى كانت فى طريقها الى بومباى (١١٠) . غير ان انتقال مركز التجارة الانجليزية من بوشهر الى البصرة ، بعيد عام ١٧٧٠ لم يمر دون مقاومة فارسية شديدة ، فقد بدأ كريم خان يعد الخطط للاستيلاء على البصرة من العثمانيين . ولما ادرك متسلم البصرة اهداف كريم خان ، بدأ يعد العدة لتحصين مدينته واعدادها للقاء هجوم فارسى ، وكان يدرك تماما ان أى هجوم فارسى لن يفلح فى الاستيلاء على البصرة دون أن يعززه أسطول قوى ، ومن هنا أخذ يقوى اسطوله ليقابل الاسطول الفارسى ففى مطلع عام ١٧٧٤ ، وصل ميناء البصرة سفينتان حربيتان كل منهما مسلحة بأربعة عشر مدفعا ، وكان الباشا قد طلب من الشركة الانجليزية بناءهما لحسابه فى بومباى ، وقام بتسديد ثمنهما الى خزانة حكومتها (١١١) . اما كريم خان ، فقد جاءه العون البحرى من بنى كعب وعرب بوشهر . ولقد انهى كريم خان استعداده بحصار البصرة الشهير عام ١٧٧٥ ، ذلك الحصار الذى وجد العتوب انفسهم مشتركين فيه ، ذلك انه كان يصعب على قوى الخليج ان تقف موقفا محايدا فى اى صراع يقع فى المنطقة بين قوتين او اكثر منهما ، وهذا الصراع قد نشب بين الفرس والعثمانيين . أما عن الاوضاع فى الخليج عام ١٧٧٥ ، أى اثناء حصار البصرة فتلك امور سنتناولها بالبحث فى الفصل القادم .

---

(١١٠) انظر رسالة من السادة مور وجرين Green ولاتوش وابراهام بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٩ ديسمبر ١٧٧٤ برقم ١٠٨٥ المجلد (١٧) فى سجلات الوكالات .

(١١١) انظر رسالة من السادة السابقين الى مجلس المديرين بلندن مؤرخة فى البصرة ١٦ يناير ١٧٧٤ رقمها ١٠٦١ مجلد (١٧) من سجلات الوكالات .

ومجمل القول أن تأسيس مدينة الزبارة العتبية ، والنمو السريع الذى احرزته تجارة العتوب فى الكويت والزبارة ، قد أثار غيرة القوى البحرية الاخرى فى الخليج ، لا سيما ما كان منها قائما على الساحل الشرقى ونعنى بذلك عرب بندر ريق وبنى كعب وعرب بوشهر • اما اقرب هؤلاء الى أرض العتوب فى الزبارة فكانوا عرب بوشهر ، ذلك أن البحرين كانت تخضع لنفوذ هؤلاء • ولعل الصراع العثمانى الفارسى المتمثل فى حصار البصرة عام ١٧٧٥ ، وقد جعل العتوب يزيدون من ثرائهم بعد أن اصبحت موانيهم التجارية آمنة بحكم كونها خارجة عن نطاق ذلك الصراع • ثم ان حرية التجارة فى موانىء العتوب كانت عاملا آخر جذب اليها رأس المال التجارى فى الخليج • ولقد بدا أنه ليس من اليسير على بوشهر أن تسلم للزبارة والكويت بقصب السبق فى ميدان الثراء من تلك التجارة ، وعلى هذا تأزمت العلاقات العتبية مع بوشهر ، وكانت النتيجة حربا خرج منها العتوب منتصرين وضموا الى ممتلكاتهم جزيرة البحرين التى تم لهم فتحها عام ١٧٨٢ •

الفصل الخامس

أحوال عتوب الكويت والتزاماتهم تجاه عتوب الجنوب

١٧٧٥ - ١٧٩٠

الفصل الخامس

أحوال عتوب الكويت والتزاماتهم تجاه عتوب الجنوب

١٧٧٥ ـ ١٧٩٠

في الفترة التي نعالجها في هذا الفصل ، وقع حدثان هامان كان لهما أثر بعيد في احوال العتوب واوضاعهم • أما الحدث الاول فكان حصار الفرس للبصرة عام ١٧٧٥ ، واستيلاؤهم عليها بعد ذلك ، ودوام ذلك الاستيلاء حتى عام ١٧٧٩ • ولقد كان لهذا الحادث أثره البعيد في العتوب ، الذين لم يشاركوا فيه بشكل واضح ، الا ان نتائجه كانت ذات أثر كبير عليهم ، على ماسنبينه فيما بعد • أما الحادث الثاني الذي لا تزال آثاره قائمة حتى يومنا هذا ، فهو احتلال العتوب للبحرين والقضاء على نفوذ عرب بوشهر فيها ، وبالتالي على نفوذ الفرس هناك وسنحاول بقدر المستطاع ان نكشف عن بناء العتوب لقوتهم البحرية التي سهلت لهم امر ذلك الاستيلاء (١) •

لكي ندرك أثر حصار البصرة والاستيلاء عليها في تاريخ العتوب خاصة ، وفي تاريخ شرقي الجزيرة العربية عامة ، لابد لنا من تناول ذلك

---

(١) ان هذه الدراسة تقوم في أصلها ونتائجها على سجلات شركة الهند الشرقية الانجليزية المحفوظة في مكتبة وزارة شئون الهند (سابقا) بلندن ، وكذلك على تقارير أخرى دونها رجال تلك الشركة ، بعد ان كلفوا بزيارة منطقة الخليج العربي ، في فترات متباينة في مطلع القرن التاسع عشر . وقد نشرت هذه في المجلد الرابع والعشرين من مختارات حكومة بومباي عام ١٨٥٦ . وحتى هذا المجلد نادر الوجود الآن •

الحدث الهام بايجاز ، فهو حدث قد اشتركت فيه القوى العثمانية والفارسية ، وكذلك القوى العربية فى الخليج بأسره وكذلك لم يستطع الانجليز ان يقفوا فيه موقفا محايدا ، على ما جرت به عادتهم فى احداث الخليج حتى ذلك الحين ، وانما انحازوا الى جانب العثمانيين (٢) •

حصار البصرة ، ١٦ مارس ١٧٧٥ ــ ١٥ ابريل ١٧٧٦

لم تكد البصرة تستيقظ من بلاء الطاعون الذى حل بها عام ١٧٧٣ وفتك بمعظم سكانها ، حتى بدأت الشائعات تروج بأن هجوما فارسيا فى طريقه اليها • وفى بداية ١٧٧٥ بدا ان الخطر يقترب فبدأت المؤتمرات والندوات تعقد فى المدينة التى كانت تعيش فى حمى جديدة ، فاجتمع سليمان أغا متسلمها مع قبودان باشا وأعيان البصرة والوكيل الانجليزى لكى يتدبروا أمر الهجوم الفارسى المبيت •

« ففي اليوم الخامس عشر من يناير عام ١٧٧٥ ــ كما يقول بارسونز (٣) ــ وصلت الانباء من بوشهر ، فى فارس ، بأن الجيش الفارسي قد غادر شيراز (عاصمة فارس الحالية) ويبلغ فى تعداده نحو خمسين ألف رجل ويقوده صادق خان (شقيق كريم خان ، حاكم فارس الحالي) ، وأنه يتقدم صوب البصرة وقد عقد العزم على الاستيلاء عليها • وقد أثار هذا النبأ فزع الاهلين بالمدينة (٤) » •

---

(٢) انظر تفصيلالهذا الحادث فى Parsons, 166-186

وكذلك فى Low, I, 166-172

علقت المراجع العربية بايجاز على هذا الحدث ، وبينت أسبابه ونتائجه ، غير انها لم تدرج ذلك تفصيلا ، ربما كان السبب فى ذلك ان المؤرخين العرب لم يكن لهم وجود فى البصرة بعد أن دهمها طاعون ١٧٧٣ . أما مؤرخو الحركة الوهابية المعاصرون ، فيبدو أن ذلك الموضوع لم يكن يهمهم كثيرا ، وعلى هذا لم يزد ابن غنام وابن بشر على ان افردا له سطرا واحدا فى مؤلفيهما تحت حوادث عام ١١٨٨ للهجرة .

(٣) كان بارسونز شاهد عيان للحصار وقد شارك بالفعل فى درء الهجوم الفارسى مع رجال وكالة شركة الهند الانجليزية بالبصرة .

(٤) انظر Parsons, 162

أسباب هجوم الفرس على البصرة

أما أسباب الهجوم الفارسى ، فليس هنا محل تقصيها ، غير أنه لا بد من الاشارة الى ان من اهم اسبابه انما كان ذلك النجاح التجارى الذى أحرزته البصرة ، بعد انتقال نشاط شركة الهند الشرقية الانجليزية اليها ، فى العقد السابع من القرن الثامن عشر ، وبالتالى كان انهيار تجارة بوشهر محتوما ، وكان هذا من أهم أسباب « توتر العلاقات بين الباشا والحاكم » (٥) •

وخلاصة القول فى هذا الصراع أن كريم خان ، بعد أن واجه صعوبات داخلية فى بلاده ، وبعد أن نقم على البصرة ذلك التقدم التجارى ، رأى أن يقوم بحملة ضدها ، محتجا بأن والى بغداد قد فرض بعض الضرائب على حجاج كربلاء الفارسيين ، ولذا طالب برأسه (٦) •

وصول الفرس البصرة (١٦ مارس ١٧٧٥)

فى السادس عشر من شهر مارس عام ١٧٧٥ وصل الجيش الفارسى بقيادة صادق خان ، شقيق كريم خان « الى خور حويزة حيث تقع مدينة سويب » (٧) • ولقد استمر الحصار مدى ثلاثة عشر شهرا ، سلمت بعدها المدينة لصادق خان فى منتصف ابريل سنة ١٧٦٧ •

---

(٥) أى باشا بغداد وحاكم فارس • انظر Longrigg, 188

(٦) انظر Sykes, II, 281

(٧) انظر Parsons, 164 وكذلك Longrigg, 190
يقول لونجرج Longrigg ان الجيش الفارسي وصل شط العرب بالقرب من مصب نهر سويب • ويبدو ان نهر سويب كان يسمي آنذاك نهر حويزة كما سماه بارسونز وكما تظهر كذلك خريطة نيبور التي رسمت عام ١٧٦٥ ، وسويب كان اسما لمدينة • انظر Voyage en Arabie, II حيث تجد خريطة مواجهة للصفحة ١٩٩ وانظر كذلك صفحة ٢٠٢ لحويزة وسويب •

حلفاء طرفي النزاع

وفى هـذا الصراع وجد طرفا النزاع الخلفاء مـن نزلاء منطقة الخليج ، فالى جانب الفرس ، انحاز العرب النازلون بشاطىء الخليج الشرقى • ويبدو أن عرب بوشهر ، بزعامة الشيخ نصر قد أمدوا جيش الفرس بما يحتاجه من مؤمن وذخائر (٨) ، ولولا ذلك لما كانت لديه القدرة على الحصار (٩) • ثم ان شيخ بندر ريق ، قد مد يد العون للجيش المحاصر ، وهذا يدل على أن علاقاته آنذاك كانت طيبة مـع الفرس (١٠) •

وكذلك انحاز الى صف الفرس بنو كعب ، ولا شك أن سفنهم كان بمقدورها أن تلعب دورا هاما فى ذلك الحصار سواء انضمت الى الفرس او الى العثمانيين • ويبدو أن كريم خان كان قد عقد اتفاقا مع بنى كعب لكى يقفوا بجانبه فى ذلك الحصار ، ذلك أن صادق خان قد عبر الى البصرة من أراضى بنى كعب ، وقد عسكر كذلك فى سويب ، وهى من ممتلكاتهم • وخلاصة القول أن العـرب النازلين بالساحل الشرقى من الخليج قد وضعوا كل قواتهم فى خدمة الفرس فى هـذه المعركة (١١) •

---

(٨) كان الشيخ نصر هو القائد البحرى الاعلى لقوات الاسطول الفارسي فى الخليج . انظر Parsons, 189-200

(٩) المرجع السابق : ١٦٩

(١٠) بعد أن اضطر الوكيل الانجليزي ورفاقه الى الانسحاب من البصرة حين تفوق الفرس فى القتال ، مروا ، وكان بصحبتهم بارسونز بميناء بوشهر ، وهناك قابلوا حاكمها الشيخ نصر وكان فى زيارته الشيخ علي ، شيخ بندر ريق . المصدر السابق : ١٩٩ .

(١١) ذكر بارسونز (ص ١٨٨) انه عندما وصل الى بوشهر ــ رأى أن كل السفن الحربية الخاصة بشيخ بوشهر ، كانت غائبة تشترك فى حصار البصرة ، وكذلك بعض سفنه التجارية الكبيرة .

أما فى الجانب العثمانى ، او بلغة أدق بجانب سليمان أغا ، متسلم البصرة ، فقد وقف شيخا عرب المنتفق وهما ثامر وعبد الله ، يردان المهاجمين • وقد ظهر منذ البداية أن تعاون المنتفق مع سليمان أغا أمر ضرورى للغاية لدرء أو وقف خطر الحصار الفارسى • وقد عمل المنتفق جنبا الى جنب أثناء الحصار مع بنى خالد ، فى تمكين قوافل المؤن من الوصول الى المدينة المحاصرة (١٢) • وكذلك هب لنجدة المدينـة المحاصرة فى شهر أغسطس ١٧٧٥ أسطول مسقط ، وكان ذلك بناء على طلب من المتسلم (١٣) • بلغ ذلك الاسطول البصرة ، بعد أن شق طريقه عبر شط العرب يوم ١٤ اكتوبر ١٧٧٥ ، وورد فى التقارير بأنه كان عونا كبيرا للمدينة المحصورة (١٤) • وبالاضافة الى هؤلاء الحلفاء من العرب استطاع سليمان أغا أن يكسب الى جانبه (١٥) وكيل شركة الهنـد الشرقية الانجليزية بالبصرة • وقد عملت الوكالة جاهدة فى سبيل رد الهجوم الفارسى •

« وقد تصادف عند هجوم الفرس على البصرة ، أن كان يرابط فى شط العرب قطع من السفن الحربية التابعة لحكومة بومباى الانجليزية غير بعيد عن ميناء البصرة ذاته ، وكانت هـذه القطع تشمل السفينة الحربية « الانتقـام » Revenge المسلحة بثمانية وعشرين مدفعا ،

---

(١٢) انظر Longrigg, 192

(١٣) انظر Parsons, 206-207 .وصل بارسونز مسقط فى الثالث من اغسطس سنة ١٧٧٥ . وقد رأى بام عينه « جزءا كبيرا من اسطول السلطان يتزود بالمؤن لنجدة البصرة ، وكان يتوقع سفره خلال خمسة عشر يوما من ذلك التاريخ » .

(١٤) انظر الرسالة رقم ١١٠٩ من لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين بلندن مـن بوشهر بتاريخ ٢ ديسمبر ١٧٧٥ فى المجلد ١٧ فى سجل الوكالات . قدر المستر واردن Warden فى مختارات حكومة بومباى (٢٤) أن اسطول مسقط وصل البصرة فى أوائل اغسطس وهذا تقدير خاطىء . انظر مقالته على الصفحة ١٧٠ من تلك المختارات .

(١٥) المستر جرين Green انظر Parsons, 169

وكذلك « النسر » Eagle ، ستة عشر مدفعا ، والنجاح Success ١٤ مدفعا ، هــذا بالاضافة الى سفينتين حربيتين اخريين ، كل منهما مسلحة بأربعة عشر مدفعا ، وكانتا قد بنيتا فى بومباى لحساب باشا بغداد (١٦) ، وكان يقودهما انجليزيان يعملان فى خدمة شركة الهند الشرقية الانجليزية ، وعليهما بعض البحارة الانجليز وبحارة آخرون عثمانيون ، وكانتا ترفعان الاعلام الانجليزية (١٧) • وهكذا فان رجال الوكالة التجارية الانجليزية والسفن الحربية الانجليزية ، قد تعاونوا مخلصين مع المتسلم طوال الفترة ، التى عملوا فيها الى جانبه ضــد الفرس ، وحتى انسحابهم آخر الامر من ميدان المعركة (١٨) •

موقف بعض القوى الاخرى من المعركة

بقيت هناك قوتان من قوى الخليج ، لم نشر الى دورهما فى الصراع ، وهما القواسم ، أهل رأس الخيمة ، وعتوب الكويت ، وكان لا بد لهاتين القوتين من الانحياز الى أحد طرفى النزاع ، او محاولة اتخاذ وضع حيادى ، والاخير أمر لم يكن يسيرا بحال من الاحوال ، أما القواسم فلا نجد لهم ذكرا فيما يتعلق بحصار البصرة ، على الرغم من أن التقارير ذكرت أن قوتهم كانت فى ازدياد فى هذه الفترة • ولعل السبب فى عدم ظهور القواسم على مسرح هذه الحوادث ، يرجع الى أنهم كانوا مشغولين بحرب سلطان مســقط (١٩) • وحتى لو فرض

---

(١٦) Low, I, 166

(١٧) Parsons, 152

(١٨) ذكر بارسونز (ص ١٧٤) أنه لم يات يوم ٩ ابريل حتى بدأ الانجليز فى اخلاء مدينة البصرة ، وفى اليوم الثالث عشر من نفس الشهر انسحبت السفن الانجليزية ومعها بعض القطع البحرية التابعة لباشا بغداد ، ميممة شطر بوشهر فى طريقها الى مسقط فالهند (المصدر السابق : ١٨١) •

(١٩) شغل القواسم بحرب السلطان عام ١٧٧٥ ويبدو أنهم فى هذه الفترة ١٧٧٥ — ١٧٧٨ لم يعتدوا على سفن الغير ، بل كان نشاطهم تجاريا محضا بعيدا عن القرصنة • انظر لذلك تقريرا عن القواســـم فى مختارات حكومــة بومباى : ٣٠١ • كــذلك قارن Miles, II, 274 حيث يتحدث الكاتب عن قوتهم المطردة النمو •

جدلا ، وكان القواسم فى غير حالة حرب مـــع مسقط ، فان عداءهم التقليدى لسلطانها ، كان كفيلا بأن يمنعهم من أن ينحازوا الى جانب حلفائه العثمانيين فى هذه اللحظة • ولقد حدث بعيد هذا بقليل ، وعام ١٧٨٣ بالذات أن انحاز القواسم الى جانب الشيخ نصر ، شيخ بوشهر ، فى محاولته الفاشلة لاسترداد البحرين من العتوب ، والشيخ نصر ، كما سبق القول ، كان حليفا لكريم خان ، حاكم فارس ، فى حـــرب البصرة •

موقف الكويت

أما عن موقف عتوب الكويت من حصار البصرة ، فذلك أمـــر يصعب الجزم به ، فبارسونز يورد اسم الكويت مرتين عند ذكر حصار البصرة ، اولاهما عندما طلب الى سفينتين حربيتين تابعتين لباشا بغداد التوجه نحو مينائها بعد ظهر اليوم الثالث عشر من ابريل (٢٠) ، والثانية عندما شاهد ، وهو برفقة السفينة الحربية ، « النسر » ومركبين حربيين للباشا، وكان الركب فى طريقه الى بوشهر، عندما شاهدوا قاربين قادمين من بوشهر ، ومتوجهين الى الكويت (٢١) • ذلك أن جميع الاتراك والعرب ممن كانوا على ظهر سيفنتى الباشا والبالغ تعدادهم مائتين وثلاثين رجلا ، قد غادروهما الى الجلبوتين قاصدين الكويت (٢٣) • ويستدل من رسالة بعث بها وكلاء شركة الهند الشرقية الانجليزية بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن ، أن شيخ الكويت قد سلم ذينك المركبين

---

(٢٠) Parsons, 181,

(٢١) ان القوى البحرية العثمانية التي أوردها بارسونـــز كانت سفينتين حربيتين مسلحتين بأربعة عشر مدفعا لكل سفينة ثم جلبوتين • أما الاوليان فقد اكملتا الرحلة الى مسقط ، حيث سلمتا الى سلطانها فى ٣ اغسطس سنة ١٧٧٥ ، وكان السلطان يعد العدة لنجدة البصرة • (انظر المرجع السابق : ٢٠٦) •

(٢٢) المصدر السابق : ١٨١

(٢٣) المصدر السابق

العثمانيين الى شيخ بنى كعب ، بنــاء على طلب مــن الاخير [٢٤] • وتضيف نفس الرسالة ان الشيخ [٢٥] قد أرسل جماعة قوامها مائتا رجل ، لمساعدة صادق خان ، ولم يكن ذلك الارسال عن طيب خاطر •

وعلى الرغم من هذا الموقف الغامض الذى وقفه عتوب الكويت تجاه مشكلة البصرة ، فانه لا يصعب علينا أن نفسر العلاقات الودية تجاه المتسلم ، والتى كان يكنها له شيخ الكويت ، ثم كذلك المساعدة التى أرسلها الشيخ نفسه لتأخذ جانب صادق خان فى المعركة • فعتوب الكويت ، على ما يبدو ، أرادوا أن يخطبوا ود الجانبين المتصارعين فى بداية المرحلة ، عندما لم يكن بمقدورهم أن يتبيَّنوا من سيكون الظافر فى القتال • غير أنهم سرعان ما اتخذوا موقفا عدائيا من أنصار الفرس ، وذلك للعداوة التقليدية بينهم وبين بنى كعب ، ثم للعداوة المستجدة بينهم وبين شيخ بوشهر ، على ما سنراه مفصلا فيما بعد •

أثر حصار واحتلال البصرة على الكويت والزبارة (١٧٧٥ ــ ١٧٧٩)

إن الظروف التى احاطت بحصار البصرة واحتلالها من لدن فارس، قد كان لها أثر بعيد فى الاحوال الجارية بالكويت والزبارة • ففى المقام الاول ، قامت العلاقات المباشرة بين ممثلى شركة الهند الشرقية الانجليزية فى الخليج والكويت • ثم اصبحت الكويت كذلك محطــة رئيسية للقوافل الناقلة للبضائع من البصرة الى حلب طوال فترة الحصــار والاحتلال ، اى ما بين ١٧٧٥ و ١٧٧٩ • ونظرا لسوء العلاقات بين

---

(٢٤) انظر الرسالة رقم ١٠٨٩ فى المجلد ١٧ من سجل الشركات بتاريخ ١٥ يوليه ١٧٧٥ ، الموجهة الى مجلس المديرين بلندن من مور ولاتوش وابراهام من على السفينة Eagle Snow ببوشهر •

(٢٥) الشيخ عبد الله بن صباح ، شيخ الكويت •

الفرس والانجليز فى هذا الوقت ، فان البضائع المشحونة لحساب شركة الهند الشرقية من الهند الى حلب ، والتى كان من الممكن ان تنقل الى بوشهر فالبصرة ، أصبحت تفرغ فى الزبارة أو فى الكويت ومنها تحملها القوافل الى حلب متجنبة البصرة (٢٦) .

ولقد ادى ذلك الى تكدس ثروات طائلة فى المدن العتبية ، وهذا ادى بدوره الى اثارة غيرة القوى العربية فى الخليج ، لاسيما بنى كعب وعرب بوشهر ، وهى غيرة قديمة فى أصولها ، لكن الوضع الجديد زادها حدة ، عما كانت عليه من قبل . غير أنه لم يكن باستطاعة هؤلاء ايقاف تأسيس العلاقات البريطانية الكويتية .

بداية العلاقات البريطانية الكويتية عام ١٧٧٥

يقول لورمر (٢٧) « ان التاريخ المدون للعلاقات البريطانية الكويتية يبدأ عام ١٧٧٥ ، عندما بدأ البريد الانجليزى القادم من الخليج الى حلب ، نتيجة لهجوم الفرس على البصرة ، يرسل من الكويت بدلا من الزبير . »

وعلى الرغم من أن الفرس لم يحتلوا الزبير الا عام ١٧٧٨ (٢٨) ، أى بعد أن وقعت البصرة فى أيديهم بنحو عامين ، الا أن بريد الصحراء

---

(٢٦) أرجو ان ألفت النظر الى أن الكويت فى سجلات شركة الهند الشرقية الانجليزية ، وكذلك فى كتابات الرحالة من الاوروبيين كانت تسمى « قرين » ، وتختلف طرق تهجئتها على النحو التالي : Grain, Grane, Graine **. أما الزبارة فتكتب** Zeberra, Zebarra

(٢٧) انظر Lorimer, Gazetteer of the Persian Gulf. I, i. P. 1002

(٢٨) هاجم الفرس الزبير ودمروها فى أوائل عام ١٧٧٨ . وصف دمار هذه المدينة الكولونيل جيمس كابر ، وكان قد مربها فى ١٧ ديسمبر عام ١٧٧٨ . انظر James Capper, Observations on Passage to India etc, (London 1784) pp. 81, 83

الانجليزى ، التابع لشركة الهند الشرقية الانجليزية ، كان يرسل من الكويت منذ منتصف عام ١٧٧٥ (٢٩) •

الطريق الصحراوى

كان لهذا الطريق الصحراوى مقام خاص فى نظر شركة الهند الشرقية الانجليزية ، فأهميته لم تنحصر فى أنه سبيل البريد الذاهب الى الهند والقادم منها ، بل لأنه كان يخدم أيضا أغراضا تجارية • ولقد كان السبب الاول هو الذى اكسب الكويت أهمية من وجهة نظر الوكالة الانجليزية بالبصرة ، ولم تمض اربعة اشهر على بدء حصار الفرس للبصرة عام ١٧٧٥ ، حتى كانت الرسائل الانجليزية ، القادمة مع البريد الصحراوى تسلم فى الكويت (٣٠) • ولقد جرت العادة عند الوكالة الانجليزية بالبصرة أن تؤجر رجال بريد الصحراء السريع فى الزبير ، ولكن حين وقع الاختيار على الكويت للقيام بتلك المهمة بعد الحصار الفارسى ، أصبح أولئك الرجال يختارون فيها • غير أن البريد فى الكويت لم ينتظم فى البداية ، وربما كان مرد ذلك الى ان الشركة لم يكن لها ممثلون فى الكويت ، ومن هنا نبع الاقتراح الرامى الى تعيين ممثل يقيم بالكويت ، للقيام بهذه المهمة ، وهى تسلم الرسائل الواردة الى ذلك الميناء والصادرة منه • هذا ولما لم يتواجد بالبصرة الشخص الذى يمكن أن يوكل اليه القيام بهـذه المهمة فى يوليه سنة ١٧٧٦ ، كلف المستر لاتوش ، الوكيل بالبصرة ، كلف الليفتنانت تويس Lieutenant Twiss قبطان السفينة « المخيفة » Terrible

---

(٢٩) لعل أولى تلك الرسائل هي المؤرخة ١٥ يوليو ١٧٧٥ والتي أرسلها السادة مور ولاتوش وابراهام الى لندن .

(٣٠) انظر فيما يتعلق بالطريق الصحراوى الى حلب فى القرن الثامن عشر الفصل السابع من هذا الكتاب .

القيام بهذه المهمة ، واتخاذ الاجراءات الكافية فى الكويت (٣١) • ولقد بقى ارسال البريد الصحراوى عن هذا الطريق مستمرا طوال فتــرة احتلال الفرس للبصرة (٣٢) •

أما فيما يتعلق بالمسائل التجارية ، فالظاهر ان الكويت قد حلت المشكلة التى واجهتها الشركة الانجليزية ، فيما يتعلق بتصريف بضائع الهند فى بلدان الشرق الاوسط بعد احتلال البصرة • وقد كشف عن هذه الحقائق التجارية والحالة فى الكويت خطاب وجهه القنصل البريطانى فى حلب بتاريخ ١١ يونيه ١٧٧٦ الى المستر لاتوش بالبصرة ، وقدضمنه الاخير خطابا وجهه الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٤ يولية ١٧٧٦ • يقول لاتوش فى خطابه :

« ان القنصل بحلب ، فى خطاب وجهه الينا بتاريخ ١١ يونيه ، قد دون الفقرة التالية :

« ان بضائع الهند وسورت Surat لا تزال تلقى رواجا فى هذه المدينة • علمت أن سفينتين قادمتين من تلك الجهات قد وصلتا الى بوشهر ـ اذا كان بالامكان بقاء القرين (الكويت) محايدة فانه يمكن للقوافل أن تسافر اليها وان تحمل البضائع منها الى هذا المكان (حلب) ، ذلك انه ما دامت الحرب فى البصرة ستطول ، فانه لا بد للتجار من أن يهجروها ، الا اذا استطاعوا ان يجدوا مكانا قريبا منها ، يستطيعون ان يمارسوا نشاطهم فيه (٣٣) • يبدو ان القرين ذات موقع

---

(٣١) انظر الرسالة ١١٢٧ مجلد (١٧) من لاتوش الى مجلس المديرين بتاريخ ٢ يوليه ١٧٧٦ فى سجلات الوكالات •

(٣٢) Lorimer, op. cit., I, i, 1002

(٣٣) ان هجرة التجار من البصرة الى الزبارة والى بعض البلدان الاخرى فى البلاد المجاورة قد تمت اثناء الهجوم الفارسي على البصرة وبعد احتلالهم لها . انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٣ ، حيث ورد أن احد شيوخ الكويت قد صحب هؤلاء التجار الـى

جيد يمكنها من أن تكون خلفا للزبير ، غير أن هذا سوف لن يتأتى من دون بقائها مستقلة ، لانها اذا وقعت فى حوزة الفرس ، فـان التجار سيتعرضون للمخاطر لو ارادوا نقل البضائع منها ، ذلك ان البـاب العالى لن يسمح بمثل ذلك النقل حتى للاوروبيين ، ولذا فانه مـن مصلحة التجار ، الذين يعملون معكم ، أن تبقى القرين تحت سلطان حكامها الحاليين من بنى خالد مستقلة عن الفرس (٣٤) • »

هذا وأضاف المستر لاتوش الى خطاب القنصل ما يلى :

« اننا ندرك تماما ان بدء اتصال برى مع حلب وبغداد على هذه الشاكلة من القرين ، ان كان ذلك عمليا ، لهو حدث تتطلع اليه بكل شوق ، ذلك انه سيمدنا بمخرج لبضائع البنغال وسورت المكدسـة حاليا فى بومباى ، والتى تنتظر الشحن الى تجار البصرة • ان القرين ما زالت بعيدة عن عبث الفرس • نحن لا نعتقد بأن التجار سيرسلون بضائع عبر الصحراء ما دامت الاحوال غير مستقرة فى هذه المنطقة فى الوقت الحاضر » (٣٥) •

لم تمض غير مدة قصيرة حتى تحقق ما كان يتوقعه القنصـل البريطانى فى حلب ، فالكويت بقيت بعيدة عن عبث الفرس اولا ، ثم

الزبارة • قارن كذلك حافظ وهبه : جزيرة العرب فى القرن العشرين : ٩٦ ، حيث يوافق المؤلف على الرأى السابق •

(٣٤) سبق أن بينا العلاقات الطيبة بين بنى خالد وآل صباح حكام الكويت ، ونحن لا نعتقد ان القنصل يعني أن بني خالد كانوا حكام الكويت الفعليين •

(٣٥) من لاتوش بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن فى الرسالة رقم ١١٢٧ مجلد (١٧) بتاريخ ٢٤ يوليه ١٧٧٦ فى سجلات الوكالات • يجب أن لا يفهم من رسالة لاتوش ان القوافل لم تكن تسافر قبل سنة ١٧٧٥ ما بين الكويت وحلب • ففي سنة ١٧٥٨ تحدث الرحالـة آيفز Ives عن قافلة من خمسة آلاف جمل ، كان ينوى السفر برفقتها من الكويت الى حلب •

سارت القوافل ناقلة التجارة بينها وبين حلب • ولقد كانت هذه القوافل غير آمنة فى عبورها الصحراء ، فالفرس ، الذين كانوا قد احتلوا البصرة أخذوا يحرضون بدو الصحراء على مهاجمتها ، ففى ابريل ١٧٧٧ هاجم عرب المنتفق ، وكان شيخهم هو ثامر ، هاجموا قافلة متجهة من الكويت الى بغداد ، وكان ثامر هذا قد اعترف بسلطة الفرس على البصرة ، وبالتالى عمل على كسب مرضاتهم فى الهجوم على تلك القافلة ، غير أن بنى خالد ردوا المهاجمين ، واستمرت القافلة فى طريقها الى بغداد (٣٦) • وامام ذلك الخطر من بدو الصحراء ، كانت القوافل تلجأ أحيانا الى تغيير خط السير المعتاد ، حتى تتجنب الهجوم المفاجىء عليها ، وتسافر بين الكويت وبغداد فى أمان • وقد كانت تلك القوافل أحيانا تنقل كميات كبيرة من البضائع ، وكانت البضائع تتكدس فى الكويت ، بعد أن تصلها من مسقط وبوشهر (٣٧) •

ولقد كانت التجارة الانجليزية مع العراق والبصرة تئن من ثقل الاعباء التي القاها حكام بوشهر والبصرة عليها • وتقول احدى رسائل المستر لاتوش وزميله ابراهام : « اننا فى بوشهر تتعرض لنفس الضغط الذى نتعرض له فى البصرة • فالشيوخ فى بوشهر يتدخلون فى كل صغيرة وكبيرة من شئون التجارة بالميناء ، حتى أن التجار المقيمين بها يرون أن لاطائل من وراء تجارتنا فى تلك المدينة • ومع أن تجارتنا فى البصرة الآن بائسة حقا ، غير أنها تفوق بكثير تجارتنا فى بوشهر (٣٨) » •

---

(٣٦) انظر الرسالة ١١٣٨ بتاريخ ١٠ ابريل ١٧٧٧ المجلد (١٧) من لاتوش وابراهام بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن فى سجلات الوكالات •

(٣٧) المرجع السابق •

(٣٨) انظر الرسالة ١١٤٤ المجلد (١٧) والصادرة عن البصرة من لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين بتاريخ ١٠ يولية ١٧٧٧ فى سجلات الوكالات •

وعلى هذا ، فقد فكر موظفو الوكالة التجارية الانجليزيه فى اختيار مكان يخلف البصره وبوشهر كمركز لوكالتهم • وبدا أن الكويت مكان مناسب ، غير أنهم خشوا « أن يلقوا فيها نفس المعاملة » التي كانوا يلقونها فى بوشهر والبصرة ، ثم هم ، بالاضافة الى ذلك ، كانوا يخشون « أنهم هناك سيكونون عرضة للفرس ، الذين بدون شك سينظرون الى اقامتنا بالكويت بعدم الرضاء وسيلقون فى وجهنا بكل العراقيل الممكنة (٣٩) » • وعلى هذا لم يكن هناك أمامهم سوى جزيرة خارج ، حيث بدا لهم انهم قد يتجنبون فيها تلك العراقيل (٤٠) •

ومهما يكن من أمر ، فانه فى الحادى عشر من شهر نوفمبر سنة ١٧٧٧ ، قامت السفينة « النسر » التابعة للشركة الانجليزية بزيارة للكويت ، وذلك بقصد كتابة تقرير عن المكان (٤١) • وقد جاء فى ذلك التقرير أن الميناء صالح لرسو السفن ، وأن المدينة مسورة ، وانها تستقبل القوافل المسافرة الى بغداد وحلب ، وأن تلك القوافل تتمتع فيها بنوع من الامان وأن يد الفرس الجشعة لم تصلها • ومضى المستر لاتوش وابراهام ليقولا :

« فى المستقبل يمكن لسفن الشركة المتجهة الى البصرة أن تأخذ مرشديها فى النهر (شط العرب) منها (اى من الكويت) ، وذلك فى حالة ما اذا أغلق ميناء بوشهر فى وجهها ، أو اذا استمر شيوخه سادرين فى ما هم عليه من تعنت بخصوص مرشدى سفنكم أو ــ كما أعلمنا الرئيس الموقر والمجلس فى رسالتنا المؤرخة ٢٤ ديسمبر ، والمرسلة مع

---

(٣٩) انظر المصدر السابق .

(٤٠) المصدر السابق .

(٤١) انظر الرسالة ١١٥٢ المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة بتاريخ ١٤ يناير ١٧٧٨ من لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين بلندن فى سجلات الوكالات .

(السفينة) النسر ـ اذا أرادوا فى أى وقت بعد الآن أن يرسلوا لجنابكم عن طريقنا طردا خاصا يستلزم ارساله السرعة ، اذ عندها يتوجه المركب الى الكويت مباشرة ومن هناك يصلنا فى بضعة ايام مبكرا بطريق البر ، لاسيما اذا كانت الريح البحرية غير ملائمة (٤٢) •

ولقد كانت المسافة بين الكويت والبصرة تقطع فى ثلاثة ايام ، بينما كانت المراكب تحتاج أحيانا الى ٢٠ يوما أو يزيد ، فى قطع المسافة ما بين مصب شط العرب والبصرة ، وذلك عندما تكون الريح شمالية غربية (٤٣) وعلى هذا فقد كانت الكويت ذات فائدة كبرى للبريد الصحراوى ، وكذلك ساعدت مساعدة كبيرة فى نقل بضائع الهند الى أسواق سوريا واقطار الشرق الادنى الاخرى وأوربا • ومع ذلك فان تأسيس وكالة تجارية بريطانية هناك ، لم يتم الا بعد خمس عشرة سنة بعد هذا التاريخ ، أى عام ١٧٩٣ ، عندما انتقلت الوكالة التجارية البريطانية من البصرة الى الكويت ، لاسباب سنعالجها فيما بعد •

وهكذا فانه نتيجة للكوارث التي حلت بالبصرة والزبير ، وكنتيجة للسياسة الحكيمة التي انتهجها الشيخ عبد الله بن صباح ، وهي المحافظة على حياة مدينة الكويت ، فان الكويت قد استمرت فى الانتعاش ، ثم ان علاقته الطيبة بكبرى القوى التجارية الاوربية فى الخليج ، الا وهى شركة الهند الانجليزية قد استمرت ودية • والواقع ان الشيخ كان أحد الرؤساء العرب فى المنطقة الذين اعتادت الشركة الانجليزية ان تقدم

---

(٤٢) انظر الرسالة ١١٥٢ المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة بتاريخ ١٤ يناير ١٧٧٨ من لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين بلندن فى سجلات الوكالات •

(٤٣) المصدر السابق •

لهم الهدايا (٤٤) • ومهما يكن من أمر فان تلك العلاقات قد اعترضتها صعوبات كادت أن تقضي عليها ، لولا الحكمة السياسية التي امتازبها رجال الوكالة التجارية الانجليزية بالبصرة •

الانجليز يلقون القبض على ضابط فرنسي فى الكويت (١٧٧٨)

فقد حدث عام ١٧٧٨ ، أن بلغ مسامع رجال الشركة بالبصرة ، وصول ضابط فرنسي الى الكويت ، فتوجه المستر ابراهام أحد رجال الوكالة التجارية بالبصرة ، من بوشهر الى الكويت ، على ظهر الطراد « النسر » ، فوصلها بعد ٢٠ ساعة • اما الكابتن دي بورج ، الضابط الفرنسي ، فقـــد كان يقيم بالمدينة ضيفا على الشيخ عبد اللـــه آل صباح (٤٥) •كان ذلك الضابط الفرنسي يحمل رسائل سرية الى الفرنسيين فى كل من بوند شيرى وجزر الموريشياس • وكان قادما من حلب الى الخليج عندما اعترضته فى الصحراء ، وعلى مسيرة خمسة عشر يوما من البصرة ، جماعة من البدو وهددته بالقتل ، فاضطر الى اطلاق النار دفاعا عن النفس ، وقتل أحد أفراد الجماعة • وعندها هجموا عليه بالسيف ، وأصابوه بجرح بالغ فى الرأس ، فطلب الحماية من اكبر المهاجمين ، ووعده بأن يدفع له مائة جنيه استرليني ، على شريطة أن يوصله

---

(٤٤) اعتاد وكلاء الشركة آن يحلوا مشاكلهم فى هذه الانحاء عن طريق علاقاتهم الشخصية بالحكام . وقد حدث فى سنة ١٧٨٩ ان طلب الى المقيم البريطاني بالبصرة ان يتدخل لحل المشكلة الناجمة عن لجوء الشيخ ثويني رئيس المنتفق الى الكويت ، هربا من متسلم البصرة ، ولا شك ان هذا الطلب قد وجه الى المقيم البريطاني نظرا لما كان له من علاقات طيبة مع شيخ الكويت .

(٤٥) يصف بريدجز Brydges فى كتابه Wahauby : ص ١٧١ ــ ١٧٤ ، هذه الحادثة بتفصيل • وهو فى تفصيله ذاك يتفق مع ما أورده الكابتن Cappar • أما الاخير فقد قابل دى بورج فى ميناء مسقط ، عندما كان دى بورج عائدا من الهند الى فرنسا عن طريق البصرة • انظر Capper's Observations, pp. 99-104 وقد قص نفس القصة بنوع من التفصيل ، المستر ابراهام نفســـه انظر : الرســـالة ١١٦١ المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة من ابراهام الى مجلس المديرين بتاريخ ٧ نوفمبر ١٧٧٨ •

الكويت سالما • وعندما وصل الكويت ، استطاع ان يقترض المبلغ المطلوب من تاجر أرمني كان يسكن ذلك البلد (٤٦) • بعد هذا كتب الكابتن دى بورج الى المسيوروسو Rousseau ، القنصل الفرنسي بالبصرة ، يطلب منه أن يمده بوسيلة لاكمال رحلته الى بوند شيرى ، وان يدفع للتاجر الارمنى المبلغ الذى وعده به • رفض القنصل الفرنسى أن يدفع المبلغ ، وعندها أخذ حامل الرسالة ، العربي ، أخذ تلك الرسالة الى الوكالة التجارية البريطانية بالبصرة (٤٧) • وهكذا عرف رجالها بخبر المسيودى بورج (٤٨) •

وهكذا فان مشكلة صعبة قد برزت للعيان ، لأن تقريرا كان قد وصل البصرة ، يفيد بأن الحرب قد أعلنت بين فرنسا وبريطانيا (٤٩) • وعلى هذا فان رجال الوكالة البريطانية ، كانوا يعتقدون بأن واجبهم كموظفين بريطانيين ، يعملون فى الخارج ، أن يلقوا القبض على المبعوثين الفرنسيين (٥٠) • ولكنهم من ناحية أخرى شعروا بأن النتائج تكون وخيمة العواقب ، بالنسبة للمقيم البريطاني المستر لاتوش ، اذا اتخذ اجراء للقبض على دى بورج ، معتمدا على معلومات قد لاتكون صحيحه • ولقد كانت العقبة الرئيسية التي تقف فى وجه تنفيذ أوامر المقيم البريطاني الى المستر ابراهام ، هي معارضة شيخ الكويت ، الذى

---

(٤٦) كان التجار الارمن يمارسون نشاطهم فى معظم موانيء الخليج ومسقط طوال القرن الثامن عشر .

(٤٧) ربما ليتحصل على النقود منها فى مقابل تلك المعلومات عن الضابط الفرنسي .

(٤٨) انظر : Brydges, 175

(٤٩) يبدو أن المسيودى بورج كان قد تفوه بشيء عن الحرب بين بريطانيا وفرنسا بعد وصوله الكويت . انظر الرسالة ١١٦١ المجلد (١٧) الصادرة عن القرين (الكويت) بتاريخ ٧ نوفمبر ١٧٧٨ من ابراهام الى مجلس المديرين بلندن ، فى سجلات الوكالات .

(٥٠) المرجع السابق .

كان يعارض بشدة القاء القبض على شخص يتمتع بضيافته ، هذا على الرغم من صداقة الشيخ للبريطانيين •ومهما يكن من أمر ،فان اعتراضات الشيخ قد تغلب عليها ، في الغالب نتيجة لاقتناعه بأن المسيودى بورج كان شخصا محتالا ، يريد أن يتخلص من دينه (٥١) • وقد سيق المسيودى بورج والرسائل التي كان يحملها الى الطراد « النسر » (٥٢) فوصل البصرة ، ومنها أرسل سجينا الى بومباى •

لقد شعر المستر لاتوش بأن اعماله تلك ، تحتاج الى ما يبررها أمام رؤسائه فكتب بعد وقوع الحادث ببضعة أيام ، الى مجلس المديرين بلندن ، يقول (٥٣) :

لقد كنا على علم تام بما تنطوى عليه مغامرتنا في محاولة اعتراض سبيل (المراسلات الفرنسية) ، ولكننا اعتقدنا أن واجبنا تجاه بلادنا ، في مثل ذلك الظرف الحرج ، يملي علينا ما قمنا به • نحن لانشك بأن ماقمنا به هو على جانب كبير من الاهمية ، بالنسبة لشئون الهند ،

---

(٥١) ان المستر ابراهام لم يذكر بوضوح كيف استطاع ان يكسب الشيخ الى جانبه في هذه القضية . انظر المرجع السابق ، ثم انظر كذلك Brydges, Wahauby, p. 176 .

(٥٢) ان الرسائل التي كان يحملها السيودى بورج قد ظلت دون حل لرموزها ، ذلك انه قد نجح في اتلاف مفتاح الشيفرة . على ان دفتر يومياته ، وبعض الرسائل الاخرى التي كان يحملها ، قد كشفت كثيرا من الخطط الفرنسية . انظر السفر الثاني من هذا الكتاب للنص الكامل لما اورده المستر ابراهام عن هذه الحادثة .

(٥٣) لعله من الطريف أن نورد رأى السير هارفورد جونز بريدجز في الشيخ عبد الله آل صباح ، وذلك بعد ان رفض الشيخ تسليم ضيفه دى بورج الى المستر ابراهام ، وبعد ان رفض تقبل الهداياوالرشاوى التي قدمت له من الوكالة التجارية البريطانية
(The Wahauby, pp. 175-176)

يعلق بريدجز على مسلك الشيخ قائلا : « وهكذا فان حب الشيخ للعدالة لا جشعه هو الذى دفعه لسلوك السبيل الذى سلكه » . انظر المرجع السابق ص ١٧٦ .

لاسيما وأنه لم يسبق لرؤسائنا هناك أن قد بلغهم نبأ اعلان الحرب (٥٤) • بل ربما قد وضعنا أمامهم بعملنا هذا ، نوايا الحكومة الفرنسية فيما يتعلق بالهند (٥٥) •••

وبينما كان الكولونيل جيمس كبر Capper متوجها الى الهند عن طريق الخليج العربي ، قابل الكابتن دى بورج ، وهو فى طريقه الى اوروبا ، فى مسقط فى ٢٤ يناير ١٧٧٩ ، وكان حاكم بومباى ، قد اطلق سراح دى بورج ،وسمـح له بالرجـوع الى فرنسا ، متبعـا الطريق الصحراوى •

ولقد أورد كبّر قصة دى بورج مع رجال الوكالة بالبصرة فى كتابه (٥٦) •

---

(٥٤) ظن المستر لاتوش ان الوكالة الانجليزية بالبصرة كانت هى اول من ارسل اخبار اعلان الحرب مع فرنسا بعد القائه القبض على دى بورج ولكن الاخبار كانت قد وصلت الى الهند قبل ذلك الوقت عن طريق السويس والبحر الاحمر •

انظر Holden Furber "The Overland Route to India" J. I. H. Vol. XXIX, part II, August 1951, p. 125

(٥٥) وفى نفس الرسالة اضاف ابراهام ولاتوش ما يلى :

« لا يسعنا الا أن نهنىء انفسنا على حسن الحظ الذى رافق المستر ابراهام عند استيلائه على الطرود المشار اليها • فلو أنه لم يقم بهذه الرحلة الفريدة ، لاستطاع المسيودىبورج الهرب • فقد كان قد قرر مغادرة الكويت فى الصباح التالى للمساء الذى وصل فيه المستر ابراهام ، وكذلك لو ان المستر ابراهام لم ياخـذ شيخ الكويت على حين غـرة ، لما تيسر له عمله ، فلو أنه أعطى الشيخ أقل وقت للتفكير ، لمنعه من القاء القبض على دى بورج بحجة واجبات الضيافة العربية ، دون ريب • » انظر رسالة صادرة بتاريخ نوفمبر ١٧٧٨ من لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين فى سجلات الوكالات ، المجلد رقم (١٧) •

(٥٦) Capper, Observations, pp. 99-104 • وصل الكابتن دى بورج البصرة قادما من بومباى على ظهر السفينة « النجاح » Success بعد ان وعد السلطات هناك بان لايعود الى الهند • انظر الرسالة ١١٦٥ فى المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة عن لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٣ فبراير ١٧٧٩ فى سجلات الوكالات •

قوة العتوب البحرية ١٧٨٠ — ١٧٩٠

ان الحرب بين فرنسا وانجلترا قد اكسبت الكويت والزبارة أهمية خاصة ، ذلك ان الفرنسيين قد أرسلوا اسطولا قويا الى الخليج العربي ليعترضوا بريد شركة الهند الشرقية الانجليزية ، وليهاجموا السفن الانجليزية أيضا • والواقع ان الفرنسيين لم يكتفوا بمهاجمة السفن الانجليزية من أجل هدفهم ذاك ، بل تعدوها الى السفن الاخرى (٥٧) • وعلى هذا فقد رأت الشركة الانجليزية انه من الاسلم لبريدها ان يسافر مع المراكب العربية • وقد افادت الكويت والزبارة من ذلك النقل الذى شمل الى جانب البريد الرجال ، وكانت طريق البريد تمر عبر الخليج العربي ، وكذلك عبر الطريق الصحراوى من مسقط الى حلب • ويبدو ان الكويت والبصرة قد اتخذتا من قبل حملة البريد ، وكذلك من قبل المسافرين ، كمحطتين (٥٨) •

العداوة بين العتوب وبني كعب وعرب بوشهر وبندر ريق

ان تحول النشاط التجارى الى ساحل الخليج الغربى ، من بعد ان كان فى الساحل الشرقى لم يكن ليسر المراكز التجارية على الساحل الاخير • لقد سبق ان بينا القول انه كان من بين الاسباب التي جعلت الفرس يهاجمون البصرة ، تحول نشاط شركة الهند الشرقية الانجليزية الى وكالتها فى البصرة ، مفضلة تلك المدينة علي بندر ريق وبوشهر وبندر

---

(٥٧) الرسالة ١١٩٥ المجلد ١٧ الصادرة عن البصرة من لاتوش الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٠ يوليه ١٧٨١ فى سجلات الوكالات •

(٥٨) انظر الرسالة ١١٦١ المجلد (١٧) من لاتوش وابراهام الى مجلس المديريـن الصادرة عن البصرة بتاريخ ٣١ اكتوبر ١٧٧٨ فى سجلات الوكالات • فى نهاية شهر سبتمبر ١٧٧٨ وصل الكويت قادما من حلب المركيز كلرن Calern الفرنسى ، مع احدى القوافل الصحراوية • كان المركيز ينوى السفر من الكويت الى الزبارة بنية ان يركب البحر من الاخيرة الى مسقط • ويبدو انه كان ضابطا فرنسيا من بوند شيرى • (المصدر السابق)•

عباس (٥٩) وكذلك سبق ان بينا ايضا ان الفرس كانوا يعتمدون فى عملياتهم البحرية على العرب النازلين على الساحل الشرقى للخليج •

ولقد كان لوفاة كريم خان سنة ١٧٧٩ ، ثم لعدم وجود اية قوة سياسية كبرى تفرض نفوذها على الخليج ، كان لكل هذا اثر كبير فى اعطاء عرب الخليج الفرصة المناسبة للتمتع باستقلالهم • ولعلنا لا نبالغ اذا قلنا انه منذ هذا الوقت يمكننا ان نؤرخ سقوط النفوذ الفارسى فى الخليج (٦٠) • وحوالى هذا الوقت أخذت اهمية الخليج تزداد ، ذلك لأن الباب العالى ، قد اصدر فرمانا يحرم بمقتضاه على السفن المسيحية ان تتجر مع السويس (٦١) • ولقد اكسب هذا الفرمان موانىء الخليج العربى اهمية فائقة اذ جعلها المراكز التى تصدر منها بضائع الهند والشرق الى حلب واسطمبول • ولا بد ان الكويت قد استفادت من هذا الفرمان وكذلك قل عن الزبارة •

أحوال الزبارة

اما الزبارة ، وهى ثانى المدن العتبية الهامة ، فقد شهدت تقدما فى احوالها المادية ، جعل جيرانها يغيرون منها ، بل بلغت تلك الغيرة حد الرغبة فى الهجوم عليها ، وذلك بعد ان فشلوا فى منافستها (٦٢) • وهكذا وجدنا الشيخ نصر حاكم بوشهر ، والذى كان فى نفس الوقت حاكما للبحرين ، يرسم الخطط لمهاجمة تلك المدينة • وكذلك ظهر ان النزاع القديم بين بنى كعب (٦٣) وعتوب الكويت بسبيل التجدد • وكذلك

---

(٥٩) انظر ما سبق ص ١٦٩

(٦٠) انظر Low, History of the Indian Navy, I, Footnote p. 171

(٦١) انظر Danvers, Report on the India Office Records etc. p. 44

وانظر كذلك الفصل السابع من هذا الكتاب ص ٢٨٢

(٦٢) انظر منتخبات حكومة بومباى (٢٤) : ١٤٠ وكذلك ٣٦٤

(٦٣) انظر ما سبق ص ١٢٥ و ١٢٧ •

فان شيخ بندر ريق ، وهو حليف بنى كعب والشيخ نصر ، كان على استعداد لينضم الى هؤلاء فى حالة الهجوم المبيت على المدن العتبية . ولكن يبدو انه لم يأت عام ١٧٧٩ ، الا وقد كان العتوب قد امتلكوا اسطولا مسلحا ، كان باستطاعته ان يقف امام اى اعتداء قد يقوم به اولئك الحلفاء (٦٤) . وفى سنة ١٧٨٠ كان عتوب الكويت والزبارة منهمكين فى حرب مع بني كعب (٦٥) . وعلى الرغم مـن اننـا نجهل الظروف والملابسات التى صحبت تلك الحرب (٦٦) ، فانه يمكننا القول ان العداوة التى كانت قائمة بين العتوب وبنى كعب ، والتى بدأت فى العقد السابع من القرن الثامن عشر ، قد بقيت قائمة . وعلى هذا ، فانه كان من المنتظر ان ينضم العتوب الى جانب باشا بغداد ، فى حربه مع بنى كعب بعيد ذلك ، عام ١٧٨٠ (٦٧) . الا ان تلك العداوة مع بنى كعب لم يكن لها اثر بالغ يعادل ذلك الاثر الذى تركه استيلاء الفرنسيين عام ١٧٨١ على سفينة من سفن مسقط ، قدر ثمن حمولتها بثمانماية الف روبية ، كان يتقاسمها تجار البصرة والقطيف والزبارة (٦٨) .

---

(٦٤) فى رسالة من لاتوش وابراهام الى مجلس المديرين بلندن ، صادرة عن البصرة بتاريخ ٢١ اكتوبر ١٧٧٩ ، اشارة الى ان شيخ الكويت ، قد رفض رجاء الوكالةالانجليزية فى ان يرسل الى مسقط ، احد الانجليز على ظهر احدى سفنه المسلحة ، وذلك لانه كان يتوقع هجوما من بنى كعب (الرسالة ١١٧٧ المجلد ١٧) فى سجلات الوكالات .

(٦٥) ولعل القتال الذى دار بين اهل الكويت وبنى كعب ، فى هذا التاريخ هو الذى انتهى بمعركة الرقة البحرية ، كما ترويه الرواية المحلية الكويتية ، وهى المعركة التى انتهت بفوز ساحق لسفن الكويت ودمار سفن بني كعب . انظر تاريخ الكويت لعبد العزيز الرشيد ، وصفحات من تاريخ الكويت للشيخ يوسف القناعي وانظر كذلك Lorimer, I, i, 1003

(٦٦) المصدر السابق على نفس الصفحة .

(٦٧) انظر الرسالة ١٢١٤ المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة من لاتوش الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٥ ابريل ١٧٨٢ فى سجلات الوكالات .

(٦٨) انظر الرسالة ١٢٠٢ المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة من المستر لاتوش الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ١٢ اكتوبر ١٧٨١ فى سجلات الوكالات .

ولقد كان هدف السفينتين الفرنسيتين اللتين كانتا تهاجمان السفن الاخرى فى الخليج ، ان تعترضا سبيل البريد الانجليزى (٦٩) .

على ان الخطر الاعظم ، الذى كان يتهدد العتوب ، لم يتسبب عن الفرنسيين ، ولكن كان يصدر عن بنى كعب ، وحلفائهم عرب بوشهر وبندر ريق . ولسنا بحاجة الى تتبع ذلك التهديد الى وقت يسبق سنة ١٧٨٠ ، بل يكفى ان نقول ان العتوب قد وجدوا انفسهم ، حوالى ذلك التاريخ ، ينتظرون هجوما من العرب النازلين على الساحل الشرقى من الخليج . ان ذلك الخطر المتوقع ، جعل عتوب الكويت والزبارة ، يبقون اساطيلهم قريبة من شواطئهم ، استعدادا للطوارىء . ويصح لنا هنا ان نتساءل عن السبب الذى جعل بنى كعب يؤجلون هجومهم على العتوب . اغلب الظن ان ذلك كان بسبب العداوة المستمرة آنذاك، بين الاتراك العثمانين وبنى كعب ، ذلك العداء الذى نجم فى الغالب عن المساعدة التى قدمها بنو كعب الى الفرس اثناء الهجوم الذى شنوه على البصرة عام ١٧٧٥ . وهكذا كان بنو كعب على علاقات سيئة مع كل من متسلم البصرة والعتوب . اما العتوب فقد كانوا من ناحية اخرى على علاقات طيبة مع المتسلم ، وكانوا على استعداد ان ينضموا اليه فى معركته ضد بنى كعب ، اذا كان المتسلم ينوى فعلا منازلتهم ، والا « فانهم

---

(٦٩) انظر الرسالة ١١٩٥ المجلد (١٧) الصادرة عن البصرة من المستر لاتوش الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٠ يوليه ١٧٨١ فى سجلات الوكالات .

لا شك ان ذلك الهجوم الذى وقع على السفينة المسقطية ، والذى كان مثله يقع على السفن الاخرى ، يدل دلالة واضحة على ان الفرنسيين كانوا يعلمون ان البريد الانجليزى ، كان يحمل على سفن اخرى غير انجليزية .

ينتظرون ، كما يقولون ، حتى يروا ان الباشا نفسه هو بالفعل متحمس اما العتوب انفسهم فقد كانوا على استعداد للمعركة (٧٠) •

أسباب ظهور قوة عتوب الكويت البحرية

ان هذا الظهور لقوة عتوب الكويت البحرية يرجع الى عدةعوامل ويأتى فى المقام الاول ان العتوب كانوا تجارا ، وعلى هذا فانهم كانوا يزيدون من سفنهم التجارية كلما نمت تجارتهم ، وانه لا مجال للشك فى ان هذه التجارة ، على الرغم من اننا لا نعرف كميتها بالضبط ، قد نمت بعد حصار الفرس للبصرة ، ذلك الحصار والفتح الذى دام منذ عام ١٧٧٥ حتى ١٧٧٩ • ان هذه الزيادة فى السفن التجارية العتبية ، لابد وان يكون قد صحبها زيادة فى السفن الحربية ، وذلك عن طريق الشراء او عن طريق صنعها محليا ، والتى كان الهدف من ورائها حماية الاسطول التجارى • ولقد اصبحت هذه الحماية امرا لازما لامفر منه، بعد موت كريم‌خان‌فى سنة ١٧٧٩ « ذلك لأن كريم خان كان بمقدوره أن يوقف اى حملات للنهب او السلب قد يقوم بها عرب رأس الخيمة او مسقط ، او على الاقل كان كريم خان يتمتع بهيبة لدى هؤلاء العرب جعلتهم يتوقفون عن القيام بأعمال السلب والنهب‌فى‌الخليج» •وسرعان ما شهدت منطقة الخليج صراعا بين القواسم وعرب مسقط بعيد وفاة

---

(٧٠) فى رسالة وجهها المستر لاتوش الى مجلس المديرين من البصرة ، بتاريخ ٢٥ابريل ١٧٨٢ ، يتحدث عن « مركبين عثمانيين فى مياه الكويت » كان من المنتظر أن يجلبا الى البصرة « تحت حماية سفن القرين الحربية » . ولما كان الباشا فى حالة حرب مع بنى‌كعب، فيمكننا ان نستنتج ان قوة العتوب البحرية فى الكويت كانت فى مركز يسمح لها بتحدى بنى كعب ، وذلك كما توضح حراستها للمراكب العثمانية ، حين توجهها الى البصرة . انظر الرسالة ١٢١٤ المجلد (١٧) فى سجلات الوكالات . لم يأت عام ١٧٨٠ حتى كان اسم الشيخ عبد الله آل صباح قد ادرج فى قائمة الرؤساء الذين كانت تدفع لهم شركة الهند الشرقية هدايا ، لان هؤلاء الشيوخ كان بمقدورهم أن يعيقوا تجارة وبريد الشركة . انظر قائمة بالمصروفات العامة صادرة عن وكالة البصرة الانجليزية من أول مايو عام ١٧٨٠ الى ٣١ ابريل عام ١٧٨٠ ، فى الرسالة ١٢١٦ المجلد (١٧) فى سجلات الوكالات .

كريم خان . وقد بدأت الهجمات تترى على السفن العربية التى كانت تنقل التجارة فى الخليج ، وبدأت الدول البحرية العربية فى الخليج تتشاجر فيما بينها (٧١) . وهكذا فان :

« الشيخ عبد الله ، شيخ هرمز ، كان على خلاف مع شيخ جزيرة خارج ، وشيخ الحرم مع أهل جميعة ، وعتوب الزبارة والكويت مع الكعب » (٧٢) .

وعلى نفس الشاكلة ادى عدم وجود قوة كبرى مسيطرة على الخليج بالقوى البحرية العربية المقيمة على كل من شاطىء الخليج ، الشرقى والغربى ، الى منح هؤلاء فرصة ليحارب بعضهم بعضا نظرا لأحقاد قديمة كانت بينهم وأحيانا نظرا لوجود أسباب جديدة للنزاع .

وتأتى عداوة العتوب مع بنى كعب فى قائمة العداوات التقليدية (٧٣) ولكن لما صار الاخيرون حلفاء العرب النازلين ببوشهر وبندر ريق أثناء حصار البصرة فى سنة ١٧٧٥ ، فان الصراع من اجل السلطة فى المنطقة بين العتوب وأولئك العرب النازلين بالساحل الشرقى من الخليج والذى وضحت معالمه بعد سنة ١٧٧٩ (٧٤) قد ظهر جليا فيما

---

(٧١) يقول واردن Warden عن نشاط القواسم بعد وفاة كريم خان :
ان اسطول راس الخيمة بسبب تدهور النفوذ الفارسى فى الخليج ، وبحكم كون ذلك الاسطول لا يعرف الا الحركة الدائمة ، فانه قد دفع جميع زعماء سواحل الخليج الى ان يجهزوا مراكب مسلحة ، يسيرها بحارة لا يعترفون بحكم اى قانون ، ولا تخضع مراكبهم لاية سلطات ، يعتمدون على النهب فحسب ــ من أجل معاشهم ــ الذى كانوا يمارسونه دون تمييز . ان هذا الوضع قد نجم عن الحرب بين راس الخيمة ومسقط .
انظر منتخبات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٠١

(٧٢) منتجات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٠١

(٧٣) انظر ما سبق ص ١٥٤ ــ ١٥٥

(٧٤) انظر : Lorimer, Vol. I, i, 839
يقول لوريمر ان كريم خان زند قد وكل الشيخ نصر حاكم بوشهر باخضاع الزبارة فى تلك السنة .

بعد فى مشكلة البحرين التى انتهت باحتلال العتوب لجزرها ،وتقلص نفوذ عرب بوشهر عنها •

أسباب هجوم العتوب على البحرين

لقد سبق ان بينا سوء العلاقات بين العتوب وبين بنى كعب ، وكذلك بينهم وبين عرب بندر ريق وعرب بوشهر • وسواء أكانت المسألة مسألة منافسة على نقل التجارة فى الخليج العربى ، أم شعورا بالازدراء يكنه العتوب لبنى كعب وحلفائهم ، نظرا لتزاوج هؤلاء مع الفرس او كانت مسألة عقائد سنية وشيعية او خليطا من كل هذا وذاك ، فان العتوب كانوا دوما فى وضع المتأهب للقتال ، لاسيما بعد احتلال الفرس للبصرة فى سنة ١٧٧٦ ، وذلك لانهم كانوا يتوقعون هجوما من الشاطىء الشرقى للخليج •

ومهما يكن من امر ، فاننا يجب ان ننظر الى التوسع العتبى فى البحرين على أساس انه ظاهرة طبيعية لتطور وازدهار العتوب فى هذه الفترة • ذلك أن البلدة التى انشأها العتوب فى الزبارة ، سرعان ما نمت واصبحت مدينة محصنة ومسورة (٧٥) • غير انها لم تكن لتكفى حاجات المجتمع العتبى الجديد • ذلك ان أناسا كثيرين قد اموا تلك المدينة وازداد تعداد سكانها ، وكان القادمون الجدد آتين من نجد والكويت (٧٦) ولا شك ان هؤلاء كانوا يأملون ان يساهموا بقسط فى تجارة اللؤلؤ فى البحرين ، والتمتع بمائها العذب ، فى الوقت الذى

---

(٧٥) انظر ما سبق ص ١٢٩ وما يليها .

(٧٦) لقد اجبر حصار البصرة العديد من التجار على المهاجرة الى الزبارة . وهذا امر توضحه الكتابات المعاصرة . انظر لاتوش الى مجلس المديرين فى رسالةبتاريخ ٧ نوفمبر ١٧٨٢ ارسل بها من البصرة (المجلد ١٧ من سجلات الوكالات) ، وكذلك هاجر الى الزبارة فى نفس الوقت وبعده بقليل أناس آخرون من نجد بسبب الحروب الوهابية .

قل مثله فى شبه جزيرة قطر ، حيث قامت مدينة الزبارة • واغلب الظن ان العتوب لم يفكروا فى التوسع فى البر المحيط بهم نظرا لانهم كانوا حلفاء بنى خالد • ثم انه ليس من السهل عليهم ان يشنوا حربا ضد جيرانهم العرب على اليابسة• ومن ناحية اخرى ، فانه بمساعدة اساطيلهم البحرية ، كان باستطاعتهم ان يتحدوا القوى البحرية الاخرى وان يحموا جزيرة كجزيرة البحرين • ولربما كان عتوب الزبارة آنذاك ،قد بدأوا يشعرون بالتوسع الوهابى ، وهذا بالطبع أمر يجعلهم يفكرون فى غزو البحرين ، ذلك ان الوهابيين لا يملكون اسطولا يهددون به البحرين ، بل كان معظم ارتكازهم على القوى البرية • وقد ورد مايفيد بأن الشيخ خليفة بن محمد آل خليفة ، شيخ الزبارة آنذاك كان يكن عداوة للوهابية (٧٧) • ويجب ان لا ننسى كذلك ان غنى جزيرة البحرين بمناطق اللؤلؤ واشجار النخيل ، ربما كان سببا من الاسباب التى اغرت العتوب على فتحها •

ومهما يكن من امر ، فانه يبدو ان الظروف على الساحل الشرقى للخليج حوالى عام ١٧٨٠ ، قد جعلت هجوم العتوب على البحرين امرا لا مشجعا فقط ، بل تحتمه الضرورة • فقد ادى عدم اضطلاع شاه فارسى قوى بأمور الحكم فى فارس ، ادى بعرب الشاطىء الشرقى للخليج ان يتصرفوا تصرفا يكاد يكون تصرف جماعات مستقلة استقلالا تاما عن نفوذ فارس • وهكذا فان الهجوم الذى كان ينتظره العتوب من العرب النازلين على الساحل الشرقى ، بدا قريبا واضحا واصبحت الحرب أمرا لا مفر منه •

---

(٧٧) انظر تاريخ البحرين : ١٢٢ ، حيث يقتبس النبهانى بيتين من الشعر قالهما الشيخ خليفة بظهران نظرته فى الوهابيين وهما مطلع قصيدة قوامها ٥٤ بيتا وبيتا آخر :

لك الحمد يا مولاى حمدا مؤبدا — على نعم جلى واعظمها الهدى

الى أن قال

ويا بدعة ما قد سمعنا بمثلها — تكفر كل الناس حتى الوحدا

التحرشات الاولى بالعتوب

ولا شك ان امر اخضاع الزبارة ، بعد تحول قدر كبير من تجارة الهند اليها ، صار ذا أهمية بالنسبة للحكومة الفارسية• وعملا بنصيحتها وارشادها ، جرت عدة محاولات ابتداء من عام ١٧٧٧ ، قام بها شيخ بوشهر لاخضاع الزبارة ، غير أن النجاح لم يكن حليفه (٧٨) • وفى سنة ١٧٨٠ ، ولربما لنفس السبب السابق أو نتيجة لاعمال النهب التى قامت بها سفن بنى كعب ، كان العتوب فى كل من الزبارة والكويت فى حالة حرب مع بنى كعب (٧٩) •

وتقول رواية محلية مصدرها آل خليفة ، وهى ترجع على ما يبدو الى نحو التاريخ السابق ، بأن أهل البحرين ، وهم من الشيعة ، رفضوا السماح لخدم آل خليفة بشراء بعض جذوع النخل من سترة ، وهى جزيرة تابعة للبحرين • وعلى ذلك قام نزاع بين الطرفين راح ضحيته بعض الخدم • انتقم سكان الزبارة بعد بضعة ايام بهجوم شنوه على جزيرة سترة ، وقتلوا خمسة من سكانها (٨٠) • قام اهالى سترة بابلاغ شيخهم نصر بما حدث ، وبدأ ذلك الشيخ يعد حملة انتقامية ضد الزبارة (٨١) •

ومهما تكن اسباب الحرب بين الاطراف المتقاتلة فانه لم يأت عام ١٧٨٢ حتى كانت جميعها مستعدة للمعركة الفاصلة من أجل البحرين •

---

(٧٨) Lorimer, I, i. 788

(٧٩) انظر تاريخ البحرين للنبهانى : ١٢٣ ـ ١٢٤ .

(٧٩) المصدر السابق .

(٨١) المصدر السابق . كان الفرس يمارسون حكم البحرين عن طريق شيخ بوشهر العربى الذى كان هو صاحب الكلمة العليا فى الجزيرة دون ريب ، اما اعترافه بسلطة شاه فارس على البحرين واجزاء اخرى مجاورة لبوشهر فكان اسميا .

وكذلك يبدو أنه من ذلك الوقت كان كل طرف مشترك فى النزاع قد وجد له حلفاء من بين القوى البحرية العربية فى الخليج العربى •

ففى جانب شيخ بوشهر كان يقف كل من شيخ بنى كعب ، وشيخ بندر ريق ، وشيخ هرمز ، والقواسم ، وجميع هؤلاء من العرب • اما بجانب العتوب الذين كانوا فى بداية المعركة يتخذون موقف المدافع ، فانه من الصعب علينا ان نذكر أى حليف • ومهما يكن من أمر ، فانه قد ورد ما يفيد بأن سلطان عمان قد ارسل عام ١٧٧٩ سفينة الى الزبارة فى زيارة ودية (٨٢) • كنا نتوقع ان ينضم سلطان عمان الى جانب العتوب ، وذلك لأن اعداءه التقليديين وهم القواسم ، قد انضموا علنا الى الطرف الآخر فى النزاع ، غير انه ليس هنالك ما يفيد بأن السلطان قد انضم الى احد طرفي النزاع فى مشكلة البحرين عام ١٧٨٢ • ولكن العتوب قد وجدوا حلفاء من عرب شبه جزيرة قطر على ما سنرى ، ساهموا معهم فى الدفاع عن الزبارة ضد المعتدين عام ١٧٧٩ •

الاشتباكات المبكرة

وعلى الرغم من أن العتوب كانوا فى المراحل الاولى من القتال فى سبيل البحرين يتخذون موقف المدافع لا المهاجم ، الا انه قد ورد ما يفيد انهم فى وقت مبكر من سنة ١٧٨٢ قد استولوا فى مدخل شط العرب « على عدة سفن تمتلكها بوشهر وبندر ريق » (٨٣) • وكذلك ورد ما يفيد بأن الشيخ نصر ، شيخ بو شهر كان بدوره :

« يجمع قوى بحرية وكذلك قوة برية عسكرية فى بوشهر وبندر ريق وموانىء فارسية أخرى ــ وهو يقول فى تبرير هذا انه يقصد الانتقام من اعتداءات العتوب وذلك بشن هجوم على الزبارة (٨٤) • »

---

(٨٢) انظر Lorimer, op. cit., I, ii, 788

(٨٣) انظر الرسالة ١٢٣• مجلد (١٧) من لاتوش بالبصرة الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٤ نوفمبر ١٧٨٢ فى سجلات الوكالات •

(٨٤) المصدر السابق •

وكذلك ورد ما يفيد بأنه « قد كتب يطلب العون المادى من على مراد خان » فى أصفهان (٨٥) . وقد علق مستر لاتوش على هذه الاستعدادات بقوله :

« مهما يكن من أمر فانه على الرغم من مظهر الحماس هذا . فانه يقال انه (الشيخ نصر) قد أرسل منذ مدة قريبة الى القرين يطلب الصلح ، غير ان شيخها قد رفض ان يجيب طلبه الا اذا دفع الشيخ نصر نصف دخله من البحرين وقدرا كبيرا من الجزية سنويا عن بوشهر » (٨٦) .

ويمضى المستر لاتوش فى خطابه قائلا :

« منذ سنوات قريبة كانت القرين قد وجدت نفسها مضطرة ان تدفع جزية (لبنى كعب) ، واما اسم الزباره فندر ان كان يعرفه احد . وعندما هاجم الفرس البصرة ، لجأ احد شيوخ الكويت ، مع نفر كبير من سكانها المرموقين ، الى الزبارة . وكذلك لجأ الى نفس المكان بعض تجار البصرة . وبسبب حصار البصرة وما نجم عنه تحول الكثير من لولؤ الهند وتجارتها الى ذلك المكان (الزبارة) وكذلك الى القرين، وذلك ابان الفترة التى كان فيها الفرس يحتلون البصرة ، ازدادت أهمية ذينك المكانين وكذلك مناعتهما بدرجة انهما استطاعا ان يتحديا (بنى) كعب ، بل وفاقوهم فى مزايا كثيرة ، وهم الآن لا يخشون بحال تهديد القوة التي يجمعها الشيخ نصر للهجوم عليهم » (٨٧) .

---

(٨٥) المصدر السابق .

(٨٦) المصدر السابق ، لاحظ ان المراسلة من الشيخ نصر قد وجهت الى شيخ القرين (الكويت) لاالى عتوب الزبارة .

(٨٧) المصدر السابق .

الشيخ نصر يحاصر الزبارة

ومهما يكن من أمر ، فان الشيخ نصر رأى انه من الضرورى أن يتقدم للهجوم على الزبارة لينتقم من تلك الهجمات العتبية،لا سيما بعد أن استولى العتوب على « سفينة تابعة لبوشهر كانت متوجهة الى البحرين لتتسلم الاتاوة السنوية منها » (٨٨) • اعد الشيخ نصر حملة لتدمير الزبارة ، وكان يشد أزره فيها شيوخ بندرريق ، وجناوه ودوشستان ، وموانىء اخرى على الشاطىء الشرقي من الخليج • أبحر أسطول بوشهر يحمل ألفى مقاتل من عرب الشاطىء الشرقي للخليج ، وعقدت القيادة للشيخ محمد ، ابن أخ الشيخ نصر ، (٨٩) وكانت وجهته البحرين • ان هذا الاسطول :

« على الرغم من انه كان يظن أنه كاف لشن هجوم على الزبارة ، لم يتقدم نحوها ، بل استمر فى حركة دائبة فى المنطقة الفاصلة بين البحرين والزبارة ، وكان هدف الشيخ نصر من ذلك اخضاع الزبارة بفرض الحصار البحرى عليها » (٩٠) •

وساطة شيخ القواسم

وفى هذه الاثناء بذل الشيخ راشد بن مطر ، شيخ القواسم (٩١) وساطته ، غير أن هذه الوساطة باءت بالفشـــل ، لأن أكثر ما كان العتوب مستعدين للتنازل عنه هو ارجاع ما نهبوه من جزيرة البحرين

---

(٨٨) مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٤

(٨٩) يقول النبهاني (تاريخ البحرين : ١٢٤) أن القائد كان الشيخ نصر نفسه .

(٩٠) مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٤

(٩١) تقاعد الشيخ راشد بسبب كبر سنه وخلفه نجله صقر . انحاز القواسم الى جانب شيخ بوشهر نظرا لان العتوب كانوا قد استولوا على أحد قواربهم وقتلوا ثمانية عشر رجلا من ملاحيــه .

انظــر Lorimer, po. bit., I, i, 634

منذ وقت قريب (٩٢) . وكانت نتيجة فشل هذه المساومات أن أنزل عرب بوشهر قواتهم على البر آملين أن يحتلوا قلعة الزبارة دون مقاومة تذكر . غير أن المهاجمين مالبثوا ، بعد وصولهم البر ، أن داهمتهم قوات تفوقهم عدة وعددا ، كانت قد أبحرت من قلعة الزبارة ، وبعد معركة عنيفة ألقى المهاجمون أسلحتهم وولوا الادبار ، قاصدين مراكبهم . وكانت نتيجة هذه المعركة مقتل الشيخ محمد ، قائد بوشهر «، وبعض الرجال البارزين من جماعة هرمز ، وابن أخ للشيخ راشد بن مطر » (٩٣) .

دور الكويت فى النزاع

ويبدو أن عتوب الكويت ظلوا بعيدين عن هذه المعركة الاولى ، وذلك يرجع فى الغالب الى انهم كانوا ينتظرون أن ينزل بهم هجوم بوشهر قبل الزبارة نظرا لقرب مدينتهم من منازل بني كعب وبوشهر . ويبدو كذلك أن أنباء الهجوم على الزبارة قد وصلتهم متأخرة جـدا ، لانهم القوا القبض على مركب تابع لبوشهر يحمل أنباء هزيمة جيوش بوشهر فى الزبارة ، وكذلك فيه أوامر تطلب من ابن الشيخ نصر ، المتصرف بشئون البحرين ، أن يبذل كل ما فى وسعه للدفاع عن الجزيرة . حتى يتيسر لوالده أن يمده بالعون . لقد اعترض الاسطول الكويتي (٩٤) سبيل ذلك المركب التابع لبوشهر ، وبذلك تسنى للعتوب معرفة الامور الجارية فى الزبارة والبحرين .

---

(٩٢) ورد فى مختارات بومباى : ٣٦٤ أن شيخ بندر ريق قد عرض وساطته قبل الشيخ راشد ولكن وساطته فشلت .

(٩٣) انظر مختارات حكومة بومباى : ٣٦٤ . لعله من الجدير بالذكر فى هذا المقام ان نشير الى ان عتوب الزبارة تلقوا العون لطرد المهاجمين من معظم القبائل العربية بقطر . يخص النبهاني (تاريخ البحرين : ١٢٥ قبيلة بن علي بالذكر . ويذكر لورمر Lorimer الكثير من القبائل باسمائها (Gazetteer, I, i, 840)

(٩٤) انظر مختارات حكومة بومباى : ٢٨ يذكر الكابتن تيلور Taylor أن الشيخ نصر كان على رأس الجيش المهاجم للزبارة ، وانه قد أرسل الانباء لابنه فى البحرين ، وهو فى طريقه الى بوشهر ، بعد هزيمته . (المصدر السابق) .

ويبدو أن اسطول الكويت كان يتألف من ستة مراكب كبيرة ، وبعض المراكب الصغيرة ، التى كانت مبحرة فى طريقها الى الزبارة لنجدتها [٩٥].

ويبدو أن المعلومات التي حصل عليها أسطول الكويت من القارب التابع لبوشهر كانت على جانب كبير من الاهمية ، مما جعل عتوب الكويت يتخذون « اجراء سريعا وحاسما » . فقد ابحروا فى الحال الى البحرين واستولوا على قلاعها الرئيسية ، وقطعوا خط الرجعة على اسطول الشيخ نصر المنهزم [٩٦] .

ولا نعرف على وجه الدقة هل شارك عتوب الزبارة اخوانهم عتوب الكويت فى هجوم الاخيرين الاول على المنامة فى البحرين ، اذ انه على الرغم من أن الرواية المحلية لآل خليفة تعزو فتح البحرين الى احمد بن محمد بن خليفة [٩٨] والقبائل العربية النازلة بقطر ، وهي تنفى أن يكون لعتوب الكويت أى دور فى الفتح فان التقارير الاقدم عن هذا الحدث ، وهي التي كتبها المستر واردن Warden والكابتن تيلور Taylor ، تشير بوضوح الى ان دور الكويت كان هاما وحاسما [٩٩] .

---

(٩٥) انظر Lorimer, op. cit., I, i, p. 839

(٩٦) انظر مختارات حكومة بومباى : ٣٦٥ ان لورمر (I, i, 839) عند وصفه لهذا الفتح ، يقول ان الحملة الكويتية أسرعت الى المنامة ، عاصمة البحرين ، واستولت على المدينة وأشعلت فيها النيران وعزلت « الحامية الفارسية » فى القلعة . ان لورمر يتحدث عن « الحامية الفارسية » التى يجب ان نذكر انها حامية الشيخ نصر وهم فى الغالب عرب لا فرس .

(٩٨) كان يقوم باعمال الشيخ نيابة عن أخيه خليفة ، حاكم الزبارة ، والذى كان يؤدى فريضة الحج بمكة . انظر تاريخ البحرين : ١٢٢ .

(٩٩) انظر تقريريهما فى منتخبات حكومة بومباى (٢٤) : ٢٨ – ٢٩ وكذلك : ٣٦٤ – ٣٦٥ .

واذا التفتنا الى فتح البحرين فاننا نجد أن عتوب الكويت الغازين للجزيرة سرعان ما انضم اليهم ، بالقـدر الذى سمحت به وسـائل المواصلات ، عتوب الزبارة ورويس (١٠٠) وكذلك جماعات من المقاتلة من مختلف قبائل قطر ويذكر من بينهم آل مسلم من حويله وآل بن علي من فويرط والسودان من الدوحة وآل بوعينين من الوكرة والقبيسة من خور حسن والسلطة من الدوحة والمنانعة من أبو ظلوف والنعيم من داخل شبه جزيرة قطر (١٠١) • ولقد فاق عدد المهاجمين عدد حرس القلاع بالبحرين ، ويبدو أنهم لم يجدوا صعوبة فى احتلال قلعتى المنامة والمحرق ، وهما المدينتان الكبيرتان فى البحرين • ويبدو أن القوى الاخرى فى البحرين لم تظهر اية علامة من علامات المقاومة لان القـوة المقاتلة الوحيدة فى البحرين كانت تتألف من حرس القلاع •

تاريخ الفتح

يبدو أن احتلال جزر البحرين قد تم بعد مضى شهر علي عودة الشيخ نصر الى بوشهر من معركته الخاسرة فى الزبارة • ويفيد أحد التقارير ان الشيخ نصر قد عاد الى بوشهر فى ١٢ يونيه ١٧٨٢ ، وان حاميات البحرين قد استسلمت للعتوب فى ٢٨ يوليه من نفس السنة ، وأنها وصلت الى بوشهر منسحبة مـن البحرين فى ٥ أغسطس سنة ١٧٨٢ (١٠٢) • وهكذا فان نهاية عام ١٧٨٢ قد شهدت تحول البحرين من بلد يتبع عرب بوشهر المرتبطين بدورهم بشاهات الفرس (١٠٣) الى جزءلا يتجزأ من دويلات العتوب ، يصرف أمورهم فيه آل خليفة فى سياسة ،

---

(١٠٠) كان الجلاهمة قد استقروا فى ذلك المكان الى الشمال من الزبارة بقطر .

(١٠١) انظر Lorimer, op, cit., I, i, 839-840

(١٠٢) انظر منتخبات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٥ يضيف نفس المصدر ان الشيخ راشد ، شيخ رأس الخيمة ، قد صاحب الحرس المنهزمين الى بوشهر (المصدر السابق)

(١٠٣) انظر الصفحات القادمة .

أقل ما يقال فيها أنها كانت تنسجم مع السياسة العامة لابناء عمومتهم عتوب الكويت •

الشيخ احمد الفاتح

كان من الطبيعي أن لايتقبل الشيخ نصر أو شاه الفرس خسارة البحرين ، وعلى ما سنرى فيما بعد ، استمرا يبذلان الجهود لاعادة فتح البحرين وللقضاء على عتوب الزبارة والكويت ، وفى نفس الوقت فان الشيخ احمد ، الذى لقبه العتوب بالفاتح (١٠٤) ، بعيد اتمام فتـح البحرين ، لم يضع وقتا فى تركيز قوته بالبحرين ، وصار الشيخ أحمد أول حاكم للبحرين والزبارة فى سنة ١٧٨٣ ، وذلك اثر وفاة اخيه خليفة بمكة ، حيث كان يؤدى فريضة الحج ابان تلك الاحداث كما مرّ بنا •

رأى الشيخ أحمد أن يوزع بعض ما كسبه من الغنائم على الجماعة الذن ساهموا فى معركة الاستيلاء على البحرين وتخليصها من نفوذ شيخ بوشهر وشاه فارس • ولسنا نعلم على وجه الضبط ما ناله كل فريق من هؤلاء • غير أنه يبدو أن آل صباح ، وقومهم عتوب الكويت ؛ قد عادوا الى مدينتهم بعد انتهائهم من العمليات الحربية • أما الجماعة العتبية الهامة الاخرى ، ونعنى بهم الجلاهمة الذين قد ساهموا ، على ما يبدو مساهمة فعالة فى احتلال البحرين ، فانهم كانوا يتوقعون انيحصلوا على نصيب اكبر من الغنائم ويبدو أنهم قد طالبوا بأن يخصص لهم جزء ينزلون به من البحرين (١٠٥) • وعلى الرغم من أن المصادر التى بين أيدينا لا تحدد على وجه الضبط مطالب الجلاهمة ، فالثابت أن تلك المطالب لم

---

(١٠٤) تتلاعب الروايات المحلية بكلمة خليفة وتؤرخ فتح البحرين بالجملة التالية صار احمد فى اوال خليفة ، اى فى البحرين وان حساب الحروف الموجودة فى هذه الجملة تعطينا تاريخ ١١٩٧ هجرية/١٧٨٢ ــ ١٧٨٣م وهو تاريخ الفتح . هذه رواية النبهاني فى تاريخ البحرين : ١٢٦

(١٠٥) كان الجلاهمة قد نالهم أذى آل خليفة فى الزبارة من قبل وطردوا من تلك المدينة ، ونزلوا فى رويس •

لم تحقق • فغادر الجلاهمة البحرين مغاضبين ، ونزلوا مدة من الزمن فى جزيرة خارج ، وحتى فى بوشهر بلد الاعداء (١٠٦) • لقد كان الجلاهمة آنذاك تحت رئاسة أربعة أولاد لشخص يدعى جابر ، ويبدو أن واحدا من هؤلاء الاربعة وهو رحمة ، قد اغتصب السلطة من اخوته ، وربما كان ذلك بعد نزاع مع اخوته ، وأما أخوه عبد الله بن جابر ، فاضطر الى الالتجاء الى مسقط ، حيث كان يأمل فى أن ينال عونا من حاكمها، يستطيع به أن يعود لقتال رحمة المغتصب (١٠٧) • ويبدو أن الجلاهمة لم يطل بهم المقام فى جزيرة خارج وفى ميناء بوشهر (١٠٨) ، لانهم سرعان ما عادوا الى قطر ليقيموا هذه المرة فى خور حسن بدلا من رويس • ان تولي رحمة ابن جابر أمر الجلاهمة ، واختياره القرصنة وسيلة للعيش له ولجماعته ، قد جعله يصبح « السوط المصلت على آل خليفة » (١٠٩) •

ومهما يكن من أمر فان الشيخ احمد ، على ما يبدو ، لم ينقل عاصمة الحكومة من الزبارة الى البحرين فى أعقاب الفتح مباشرة • ذلك أنه ورد ما يفيد بأنه قد عاد الى الزبارة بعد الفتح ، تاركا أحد أقاربه ليحكم البحرين من قلعة الديوان ، الواقعة فى مدينة المنامة ، ولكى يحرسها من أى تهديد فارسى قد تتعرض له (١١٠) • ولقد اعتاد الشيخ احمد ان يمضى الصيف فى البحرين ، وباقى العام فى الزبارة حتى توفى

---

(١٠٦) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٥٢٢

(١٠٧) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ٥٢٢ وانظر كذلك
Lorimer, op. cit., I, i, p. 840

(١٠٨) لا يعرف على وجه الدقة سبب اختيار الجلاهمة لميناء بوشهر كمستقر مؤقت لهم بعد طردهم من البحرين ، غير أنهم ربما كانوا قد اعتقدوا بأن الشيخ نصر قد يستولى على البحرين من جديد ، وبهذا ينزلهم فى تلك الجزر ، وهو منزل خير لهم من قطر .

(١٠٩) انظر Lorimer, op. cit., I, i, 840

(١١٠) قارن النبهاني ، تاريخ البحرين : ١٢٧

عام ١٧٩٦ ، حيث دفن بالمنامة (١١١) • خلف الشيخ احمد نجله سلمان ابن أحمد فى الحكم ، واختار الرفاع بالبحرين مستقرا لاقامته (١١٢) ، ولعل فى هذا دليلا على تمركز عتوب الزبارة فى البحرين أولا ، ثم تجنبا منهم للخطر الوهابي ثانيا •

نتائج الفتح العتبي للبحرين

على الرغم من أن آل خليفة قد استمروا فى اتخاذ الزبارة مركزا لهم بعد فتح البحرين،وعلى الرغم من انها بقيت مركزا لنشاطهم التجارى، فان احتلال جزر البحرين قد كان له نتائج بعيدة المدى فى تاريخ الدويلات العتبية السياسى ، وكذلك فى التطور الاقتصادى الخاص بها • ذلك ان موقع جزر البحرين الجغرافى،وغناها العظيم(١١٣)النسبى كان بمقدورهما ان يوفرا دخلا ميسرا وثابتا لأى جماعة نشيطة مغامرة من التجار• ويبدو ان العتوب كانوا على علم بهذه الحقيقة • واذا ما اضفنا الى هـذا الاحوال المضطربة فى البصره ومثيلتها فى بلاد فارس،فانه يصبح بمقدورنا ان نفهم كيف استفاد العتوب فائدة كبرى من هذه الرقعة التى ضموها الى ممتلكاتهم فتجارة اللؤلؤ فى الخليج العربى ، التى كانت دائما متركزة فى البحرين ، صارت الآن ملكا لهم ، وكذلـك فان الكثير من اغنياء التجار الذين كانت لهم ثروات كبيرة مستغلة فى التجارة الهندية ، كانوا يقيمون فى الزبارة (١١٤) وعلى هذا فان اسطول العتوب اصبح فى مركز

---

(١١١) المصدر السابق

(١١٢) ربما كان هذا الاختيار يرجع الى أسباب صحية ، لان الرفاع تقع على تلة عالية ، بخلاف المنامة الواطئة نسبيا ، لوقوعها فى سهل منبسط •

(١١٣) ان المقارنة هنا هي مع قطر وبعض النواحي غير المنزرعة فى شرقي الجزيرة العربية كالكويت نفسها •

(١١٤) انظر الرسالة ١٢٣٠ مجلد (١٧) من لاتوش الى مجلس المديرين الصادرة من البصرة بتاريخ ٤ نوفمبر ١٧٨٢ فى سجلات الوكالات •

يستطيع به ان يلعب دورا اساسيا فى نقل البضائع عبر الخليج العربى [115] .

غير ان هذا النجاح التجارى والسياسى قد جلب معه منافسات للعتوب لم يكن لها وجود قبل عام ١٧٨٢ . فانه بالاضافة الى اعداء العتوب الثلاثة وهم بنو كعب وعرب بندرريق وعرب بوشهر ، قد ضم الفتح الى قائمة اعداء الكويت بالذات الشيخ راشد ، شيخ رأس الخيمة ، وابنه ، والشيخ عبد الله ، شيخ هرمز ، الذين صاروا اعداء للقوة العتبية النامية . ثم ان خطرا اعظم من هذا تعرض له عتوب البحرين قد تمثل فى سلطان مسقط ، الذى كان قد ادعى منذ وقت مبكر السيادة على البحرين [116] غير ان السلطان لم يصبح خطرا يهدد العتوب فى البحرين حتى نهاية القرن الثامن عشر ، كما سنبينه فى الفصل الثامن من كتابنا ، والذى نعالج فيه مطلع القرن التاسع عشر ، غير انه قد ورد ما يفيد بأنه « قد احتفظ بموقف محايد تماما » تجاه الصراع الذى نشب بين العتوب وبين اعدائهم اثناء وبعد الفتح [117] . ان هذا السلوك من قبل السلطان يمكن ان نعلله بمقتضى الاسباب الاتية . ان اولئك الذين كانوا يتصارعون من اجل السيادة على البحرين كانوا هم العتوب ، الذين لم يكن حتى الان قد قام بينهم وبين السلطان عداوة ، ثم العرب النازلون على الساحل الشرقى للخليج ، ثم القواسم الاعداء التقليديون لمسقط . فاذا انضم السلطان الى العتوب فانه بهذا يتنازل عن ادعائه بأن البحرين كانت ولاية تابعة لمسقط فى السابق [118] ، وهو لن ينضم الى الاخرين لانهم فى الاصل اعداؤه . اضف الى ذلك بأن الامام احمد بن سعيد ، سلطان

---

(١١٥) انظر التقرير عن تجارة الشاطىء الغربى من الخليج فى منتخب سلدنها : ٤٠٩

(١١٦) انظر ما سبق على الصفحة ٦٦

(١١٧) انظر مختارات حكومة بومباى (٢٤) : ١٧١

(١١٨) انظر ما سبق ص ٦٦

مسقط ، كان عام ١٧٨٠ قد بلغ من العمر قدرا لا يستطيع معه ان يبادر باعلان اى حرب • وقد اعقب وفاته فى ١٥ ديسمبر سنة ١٧٨٣ ، صراع على العرش بين ابنائه الثلاثة (١١٩) • وهكذا فان مسقط لم تكن فى موقف يسمح لها بالتدخل فى البحرين •

ومهما يكن من امر فان امتناع سلطان مسقط عن التدخل لم يوقف عرب الساحل الشرقى من الخليج عن وضع الخطط لاعادة الاستيلاء على البحرين وديار العتوب الاخرى فى الكويت وقطر • غير أنه يبدو ان العتوب كانوا يمتلكون فى العقد التاسع من القرن الثامن عشر قوة بحرية كبيرة كان بمقدورها ان تصمد امام اى هجوم يقع على ديارهم • وتتحدث المصادر المعاصرة عن انه :

« خلال الشطر الاخير من عام ١٧٨١ كانت الاستعدادات جارية للقيام بحملة على نطاق واسع ، ازمع تنفيذها شيوخ بوشهر وهرمز تساعدهم القوات الفارسية وكذلك شيخ القواسم ضد الزبارةوالكويت، غير ان سفنهم لم تتحرك بتلك الحملة » (١٢٠) •

ومهما يكن من امر فان الاستعدادات لتحقيق هـذا الهدف قد تجددت فى نهاية العام التالى ، وفى ١٢ فبراير عام ١٧٨٥ تقدم الشيخ نصر عن طريق البر الى كونكون ، وابحرت سفن بوشهر وبندر ريق الى ذلك المكان يوم ٢١ فبراير ،حيث كان سينضم اليها شيوخ هرمز ، وشيخ

---

(١١٩) انظر الفتح المبين : ١٧٣ ثم ما يليها .

وكذلك Miles, Countries and Tribes etc., II, 281

(١٢٠) انظر منتخبات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٥ ولوريمر فى المصدر السابق : ٨٤٠ . وفى رسالة وجهها من البصرة المستر لاتوش الى اللجنة السرية لشركة الهند الشرقية بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٧٨٣ يتحدث لاتوش عن استعدادات بنى كعب للهجوم على الكويت والبصرة . وكذلك يتحدث عن الشيخ نصر شيخ بوشهر كحليف لبني كعب (الرسالة ١٢٦٢ مجلد (١٧) فى سجلات الوكالات .

رأس الخيمة . وكذلك كانت قد وصلت قوة عسكرية من شيراز الى كونكون لتنضم الى هذه الحملة (١٢١) .

« غير ان وفاة علي مراد خان ، صاحب شيراز ، أزالت الخطر الذى كان يتهدد آل خليفة فى البحرين خلال السنوات القليلة التالية ، وهكذا بقى شيوخ البحرين لا يتعرضون لاذى طالما كانت حكومة شيراز تتعرض لصعوبات داخلية » (١٢٢) .

ان هذا يمكن أيضا أن يعزى الى وفاة الشيخ نصر فى ١١ ابريل ١٧٨٩ (١٢٣) .

التجاء مصطفى آغا متسلم البصرة وثويني شيخ قبيلة المنتفق الى الكويت

غير ان عتوب الكويت من ناحية اخرى كانوا يتعرضون لبعض الصعوبات فى علاقاتهم مع سليمان باشا والى بغداد . فقد فقد سليمان باشا سلطانه على مدينة البصرة عام ١٧٨٧ ، عندما قرر متسلمها مصطفى اغا ان يحكمها حكما مستقلا عن ولاية بغداد . ان سليمان باشا ، الذى كان متسلما للبصرة قبل احتلال الفرس لها فى عام ١٧٧٦ ، كان لايزال يطمع فى ادارة شئون تلك المدينة ، بعد ان صار يشغل منصب باشا بغداد فى عام ١٧٨٠ . وهكذا قام سليمان باشا بحملة عسكرية لاخضاع البصرة ،فى الوقت الذى انضم فيه ثوينى، شيخ أقوى قبيلة عربية تنزل فى

---

(١٢١) انظر منتخبات حكومة بومباى (٢٤) : ٣٦٥ ـ ٣٦٦

(١٢٢) Lorimer, I, i, 840

(١٢٣) ورد ذكر وفاة الشيخ نصر فى رسالة من المستر مانيستي والمستر جونز الى اللجنة السرية صادرة من البصرة بتاريخ ٢٩ يونيه ١٧٨٩ . انظر الرسالة ١٥٢. مجلد (١٨) فى سجلات الوكالات .

نواحي البصرة ، الى التسلم • وفى سنة ١٧٨٧ نصب ثوينى نفسه حاكما على المدينة وارسل مفتيها الى القسطنطينية ليقنع السلطات بتنصيبه حاكما على البصرة والمنطقة المجاورة لها •

وكانت نتيجة حملة سليمان باشا ان هرب مصطفى أغا ، واخوه معروف أغا وثوينى ، وكثيرون آخرون ممن اشتركوا فى الثورة على باشا بغداد ، الى مدينة الكويت لاجئين الى شيخها عبد الله بن صباح وعندها طلب الباشا والكخيا من الشيخ ان يسلم اللاجئين اليه غير أنه رفض طلبهم • ولما رأى الباشا ان الشيخ مصر على رفضه ، طلب من المقيم الانجليزى فى الوكالة التجارية الانجليزية فى البصرة ان يتدخل ، غير أن المقيم رفض ان يساهم فى الحملة التى كان الباشا يزمع القيام بها ضد الكويت (١٢٤) •

وفى رسالة الى الشيخ عبد الله بن صباح بتاريخ ١٧ ابريل١٧٨٩ أخبر المستر مانيستى الشيخ بان الباشا يزمع هجوما على الكويت ، اذا رفض الشيخ أن يسلم اللاجئين (١٢٥) • اما الشيخ عبد الله فقد قال فى جوابه الموجه الى المستر مانيستى بانه على استعداد لقتال الباشا فى سبيل حماية ضيوفه ، اذا لم يكن هنالك سبيل آخر غير الحرب (١٢٦) •

---

(١٢٤) انظر خطابا من المستر مانيستي Manesty ، ووكيله المستر جونز Jones الى اللجنة السياسية بلندن بتاريخ ٢٩ يونية ١٧٨٩ . الرسالة ١٥٣٢ مجلد (١٨) . من الطريف ان نلاحظ ان المستر مانيستي والمستر جونز يلاحظان ان الكخيا لم يكن متحمسا بالفعل فى طلبه من الشيخ أن يسلم مصطفى آغا ، لانه كان يعتبر الاخير منافسا خطيرا له ، اذا أصدر الباشا عفوا عنه وسمح له بالبقاء فى بغداد .

(١٢٥) الرسالة ١٥٣٢ مجلد (١٨) ، من مانيستى الى الشيخ عبد الله بن صباح فى سجلات الوكالات .

(١٢٦) الرسالة ١٥٣٢ المجلد (١٨) بتاريخ ٣٠ ابريل ١٧٨٩ من الشيخ عبد الله بن صباح الى المستر مانيستي فى سجلات الوكالات .

وفى نفس الوقت اكد الشيخ عبد الله للباشا ، وللمقيم الانجليزى ،بانه لا داعى لخوفهما من ان يشن اللاجئون هجوما على البصرة ماداموا فى الكويت ، يتمتعون بحمايته (١٢٧) .

غير ان مخاوف الباشا كان لها ما يبررها فانه :

« فى بداية شهر يوليه جمع ثوينى قوة بالقرب من قرية الجهرة ، وهو مكان يقع بالقرب من مدينة القرين ،حيث انضم له مصطفى أغا ، المتسلم السابق ونحو مائة وخمسين خيالا تركيا » .

وقد تقدم جيشهما الصغير نحو البصرة ، وفى « اليوم العاشر من شهر يوليه عسكروا فى سفوان ، وهو موقع على بعد ثلاثين ميلا من البصرة » . فى الطريق الى الكويت . وهنالك التقى بهم حمود بن ثامر شيخ قبيلة المنتفق الجديد والمتسلم الجديد لمدينة البصرة . انهزم ثوينى ومصطفى أغا ولجأ اولهما الى شيخ مدينة كتيبان من بنى كعب ، بينما هرب الثانى ، يصحبه اخوه وبعض الاتراك الى مدينة الكويت « وهناك باعوا خيولهم ، وذهبوا الى مدينة مسقط ، بقصد الاتجاه الى مكه » (١٢٨) .

ان عزم شيخ الكويت المشار اليه آنفا ، يدل دلالة واضحة على انه كان بمقدوره أن يجمع قوة تكفى لردع اى معتد على اراضيه . لقد سبق ان بينا كيف انه تحدى بنى كعب والشيخ نصر ، شيخ بوشهر فى سنة ١٧٨٢ ، وكيف ان اسطوله قاد الهجوم على البحرين فى

---

(١٢٧) انظر نص الرسالتين فى السفر الثانى من المجلد الاول من كتابنا هذا .

(١٢٨) انظر رسالة من مانيستي وجونز الى السير روبرت اينسلي Sir Robert Ainslie السفير البريطانى فى اسطمبول صادرة عن البصرة بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٧٨٩ فى سجلات الوكالات المجلد (١٨) . ولقد أورد عثمان بن سند قصة عصيان ثويني بتفصيل فى مخطوطه مطالع السعود ، الاوراق ١٢١ ــ ١٢٥ .

تلك السنة نفسهـــا (١٢٩) • ان سلطة الشيخ عبد الله بن صبـــاح الراسخة « وخلقه الممتاز » قـد أكسـباه احترام الوكالة التجارية الانجليزية بالبصرة • وعلى هذا فعندما قامت الصعوبات بين متسلم تلك المدينة وسليمان باشا من جهة ، ورجال الوكالة من جهة اخرى ، رأوا ان الكويت يمكن ان تخلف البصرة كمركز لنشاط الوكالة التجارية الانجليزية (١٣٠) • والواقع ان الصداقة كانت قائمة بين الوكالة الانجليزية والشيخ « منذ أمد بعيد » (١٣١) •

موقف الانجليز من الصراع الدائر بين عرب الخليج
(١٧٨٢ ــ ١٧٩٠)

قبل معالجة موضوع علاقات الانجليز بالكويت سنتعرض الى موقفهم مع ، وسلوكهم تجاه ، القوى العربية المتصارعة فى الخليج •

لقـــد كان ذلك الموقف دون ريب هو موقف حيادى • اما الذى أملى ذلك الحياد ، فكانت اوامر صادرة من حكومة بومباى ، لان الذى كان يهم شركة الهند الشرقية الانجليزية حتى ذلك التاريخ ، هو تجارتها التى حرصت على ان تبقى بعيدة عن كل تدخل أجنبى ، ومن ثم فان الاوامر قد صدرت الى سفنها بأن لا تتدخل فى شئون اية سفن تعمل فى القرصنة فى الخليج ، ما دام العلم البريطانى محترما • ولقد كان المقيم الانجليزى بالبصرة بعد ان قام القواسم بهجوم على سفينة بريطانية واستولوا عليها فى سنة ١٧٧٨ ، كان ينتظر اللحظة التى تصله فيها التعليمات والسفن الحربية لتدمير قوتهم • غير انه عندما توفرت

---

(١٢٩) انظر ما سبق

(١٣٠) انظر الرسائل ١٥٢٠ ، ١٥٣٥ المجلد (١٨) والصادرة عن البصرة من المستر مانيستي وجونز الى اللجنة السرية للشركة بلندن بتاريخ ٢٩ يونيه ١٧٨٩ فى سجلات الوكـالات •

(١٣١) المرجع السابق •

له تلك القوة ، لم يكن بمقدوره ان يفعل شيئا دون « موافقة من بومباى » (١٣٢) ومهما يكن من أمر فان تعليمات الشركة الى وكالتها بالبصرة ، فى العقد التاسع عشر كانت تقضى بأن تستمر الوكالة محافظة على علاقات ودية مع « القوى المتعددة » فى الخليج ومع بنى كعب :

« وبندر ريق ، واهالى القرين ، والقبائل العربية الاخرى على الساحل الشرقى والغربى من الخليج ، الذين فى مقدورهم ان يزعجوا تجارتنا ..... من اجل ضمان رسائل الشركة والتجارة الانجليزية والمسافرين الانجليز على طريق البصرة وحلب وبغداد » .

وقد وجدت الشركة كذلك ان :

« الهدايا فى المناسبات ، يكون لها قيمة كبيرة فى الابقاء على هذا التفاهم الطيب » (١٣٣) .

علاقات الشيخ عبد الله بالانجليز

لقد سبق ان بينا القول بأن الشيخ عبد الله كان على علاقات طيبة للغاية مع ممثلى شركة الهند الشرقية الانجليزية . ففى سنة ١٧٧٨، سمح لرجال الوكالة بالبصرة ان يلقوا القبض على الضابط الفرنسى المسيو دى بورج ، ولقد استمرت هذه العلاقات الطيبة طوال العقد التاسع من القرن الثامن عشر . ولا غرابة فى هذا ، لان المنفعة كانت متبادلة عند الطرفين . فالشركة من ناحيتها كانت قد اعتمدت ، خلال

---

(١٣٢) فى رسالة من المستر لاتوش الى اللجنة السرية صادرة من البصرة بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٧٨٣ يعبر عن أمل الوكالة فى أن تغتنم ذات يوم الفرصة لتدمير اسطول القواسم . ويبدو منها كذلك انه كان يميل فى قرارة نفسه الى العتوب دون اعدائهم .

(١٣٣) خطاب من لاتوش الى مانيستي صادر فى البصرة بتاريخ ٦ نوفمبر ١٧٨٤ ، وخطاب من مانيستي الى اللجنة السرية . الرسالة ١٢٩٩ مجلد (١٨) . انظر للنص الكامل لهذا الخطاب السفر الثانى من المجلد الاول من تاريخنا هذا .

فترة قد مضت ، على الكويت فى ارسال واستلام مراسلاتها • امـا الشيخ فقد استفاد فائدة كبيرة من النقل التجارى • ولقد تعرضت هذه العلاقات الى خطر التصدع بسبب المشكلة التى نجمت عـن عـادة « حماية الضيف » عندما لجأ المسيو دى بورج الى الكويت ، وكذلك عندما حـاول المستر مانيستى ان يتدخل فى مشكلة الشـيخ ثوينى ومصطفى اغا • ومهما يكن من امر ، فان العلاقات الودية قد استمرت قائمة رغم كل هذا ، وفى سنة ١٧٩٠ ذهب المستر هارفورد جونز Harford Jones (وهو الذى صار السير هارفورد جونز بريدجـز Brydges فيما بعد) الى الكويت طلبا للاستجمام بعد أن ساءت صحته فى البصرة (١٣٤) • وهكذا فانه كلما كانت المنازعات تشتد حدتها بين وكالة البصرة وباشا بغداد ، كان يرد اسم الكويت على لسان رجال الوكالة الانجليزية كبديل للبصرة ومستقر للوكالة • ان هذه المنازعات قد تطورت تطورا بطيئا منذ ١٧٨٠ ، عندما عين سليمان باشا واليا على بغداد ، حتى عام ١٧٩٢ ،عندما اتخذت الخطوة النهائية الحاسمة من قبل مانيستى وجونز لنقل الوكالة من البصرة الى الكويت (١٣٥) •

---

(١٣٤) تمتاز الكويت بين مدن الساحل الشرقى لجزيرة العرب بهوائها الجاف • ولقد كانت قياسا مع البصرة أصح نظرا لخلوها من البعوض وقلة الرطوبة بها نسبيا •

(١٣٥) وصل المستر جونز الكويت بقصد « تغيير الهواء » فى ٧ مارس ١٧٩٠ • انظر خطابا من مانيستى وجونز الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٢٧ يونيه ١٧٩٠ • الرسالة ١٥٥١ مجلد (١٨) • لقد فضلت الكويت على غيرها من المراكز فى الخليج لتخلف البصرة ، حتى عندما ظهر اسم جزيرة خارج كمنافس لها • انظر رسالة من مانيستى وجونز الى اللجنة السرية صادرة عن البصرة بتاريخ ٢٩ يونية ١٧٨٩ • الرسالة ١٥٢٠ مجلد (١٨) •

وفى هذا الوقت أصبح الخطر الذى يتعرض له العتوب فى كل من الكويت والزبارة والبحرين من بعد ذلك ، لا يصدر عن عرب الشاطىء الشرقى للخليج العربى ، ولا عن باشا بغداد ، وانما عن قلب جزيرة العرب ، حيث كانت قوة جديدة عارمة تقتحم طريقها الى الشاطىء الغربي للخليج . وهذه القوة تتمثل فى الوهابيين الذين بدأوا يشددون هجماتهم على شرقى الجزيرة العربية فى السنوات الاولى من العقد التاسع من القرن الثامن عشر ، وهؤلاء سنعالج أمرهم فى فصل خاص بهم هو الفصل التالى .

الفصل السادس

الوهابيون في شرقي الجزيرة العربية

١ـ الوهابية وعلاقات الوهابيين ببني خالد
٢ـ تطور الكويت وبلدان العتوب الأخرى (١٧٩٠-١٨٠٠)
٣ـ العلاقات الوهابية العتبية (١٧٩٢-١٨٠٠)

الفصل السادس

الوهابيون فى شرقي الجزيرة العربية

تمهيـــد :

ان المؤرخ الذى يتناول أحداث أى جزء من شرقى الجزيرة العربية فى القرن الثامن عشر ،يشعر بأن تاريخه ناقص اذا لم يلتفت التفاتا ــ حتى ولو جزئيا ــ الى العلاقات المتوترة التى سادت أحداث النصف الثانى من ذلك القرن ، بين اكبر قوتين تحكمتا فى شرقى الجزيرة ، أو تصارعتا من أجل التحكم والانفراد بالحكم فيه خلال تلك الفترة ، وهما بنو خالد والوهابيون . والواقع أن تاريخ بنى خالد ما زال غامضا فى هذه الحقبة ، ولم ينل ما يستحقه من عناية مؤرخي الجزيرة العربية المحدثين . لذلك ، ثم نظرا للعلاقات الوطيدة بين بنى خالد والكويت ، رأينا أن نفصل هذه الدراسة حرصا على متتبع أحداث الكويت من ناحية ، ثم حرصا كذلك على متتبع تاريخ الجزيرة العربية من ناحية أخرى. والدراسة التى نضعها بين يدى القارىء العربى هى جديدة كل الجدة فيما اعتقد ، وما عرف أو ما ذكر منها فى التواريخ الاخرى ، انما جاء على شاكلة شذرات ، معظمها جاء فى سياق حديث المؤرخين المحدثين عن تطور واتساع نفوذ الوهابيين فى شرقى الجزيرة العربية .

يرد اسم بني خالد فى عدد كثير جدا من رسائل وتقارير ممثلي شركة الهند الشرقية الانجليزية فى الخليج خلال القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر ، غير أننا لا نجد تفاصيل عن حكمهم فى شرقى الجزيرة

العربية فى هذا المصدر التاريخى الهام • أما المؤرخان الوهابيان ، ابن غنام وابن بشر ، فلم يكن بمقدورهما اهمال قوة بني خالد ، واغفال مقاومتهم العنيدة للتوسع الوهابي فى شرقى جزيرة العرب • ومهما يكن من أمـــر ، فان نظرتهمـــا الى بني خالد ، لم تزد عـــلى اعتبارهم من « المشركين » الذين يجب اخضاعهم للنفوذ الوهابي •

غير اننا نجد كثيرا من تاريخ بنى خالد محفوظا فى سوابق ابن بشر (١) ، وهـــي الاشارات التي يورد فيها ابن بشر أحـــوال الجزيرة العربية قبل الحركة الوهابية • وان حديث ابن بشر عن حكام بني خالد ، قبل تلك الحركة ، يفيدنا دون شك من حيث توضيح أهمية الدور الذى لعبه بنو خالد ضد الحركة الوهابية فى حروبها فى قلب وشرقي الجزيرة فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر واوائل التاسع عشر • ولا نعرف حتى يومنا هذا ان هنالك محاولة قد جرت لرسم شجرة تاريخية لحكام بنى خالد (٢) • وعلى هذا فاننا سنحاول أن نعطي فى الفصل الحالى قائمة بأولئك الحكام ، معتمدين على كتابات ابن غنام ، وابن بشر ، ومؤلف لمع الشهاب • ان دراسة العلاقات بين الوهابيين وبني خالد ، ستلقى ضوءا على احـــوال الكويت ، وسائر العتوب أثناء وبعد الصراع بين تينك القوتين • كما سوف نخصص جزءا من هذا الفصل ، نبين فيه التطورات التي تمت فى الكويت وسائر ممتلكات العتوب بعد عام ١٧٩٠ ، وسوف ندرس كذلك علاقات الكويت والزبارة فى نفس الفترة مع الوهابيين ، على ضوء ما ورد فى كتابات الوهابيين والمؤلفات المعاصرة الاخرى • اما

---

(١) انظر ما سبق ص ٢٦ ــ ٢٧

(٢) نجد أشجار الانساب لكثير من القبائل العربية فى كتاب Die Beduinen لاوبنهايم Oppenheim ، وعلى الرغم من أنه يتحدث عن بني خالد فانه لا يرسم شجرة لحكامهم • انظر المجلد الثالث : ١٣٣ ــ ١٤٢

اعتمادنا فى دراسة الصراع بين الوهابيين وبني خالد ، فقائم على المصادر العربية اكثر من الكتابات الاوروبية ، هذا فى الوقت الذى تكون سجلات الوكالة التجارية ، والمصادر الاوروبية الاخرى ، المراجع الاصلية لتطور الكويت وباقي مدن العتوب .

(أ) الوهابية :

لا بد لنا فى هذا المقام من أن نقدم ملخصا موجزا للعقائد الاساسية عند الوهابية ، لأن حروب الوهابيين ضد بنى خالد كانت قائمة على أساس فهم الوهابية للاسلام . ان الوهابيين فى حروبهم مع بني خالد ، كانوا يدركون تمام الادراك انهم لايحاربون شيوخا صغارا على نمط صغار زعماء نجد . واذا ما تذكرنا أن الوهابيين لم يكن بمقدورهم أن ينقلوا ثقل الحرب الى الاحساء حتى الاعوام التي ختمت العقد التاسع من القرن الثامن عشر فاننا نستطيع أن ندرك كيف أنهم كانوا يقيمون وزنا كبيرا لشيخ بني خالد . ومهما يكن من أمر ، فاننا يجب أن نذكر ان القبائل التي حاربت تحت زعامة آل سعود قد فعلت ذلك متأثرة بحماسها لتعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

العقائد الاساسية للوهابية (٣) :

اذا ما أردنا أن نتحدث بايجاز عن الوهابيين كما دعا اليها محمد ابن عبد الوهاب ، فاننا نقول انها تقوم على الوحدانية وعدم الشرك بالله بأية صورة كانت . والواقع أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يفكر

---

(٣) يتحدث الكتاب الوهابيون عن جماعتهم باسم الموحدين أما اطلاق اسم الوهابيين عليهم فالاصل فيه اعداؤهم الذين اطلقوه عليهم عند بدء الدعوة . انظر مقالة « الوهابية » التى كتبها المستشرق مارجوليوث Margoliouth فى دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الاولى .

حين دعا دعوته هذه ، فى ابتداع أى شيء جديد ، ولذا فليس فى دعوته أى جديد غير موجود فى تعاليم الاسلام (٤) .

والواقع ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد هدف من حركته الاصلاحية الى أن يخلص جماعته من الآثام التي وقعوا فيها عندما تركوا العمل بالشرائع السماوية المنزلة فى القرآن ، وحين عاشوا حياة ابعد ما تكون عن طبيعة الاسلام فى عصوره الاولى . وهو على ذلك اراد منهم أن يعودوا الى كلمة الله فى القرآن ، وان ينفذوا أقوال الرسول والصحابة . لقد كان هذا فى جوهره هو اساس وهدف تعاليم الشيخ محمد (٥) . ان الدارس لحياة الشيخ محمد يستطيع أن يرى فيها ثلاثة أدوار متمايزة ، أولها يتمثل فى تعليمه الديني المبكر الذى تلقاه عن والده الشيخ عبد الوهاب (٦) ، قاضي العيينة بنجد ، وعلماء آخرين فى نجد ، والثاني

---

(٤) ان الكتابات التى دونها المعاصرون للشيخ من اوروبيين ومسلمين مضللة الى حد بعيد ، ولقد انتقد اقوالهم الخاطئة هذه كتاب أوروبيون كتبوا من بعدهم مثل بركهاردت Burckhardt فى كتابه Notes on the Bedouins and Wahabys فى الصفحة ٢٧٧ . ونجد مثلا واضحا على تلك الاخطاء فى كتاب الشيخ منصور ، الطبيب الايطالي وقائد قوات السيد سعيد سلطان مسقط فى كتابه History of Seyd Said, (p. 36)

(٥) انظر بخصوص سرد موجز لتعاليم الشيخ محمد كتاب لمع الشهاب (الاوراق ٢٦٣ - ٢٧٧) . وعلى الرغم من أن مؤلف هذا الكتاب لم يكن وهابيا ، فيبدو انه قد فهم تعاليم الشيخ فهما تاما ، ولا يختلف ما أورده عما كتبه ابن غنام فى كتابه « روضة الافكار » . لقد كان الوهابيون يقاومون دون هوادة أمرين : الشرك والبدع ، وكانوا يرون ان المسلمين يجب أن يحذوا حذو الرسول وصحابته ، لان البدع كانت فى رأى الوهابية وليدة الجهل . ولقد آمن الشيخ محمد واتباعه بانهم اذا استطاعوا ان يستاصلوا الشرك والبدع واعادوا الناس الى الاعتقاد بالوحدانية وساروا على الصراط المستقيم فان المسلمين سيصبحون دون شك اخوانا ، وأن الامن سيعم البلاد وتتحسن أحوالها . انظر بحثا فى عقائد الوهابية فى :
Rentz: Muhammad b. Abd Al-Wahhab, 40-41

(٦) يطلق بريدجز Brydges خطأ أسم عبد الوهاب على الشيخ محمد ولا يخفى ان عبد الوهاب هو والده : انظر ص ٧ من كتابه The Wahauby

فترة الترحال (٧) والثالث يبدأ بعودته الى العيينة (٨) ، حيث ابتدأ ينشر الدعوة الوهابية التي أدت الى طرده من هناك واقامته نهائيا في الدرعية • أما الرجل الذى تقع عليه مسئولية طرده فهو سليمان بن محمد آل حميد شيخ بني خالد •

نفوذ بني خالد في نجد

لم تكن هذه هي أول حادثة يتدخل فيها بنو خالد في شئون نجد . فلقد كان سكان نجد يعترفون بأن شيخ بني خالد هو أقوى جيرانهم وسعوا الى ارضائه بالهدايا وتقديم فروض الطاعة (٩) • ويبدو ان هذا كان هو الوضع في نجد في القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر • واذا امتنع زعماء القبائل العربية عن تقديم الهدايا الى بني خالد ، كان شيخهم يقوم بغزو للمدن النجدية يعود محملا بعده بالغنائم (١٠) •

---

(٧) بدأ الشيخ محمد رحلاته عندما كان عمره نحو عشرين سنة فارتحل من نجد الى الاحساء ومن هناك الى البصرة فبغداد فكردستان فهمدان فاصفهان فقم فحلب فدمشق فقدس الخليل (بيت المقدس) فالقاهرة فالسويس فينبع فمكة فبريدة . ومن بريدة عاد الى العيينة بعد غياب دام نحو عشرين سنة . ولا بد أن تكون رحلاته هذه قد جعلته يكون رأيا واضحا عن أوضاع العالم الاسلامي المنحلة . ولا شك أن الشيخ قد استفاد من الاقامة في دمشق بدراسة مؤلفات المصلح الحنبلي الكبير ابن تيمية . ولم يذكر ابن غنام وابن بشر هذه الرحلات تفصيلا في تاريخهما ، غير أن لمع الشهاب قد فصلها .

(٨) يقول آخرون بانها كانت اليمامة في نجد . أما لمع الشهاب فانه يورد الروايتين أى العيينة واليمامة (انظر ورقة ١٧) . اما ابن غنام وابن بشر فيحددانها على أنها العيينة . انظر كتاب الغزوات البيانية : ٣٠ وكتاب عنوان المجد ١ : ٦

(٩) كان ابن معمر صاحب العيينة قبل قيام الوهابيين في الدرعية حوالى منتصف القرن الثامن عشر أقوى شيخ في نجد (لمع الشهاب ورقة ٤١) .

(١٠) تمدنا « سوابق » ابن بشر بمعلومات فيما يتعلق بغزوات بنى خالد هذه في عدة سنين من النصف الاول من القرن الثامن عشر . ففي سنة ١١٢٦هـ/١٧١٤م غزا سعدون بن محمد بن عرير اليمامة ، وكان يصاحبه عبد الله بن معمر شيخ العيينة . انظر ابن بشر : ١ : ١٨٣ . وفى سنة ١١٣٢هـ/١٧١٩م هجمعلى الدرعية،وكانتصاحبه مدفعيته (انظر المصدر السابق : ٢١٢ : ٢١٣) . وفى سنة ١١٤٠هـ/١٧٢٧م هاجم شريف مكة قبائل الظفير في الخرج وكان يساعده على بن محمد بن غرير شيخ بنى خالد . وفى السنة التالية قام على ، بعد ان اصبح له حلفاء بعضهم من قبيلة عنزة ، قام باعلان الحرب على الظفير واجبر شيخهم ابن سويط على الهرب الى الرياض .

على ان نفوذ بني خالد فى نجد لم يقم دون معارضة سابقة لقيام الوهابيين ، ذلك أنه فى عام ١١٤٢هـ/١٧٢٩م اختار سليمان بن محمد بن غرير رئيس الاحساء ، اختار احد اقاربه أميرا للحج (امير حجاج قطر والبحرين والاحساء) ، غير أن عرب قبيلة مطير النجدية هاجموا قافلتهم وسلبوا من الحجاج كميات كبيرة من النقود ، وقتلوا عددا كبيرا من وجهاء الاحساء والقطيف والبحرين (١١) • وربما كان هذا الهجوم قد وقع على قافلة يحميها بنو خالد • والسبب ان آل حميد كانوا منقسمين على أنفسهم بعد وفاة سعـدون فى ١١٣٥هـ/١٧٢٢م وكان رؤساؤها يتنازعون على كرسي الحكم (١٢) •

النزاع على السلطان بين شيوخ بنى خالد

أما طرفا النزاع فكانا عليا وسليمان شقيقى سعدون ، وكانت حركتهما موجهة ضد ولاية دجين ومنيع • وقد انتصر الاخوان فى بادىء الامر على ولدى سعدون اللذين طلبا عون الظفير والمنتفق (١٣) • ان هذا النزاع الداخلي بين شيوخ بني خالد قد عاد من جديد عند وفاة علي فى سنة ١٧٣٦ • ومهما يكن من أمر فان حكم سليمان فى بني خالد قد استمر من عام ١٧٣٦ الى عام ١٧٥٢ •

سليمان بن محمد

ولقد وقع الاصطدام الاول بين الوهابيين وبني خالد خلال حكم سليمان بن محمد (١٤) • ذلك أنه اثر عمل من أعمال العنف قام به

---

(١١) انظر ابن بشر ١ : ٢١٨

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) المصدر السابق ص ٢٣٠ . كانت قبيلة الظفير تسكن الخرج فى غربى الاحساء وذلك ابان النصف الاول من القرن الثامن عشر على حد قول ابن بشر وفى اواخر القرن كان الظفير والمنتفق ينزلون المنطقة القريبة من البصرة .

(١٤) اننا نتحدث عن الوهابية كحركة مستمرة واحدة اى انها بدأت بالدعاية التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى العيينة سنة ١٧٤٥ قبل أن يطرد الى الدرعية .

الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه بالعيينة ، رجمت فيه امرأة زانية حتى الموت ، اراد اعداء الحركة الوهابية ان يقمعوها قبل ان يعم امرها سائر بقاع نجد • غير أنه لما كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب يتمتع بحماية عثمان بن معمر رئيس العيينة (١٥) ، فان الشيوخ الضعاف فى المدن المجاورة ، تلفتوا الى شيخ بني خالد الذى كان بمقدوره أن يأمر ابن معمر بتنفيذ ما يريده هؤلاء الشيوخ • لقد كان الشيخ سليمان ذا قوة عظيمة ، ونفوذ واسع ، مما اضطر ابن معمر ان يوافق فى الحال على طلباته (١٦) • وهكذا غادر الشيخ محمد بن عبد الوهاب مدينة العيينة قاصدا مدينة الدرعية ، حيث تحالف مع رئيسها محمد بن سعود فى سنة ١١٥٨هـ/١٧٤٥م (١٧) • ان هذا الاتحاد الجديد بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبين محمد بن سعود ، كان لا بد أن ينجم عنه صراع مع بني خالد •

وعلى خلاف ما كان من أمر طرد الشيخ محمد لاسباب دينية من العيينة ، كانت هنالك أسباب دينية وغير دينية أيضا لتلك الحروب • والواقع أن الذى يتدبر الصراع بين الوهابيين وبني خالد من اجل السيادة على شرق جزيرة العرب وقلبها ، يستطيع ان يتبين عوامل سياسية

---

(١٥) كان ابن معمر بحكم كونه رئيس العيينة اقوى شيوخ نجد وعلى هذا لم يكن بمقدور أحد منهم ان يهاجم محمد بن عبد الوهاب • انظر لمع الشهاب ورقة ٣٢ •

(١٦) انظر المصدر السابق الورقة ٣٣ • كان الشيخ سليمان يتمتع بنفوذ واسع ، على حسب قول صاحب كتاب لمع الشهاب ، ليس فى الاحساء والمنطقة المجاورة لها فحسب ، بل كذلك فى شبه جزيرة العرب لا سيما النواحى الواقعة على حدود العراق وفى نجد نفسها وكذلك فى ضواحى الشام •

(١٧) يرى ابن بشر ان هجرة الشيخ قد تمت فى هذه السنة (ابن بشر ١ : ١٥) لقد أتفق محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب على ان يكون الاول الزعيم السياسى للموحدين وان يكون الثانى زعيمهم الدينى • قارن لمع الشهاب الاوراق ٣٤ ـ ٣٦ ، وانظر ايضا ابن غنام ٢ : ٤ ، وابن بشر ١ : ١٢ ويبدو مما كتبه صاحب لمع الشهاب ان دور الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان هو الدور الرئيسى فى جميع شئون الوهابيين السياسية والدينية طوال ايام حياته •

واقتصادية ودينية ، كانت تكمن خلف ذلك الصراع . اما بالنسبة لبني خالد ، فان الوهابيين كانوا يمثلون خطرا ناميا يجب أن يتحكموا فيه قبل ان يتسع فيشمل منطقة أوسع من الدرعية ، غير أنه لم يكن بمقدورهم أن يتخذوا اجراء حاسما بهذا الخصوص ، لان سليمان كان يتعرض بوصفه زعيما لبني خالد لمنافسة شديدة على الزعامة من بين أفراد اسرته نفسها ، ولا سيما من قبل دجين ومنيع ولدى سعدون ، وهي منافسة انتهت عام ١٧٥٢ بطرد سليمان من الاحساء الى الخرج حيث توفي فى نفس العام (١٨) .

زعامة عريعر

خلف عريعر ، نجل دجين ، سليمان فى حكم بني خالد فى سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م (١٩) . ولقد استمر حكمه نيفا وعشرين سنة .

ولقد كان بنو خالد يغزون نجدا طوال حكم عريعر ، ولم يكن الوهابيون قد أصبحوا من القوة بحيث يستطيعون شن الغزوات على الاحساء (٢٠) . ولم يكن بمقدور عريعر ان يتجاهل القوة الوهابية النامية فى نجد (٢١) ، وعلى ذلك فانه بدأ فى سنة ١١٧١هـ/١٧٥٨م يعد العدة

(١٨) انظر ابن بشر ١ : ٢٧

(١٩) يذكر ابن بشر ان عريعر كان يتعرض بدوره لمنافسة شخص يسمى حماده من بني خالد ، ولم يستطع ان يثبت اقدامه فى زعامتهم الا بعد انقضاء بعض الوقت (المصدر السابق ص ٢٧) .

(٢٠) لم يشن الوهابيون أية غارة على الاحساء فى عهد عريعر سوى مرة واحدة فى سنة ١١٧٦هـ/١٧٦٢م وكان يقودهم عبد العزيز وحتى هذه الغارة لم تكن ذات بال . قارن ابن غنام ج ٢ ص ٧٢ ، وابن بشر ج ١ ص ٤٦ . يورد ابن غنام تفاصيل اكثر من ابن بشر فيما يتعلق بهذه الغارة . ـ

(٢١) يرى رينتز Rentz أن عريعر لم يكن مهتما بادىء ذى بدء بقيام جماعة الوهابيين بجواره فى نجد . انظر : Muhammad b. Abd Al-Wahhab p. 104 غير أن رينتز لا يشرح لنا اسباب ذلك . والذى نراه ان عريعر كان مهتما بقيام الوهابيين بجواره ، غير انه فى الغالب لم يكن بمقدوره أن يهاجمهم قبل ان يركز نفوذه بين بنى خالد . والجدير بالذكر أن الوهابيين طوال حكمه لم يستطيعوا ان ينالوا شيئا من نفوذه ، وهو قد حاربهم فى اكثر من موقعة هامة . (انظر ما يلى) .

لحملة على الدرعية (٢٢) • وكان وقع هذه الانباء على الوهابيين شديدا ، ذلك أنهم بدأوا فى تحصين مدينة الدرعية والمدن الوهابية الاخرى(٢٣) • وفى العام التالي تحركت جيوش عريعر المؤلفة من بني خالد ومن أهل الاحساء وبعض المدن النجدية ، ولم يبلغ عريعر مدينة الدرعية فى هذه الحملة لأن قواته فشلت فى الاستيلاء على الجبيلة ، القلعة الوهابية الحصينة (٢٤) • وبعد ستة أعوام من هذه الغزوة ١١٧٨هـ/١٧٦٤م هاجم رئيس نجران ، حسن المكرمي الوهابيين بالقرب من الدرعية وهزم قواتهم غير أنهم نجحوا فى ابرام الصلح معه • ولما علم عريعر بذلك الهجوم ، اتفق مع المكرمي على أن يشنا هجوما مشتركا على الدرعية ، غير ان ذلك الهجوم المشترك لم يتم ، وهاجم عريعر الدرعية بمفرده ، ولكنه لم ينجح فى هجومه هذا (٢٥) •

ان فشل عريعر فى الاستيلاء على الدرعية وعلى الجبيلة ، يظهر بوضوح أن تلك المواقع الوهابية كانت على درجة ممتازة من التحصين وكذلك يتضح ضعف وسائل الحصار التي كانت متوفرة لدى عريعر • ومهما يكن من أمر ، فان عريعر لم يتوقف عـن شن الحروب ضـد الوهابيين ، ففي سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م استولى على بريدة ، وهو زاحف على الدرعية ، غير أنه توفى فى الخابية قبل ان يبلغ الدرعية (٢٦) •

---

(٢٢) ابن غنام ٢ : ٦١

(٢٣) ابن غنام ٢ : ٦١

(٢٤) لمع الشهاب ، الاوراق ٤٢ ـ ٤٣

(٢٥) كان حسن المكرمى شيعى المذهب (لمع الشهاب ٤٤) . يقول صاحب لمع الشهاب ان عريعر قد بذل كل جهده لاقناع حسن المكرمى فى أن ينضم اليه لاستئصال شأفة الوهابيين ووعده بأن يدفع له سنويا مائة الف قطعة ذهبية اذا وافق على ان ينقض اتفاقه مع الوهابيين غير ان حسن رفض ذلك (لمع الشهاب ٤٨) . لقد صادف وصول عريعر ميدان المعركة ، بعد أن عقد المكرمى الصلح مع الوهابيين .

(٢٦) ابن غنام ٢ : ١٠١ وابن بشر ١ : ٦١ ـ ٦٢

سعدون بن عريعر : ١١٨٨هـ/١٧٧٤م – ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م

لقد تولى بطين اكبر انجال عريعر قيادة جيش بني خالد بعد وفاة والده ، وحاول المضي فى الخطة التي رسمها والده فى الهجوم على الدرعية ، غير أنه وجد أن قبيلته لا ترغب فى ذلك . وعلى هذا عاد الى الاحساء حيث لقي مصرعه خنقا على أيدى أخويه دجين وسعدون . وسرعان ما دس سعدون السم لاخيه دجين وصار شيخا على بني خالد فى سنة ١١٨٨هـ/١٧٧٤م (٢٧) .

غير أن سعدون لم يحظ بتأييد جميع زعماء بني خالد ، وعلى هذا كان بمقدور عبد العزيز ، زعيم الوهابيين ، أن يضرب أحزاب بني خالد ببعض (٢٨) . وكذلك كان الوهابيون منذ ١٧٧٣ ، أى قبل وفاة عريعر بسنة ، قد ضموا الى منطقة نفوذهم مدينة الرياض وجوارها (٢٩) ، وعلى هذا صارت لهم قاعدة قوية يخرجون منها لعملياتهم الحربية . والواقع ان الوهابيين قد أصبحوا الآن فى موقف لايستطيعون معه التدخل فى شئون بني خالد الداخلية فحسب ، بل صار بمقدورهم أيضا ان ينقلوا الحرب الى الاحساء نفسها .

ومهما يكن من امر فان سعدون قد استطاع ان يركز نفوذه فى جميع انحاء الاحساء فى السنة نفسها ، وصار بمقدوره ان يرد اى اعتداء قد يقوم به الوهابيون على أراضيه . ولقد برهن سعدون طوال الاثنتي

---

(٢٧) حدد رينتز فى كتابه المذكور آنفا (ص ٩٠) عام ١١٨٩ هـ كتاريخ لهذه الحادثة ، ولعله يساير فى ذلك ابن غنام حينما يذكر فى حوادث ١١٨٩ هـ بان بطين قد عاون صاحب نجران فى حربه الثانية مع الوهابيين . اما ابن بشر الحريص على تاريخ حكم زعماء بنى خالد فيضع الحادثة تحت حوادث عام ١١٨٨ هـ

(٢٨) انظر لمع الشهاب ٧٩ – ٨٣ .

(٢٩) كان دهام بن دواس شيخ الرياض اشد اعداء الوهابيين مراسا ، ولم يستطيعوا الاستيلاء على مدينته الا بعد ثمانية وعشرين عاما .

عشرة سنة (٣٠) التي حكمها ، على أنه زعيم لا يقهر فى بلده الاحساء • وعلى هذا فان معاركه مع الوهابيين كانت تقع فى نجد ذاتها • ولقد طلبت عدة مدن ، من نجد ، العون من سعدون عندما كانت تحاول أن تتخلص من حكم الوهابيين (٣١) • ومهما يكن من أمر فانه لم يأت عام ١٧٨٠ حتى كان حكم الوهابيين قد تركز فى نجد ، واخذ عبد العزيز بن محمد آل سعود بعد أن وثق من قدرته على صد أى هجوم قد يقوم به بنو خالد ، فى استخدام سلاح جديد فى صراعه مع اعدائه فى الاحساء • لقد بدا واضحا بعد الصراع على زعامة بني خالد ، اثر وفاة عريعر ، أن زعماءهم لم يعضدوا سعدون بالاجماع • وعلى هذا لجأ عبد العزيز ، على حد قول صاحب كتاب لمع الشهاب ، الى الرشوة كوسيلة ثانية لتحقيق هدفه ، الا وهو تحطيم قوة بني خالد فى شرقي جزيرة العرب • فكتب عبد العزيز ، حسب رواية صاحب لمع الشهاب أيضا ، خطابات الى اخوة سعدون ، وزعماء آخرين من نفس تلك القبيلة ، شجع فيها الاولين على الثورة وتسلم أمور الحكم ، يقول لهم فيها : « ليس سعدون بأولى منكم فى الحكومة بل كونوا أنتم حكاما بأجمعكم فان أبى عن ذلك فاصنعوا فيه ما يزيل رأسه » (٣٢) •

وحتى هذا التاريخ ، كان بنو خالد يتصرفون فى شئونهم الداخلية دون تدخل أجنبي • فقد رأينا انه فى سنة ١٧٥٢ بعد طرد سليمان بن محمد ،

---

(٣٠) يذكر رينتز خطأ انها كانت عشرين سنة (الكتاب السابق ص ٢١٩) . بينما يجعلها صاحب لمع الشهاب (ورقة ٨٠) اثنتى عشرة سنة وهذا هو الصواب وهو يتفق مع ما أورده ابن بشر •

(٣١) فى سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م هاجم سعدون الوهابيين فى الخرج وفى سنة ١١٩٣هـ/١٧٧٩م هاجمهم فى المجمعة وفى سنة ١١٩٥هـ/١٧٨٠م هاجمهم فى الخرج وفى سنة ١١٩٦هـ/١٧٨١م هاجمهم في بريدة . قارن ابن بشر ١ : ٧٠، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٥ •

(٣٢) لمع الشهاب ، ورقة ٨٠ . لا نجد اشارة فى تاريخى ابن غنام وابن بشر الى استعمال عبد العزيز لاساليب التفرقة والرشوة ، وهذا امر طبيعى فهما مؤرخان وهابيا العقيدة •

ورأينا عريعر يقيم نفسه زعيما على بني خالد بدون عون أجنبي مدى عشرين سنة . وعند وفاته ، استطاع سعدون أن يعيد الامن والنظام فى منطقة الاحساء بدون أن يحتاج الى مساعدة أجنبية . غير أنه بعد هذا التاريخ ، ونظـرا للمؤامرات الوهابيـة ، وضعف معارضى سعدون ، اخذت خصوماتهم تقرب نهايتهم وذلك بمنح هؤلاء الاجانب الفرصة للتدخل فى شئونهم الداخلية .

وعلى هذا فانه من الراجح جدا أن يكون عبد المحسن بن سرداح ابن عبد الله آل حميد، قدقاد ثورته ضد سعدون فى سنة ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م بتشجيع من الوهابيين (٣٣) . ولما شعر عبد المحسن بأن أنصاره وأنصار دويحس ومحمد ، أخوى سعدون من بني خالد ، لم يكن بمقدورهم أن يهزموا سعدون ، فانه قد طلب العون مـن ثويني ، شيخ قبيلة المنتفق (٣٤) ، الذى انضم بقواه الى الثائرين على سعدون وانتصروا عليه فى معركة جضعة (٣٥) ، وفر سعدون الى الدرعية ، طالبا حماية عدوه اللدود عبد العزيز آل سـعود . أما الوهابيون فكانـوا ينتظرون هذه النهاية لمخططاتهم ، وعندما أرخ ابن غنام وصـول سـعدون الى الدرعية ، وتولى دويحس زمام السلطة فى بني خالد ، وأشار الى قرب انهيار حكم بني خالد فى شرقي الجزيرة ، فقد كان يتوقع ما قد حدث بالفعل (٣٦) .

أما سعدون ، وفق رواية لمع الشهاب ، فقد طلب من عبد العزيز آل سعود أن يمده بالعساكر ليتمكن من اعادة الاستيلاء على الاحساء ،

---

(٣٣) يقول صاحب لمع الشهاب ، (ورقة ٨١) أن دويحس وأخاه محمدا كانا أول الثائرين ، وانهما طلبا العون من خالهما عبد المحسن بعد فشلهما فى عزل سعدون .

(٣٤) لمع الشهاب ، ورقة ٨١ .

(٣٥) ابن غنام ٢ : ١٣٩

(٣٦) المصدر السابق .

غير ان الاخير كان لا يزال ماضيا فى سياسة ضرب بني خالد بعضهم ببعضهم، حتى يتأكد أن الوقت قد حان للقيام بهجوم حاسم على اراضيهم (٣٧). وهكذا ففي سنة ١١٩٨هـ/١٧٨٤م أغار سعود بن عبد العزيز على الاحساء بقصد استطلاع مدى رد الفعل منها لهجوم وهابي ، غير أن تلك الغزوة برهنت على ان بنى خالد لا يزالون اقوياء الشكيمة . اما وقد صار سعدون رهن مشيئته ، فان عبد العزيز قد تأكد من أن بني خالد قد اصبح يعوزهم الزعيم ، ومع كل هذا ، فان جميع قوى بنى خالد كانت قد تكتلت وراء عبد المحسن ودويحس . ومهما يكن من امر فان الوهابيين قد بدأوا بعد هذا بقليل غزواتهم لاراضي بنى خالد . ففي سنة ١٢٠٢هـ/١٧٨٧م غزا القائد الوهابي سليمان بن عفيصان بعض نواحي قطر ، وهاجم مدينة العقير ، وهو عائد من قطر الى الدرعية (٣٨) ، وكان سعود قد خرج فى وقت مبكر من نفس السنة قاصدا صحراء الدهناء بغرض التجسس على بنى خالد .

حكم عبد المحسن ودويحس ومحمد فى بني خالد
(١٢٠٠هـ/١٧٨٥م – ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م)

باستيلاء عبد المحسن ودويحس ومحمد على السلطة فى بنى خالد بدا واضحا أن الصراع العائلى سيستمر فى تلك القبيلة ، نظرا لان عبد المحسن ، المنتمى الى آل عبد الله ، صار هو الامير غير المتوج على بنى خالد ، اما اولاد اخته ، دويحس ومحمد ، وهما من آل عريعر ، فلم يكن بيدهما من الامر شيء . توفى سعدون بعد ان اقام سنة فى الدرعية عمل فى خلالها الوهابيون كل ما فى طاقتهم ، لتوسيع شقة الخلاف بين

---

(٣٧) انظر لمع الشهاب ، الاوراق ٨٣ – ٨٤ .

(٣٨) ابن غنام ٢ : ١٠٣ ، ١٥٣ وابن بشر ١ : ٨٣ .

بنى خالد اذ حرضوهم على خلع عبد المحسن وابنى اخــته ، واعادة سعدون الى الحكم ، غير أن دعاوتهم لم تأت بطائل ، وقد استمروا فى سياستهم تلك بعد موت سعدون ، يوم ان طلبوا من قبيلته ان تمنح ولاءها لاخيه زيد بن عريعر (٣٩) •

أما تاريخ تولى حكام بنى خالد السلطان ، بعد وفاة سعدون ، فأمره معقد جدا • وليس بين أيدينا من المصادر التاريخية المعاصرة التى يمكن ان تتتبعه فيها سوى تاريخ ابن غنام ، وتاريخ ابن بشر ، ثم كتاب لمع الشهاب • غير ان هذه المصادر الثلاثة لا تصدر احكاما قاطعة فى هذا الموضوع ، والواقع أنها تتعارض أحيانا (٤٠) ، ويصبح من الصعب جدا علينا ان نكون صورة واضحة لتوالى الحكم فى بنى خالد بعــد عام ١٢٠٤هـ/١٧٨١م •

غير أنه على الرغم من أن زعماء بنى خالد كانوا يتعرضون بين حين وآخر الى العزل نتيجة لمؤامرات عائلية ووهابية ، فاننا يمكننا أن نميز ثلاثة عهود بين عام ١٧٨٥ الى نهاية القرن • أما اولهما فهو عهد دويحس ومحمد وخالهما عبد المحسن الذى كان وصيا عليهما والذى دام حتى عام ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م ، ويليه عهد زيد بن عريعر (١٢٠٤هـ/١٧٨٩م ــ ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م) ثم عهد براك بن عبد المحسن (١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ــ ١٢١١هـ /١٧٩٦) •

---

(٣٩) ليس من السهل ان نفسر وجود زيد فى الدرعية ، ويرى فيلبي Philby فى كتابه Sa'udi Arabia (ص ٧٨) أنه قد نفي من الاحساء مع أتباعه بعد الثورة على سعــدون •

(٤٠) يذكر ابن غنام ان دويحس وعبد المحسن قد لجآ بعد هزيمتهما فى معركة غريمل فى سنة ١٢٠٧ الى الزبارة بينما يذكر ابن بشر انهما لجآ الى عرب المنتفق فى الشمال • قارن ابن غنام ٢ : ١٦٠ ، وابن بشر ١ : ٨٥ •

تتابع الهجمات الوهابية على أراضي بنى خالد
(١٢٠٠هـ/١٧٨٥م – ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م)

ولقد تميزت الهجمات الوهابية على شرقى الجزيرة العربية فى الفترة ما بين ١٢٠٠هـ/١٧٨٥م الى ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ، بطابع من القسوة والارهاب ، حتى بدا كأن الوهابيين انما كانوا يهدفـون الى اثارة الاضطراب بين سكان المدن ، والى ارهابهم بحيث يجعلونهم يثورون على حكامهم (٤١) . غير ان الوهابيين لم يكونوا قادرين بعد ، فى عهد عبد المحسن ودويحس على غزو الاحساء ، ومن ثم اخضاعها لسلطانهم ولقد كانت الغزوات الوهابية التى حدثت فى عامـى ١٧٨٧ ، ١٧٨٨ خاطفة قصيرة الامد (٤٢) . ولقد سبق ان بينا أن ثوينى شيخ المنتفق كان حليفا لعبد المحسن ودويحس . وكان ثوينى قد عقد اتفاقا سابقا مع الوهابيين ، ولذلك ساءه ان يمنحوا سعدون حق اللجوء الى الدرعية. وعلى هذا مال ثوينى الى مساعدة حكام بنى خالد الثلاثة . غير أنه لسوء حظ هؤلاء فشل ثوينى فى ثورته التى اعلنها على باشا بغداد ، والتى كان يهدف من ورائها ان يصبح متسلما على البصرة (٤٣) .ففى سنة ١٧٨٧ هزم سليمان باشا قوات ثوينى ولجأ ثوينى مع فلول جيشه الىقرية الجهرة بالشمال الغربي لمدينة الكويت ، وفى السنة التالية هاجم سعود ، قائد الوهابيين ، قوات ثوينى بالقرب من الجهرة ، وفتك بها فتكا ذريعا . وعلى هذا اصبح ثوينى غير قادر على مد يد العون لبنى خالد فى الاحساء . وعلى الرغم من بلوغ سعود هذه المرتبة من القوة فانه ، على ما يبدو ، لم يأنس فى نفسه القوة على غزو الاحسـاء ،

---

(٤١) مثال ذلك الهجوم الوهابى على قرية الفضول ، التى ذبح أهلها ذبح النعاج . انظر ابن غنام ٢ : ١٥٩ .

(٤٢) انظر لطبيعة هذه الغزوات ابن غنام ٢ : ١٥٨ – ١٥٩ ، وابن بشر ١ : ٨٥،٨٤،٨٣ .

(٤٣) انظر مـا سبق شرحه .

ومواجهة عبد المحسن ودويحس فى معركة مفتوحة ، وعلى هذا مضى فى سياسته السابقة ، وهى غزو اراضى بنى خالد فى الشمال والجنوب (٤٤) •

ومهما يكن من امر ، فان سعود قد وجد فى عام ١٢٠٤هـ/١٧٨٩م أنه بمقدوره ان يغزو الاحساء فيمم شطر واحة الاحساء ، التى كانت المقر القبلى لشيخ بنى خالد وكان فى صحبته زيد بن عريعر واتباعه من بنى خالد • وبعد معركة دامت ثلاثة أيام فر عبد المحسن ودويحس (٤٥) من ميدان المعركة (٤٦) ولجآ ، حسب رواية بن غنام ، الى الزبارة حيث نزلا فى كنف العتوب (٤٧) ، اما ابن بشر فيرى، ويرى مثله،صاحب لمع الشهاب ان الالتجاء كان الى المنتفق فى شمال الاحساء (٤٨) • على ان هـــذا النصر الذى أحرزه الوهابيون لم يكن حاسما ، أولا لأن سعود لم يكن قادرا على ان يستمر فى هجومه بحيث يشمل مدن الاحساء المحصنة كالهفوف ، والمبرز ، والعقير ، والقطيف ، وثانيا لأن الزعيم الذى نصبه فى مكان عبد المحسن لم يكن ممن يعتمد عليهم • كان ذلك هو زيد بن عريعر ، الذى صار حاكما على بنى خالد ، والذى يبدو انه لم يدفع اتاوة للوهابيين • ثم كما سنرى قد انضم الى غيره من بنى خالد واعلنوا الحرب على الوهابيين بعد مرور فترة قصيرة من الزمن •

---

(٤٤) هاجم سعود مدينة المبرز فى الاحساء عام ١٧٨٨ ، وكذلك هاجم قوات المنتفق بالقرب من سفوان . قارن ابن بشر ١ : ٨٤ — ٨٥ .

(٤٥) يقول صاحب كتاب لمع الشهاب ان محمد بن عريعر قد لجأ مع عبد المحسن ودويحس مع غيرهم من اللاجئين الى المنتفق (ورقة ٨٦) .

(٤٦) انظر ابن غنام ٢ : ١٦٠ ، وابن بشر ١ : ٨٥ .

(٤٧) ابن غنام ٢ : ١٦١

(٤٨) ابن بشر ١ : ٨٥ ، ولمع الشهاب ، ورقة ٨٦ . المقصود بلاد المنتفق .

زيد بن عريعر (١٢٠٤ هـ / ١٧٨٩م ـ ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣ م)

يبدو انه كان لبنى خالد فى هذه المرحلة شيخان ، فزيد بن عريعر كان الشيخ المقيم فى الاحساء ، ويخضع لنفوذه المنطقة الواقعة بين العقير جنوبا والقطيف شمالا ، وعبد المحسن كان شيخ بدو بنى خالد النازلين فى اراضى بنى خالد الشمالية (٤٩) . ولم يمض وقت طويل حتى قتل زيد عبد المحسن غيلة عام ١٢٠٦هـ/١٧٩١م (٥٠) ، وكان ذلك فى الغالب بناء على تحريض من الوهابيين . وفى نفس الوقت شن سعود هجوما على بدو بنى خالد النازلين بقرب الجهرة ، وكان شيخهم هو براك بن عبد المحسن ، وأنزل بهم خسائر فادحة وذلك عام ١٢٠٧هـ/١٧٨٢م (٥١) . يبدو واضحا فى هذه المرحلة من تاريخ بني خالد ، انهم كانوا شطرين ؛ أولهما البدو الموالين لآل عبد الله ، والذين كان اول شيوخهم عبد المحسن ، وثانيهما النازلون بمدن الاحساء وبعض البدو من بنى خالد ورأس هذا القسم هو زيد بن عريعر . وقد استمر العداء قائما بين هذين الشطرين والوهابيين بعد معركة غريمل (٥٢) . ذلك انه بعد ان شن الوهابيون هجومهم على بنى خالد بالجهرة ، بقليل ، بدأت القلاقل فى الاحساء . وعلى ذلك قاد سعود جيوشه متجها نحو الجنوب ، غير أن زيدا كان قد هدأ المنطقة ، واقنع سعودا بالعودة الى نجد . واننا لانجد تفسيرا واضحا فى اى من ابن غنام وابن بشر بخصوص قلاقل الاحساء هذه . ففى الوقت الذى يستشف فيه من ابن بشر أن زيدا كان يقف بجانب الوهابيين ، وانه قد قمع الثورة ، وعلى ذلك لم يجد سعود

---

(٤٩) انظر لحدود بنى خالد الصفحات ٧٤ ـ ٨١ من هذا الكتاب .

(٥٠) انظر ابن بشر ١ : ٨٨ حيث يقول ان زيدا قد دعا عبد المحسن للعودة من الشمال والاقامة بواحة الاحساء بعد أن امنه .

(٥١) المصد السابق .

(٥٢) من الطبيعى أن يستمر هذا العداء حتى يظفر أحد الطرفين بالنصر .

مبررا لتدخله (٥٣) ، فان ابن غنام يذكر أن زيدا كان من بين المتآمرين وانه امضى فى الكويت مدة يدبر فيها خطة لهجوم يشنه على نجد (٥٤) ومهما يكن من امر ، فبمقدورنا أن نستنتج من عبارات المؤرخين ، ان الوهابيين لم يكونوا قد كسروا شوكة بنى خالد حتى عام ١٧٩٢ . وقد شهد عاما ١٧٩١ و ١٧٩٣ (٥٥) غارات ارهابية شنها الوهابيون على مختلف مدن الاحساء . غير أنه لم ترسل حملات حربية كبرى على الاحساء قبل عام ١٧٩٣ ففى تلك السنة هاجمت قوة وهابية كبيرة الاحساء وكان قوام أفرادها من أهل الدرعية وسائر المدن الوهابية . ويبدو أن براك بن عبد المحسن قد لعب فى هذه الحملة دورا كبيرا فى خدمة الوهابيين فى هجومهم الاخير على الاحساء ، اذ ورد ما يفيد بأنه كان الواسطة بين آل سعود وبنى خالد النازلين بالاحساء (٥٦) . أما زيد ابن عريعر ، الذى كان قد ايده الوهابيون من قبل ، فقد كان على رأس الشطر الجنوبى من بنى خالد الذين كانوا لا يزالون يغلقون الطريق أمام المتجهين من نجد الى الشرق . أما دويحس ومحمد وماجد اولاد عريعر ، فقد عادوا من الزبارة (٥٧) ، وكانوا من مقاتلة بنى خالد الذين بقوا فى قلعة المبرز (٥٨) . ومن هذا يتضح ان اولاد عريعر الاربعة واخوة سعدون، وجدوا أن الضرورة تحتم عليهم أن ينسوا أحقادهم (٥٩) أمام الخطر المحدق بهم . ولكى يبقى سعود على انقسام بنى خالد

---

(٥٣) انظر ابن بشر ١ : ٩٨

(٥٤) ابن غنام ٢ : ١٨٦

(٥٥) انظر فيما اصاب هذه المدن من تدمير وكذلك فيما أصاب حاصلات الاحساء من تلف ثم فى وصف للغارات الارهابية الوهابية ، ابن غنام ٢ : ١٧٣ ، ١٨٢ ، وابن بشر ١ : ٨٨ – ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ .

(٥٦) ابن غنام ٢ : ١٨٨ – ١٨٩ .

(٥٧) انظر ماسبق .

(٥٨) ابن غنام ٢ : ١٩٠ .

(٥٩) انظر ما سبق حيث تجد أن زيدا كان قد ساعده الوهابيون فى أن يصبح زعيما لبني خالد سنة ١٢٠٤/١٧٨٩ .

نجح فى ان يضم الى جانبه براك بن عبد المحسن • وهكذا عندما تعذر على الوهابيين فى حملة عام ١٧٩٣ الاستيلاء على المدن المحصنة بالاحساء فان براك بن عبد المحسن قد استطاع ان يدخل المبرز حيلـة (٦٠) ، فغادرها نجلا عريعر وصار براك شيخا على بنى خالد (٦١) • انه حتى هذه اللحظة لم يكن بمقدور الوهابيين الاستيلاء على اية قلعة تابعة لبنى خالد بقوة السلاح • لقد كان بامكانهم ان يقهروا قوة بنى خالدالبدوية بالقرب من الجهرة غير ان مدنهم الواقعة على ساحل الخليج لم تكن قد فتحت بعد • وحتى الحكم الفعلى لهذه المنطقة قد ترك فى يد شيخ من شيوخ بنى خالد حتى هذه الفترة • غير أن زيد بن عريعر لم يرض الوهابيين فى حكم الاحساء •

براك بن عبد المحسن
(١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م – ١٢١١هـ / ١٧٩٦م)

ان براكا الذى استماله الوهابيون تحول الى عدو خطر واتفق مع دويحس ومحمد على القيام بمحاولة تهدف الى اعادة تثبيت بنى خالد كأقوى دولة فى شرقى الجزيرة • ان الوهابيين بعملهم على عزل اولاد عريعر وتركيزآل عبد الله فى شخص براك بن عبد المحسن كانوا لايزالون يسيرون على سياستهم التى كانت ترمى لضرب اقسام بنى خالد بعضها ببعض • وهم فى نفس الوقت ، قد ادركوا ان براك كان اضعف من ان يتآمر عليهم ، لانهم كانوا قد هزموه منذ امد يسير فى الشمال (٦٢) •

---

(٦٠) ابن بشر ١ : ١٠٠ ، وابن غنام ٢ : ١٨٨ – ١٨٩ • لا يورد اى منهما حيلة براك لدخول القلعة •

(٦١) لانعرف على وجه الدقة اين ذهب نجلا عريعر هذه المرة • يقول ابن بشر (١ : ١٠٠) انهما اتجها الى الشمال ، بينما يرى ابن غنام (٢ : ١٩٠) أنهما هربا فحسب • اما صاحب لمع الشهاب فيقول انهما لجآ الى باشا بغداد ، سليمان •

(٦٢) يقول ابن بشر (١ : ٩٧ – ٩٨) أن سعودا قد قاد هجوما فى سنة ١٧٩٢ على الاجزاء الشمالية من أراضي بني خالد لان « رأس الافعى كان يقيم هناك » ، بمعنى أن براك أمير بني خالد ، كان أكثر زعمائهم خطرا على الوهابيين •

والواقع ان كلا من ابن غنام وابن بشر يؤرخان سقوط بني خال
فى الاحساء بزوال حكم زيد وتولى براك امرهم (٦٣) • غير ان وضـ
حد لسلطان بني خالد في شرقي الجزيرة لم يتم الا عام ١٧٩٥ عندما هاجـ
براك وآخرون من بني خالد المطاوعة الوهابية وكذلك الجند الوهابيـ
المقيمين فى بعض مدن الاحساء ، منذ حروب ١٧٩٢ ــ ١٧٩٣ • ونجـ
عن ذلك ان قام سعود بهجمات انتقامية شملت جميع قبائل ومدن الاحسا
والتي وقفت بجانب بني خالد (٦٤) • ولم يكن بمقدور الوهابيين أ
يرسلوا حملة كبيرة على الاحساء قبل عام ١٧٩٥ لانهم كانوا يتعرضو
لهجمات تشن عليهم من الغرب فى اعوام ١٧٩٠، ١٧٩١، ١٧٩٤ ، مـ
قبل شرفاء مكة ، وكانوا يخشون ايضا ما قد يرسله عليهم باشا بغدا
من حملات تدهم بلادهم من الشمال ، وكان بمقدور ذلك الباشا أ
يسير عليهم قبائل الظفير وعنزة والمنتفق • وصحيح أن حملة ثويني عا
١٧٨٦ قد فشلت فى اداء مهمتها ، غير أن هذه المخاوف قد تحققت
عامي ١٧٩٦ ، ١٧٩٨ •

مراحل فتح ديار بني خالد شرقي الجزيرة

بدا واضحا ان نفوذ الوهابيين قد علا نفوذ بني خالد ، وفى عا
١٧٩٥ استطاع عبد العزيز آل سعود أن يعين اول حاكم على الاحسا

---

(٦٣) يشير ابن بشر (١ : ١٠١) الى براك على أنه والي الوهابيين على الاحساء و
الذى قلده تلك الولاية هو عبد العزيز آل سعود . اما ابن غنام (٢ : ١٩٧) فيشير ا
وضع براك بقوله : « براك والي الاحساء من تحت امام المسلمين » بمعنى أن عبد العز
وهو امام المسلمين قد ولاه الاحساء .

(٦٤) هرب براك الى اراضي بني خالد الشمالية حيث التجأ الى قبيلة المنتفق . وبـ
هذا وفى عام ١٧٩٦ بالذات اشترك فى حملة ثويني الثانية التى قادها ضد الوهابيين و
ورد ما يفيد بأن براكا قد تاب فيما بعد ، وانضم الى جند الوهابيين وانه لاقى حتفه
احدى غاراتهم التى شنوها على سوق الشيوخ والسماوة فى العراق عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م
انظر ابن بشر ١ : ١١٢ .

لا ينتمى الى قبيلة بنى خالد • أما هذا الحاكم فيقال له نجم ، وهو من اسرة غير مشهورة (٦٥) • وباختيار نجم واليا على الاحساء تنتهى المرحلة الاخيرة من مراحل اذلال بنى خالد • أما المراحل السابقة لهذه المرحلة فيمكننا أن نوجزها فى خطوات ثلاث متمايزة : اولاها بدأت خلال العقد التاسع من القرن الثامن عشر بالغارات الوهابية (٦٦)المعتادة التى كانت تهدف فى الاساس الى ارهاب المدن والقبائل الموالية لبنى خالد ، واما المرحلة الثانية فكانت تتمثل فى رمي زعماء بنى خالدبعضهم ببعض ، وبالتالي اضعاف ولاء الاسر الخالدية المختلفة لزعمائها ، واما المرحلة الثالثة فكانت فتح مدن الاحساء وتدمير اسوارها وابراجها ، وقلاعها ، وتشييدحصون وهابية جديدة فىمكان تلك المدن والتحصينات او بقربها (٦٧) • وقد بنيت قلاع مثل هذه خارج مدينة المبرز والهفوف ولعبت هذه القلاع دورا هاما فى القتال ضد حملة على باشا الكرجى ، كخيا بغداد على الاحساء سنة ١٧٩٨/١٧٩٩ •

عبد الله بن سلمان المشهورى الخالدى

وكان آخر زعيم من بنى خالد قاوم بلا هوادة ، هجمات الوهابيين على آخر حصون بنى خالد فى القطيف وسيهات (٦٨) وجزيرة تاروت، هو

---

(٦٥) يصفه ابن بشر ، (١ : ١٠٦) بانه « أحد عامة الاحساء » أما سلوك الوهابيين نحو القبائل المغلوبة على امرها والمدن المفتوحة فكان يتلخص فى أنهم كانوا يختارون زعيما جديدا من نفس الاسرة الحاكمة بها أو أن يبقوا الزعيم القديم فى مركزه . ومن الواضح انهم حاولوا أن يبقوا زيدا وبراكا فى مركزيهما فى مرات مختلفة غير أنهما لم يبرهنا على انهما كانا مخلصين للقضية الوهابية .

(٦٦) لعل خير وصف لطريقة الوهابيين فى القتال موجود فى كتاب بركهاردت Burckhardt المسمى Notes on the Bedouins etc. ٣١١ – ٣٢٠ .

(٦٧) لاشك أن الوهابيين باختيارهم واحة الاحساء ، حيث كان يقيم شيخ بني خالد كمركز لجندهم ، ثم تدميرهم بيوت بني خالد ، وبناء قصر (قلعة) للجنود الوهابيين مكانها ، انما كان يعني امعان الوهابيين فى اذلال بني خالد . حدث هذا عام ١٧٩٢ اثر احدى الغارات الوهابية على الاحساء ودونه ابن غنام . انظر كتابه ٢ : ١٨٣

(٦٨) هي قرية محصنة تقع الى الجنوب من القطيف . انظر لمع الشهاب ، ورقة ٨٧ .

عبد الله بن سليمان المنتمى لقبيلة المهاشير من بنى خالد . ويورد كتاب لمع الشهاب وهو المصدر الوحيد الذى نجد فيه تفصيلا عن اخبار استيلاء الوهابيين على القطيف ما يأتى :

« ولما تولى عبد العزيز على جميع بلاد بنى خالد حضرا وبدوا ارسل عسكرا الى القطيف وهى من اقوى ممالك بنى خالد وفيها حينئذ عبد الله بن سليمان المهشورى الخالدى » (٦٩) .

وكانت هذه المدينة مسورة ومحصنة بأبراج . وكان يقف الى جانب عبد الله بن سليمان المهشورى فى بداية الامر رئيس أهل القطيف احمد بن غانم القطيفى . وكان يقود الجيش الوهابى فى هذه الحملة ابراهيم بن عفيصان الذى استولى على سيهات ، وهى قرية حصينة تقع على بعد ثلاثة فراسخ الى الجنوب من القطيف . ولما وصل نبأ سقوط سيهات الى عبد الله بن سليمان ، غادر القطيف متجها الى لقاء ابن عفيصان واضطره الى التراجع . على ان الوهابيين بقيادة ابن عفيصان استمروا فى شن الغارات على القرى المجاورة للقطيف . ولما عاد هؤلاء الى حصار مدينة القطيف لم يكن لدى عبد الله الجند الكافى للوقوف فى وجههم . غير أنه خرج لقتال ابن عفيصان فى ضواحى القطيف وما لبث ان انهزم وعاد الى المدينة ، التى سلمت فى النهاية لابن عفيصان وكان ذلك التسليم فى الغالب نتيجة لخيانة ابن غانم (٧٠) . اتجه عبد الله نتيجة لذلك الى جزيرة تاروت ،وهى آخر معقل لبنى خالد كتب للوهابيين الاستيلاء عليه ، بقيادة ابن عفيصان أيضا (٧١) . وكان

---

(٦٩) المصدر السابق .

(٧٠) قارن لمع الشهاب ، ورقه ٨٩ .

(٧١) يفصل هذه الجزيرة عن البر ماء ضحل يستطيع أن يخوضه الرجال والحيوانات عند الجـزر .

استيلاء الوهابيين على هذه الجزيرة مرده الخيانة (٧٢) أيضا ، وفر منها عبد الله بن سليمان طالبا النجاة والتجأ كغيره من زعماء بنى خالد الى عرب المنتفق فى الشمال (٧٣) •

النتائج المترتبة على سقوط بني خالد :

ان الوهابيين احرزوا بانتصاراتهم علـى بنى خالد مكاسب لم تقتصر على النصر بل تعدته الى مغانم سياسية ودينية واقتصادية • غير أنه من الواضح كذلك ان توسعهم هذا حمل فى طياته ايضا اسباب القضاء على الوهابيين ، لا فى شرقى جزيرة العرب فحسب ، بل فى نجد نفسها ، وذلك عندما أثاروا مخاوف الاتراك العثمانيين الذين سيروا عليهم الحملات الحربية فيما بعد (٧٤) •

فمن الناحية السياسية تأسس النفوذ الوهابى فى شرقى الجزيرة العربية بطريقة جعلت القوى الاخرى التى لها مصالح فى هذه المنطقة تشعر بالسيطرة الوهابية ، وتحاول بالتالى اما ان ترضيهم واما ان تفكر فى طريقة للخلاص منهم • والى الجماعة الاولى تنتمى شركة الهنـد الشرقية الانجليزية ، التى كانت مصالحها فى هذه المنطقة ، حتى ذلك التاريخ ، تجارية محضة • وقد عملت الشركة بالتالى على تجنب اى

---

(٧٢) انظر لمع الشهاب ، ورقة ٩٢ •

(٧٣) المصدر السابق • وانظر كذلك بخصوص استيلاء الوهابيين على القطيف ابن غنام ٢ : ١٧٢ ـ ١٧٣ • ولقد أضطر أهل هذا الميناء لكى يتجنبوا نهب الوهابيين لمدينتهم أن يدفعوا اليهم حسب ما رواه ابن غنام (٢ : ١٧٣) ثلاثة آلاف زر (أى قطعة من الذهب) • واما ابن بشر (١ : ٨٨) فقال انهم لم يدفعوا سوى خمسمائة أحمر • والزر والاحمر عملة ذهبيـة •

(٧٤) كانت أول حملة وجهت ضد الوهابيين بناء على تحريض من العثمانيين هي حملة ثويني في سنة ١٧٨٧ • ولقد انتهت حملة ثويني الثانية التى وقعت بعد هذه بنحو عشرة أعوام باغتياله على يد طعيس ، وهو عبد وهابي متطرف فى مذهبه وكان عبدا لبراك بن محسن الخالدى • وقد خلد ابن غنام ، (٢ : ٢٦٦ ـ ٢٧١) هذه الحادثة فى قصيدة قالها ابتهاجا بمقتل ثويـني •

اصطدام مع الوهابيين ، فالانجليز لم يكن يهمهم الاحداث السياسية الجارية فى هذه المنطقة ، ما دام بريدهم الصحراوى يسير فيها بأمان وقد ضمنوا هذا بتخصيصهم هدايا خاصة لزعيم الوهابيين ، على حد قولهم (٧٥) • اما باقى القوى العربية فى الجزيرة ، فانها كانت تتوقع نفس مصير بنى خالد ان لم تخضع للتعاليم الوهابية وتطبقها • ولما كنا غير معنيين فى هذا الكتاب بدراسة جميع القوى العاملة فى شرقى الجزيرة العربية فاننا سنقصر الحديث على القواسم ، الذين آمنوا بالقضية الوهابية ، وعلى عتوب الكويت واقربائهم فى الزبارة والبحرين ، الذين لم يؤمنوا بها • اما العثمانيون ، الذين كانوا يحتلون الاحساء قبل بنى خالد ، والذين كانت تربطهم بجزيرة العرب مصالح دينية ، فانهم قد روعوا بسبب انتشار النفوذ الوهابى حتى حدود البصرة واطراف الشام •

وأما عن النصر الديني المذهبي الذى أحرزه الوهابيون ، فانهم قد طبقوا مذهبهم فى شرقى الجزيرة ، وانهم عملا بسياستهم الرامية الى استئصال الشرك ، فانهم قد أزالوا ما رأوا فيه علامة عليه من مدن الاحساء وأقاموا فيها مطاوعتهم الذين أخذوا يعظون فى مساجدها (٧٦) لقد واجه الوهابيون صعوبة فى نشر مذهبهم فى شرقي الجزيرة العربية بالاحساء لسبب هام ، هو أن معظم سكان مدنها ولا سيما فى القطيف كانوا من الشيعة • ولقد كانت هذه نقطة ضعف بالنسبة للسيادة والتسلط الوهابي فى الاحساء • وقد سببت لهم متاعب كبيرة كما رأينا بعد احتلالهم لاجزاء من الاحساء فى سنة ١٧٩٣ والسنوات التي تلتها (٧٧) •

---

(٧٥) قارن : Brydges, The Wahauby, 15

(٧٦) انظر ابن غنام (٢ : ص ١٩٧ — ١٠٩) وابن بشر (١ : ٩٨ ، ١٠٦) يتحدث ابن بشر (١ : ٨٨) عن الدمار الذى حل بالمساجد التى يسميها الكنائس وكذلك عن حرق الكتب الدينية الشيعية .

(٧٧) انظر ما سبق .

اما من حيث المكاسب الاقتصادية ، فلا بد أن الوهابيين قد استفادوا استفادة كبيرة من ضمهم مناطق أغنى من منطقتهم ولربما كان ميوزل Musil مصيبا فى رأيه عندما قال بأن الوهابيين فى اندفاعهم نحو الشرق انما كانوا يهدفون الى الاستيلاء على نافذة تطل على البحر (٧٨) • غير أن هذا لم يكن هو النتيجة الاقتصادية الوحيدة لاستيلاء الوهابيين على الاحساء • ذلك أن الحكام الوهابيين قد استحوذوا على ثروة طائلة نتيجة لفتحهم اقليما أغنى من اقليمهم واستيلائهم على جانب كبير من ثروة وممتلكات بني خالد ، وابقائها لانفسهم مع توزيع بعض الغنائم على المقاتلين من الوهابيين • ولقد عرفت مزارع الاحساء منذ أمد بعيد بانتاجها الوفير وعرفت موانئها كذلك بأنها هى التى كانت تمون نجدا وداخل الجزيرة العربية ببضائع الهند وأوروبا (٧٩) •

أما الاماكن الوحيدة ذات الاهمية ، والتى قاومت الهجمات الوهابية فكانت مدن العتوب وممتلكاتهم فى شمال وجنوب الاحساء أى فى الكويت والزبارة • غير أنه لا بد لنا قبل أن ندرس العلاقات بين الكويت وسائر العتوب والوهابيين من أن نعرج على التطورات التى تمت فى مشيخات العتوب منذ النقطة التي وقفنا عندها فى الفصل السابق فى سنة ١٧٩٠ حتى نهاية القرن الثامن عشر •

(ب) الكويت وبلدان العتوب الاخرى (١٧٩٠ – ١٨٠٠) :

أما فى الكويت فان حكم الشيخ عبد الله آل صباح بقى قائما طوال هذه الفترة ، وهو حكم امتاز بما صاحبه من تطور فى أحوال الكويت الاقتصادية ، ولا سيما ما كان قائما منها على التجارة البحرية ، وكان

---

(٧٨) انظــر Northern Najd, p. 260

(٧٩) انظر ما سبق ص ٧٦ من أجل ثروة الاحساء الزراعية .
انظر ما يلي ص ٢٧٨ لتجارة القطيف والعقير .

عهدا كله سلم ، على ما يبدو ، لم تبدأ الكويت خلاله أحدا بالعداء ، على أنها ردت الاعداء حين تصدوا لها قبل عام ١٧٩٠ وبعده ، وكان ردها على المعتدين من البحر أمثال بني كعب يتولاه أسطول الكويت ، وأما فى البر ، فكان ، كما سنرى ، يتولاه شيخها عبد الله ومعه باقي أبنائها من العتوب • ويجب أن لا نغفل بالطبع ، ونحن ندرس هذه الفترة من تاريخ الكويت ، عما كان يدور فى ديار عتـوب الجنـوب فى الزبارة والبحرين ، اذ أنهم تعرضوا فى هذه الحقبة لنفس الاخطار التى تعرض لها عتوب الكويت فى الشمال ، وكانت الضربات الموجهة اليهم تهدف الى اخضاعهم لحكم الوهابيين ، شأنهم فى ذلك شأن حلفائهم ، الذين كانوا ذات يوم حماة شرقى الجزيرة العربية ، أعني بني خالد • ولقد بقي الشيخ أحمد آل خليفة يحكم فى الزبارة والبحرين حتى وفاته سنة١٧٩٦ حين خلفه نجله سلمان الذى استمر حكمه حتى عام ١٨٢٥ (٨٠) •

ولقـد استمر نجم الكويت فى الشمال فى صعود طوال العشر سنوات الاخيرة • فانهم قـد استمروا مستقلين ، دون أن يخضـعوا للوهابيين ، الذين كانوا يشكلون الخطر الحقيقي على جميع قوى شرقى الجزيرة العربية • والواقع أنه على الرغم من تسلط الوهابيين على شرقى الجزيرة وتأثر الكويت بذلك الى حد بعيد ، الا أن عوامل عديدة قد ساهمت فى ابعاد الخطر الوهابى عنها •

---

(٨٠) ان أهم مصدر عن تطور دول العتوب فى العشر سنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر والذى يلقي ضوءا أيضا على تاريخهم هو سجلات وكالة الهند الشرقية الانجليزيـة (Factory Records) أما المصادر العربية المعاصرة فليس فيها عن العتوب سوى النزر اليسير ولا سيما كتابات الوهابيين . فابن غنام وابن بشر يدونان الهجمات الوهابية على الكويت والزبارة دون اعطاء أية تفصيلات عن نشاط العتوب . على أن كتاب لمع الشهاب لا غني عنه لدراسة حصار الوهابيين للزبارة فى سنة ١٧٩٨ ، غير أن هذا المصدر أيضا لا يمدنا بأية معلومات اخرى عن تطور المدن العتبية . وكذلك فانه حتى سجلات الشركة الانجليزية لا تمدنا بالكثير من المعلومات عن أحوال العتوب بقطر والبحرين .

الانتقال المؤقت للوكالة الانجليزية
من البصرة الى الكويت (١٧٩٣ — ١٧٩٥)

لقد سبق أن بينا كيف استفاد العتوب من النكبات التى حلت بموانىء أخرى ودول أخرى فى منطقة الخليج (٨١) ، ولا سيما أثناء حصار الفرس واحتلالهم للبصرة فى الفترة ما بين ١٧٧٥ الى ١٧٧٩ ٠ وقد حدث فى الاعوام الاولى من العقد العاشر من القرن الثامن عشر ان انسحب رجال الوكالةالتجارية الانجليزية منالبصرة،نتيجةلصعوبات(٨٢) نشأت بينهم وبين الموظفين العثمانيين (٨٣) ، فى ٣٠ ابريل ١٧٩٣ (٨٤) وأقاموا بالكويت حتى ٢٧ اغسطس ١٧٩٥ (٨٥) ٠ وكان رئيس الوكالة التجارية آنذاك هو صموئيل مانيستي وكان يعاونه هارفورد جونز وجون لويس رينود ٠ ان اختيار مدينة الكويت (٨٦) كمستقر

---

(٨١) انظر ما سبق ص ١٧٠ — ١٧٨ ٠

(٨٢) ان سردا مفصلا لهذه الصعوبات يمكن الرجوع اليه فى الرسالة المتبادلة بين مانيستى وجونز من ناحية ومجلس مديرى الشركة بلندن وكذلك السفير البريطاني السير روبرت أنيسلي بالقسطنطينية من ناحية اخرى ، انظر رسائل متعددة ترجع الى سنة ١٧٩٢ فى سجلات الوكالات ٠

(٨٣) غادر مانيستى وجونز البصرة فى وقت مبكر من عام ١٧٩٢ ليقيما بالمعقل ، وهو مكان على بعد نحو خمسة أميال الى الشمال من البصرة ، وكانت الشركة قد بنت فيه دارا استخدمت كاستراحة لرجال الوكالة ٠ ومن هناك ارسلت معظم رسائل الوكالة ومنها أيضا اتجه مانيستي وجونز الى الكويت ٠ اما اقامتهم بالمعقل فكان هدفها الاساسي تهديد باشا بغداد بأن فى نيتهم مغادرة البصرة ومعقل الى الكويت أو جزيرة خارج اذا لم يصف الصعوبات القائمة بينهم وبين موظفيه ٠

(٨٤) غادر هؤلاء معقل فى مراكبهم فى ٣٠ ابريل ووصلوا الكويت فى ٥ مايو : انظر الرسالة ١٦٥٢ المجلد ١٩ الصادرة عن الكويت (القرين) من مانيستى وجونز الى اللجنة السرية بمقر الشركة بلندن بتاريخ ١٨ يوليه ١٧٩٣ فى سجلات الوكالات ٠

(٨٥) غادر مانيستي ورفاقه فى طريقهم الى الكويت على ظهر مركب عثماني : انظر الرسالة ١٧٦٢ المجلد ١٩ الصادرة عن البصرة من مانيستي الى المستر روبرت لستون (السفير البريطاني باسطمبول) بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٧٩٥ ٠

(٨٦) تحدث المستر مانيستي فى رسالة الى مجلس المديرين ارسلها من المعقل بتاريخ ٢٢ نوفمبر سنة ١٧٩٢ (الرسالة رقم ١٦٣٦ مجلد ١٨) عن مكانين يمكن ان تنقل اليهما الشركة وكالتها من البصرة اولهما الكويت وثانيهما جزيرة خارج ٠

للوكالة يدل دلالة قاطعة على أنها لم تكن بحال من الاحوال خاضعة لاية سيطرة عثمانية (٨٧) • ولقد أملت هذا الاختيار أسباب عديا ة • ويأتى فى المقام الاول أن الكويت كانت قد استخدمت بنجاح كمركز لرسائل شركة الهند الشرقية خلال الفترة التى احتل فيها الفرس البصرة ما بين ١٧٧٥ الى ١٧٧٩ • وبهذا كان فى مقدور الكويت أن تحقق أحد الهدفين الرئيسيين اللذين من أجلهما حافظت الشركة على ابقاء وكالتها التجارية بالبصرة • وعلى هذا فان نشاط الشركة من هذه الناحية لن يتأثر بنقل مركزها الى الكويت • أضف الى ذلك أن المستر مانيستي قد أكد « بأن نفقات اقامة الوكالة فى القرين ستكون أكثر اعتدالا من نفقات وكالة الشركة الموقرة هنا » (فى البصرة) (٨٨) • ولقد كانت علاقات الشيخ عبد الله آل صباح بالانجليز طيبة للغاية ، وأفادت التقارير بأنه أكرم وفادتهم عندما وصلوا مدينة الكويت (٨٩) • أما هارفورد جونز فكان على معرفة بمدينة الكويت قبل ذلك ، اذ أنه كان قد قصدها بغرض الاستشفاء سنة ١٧٩٠، عندما ساءت صحته نتيجة لجو البصرة الردىء (٩٠) ولربما كان مانيستي فى اختياره للكويت قد أخذ بعين الاعتبار أن ميناء الكويت كان صالحا لرسو سفن الشركة ، وأنه بالتالى يمكن

---

(٨٧) قارن : Lorimer, op. cit., I, i, 1004

كتب بكنجهام Buckingham عام ١٨١٦ في كتابه Travels in Assyria etc. (٤٦٢ – ٤٦٣) عن الكويت فقال : « ان الميناء الذى يلي القطيف على هذا الساحل والذى له أهميته هو القرين ، كما يسميها واضعو الخرائط من الانجليز على الرغم من أنها تعرف لدى العرب باسم الكويت فقط ...... ويبدو أنها كانت دائما قد احتفظت باستقلالها أيضا ...... ولا يزال أهلوها يعرفون بين أهل الخليج بانهم أكثرهم حرية وشجاعة » .

(٨٨) الرسالة ١٦٣٦ مجلد ١٨ من مانيستي الى اللجنة السرية والصادرة عن معقل بالقرب من البصرة بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٧٩٢ فى سجلات الوكالات .

(٨٩) الرسالة ١٦٥٢ المجلد ١٨ من مانيستي الى اللجنة السرية والصادرة عن القرين بتاريخ ١٨ يوليه ١٧٩٣ .

(٩٠) انظر ما سبق .

لهذه السفن أن تفرغ شحناتها هناك (على الرغم من أن هذا الاعتقاد ، ان كان قد قام فى مخيلته قد ثبت أنه كان مخيبا للآمال) . وفضلا عن هذه المميزات فان مانيستي لم يكن أمامه حل آخر عندما فشلت تهديداته لباشا بغداد ، ولم يكن بمقدوره أن يتراجع ، اذ كان بين أمرين ، اما أن يغادر البصرة أو أن يسحب تهديداته (٩١) ، فاختار المغادرة .

كان مانيستي قبل أن يتوجه الى الكويت قد أعلن عن نواياه هذه لحكومة بومباى والسفير البريطانى فى اسطمبول ولرئاسة الشركة فى لندن . وهكذا فان بريد الشركة القادم من الهند كان قد أرسل الى الكويت بتاريخ ١٩ مارس ١٧٩٣ ، أى قبل انتقال رجال الوكالة الى الكويت ووصلها قبل وصولهم اليها (٩٢) . ان انسحاب مانيستي ورجال الوكالة الانجليزية من البصرة لم يكن معناه اغلاق الوكالة هناك ، لانه عهد الى وكيل برعاية مصالح الشركة التجارية فى البصرة . وكان مانيستي فى نفس الوقت حريصا على أن يحيط ربابنة السفن الانجليزية علما بأنه يستحسن أن يفرغوا بضائعهم فى الكويت بدلا من البصرة كلما كان ذلك ممكنا . وقد أرسلت رسائل بهذا الخصوص الى كل من متسلم البصرة والمستر نيقولاس هانكى سمث N. H. Smith المقيم

(٩١) الرسالة ١٦٣٦ المجلد ١٨ من مانيستي الى اللجنة السرية والصادرة عن المعقل بقرب البصرة بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٧٩٢ .

(٩٢) وصلوا الكويت يوم ٥ مايو ١٧٩٣ كما يتضح من خطاب ارسله مانيستي من الكويت الى اللجنة السرية بلندن بتاريخ ١٨ يونيو ١٧٩٣ برقم ١٦٥٢ . اما أول رسالة صدرت من الكويت فكانت موجهة الى هارفورد جونز وتاريخها ٧ مايو ١٧٩٣ برقم ١٦٥٤ . وفى هذه الرسالة كلف المستر مانيستي مساعده المستر جونز بالذهاب الى بوشهر وحمله رسائل هامة وصلت الكويت من السفيرالبريطاني فى اسطمبول وكانت مرسلة الى حكومة بومباى .

البريطاني فى بوشهر (٩٣) ولكن نظرا لأن ميناء الكويت لم يكن مألوفا لدى ربابنة سفن الشركة ، فانهم عزفوا فى بادىء الامر عن المغامرة بارساء سفنهم هناك (٩٤) ، غير أن بعض السفن قد أنزلت بالفعل بعد ذلك حمولتها فى الكويت (٩٥) • على أن المفاوضات بين الباشا ومانيستي بخصوص عودة الوكالة الى البصرة قد بقيت مستمرة • ويبدو أن مانيستي لم يصر على أوامره للسفن الانجليزية بخصوص تفريغ حمولتها فى الكويت طوال فترة اقامة الوكالة فيها •

ومهما يكن من أمر فانه يبدو أن المستر مانيستي قد أدرك بعد مضى سنة على انشاء الوكالة الجديدة ، بأن ما توقعه من حيث التسهيلات التى قد يجدها فى اختيار الكويت بديلا عن البصرة لم تكن جميعها صحيحة • فلقد كانت الكويت فى المقام الاول معرضة لتهديدات الوهابيين الذين هاجموها أكثر من مرة خلال فترة قيام الوكالة الانجليزية بها من سنة ١٧٩٣ حتى ١٧٩٥ • ثم ان الشيخ عبد الله على حد زعم مانيستي ، كان قد بلغ من العمر قدرا لم يعد يستطيع معه أن يتحمل مسئوليات وظيفته كاملة (٩٦) •

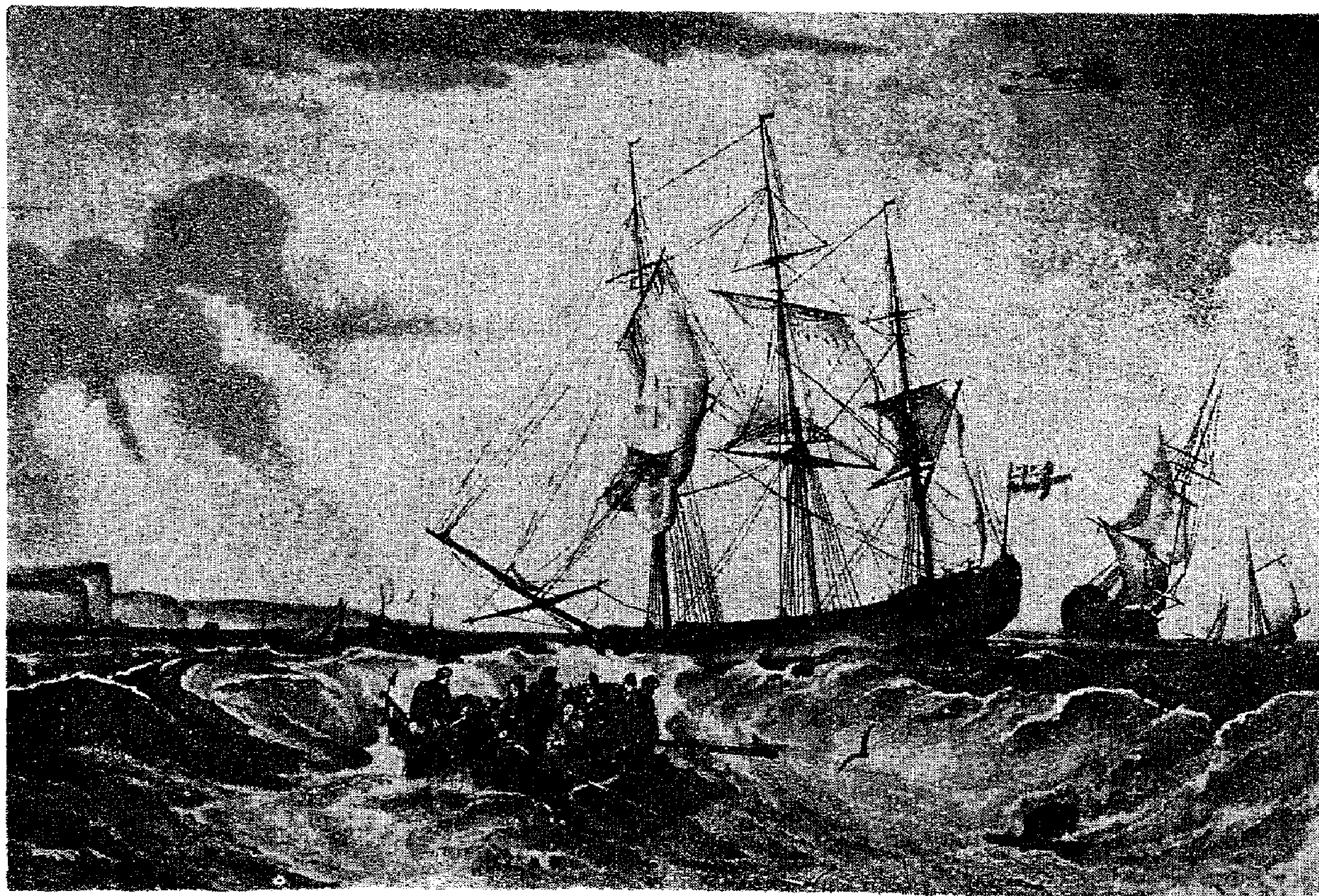
---

(٩٣) انظر رسالة موجهة من مانيستي الى المتسلم وأخرى الى المستر سميث صادرة من الكويت بتاريخ ٦ ديسمبر ١٧٩٣ (الرسالة رقم ١٦٨٣ المجلد ١٩) .

(٩٤) رفض الكابتن هاملتون G. Hamilton ربان السفينة « بيجوم شاه » الانصياع لتعليمات المستر مانيستي بحجة مسئوليته فى المحافظة على سفينتـه وحمولتها وأرواح المسافرين لانه كان لا يعرف عن ميناء الكويت شيئا . انظر الرسالة التي وجهها هـذا الكابتن الى المستر مانيستي من على ظهر سفينته بتاريخ ٢٧ مايو ١٧٩٨ ، وكان راسيا فى فم شط العرب ، فى الرسالة ١٦٥٨ المجلد ١٩ .

(٩٥) ان أول مثل لذلك هي السفينة لوريل Laurel التي كان يقودها الكابتن الكستدر فوجو A. Foggo التي وصلت جزيرة فيلكة واتصلت بالمستر مانيستي تطلب تعليمات اضافية . انظر الرسالة المؤرخة ١٨ يوليه ١٧٩٣ فى (الرسالة ١٦٥٩ مجلد ١٩) .

(٩٦) انظر رسالة من المستر مانيستي الى مجلس المديرين صادرة عن الكويت بتاريخ ١٥ يوليو ١٧٩٤ فى (الرسالة ١٧٠٠ المجلد ١٩) .



سفينة من سفن شركة الهند الشرقية الانجليزية فى القرن الثامن عشر
(مجموعة المتحف البحرى بلندن) .

الآثار المترتبة على اقامة الانجليز المؤقتة بالكويت

اتضح بمرور الزمن لدى مانيستي • ان الكويت لا يمكن أن تخلف البصرة كمركز للوكالة الانجليزية ، وبدأت المفاوضات مع باشا بغداد وهى التى انتهت بعودة الوكالة الى البصرة فى أغسطس ١٧٩٥ بعد أن مكثت فى الكويت سنتين وأربعة أشهر • ولقد عبر المستر مانيستي فى رسالة أرسلها من القرين (الكويت) الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ٨ يوليو ١٧٩٥ عن اغتباطه بعودة الوكالة الى البصرة « بأشرف طريق »(٩٧) وفى يوم ٢٧ أغسطس ١٧٩٥ غادر مانيستي الكويت على ظهر مركب عثمانى صاحبته مراكب عثمانية أخرى وسفينة الفايبر Viper في طريقه الى البصرة • وصلت المراكب ميناء البصرة يوم ٢ سبتمبر ، وفي يوم ٤ سبتمبر دخل مانيستي بموكبه البصرة (٩٨) ولقد رأى مانيستي أن اقامته بالكويت قد أثمرت من حيث أنها جعلت الباشا ينزل عند طلبات الانجليز • أما من وجهة نظر شيخ الكويت ، فان الوكالة الانجليزية كانت ذات أهمية كبرى بالنسبة لازدياد نفوذ الكويت ونمو اقتصادها • وعلى الرغم من أن الرواية المحلية بالكويت لا تورد شيئا عن الوكالة الانجليزية هناك ، وعلى الرغم من أن المؤرخين العرب لا يشيرون البتة الى تلك الاقامة ، فان أهمية تلك الاقامة يمكن أن نصل اليها من استقراء الحوادث الواردة فى رسائل الشركة الانجليزية الصادرة عن الكويت ،

---

(٩٧) الرسالة ١٧٥٣ المجلد ١٩ • هذه الرسالة هي نسخة ثانية عن رسالة ارسلت من قبلها بتاريخ ٢٣ اغسطس وهذه بدورها نسخة ثالثة عن رسالة أرسلت بتاريخ ٨ يوليه من نفس السنة • ولم يكن بمقدورى ان أعثر على الرسالتين الاخيرتين اللتين يمكن ان تكونا فى عداد الرسائل المفقودة •

(٩٨) توضح رسالتان من الرسائل التي بعث بها مانيستي مدى غروره ،وهما صادرتان عن البصرة بتاريخ ١٣ سبتمبر ١٧٩٥ (الرسالتان ١٧٥٢ ، ١٧٦٢ المجلد ١٩) ، والاولى موجهة الى مجلس المديرين والثانية الى مستر روبرت ليستون القنصل البريطاني فى اسطمبول •

ومن المعلومات التى دونها بريدجز والدكتور سيتزن Seetzen أولهما فى كتابه Wahauby وثانيهما فى Monatliche Correspondentz (٩٩)

ولقد استفادت مدينة الكويت فائدة كبيرة من البضائع التى كانت تفرغها السفن فيها • وعلى الرغم من أنه ليس بمقدورنا أن نعطي احصاءات دقيقة عن كمية تلك البضائع فانه يمكننا القول أنه مهما قلت هذه الكمية ، فانها لا بد وأن تكون اكبر بكثير مما اعتادت أن تشهده المدينة من قبل (١٠٠) • وكانت الكويت كذلك تستفيد من بريد الشركة الذى كان يحمله فى الغالب « بريد الصحراء العربى السريع » ، الذى كان قوامه الهجانة الذين كانوا يختارون من العرب النازلين بالمدينة أو الذين كان يتحتم عليهم سكناها بسبب طبيعة عملهم هذا (١٠١) • ثم ان علاقات مانيستي الشخصية بشيخ الكويت لابد وأن تكون قد ازدادت قوة ، ولربما كانت هذه العلاقات قد تعدت الشيخ الى تجار كويتيين آخرين ، كانت الوكالة التجارية بالبصرة تستخدم مراكبهم فى

---

(٩٩) يتحدث بركهاردت فى رسالة بعث بها الى السير جوزيف بانكس Banks سكرتير جمعية تحسين اكتشاف الاجزاء الداخلية للقارة الافريقية والصادرة عن مالطة بتاريخ ٢٢ ابريل ١٨٠٩ يتحدث عن الدكتور سيتزن فيقول :

« الدكتور سيتزن هو طبيب الماني أرسله منذ خمس أو ست سنوات دوق ساكسا جوتا Saxe-Gotha الى بلاد الشرق لكي يجمع مخطوطات وتحفا شرقية . وقد أقام ردحا طويلا من الزمن فى اسطمبول وأقام خلال الثمانية عشر شهرا الاخيرة فى القاهرة حيث أرسل رسالة الى المستر باركر (أخ القنصل البريطاني فى مالطة) بتاريخ ٩ فبراير الماضي . وبعد أن أرسل من القاهرة الى جوتا مجموعة من الف وخمسمائة مخطوطة وثلاثة آلاف قطعة اثرية مختلفة ، قرر أن يسافر الى السويس وان يتوغل فى افريقيا ليكتشف داخلها » . انظر
Burckhardt, Travels in Nubia, London, 1822, P. vi

وكذلك يتحدث بركهاردت أيضا عن سيتزن في كتابه
Travels in Syria and the Holy Land (London, 1822), P. V.

(١٠٠) انظر الفصل التالي (ص ٢٩٠) بخصوص بعض الاحصاءات .

(١٠١) فيما يتعلق بالبريد الصحراوى انظر كذلك الفصل التالي من هذا الكتاب .

بعض الاحيان لحمل مكاتبات الشركة الى الهند لكي تتجنب الاسطول الفرنسى الذى كان يعترض السفن البريطانية ابان العقد الاخير من القرن الثامن عشر • ثم ان شيخ الكويت قد سمح أيضا لرجال الوكالة الانجليز بأن يعترضوا سبيل المبعوثين الفرنسيين والرسائل الفرنسية التي كانت تحمل على المراكب الكويتية (١٠٢) •

اعتراض سبيل المراسلات الفرنسية وحاملها

ومهما يكن من أمر فقد شهد العقد الاخير من القرن الثامن عشر نشاطا فرنسيا ملحوظا فى منطقة الخليج العربي • ذلك أنه بعد اعلان الحرب بين فرنسا وانجلترا عام ١٧٧٣ ، زاد الفرنسيون نشاطهم فى الهند وفى المحيط الهندى واكثروا من استعمال الطريق البرى عبر الصحراء السورية والخليج العربى الى الهند ، وكانت الرسائل الفرنسية وكذلك كان حاملها عرضة لتحرش رجال الوكالات الانجليزية فى الخليج •

ان دراسة تفصيلية للنزاع والمنافسة الانجليزية الفرنسية فى منطقة الخليج العربى لا تقع ضمن نطاق بحثنا هذا • غير أن تلك المنافسة كان لها بعض الآثار فى شرقي الجزيرة العربية وكذلك قد شاركت الكويت فيها مما يبرر التعرض لها بايجاز • لقد حاول الفرنسيون أثناء صراعهم مع الانجليز فى الهند أن يجعلوا من الخليج العربى طريقا غير صالحة لاستخدام الانجليز ، هذا فى الوقت الذى حاولوا فيه الاستفادة منه فى نقل رسائلهم الخاصة الى بلاد الهند •

---

(١٠٢) يمكننا أن نذكر أمثلة عديدة على اعتراض الانجليز سبيل النشاط الفرنسي وهذه الأمثلة محفوظة فى الرسائل المرسلة من الوكالة الانجليزية بالبصرة فى الأعوام التالية : ١٧٩٤ ، ١٧٩٥ ، ١٧٩٦ ، ١٧٩٧ ، ١٧٩٨ • ولقد كانت هنالك أحوال أسبق للنشاط الفرنسي بمنطقة الخليج كبعثة المسيو دى بورج فى عام ١٧٧٨ •

ولكى يتوصل الفرنسيون الى هدفهم هذا أرسلت بعثات فرنسية الى مختلف الدول المشرفة على الخليج (١٠٣) ، فى محاولة لكسبها الى جانبهم (١٠٤) ، وارسل أسطول فرنسى لكى يقوم بالاعمال البوليسية فى بحر الهند والخليج (١٠٥) • وفى نفس الوقت أرسل الفرنسيون عدة رسائل عن طريق الصحراء الى البصرة ، وحاولوا أن ينقلوا غيرها الى الهند فى مراكب عربية •

اما اشتراك العتوب فى النشاط الفرنسى المشار اليه فى منطقة الخليج ، فقد كان مقتصرا على عتوب الكويت فى ميدان نقل الرسائل الفرنسية عبر الخليج ، أى فى الشطر الثانى من النشاط الفرنسى فى المنطقة • ولقد استفاد المستر مانيستي من الصداقة التي توطدت بينه وبين الشيخ عبد الله آل صباح فى القضاء على الخطط الفرنسية الرامية الى استخدام السفن الكويتية كوسيلة لحمل مبعوثيها ورسائلهم • ولعل السبب الاساسى فى استخدام المراكب العربية من اجل تلك الاهداف الانجليزية والفرنسية يكمن فى أن أحدا من الطرفين ، الانجليز أو الفرنسيين ، لم يكن لديه خدمات بريدية منتظمة فى الخليج ، وأنه كان يتحتم عليهم أن يحتفظوا بسرية الانباء الهامة بقدر المستطاع • ان مثل

---

(١٠٣) انظر رسالة من وليم ويكهام Wickham ، الوزير البريطاني فوق العادة لدى الاتحاد السويسرى ، وصادرة عن بيرن بتاريخ ٣٠ يونية ١٧٩٦ رقمها ١٨٠٢ فى المجلد ١٩ من سجلات الوكالات .

(١٠٤) انظر رسالة من السير ريتشارد ورسلي Worsley ، الوزير المقيم فى البندقية ، الى رئيس الوكالة او نائبه بالبصرة مؤرخة ١٥ مارس ١٧٩٦ وصادرة عن البندقية تحت رقم ١٨٠٣ ، المجلد ١٩ فى سجلات الوكالات .

(١٠٥) انظر رسالتين بهذا الخصوص ارسلهما مانيستي الى اللجنة السرية ، الأولى مؤرخة ٢٣ اغسطس ١٧٩٥ وصادرة عن الكويت برقم ١٧٦٣ المجلد ١٩ . والرسالة الثانية صادرة عن البصرة بتاريخ ٢٠ نوفمبر ١٧٩٦ ورقمها ١٧٩٨ . وانظر كذلك رسالة اخرى من مانيستي الى ويكهام صادرة عن البصرة فى ٢٥ نوفمبر ١٧٩٦ ، برقم ١٨٠٣ المجلد ١٩ من سجلات الوكالات .

هذه السرية كان يمكن المحافظة عليها باستخدام المراكب العربية التى كان ربابنتها يتميزون على ما يبدو بقدر ملحوظ من الامانة (١٠٦) • وهذا هو الذى جعل الانجليز والفرنسيين فى بعض الاحيان يعمدون الى استخدام المراكب العربية ، حتى يتجنب كل فريق منهم الآخر • لقد بينا من قبل ان النفوذ الانجليزى فى الخليج كان يفوق أى نفوذ أجنبي آخر فى المنطقة فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، غير أن هذا يجب أن لا يعنى ان ارسال الرسائل كان مقصورا على هذا الطريق دون سواه • وعلى اية حال فقد كان معظم البريد الانجليزى يسافر الى الهند عن طريق الخليج ، وقد كان طريق المحيط الهندى دائما معرضا للخطر بسبب وجود المراكب الفرنسية أثناء أية أزمة تقع مع البريطانيين سواء فى اوروبا أو فى أى مكان آخر (١٠٧) • ولربما ظن البعض ان كلا من الفرنسيين والانجليز كانوا سيتعرضون للمراكب العربية بدورهم ، غير أن مثل هذا التعرض لم يحدث ، على ما يبدو ، الا فى حالتين اثنتين عرف فيهما أن مبعوثين ورسائل كانت محمولة على ظهر مركب بعينه ، ثم انه كان من العسير جدا بل من غير العملي على أى من الاسطولين أن يوقف كل مركب عربي فى الخليج أو المحيط الهندى بقصد تفتيشه • ثم لا شك أنه لو قام أسطول بذلك لعرض جماعته أنفسهم لصعوبات مع مشايخ العرب الذين لن يسمحوا لهم بمثل ذلك

---

(١٠٦) مثال ذلك المركب الكويتي المملوك للشيخ ابراهيم بن غانم والذى كان مسافرا على ظهره من مسقط الى البصرة رجلان فرنسيان . لقد رفض الشيخ ابراهيم أن يسمح للانجليز بالقاء القبض على هذين الفرنسيين على الرغم من أنهم عرضوا عليه قدرا كبيرا من النقود على سبيل الرشوة . غير انه وافق فى النهاية على طلبهم بعد أن أطلعوه على رسالة بتوقيع شيخ الكويت يطلب منه فيها أن يسلم الفرنسيين الى الانجليز . انظر تفاصيل هذا الحادث فى خطاب وجهه مانيستي الى رينود Reinaud صادر عن الكويت بتاريخ ١٠ يولية ١٧٩٥ (الرسالة ١٧٥٤ المجلد ١٩ فى سجل الوكالات) .

(١٠٧) ورد ما يفيد وصول سفن فرنسية حربية الى مياه الخليج فى شهر يوليو ١٧٩٣ ، وقيل انها كانت بمثابة خطر عظيم يتهدد مراسلات الانجليز . انظر خطابا موجها من مانيستي الى اللجنة السرية صادرا عن الكويت بتاريخ ١٨ يوليو ١٧٩٣ (الرسالة ١٦٥٢ المجلد ١٩ من سجلات الوكالات) .

التفتيش فى يسر . أضف الى ذلك ان السفن العربية ، فى ذلك الوقت ، كانت مسلحة بقدر يصعب معه اعتراض سبيلها (١٠٨) .

موقف الكويت من هذه المشكلة

أما موقف الكويت بالنسبة لمشكلة اعتراض السفن هذه ، فكان موقفا لم يكن من السهل على شيخها ان يتصرف فيه . فعلى الرغم من أن الوكالة الانجليزية قد قدمت للكويت خدمات ممتازة أثناء وجودها فيها منذ عام ١٧٩٣ ، وعلى الرغم من أن الشيخ كان صديقا للانجليز كما ادعوا ، فانه لم يرض عن سلوكهم تجاه السفن الكويتية التى كانت تنقل الرسائل والمواطنين الفرنسيين . وقد كانت هذه هى الاوضاع فى يناير عام ١٧٩٥ ، عندما أصدر مانيستي أوامره الى رينود بالقاء القبض على السنيور فيزيتي Gulielmo Vicenzo Visette ، نجل وكيل القنصل البندقي فى حلب ، وكان فيزيتي مسافرا فى سفينة كويتية ، وكانت راسية بالكويت (١٠٩) . ومما تجدر ملاحظته أن مانيستي الذى لم يكن واثقا من أنه يستطيع اعتراض سبيل فيزيتي فى الكويت ، قد زود رينود برسائل الى شيخ البحرين والى ابن خلفان ، حاكم مسقط (١١٠) ،

---

(١٠٨) يتحدث المستر مانيستى عن التسليح القوى للسفن العربية عموما فى رسالة بعث بها من الكويت الى اللجنة السياسية بلندن ، بتاريخ ٢٣ اغسطس ١٧٩٥ (الرسالة ١٧٦٣ مجلد ١٩ من سجلات الشركات) . وهو يعتقد أن تلك السفن ستشكل خطرا كبيرا على التجارة البريطانية فى الخليج . وفى رسالة اخرى بعث بها من الكويت بتاريخ ١٧ يناير ١٧٩٥ الى اللجنة السرية أيضا يتحدث عن السفن الكويتية المعدة اعدادا ممتازا للقتال (الرسالة ٧١٢٣ المجلد ١٩ من سجلات الشركات) .

(١٠٩) الرسالة ١٧٢٣ المجلد ١٩ الصادرة عن القرين من مانيستى الى رينود فى تاريخ ١٧ يناير ١٧٩٥ . أما الاشارة الى غضب الشيخ عبد الله آل صباح فترد فى رسالة أخرى بعث بها مانيستى الى اللجنة السرية بتاريخ ١٨ يناير ١٨٩٥ (الرسالة ١٧٢٢ المجلد ١٩) اما السنيور فيزتى المذكور اعلاه فقد اتضح انه لا يحمل اية مراسلات فرنسية واستمر فى رحلته الى بلاد الهند .

(١١٠) الرسالة ١٧٢٣ المجلد ١٩ الصادرة عن القرين (الكويت) من مانيستى الى رينود بتاريخ ١٧ يناير ١٧٩٥ فى سجلات الوكالات .

لتسهيل مهمة رينود • ولا نستطيع أن نجزم برد الفعل على مثل هذه الرسائل لدى هذين الحاكمين وذلك بالنظر الى انه قد ألقي القبض على فيزيتي فى الكويت قبل سفره منها • غير أن مجرد كتابة مانيستي الى الشيخ أحمد آل خليفة ، شيخ البحرين ، تبين أنه ربما كان بدوره يكن للبريطانيين ودا غير قليل •

ومهما يكن من أمر ، فانه بعد مضى وقت قصير ، وفى أواخر نفس السنة ، تبدل سلوك الشيخ عبد الله فيما يتعلق بمسألة اعتراض الانجليز للمراسلات الفرنسية بعض التبدل ، ذلك أنه فى العاشر من شهر يوليو ، وردت أنباء سرية الى الوكالة التجارية الانجليزية بالكويت ، بأن مركبا كويتيا مسافرا من مسقط الى البصرة ، كان يحمل على ظهره رجلين فرنسيين يظن انهما يحملان مراسلات فرنسية من جزيرة موريشياس Mauritius • طلب مانيستي من الشيخ عبد الله أن يكتب رسالة الى النوخذة (الربان) الكويتي يطلب منه أن يسمح لرينود بمصادرة تلك المراسلات الفرنسية • وعلى الرغم من أن هذا الامر لم ينفذ ، نظرا لمرض رينود بعد مغادرته الكويت مباشرة ، الا أنه من الجدير بالملاحظة ان شيخ الكويت كتب هذه الرسالة دون رغبة منه (١١١) •

غير انه بعد ثلاثة اشهر من هذا التاريخ ، وفى ظروف مماثلة ، قد تغير سلوك الشيخ تغيرا كبيرا • اما الاسباب التي ادت الى هذا التغيير فلا نستطيع ان نحددها • ذلك انه فى ١٥ اكتوبر اصدر مانيستى تعليماته الى رينود بمصادرة المراسلات الفرنسية التى كان يحملها فرنسى يقال له جيرارد Guirard ، وذلك بعد ان وصلته اشارة تفيد بأنه قد غادر البصرة فى طريقه الى سورت Surat بالهند ، فى مركب كويتى يملكه

---

(١١١) انظر الرسالة ١٧٥٤ المجلد ١٩ الصادرة عن القرين (الكويت) من مانيستى الى رينود بتاريخ ١٠ يوليه ١٧٩٥ فى سجلات الوكالات .

ابراهيم بن غانم • زوّد مانيستى رينود برسالة الى الشيخ عبد الله يطلب منه فيها ان يكتب خطابا الى ابراهيم كى يسمح لرينود بمصادرة المراسلات الفرنسية • لقد كتب الشيخ عبد الله ذلك الخطاب ، ولكن السؤال الذى بقى دون جواب هو : هل يسمح النوخذة ابراهيم بتلك العملية ؟ ولكى يضمن رينود تنفيذ خطته حمل معه ٤٠٠٠ قرش (اربعة آلاف) لتقديمها على سبيل المكافأة الى ابراهيم ، اذا وافق بدوره على اتمام العملية(١١٢) • لم يعارض ابراهيم فى مسألة استيلاء رينود على المراسلات بعد ان اراه رينود رسالة الشيخ عبد الله(١١٣) •

ولم يأت ١٣ نوفمبر من نفس السنة حتى كان الشيخ عبد الله قد منح المقيم الانجليزى بالبصرة حق تفتيش كل سفينة كويتية ترسو فى ذلك الميناء بقصد البحث عن المراسلات والمبعوثين الاجانب(١١٤) • ومما تجدر ملاحظته انه فى الحادثتين الاخيرتين كانت السفينتان تخصان الشيخ

---

(١١٢) الرسالة ١٧٧٣ مجلد ١٩ من مانيستى الى رينود – البصرة ١٥ اكتوبر ١٧٩٥ فى سجلات الوكالات • علينا ان نتذكر أن الوكالة التجارية الانجليزية قد عادت الى البصرة فى ٢٧ اغسطس ١٧٩٥ • أما فيما يتعلق بالعملة المحلية والاجنبية فى الخليج فى القرن الثامن عشر فان خير وادق معلومات يمكن الرجوع اليها موجودةفى كتيب وضعه مؤلف مجهول ، وهو محفوظ فى المتحف البريطاني واسمه An Account of the Monies, Weights and Measures, etc.

وقد صدر هذا الكتيب بلندن سنة ١٧٨٩ • انظر السفر الثانى من هذا الكتاب •

(١١٣) لابد ان ابراهيم كان يعرف رينود معرفة شخصية من خلال اقامة الوكالة الانجليزية بالكويت •

(١١٤) ان هذه المنحة اعطيت للانجليز بناء على طلب تقدم به مانيستى الى شيخ الكويت وكان قد حمله معه رينود أثناء مهمته الاخيرة هناك •

انظر رسالة موجهة من رينود الى مانيستى بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٧٩٥ وصادرة عنالبصره (رسالة ١٧٧٣ مجلد ١٩) في سجلات الوكالات • ويتحدث رينود في هذه الرسالة حديثا به تفاصيل طريفة تتعلق بمهمته تلك وكيف أن ابراهيم تردد في بادىء الامر ثم مد يد العون بعد ذلك واقنع الفرنسى بتسليم المراسلات •

ابراهيم بن غانم(١١٥) • ان منح البريطانيين هذا الحق من لدن الشيخ عبد الله كان دون ريب على جانب كبير من الاهمية بالنسبة لهم ، لأنه صار من الايسرعليهم ان يعترضوا سبيل المراسلات والمبعوثين فى عرض البحر قبل ان ترسو السفن بالبصرة ويتصل من فيها بالقنصل الفرنسى • لقد سهل عليهم هذا الامر مهمتهم ، لأنه كان من العسير عليهم ، ان لم يوافق الشيخ ، ان يمارسوا نشاطهم هذا فى مناطق خاضعة للعثمانيين كالبصرة مثلا •

ويبدو ان الفرنسيين قد تنبهوا الى هذا النشاط الانجليزى الهادف الى الاستيلاء على مراسلاتهم ، وعلى هذا فاننا لم نسمع عن مراكب كويتية تحمل عملاء ومبعوثين فرنسيين او مراسلات فرنسية فى السنوات الاربع الاخيرة من القرن الثامن عشر • ولعل سببا آخر لقلة حمل السفن الكويتية لعملاء ومراسلات الفرنسيين ، يكمن فى ذلك الاتفاق الذى تم بين رينود وحملة البريد من الاتراك (١١٦) ، والذى تعهدوا بمقتضاه بأن يسلموه جميع المراسلات الفرنسية الموجهة الى المسيو روسو ، القنصل الفرنسى ببغداد(١١٧) • ويجب علينا ان نذكر فى هذا المقام ان المناورات الدبلوماسية الفرنسية فى اسطمبول وبغـداد وبلاد الفرس

---

(١١٥) يرد اسمان آخران فى رسالة اخرى بعث بها مانيستى الى رينود من الكويت بتاريخ ١٧ يناير ١٧٩٥ ورقمها ١٧٢٣ لشخصين من الكويت هما النوخذه محمد بن بكر الدوسرى ، ثم على بن سليمان ، وقد وصفت سفينتاهما بانهما كانتا معدتين للقتال .
(المصدر السابق) .

(١١٦) كان يحمل البريد من الكويت والبصرة الى حلب البريد العربى المستعجل ، بينما كان يحمل القادم من اسطمبول التتر ،وكان التتر هم حملة البريد العثمانىالامبراطورى ويشار اليهم غالبا بكلمة الاك Ulak .

(١١٧) كان بمقدور رينود بمقتضى هذا الاتفاق ان يرسل من بغداد الى مانيستى بالبصرة المراسلات الفرنسية وهى مختومة بالشمع . انظر الرسالة ١٩٠٦ المجلد ١٩الموجهة من رينود ببغداد الى مانيستى بالبصرة بتاريخ ٢٥ اغسطس ١٧٩٨ فى سجلات الوكالات .

ومسقط ، خلال الفترة ما بين ١٧٩٣ و ١٧٩٨ ، لم تتناول مشيخات العتوب فى الكويت والجنوب • وعلى هذا يمكننا ان نستنتج انه نتيجة لاقامة الوكالة الانجليزية بالكويت من ١٧٩٣ الى ١٧٩٥ ، ونظرا للسياسة الودية التى ابداها شيخ الكويت تجاه الانجليز ، كما سبق بيانه ، فان الفرنسيين وجدوا انه ليس فى مقدورهم الاتصال بشيخ الكويت لكى يكسبوه الى جانبهم[١١٨] • ومهما يكن من امر ، فانه باستيلاء الفرنسيين على مصر سنة ١٧٩٨ ، وبنجاح الدبلوماسية الانجليزية فى مسقط وفى بلاد فارس فى نفس السنة ، فانه لم يعد للفرنسيين مكان فى الخليج العربى ، وبالتالى اختفت مراسلاتهم واختفى مبعوثوهم ردحا من الزمن ، وسنعود الى نشاطهم من جديد فى الفصل الثامن من هذا الكتاب •

والى جانب مساهمة الكويت والزبارة فى هذا النشاط الاوروبى فى الخليج ، فان هنالك جانبا آخر من تاريخ العتوب بقى حتى هذه الساعة ، بعيدا عن متناول يد المؤرخين ونعنى بذلك علاقات العتوب مع الوهابيين •

(ج) العلاقات العتبية الوهابية (١٧٩٣ — ١٨٠٠) :

اما وقد رأينا سير الامور عامة فى شرقى الجزيرة العربية ، وكذلك فى الكويت وباقى مدن العتوب ، فى القسمين أ ، ب من الفصل الحالى ، فباستطاعتنا والحالة هذه ان نمضى قدما لندرس العلاقات العتبية الوهابية • يمكننا ان نقسم هذه الدراسة الى ثلاثة اجزاء ، الاول يبحث

(١١٨) عندما وصل المسيو بوشامب Beauchamp ومبعوثون فرنسيون آخرون الى حلب قادمين من تركيا فى طريقهم الى مسقط ، كتب روبرت ابوت R. Abbot ، الوكيل الانجليزى فى حلب ، الى مانيستى بالبصرة يخبره بأن هؤلاء قد يسافرون عبر بلاد فارس الى مسقط ، وليس عن طريق الكويت فالاحساء فالزبارة .

انظر الرسالة ١٨٧١ المجلد ١٩ من ابوت Abbot الى مانيستى الصادرة عن حلب بتاريخ ٢٧ يناير ١٧٩٨ واول فبراير ١٧٩٨ أيضا فى سجلات الوكالات .

الوضع فى دويلات العتوب وكيف شجع ذلك الوضع الوهابيين على القيام بأعمال عدوانية ضدها ، والثانى سيعالج العمليات الحربية التى وقعت بالفعل بين العتوب والوهابيين ، والثالث سنبين فيه كيف ولم كان بمقدور العتوب ان يحتفظوا باستقلالهم دون أن يخضعوا لسلطان الوهابيين حتى نهاية القرن الثامن عشر .

يجب علينا ان تتذكر فى هذا المقام ان دويلات العتوب التى كانت تكون جزءا من شرقى الجزيرة العربية ، بدأت كمدن صغيرة فى ظل حماية شيوخ بنى خالد (١١٩) ، وان هذه المدن عندما نمت وازدادت اهميتها ، ولما ضمت اليها أراضى جديدة بفتح البحرين ، فانه لم يرد ما يفيد تغير مسلك شيوخ بنى خالد تجاه زعماء العتوب فى كل من الكويت والزبارة والبحرين . فلقد استمرت العلاقات الودية قائمة بين بنى خالد والعتوب بل ان العتوب قد قدموا مساعدتهم لبني خالد فى اللحظات الحرجة من تاريخ الاخيرين . ونضرب مثلا على ذلك الاقامة المؤقتة لزيد بن عريعر فى الكويت فى سنة ١٧٩٣،عندما لم يكن بمقدوره ان يقف امام هجوم الوهابيين على اراضيه فى منطقة الاحساء (١٢٠) ، وكذلك براك بن عبد المحسن فى سنة ١٧٩٥ ، عندما هرب من الاحساء لنفس السبب(١٢١) . وفى الواقع ان الكثيرين من سكان الاحساء الذين هربوا اتقاء لخطر الوهابيين قد لجأوا الى مدينة الزبارة الحصينة(١٢٢) . ويبدو ان قبائل بنى خالد البدوية كانت تتجه صوب اراضى الكويت شمالا كلما هزمها الوهابيون . اما الحضر من بنى خالد فكانوا يتجهون بمراكبهم

---

(١١٩) انظر ظهور الكويت ص ٩٩ ، ثم تاسيس الزبارة ص ١٣٣ ـ ١٢٥ من هذا الكتاب .

(١٢٠) انظر ما سبق .

(١٢١) انظر ما سبق .

(١٢٢) يقول ابن غنام (٢ : ٢٠٥) ان الكثير من سكان مدن الاحساء قد سمح لهم بان يغادروا قلاعهم فى أمان على شريطة ان يهاجروا من البلاد وهو أمر قد فعلوه فهم بعد ان ركبوا السفن فىميناء العقير لجأوا الى اهالى الزبارة وحدثوهم باحوال الاحساء .

الى الزبارة والاماكن الساحلية المشابهة لها ، الواقعة على الجزر الساحلية التى لم يكن الوهابيون قد فتحوها بعد (١٢٣) • أما العتوب فكانوا يتصرفون فى هذه الحالةوفق القاعدة العربية القاضية بحماية المستجير وكانوا فى نفس الوقت يزيدون من قوتهم المقاتلة نظـرا لان هؤلاء اللاجئين قد افهموهم فى الغالب ان دورهم لا شك قادم • وبقبول العتوب لهؤلاء اللاجئين ، اظهروا للوهابيين بكل وضـوح ان لا سبيل امـام الاخيرين الا اخضاع الدويلات العتبية لسلطانهم •

غير اننا يجب ان لا نظن ان مسألة معاونة العتوب للقوم الفارين من الحكم الوهابى هى السبب الوحيد للصراع العتبى الوهابى• فالوهابيون فى تعاليمهم الاساسية قد ذكروا بأنهم سيحملون الحرب الى اية بقعة فيها شرك وبدع • وان دويلات العتوب بالتالى لا يمكن ان تستثنى من ذلك لانه لا ريب فى ان العتوب كان شأنهم شأن غيرهم من المسلمين الاخرين من غير الوهابيين • اضف الى ذلك ان البحرين كانت احدى المناطق التى ذكرها الوهابيون كمثال على انها ارض الشرك والرفضة ، اى الشيعة(١٢٤) ، وان اخضاع مثل هذه البلدان كان امرا اساسيا بالنسبة لنشر المذهب الوهابى •

وكذلك يبدو ايضا ان الوهابيين قد لفت انظارهم الغنى الوفير فى المدن العتبية ، والذى تكدس فيها نتيجة لتجارة العتوب الرائجة • ومهما يكن من امر الدوافع التى ادت الى هجوم الوهابيين على شرقى

---

(١٢٣) كان الوهابيون يتميزون بقدرة فائقة على القتال فى البر لا فى البحر والدليل على ذلك انهم لم يجرؤوا على مهاجمة الجزر التابعة لبنى خالد ،وحتى فى حالة جزيرة العماير، وهى اولى الجزائر التي فتحوها، كانت هذه الجزيرة قريبة جدا من الشاطىء وكان باستطاعة الناس أن يصلوها سباحة او أن يخوضوا المياه اليها ، وحتى فى هـذه الحالة لم يكن الوهابيون بمفردهم اذ عاونهم المهاشير من بنى خالد ، انظر ابن غنام ٢ : ٢٢٥ ، ٢٢٦ .
من المعروف ان الصحابى العلاء الحضرمي قد خاضها فى صدر الاسلام .

(١٢٤) قارن ابن غنام ١ : ص ١٥ .

الجزيرة العربية ، فانه لن يضير القضية الوهابية استيلاؤهم على اموال العتوب الذين لم يكونوا بحال من الاحوال وهابيين(١٢٥) •

العمليات الحربية

اما اول صراع مسلح بين العتوب والوهابيين فقد حدث عام ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ، عندما كان الوهابيون قد تمكنوا من القضاء قضاء يكاد يكون مبرما على نفوذ بني خالد نتيجة لعدد كبير من الغارات شنوها على مختلف مدن الاحساء • ولا يبدو ان العتوب قد شكلوا جبهة متحدة فى قتالهم مع المغيرين الوهابيين ، ذلك انه بينما كان آل صباح فى الكويت مضطرين لملاقاة الغارات الوهابية المتكررة عليهم فى سنة ١٧٩٣ ، لم يتعرض آل خليفة الى هجمات وهابية مباشرة على الزبارة والمنطقة المجاورة لها الا فى سنة ١٧٩٥ • وحتى لو فرضنا ان آل خليفة او ابناء عمومتهم ، آل صباح ، كانوا يعلمون بهجوم وهابي مبيت عليهم ، فان المسافة الشاسعة بين الكويت من جهة والبحرين والزبارة من جهة أخرى ، جعلت ذهاب قوات عتبية للنجدة أمرا غير عملي ، سواء عن طريق البر أو فى البحر • وبالاضافة الى هذا ، فان طبيعة القتال الوهابى ، القائمة على الغارات السريعة والكر والفر ، هى عامل آخر • فالوهابيون قد اعتادوا فى هجماتهم أن يعتمدوا على قدرتهم فى تجميع قواهم وتفريقها فى سرعة فائقة (١٢٦) • ويذكر المؤرخان الوهابيان ابن غنام وابن بشر غارتين وهابيتين وجهتا ضد الكويت (١٢٧) • اما الاولى فوقعت فى سنة ١٢٠٨هـ/١٧٩٣م ، وكان يقود الوهابيين ابراهيم بن عفيصان ، الذى كان

---

(١٢٥) عندما ذكر « لمع الشهاب » الهجمات الوهابية على الزبارة قال عن المدينة انها من أغنى الموانىء وكان يقيم فيها اغنى تجار العرب كابن رزق وبكر لولو وآخرين من آل خليفة (ورقة ٩٥) •

(١٢٦) انظر صفحات ٣١١ — ٣٣٢ من كتاب Notes on the Bedouins ثم ص ١٠ — ١١ من The Wahauby •

(١٢٧) ابن غنام ٢ : ١٩١، ٢٧٣ • وابن بشر ١ : ١٠٢، ١١١ •

قد كسب منذ امد غير بعيد ، معارك ضد بنى خالد فى الاحساء[١٢٨] .
اما جيش ابن عفيصان فكان قوامه عرب من نجد من الخرج ومن العارض ومن سدير ، ولم يرد ذكر لعرب من الاحساء فى هذه الغارات بين من دونهم ابن غنام وابن بشر المشتركين فيها[١٢٩] . اما الغارة التالية فقد حدثت فى سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م ، واشترك فيها بخلاف السابقة ، بعض اهل الاحساء فى جانب الوهابيين . ومن الاهمية بمكان ان نلاحظ ان المؤرخين الوهابيين عندما يتحدثان عن هذا الهجوم الوهابى الاول يذكران بأن اهل الكويت قد خرجوا لملاقاة الوهابيين خارج اسوار مدينتهم ، وانه كان من بين الغنائم التى كسبها الوهابيون اسلحة شهيرة وثمينة [١٣٠] . عاد ابن عفيصان ورجاله بغنائمهم الى بلدانهم فى نجد بعد ان قتلوا ثلاثين من اهل الكويت [١٣١] .

اما الغارة الوهابية الثانية على الكويت فقد وقعت طبقا لرواية المؤرخين الوهابيين فى سنة ١٢١٢هـ/١٧٩٧م [١٣٢] . غير اننا نستطيع أن نستنتج من رسالة صادرة عن الوكالة الانجليزية بالبصرة [١٣٣] ، ومن كتاب بريدجز عن الوهابيين [١٣٤] ان الهجمات الوهابية على الكويت لم تنقطع بعد عام ١٧٩٣ ، وانها كانت متكررة طوال فترة اقامة الوكالة الانجليزية بالكويت . ولقد وصف بريدجز فى تفصيل دقيق احدى الغارات الوهابية

---

(١٢٨) انظر ما سبق فى هذا الكتاب ص ٢٣٢ .

(١٢٩) قارن ابن غنام ٢ : ١٩١، وابن بشر ١ : ١٠٢ .

(١٣٠) ابن غنام ٢ : ١٩١

(١٣١) المصدر السابق .

(١٣٢) انظر ابن غنام ٢ : ٢٧٣ وابن بشر ١ : ١١١ .

(١٣٣) الرسالة ١٧٠٠ مجلد ١٩ من مانيستى وجونز بالكويت الى مجلس المديرين بلندن بتاريخ ١٥ يوليه ١٧٩٤ .

(١٣٤) انظر Brydges, The Wahauby, pp. 11-12 وانظر السفر الثانى من هذا الكتاب للتفاصيل المترجمة عن كتاب بريدجز .

الخطيرة على الكويت وبين كيف استطاع الشيخ عبد الله آل صباح « ورجال بلدته الشجعان » ان يصدوا ذلك الهجوم(١٣٥) • ولا بد ان هذا الهجوم قد وقع على الكويت قبل سفره الى بغداد عام ١٧٩٤ ، ومنها الى اسطمبول فبلاد الانجليز • ويصعب علينا نحن ان نقرر ان عتوب الكويت اتخذوا موقف المهاجم لا المدافع في اية هجمة ، اذ ان هذا ما لا توحي به المصادر الوهابية والمصادر الانجليزية • والاشارة الوحيدة الى هجوم كويتي على الوهابيين يمكن تتبعها في ابن غنام(١٣٦) ، الذي يقول عندما كان يسجل حوادث عام ١٢١٢هـ/١٧٩٧م ، ان مشاري بن عبد الله الحسين ، وهو من اهل الكويت ، قد هاجم جماعة من الوهابيين على مقربة من الكويت • وكانت جماعة مشاري تتألف من عشرين محاربا يمتطون ظهور الجمال ، وعدد آخر من فرسان العتوب • وكانت نتيجة هذه الموقعة مقتل مشاري(١٣٧) • وفي وقت مبكر من نفس السنة هاجم الوهابيون ، وكانوا بقيادة مناع ابي رجلين الكويت ، وخرج العتـوب للقائهم خارج مدينتهم غير انهم انسحبوا من ميدان المعركة مخلفين وراءهم كمية من الاسلحة وعشرين قتيلا(١٣٨) •

ولعل الوهابيين بهجماتهم هذه على الكويت قد أرادوا ان يبينوا للعتوب أن أي جماعة تقف مع بني خالد او أعداء الوهابيين الآخرين ، على اية شاكلة ، ستعرض نفسها لانتقام الوهابيين • اما استطاعة عتوب الكويت الافلات من تسلط الوهابيين ، فربما كان سببها انشغال الوهابيين

---

(١٣٥) المصدر السابق : ١٣ ــ ١٥

(١٣٦) لا يشير ابن بشر الى هذا الهجوم في تاريخه •

(١٣٧) ابن غنام ٢ : ٢٧٤

(١٣٨) يقول ابن بشر (١ : ١١١) ان هذا الهجوم على الكويت قد شن بناء على أمر عبد العزيز بن محمد آل سعود ، وان كون المهاجمين كانوا من الاحساء قد يدل على ان عبد العزيز كان يريد ان يمتحن وفاء أهل الاحساء بعد مضي عامين على اخضاعهم لحكم الوهابيين في عام ١٧٩٥ •

السابق فى جبهات اخرى ، لا سيما عن طريق غير مباشر مع العثمانيين فى شخص ثوينى امير المنتفق ، او بطريق مباشر معهم فى شخص على باشا ، كيخيا بغداد • ويبدوا ان العتوب قد ساعدوا العثمانيين أيضا فى حروبهم ضد الوهابين • ففي سنة ١٢١١هـ/١٧٩٦م أمضت قوات ثويني ، قبل وبعد اغتياله على يد الوهابيين فى الاحساء ، واثناء انسحابهم الى العراق ، نحو ثلاثة اشهر فى قرية الجهرة بجوار الكويت ، ثم انه فى أواخر عام ١٧٩٥ بعد فشل ما يسميه المؤرخان الوهابيان بالمؤامرة على الوهابيين فى الاحساء ، فر كثير من اهل الاحساء الى البصرة وبغداد ، حيث زينوا لسليمان باشا ارسال ثوينى لقتال الوهابيين، الذين كانوا يتأهبون للزحف على البصرة • وعلى الرغم من ان دور عتوب الكويت فى حملة ثويني غير واضح المعالم ، لأن الاشارات تذكر دائما بني خالد واعوانهم ، فان عتوب الكويت لابد وان يكونوا قد انحازوا الى جانب ثويني ، لأنهم بدورهم كانوا يقاسون من خطر التهديدات الوهابية المستمرة من ناحية ، ثم لأنهم كانوا اعوانا لبني خالد من ناحية اخرى •

الوهابيون واخضاع الزبارة عام ١٧٩٨

ومهما يكن من امر فان هذا العون قد جعل القائد الوهابى ابراهيم ابن عفيصان ، الذى كان سعود قد اختاره واليا على الاحساء بعد اخضاعها فى سنة ١٧٩٥ ، يكتب الى عبد العزيز آل سعود يطلب الاذن له باخضاع عتوب الزبارة والمنطقة المجاورة لها(١٣٩) • وكانت الزبارة قد اتخذت من لدن الفارين من الاحتلال الوهابى للاحساء ملجأ(١٤٠) ، وكان هؤلاء الفارون قد استمروا يتآمرون على الحكم الوهابى الجديد فى الاحساء • ويشير كتاب « لمع الشهاب » الى ان ابن عفيصان قد طلب

---

(١٣٩) من الغريب حقا أن يغفل المؤرخان الوهابيان فى تاريخهما اخضاع الزبارة اذ لم يرد منهما شيء عن ذلك . أما المصدر الوحيد للمعلومات المفصلة عن هذه الحادثة فهوكتاب « لمع الشهاب » ، الاوراق ٩٤ – ٩٦ ، ١٠١ – ١٠٣ •

(١٤٠) انظر ما تقدم •

ذلك فى السر من عبد العزيز ، غير أنه لا يوضح سببا لهذا المسلك (١٤١) ، وكذلك فانه ليس من الواضح لِمَ لَمْ يباشر ابن عفيصان بالحرب ضد تلك المدينة بعد ان وصلته موافقة عبد العزيز مباشرة . ومهما يكن من امر ، فان ابراهيم قد بدأ هجماته على المدينة بارسال افراد من جماعته على اطراف الزبارة ، واوصاهم بأن يعزلوا المدينة عن البر ، وان يمنعوا سكانها من الحصول على المياه والاخشاب . وكانت مدينة الزبارة تعتمد من حيث المياه على آبار تقع على بعد نحو فرسخ ونصف من المدينة . وكان يحمى هذه الآبار قلعة يقـوم بينها وبين المدينـة عدد من الاكوات (الحصون) ، كانت تيسر للسكان الحصول على المياه وهم فى حمايتها (١٤٢) . ويبدو من هذا جليا ان ابراهيم كان يأمل فى الاستيـلاء على المدينة دون ان يشن هجوما عليها مكتفيا بحصارها . ولكن نظرا لما كانت عليه من المنعة (١٤٣) والموقع الحصين وتوفر المياه ، فان آماله لم تتحقق وبذلك وجد من الضرورة ان يستولى عليها عنوة . وبدأ بمهاجمة قلعتها التى سقطت فى يد الوهابيين بعد خسائر فادحة تكبدوها فى الارواح ، غير ان الاكوات التى لم يكن من اليسير الاستيلاء عليها صمدت للهجمات الوهابية (١٤٤) ، الا ان الشيخ سلمان آل خليفة حاكم الزبارة ، امر رجاله بأن يغادروا الاكوات بعد أن يتلفوها ويجعلوها غير صالحة للقتال . وعلى هذا عزلت الزبارة من ناحية البر وبدأ حصارها . ظن العتوب ان المحاصرين سيملـّون حصارا لا طائل من ورائه ، وسيعودون ادراجهم بعد فترة . غير أن شيئا من هذا لم يحدث . فالواقع ان الوهابيين كانوا

---

(١٤١) انظر « لمع الشهاب » ، ورقة ٩٤ .

(١٤٢) المصدر السابق ، ورقة ٩٥ .

(١٤٣) انظر ما سبق بخصوص مناعتها .

(١٤٤) يقول صاحب « لمع الشهاب » (ورقة ٩٦) أن بناء القلعة والاكوات قد تم بعد أن جمع احمد آل خليفة مجلسا من أغنياء تجار المدينة واستشارهم فيما يجب عمله بعد أن رأى الخطر الوهابى يحدق بالزبارة والمنطقة المجاورة لها .

اثناء الحصار يسيِّرون بعض قواتهم لاحتلال مدن اخرى فى قطر كالفريحة والحويلة واليوسفية والرويضة . ولما كانت هذه المدن لها مراكب ، فقد سيرها الوهابيون ضد مراكب العتوب . وقد ورد فى « لمع الشهاب » ايضا ان عتوب الزبارة هاجموا تلك المدن وفرقوا قواتها البحرية ، غير انه لم يكن بمقدور العتوب ان يصمدوا امام الوهابيين فى معركة برية .

وهكذا لما سار ابراهيم بمساعدة المدن الاخرى ضد العتوب ، وثابر فى هجومه بل وشدد حصاره على الزبارة رأى اهلها ، ووافقهم على ذلك شيخهم سلمان بن احمد آل خليفة(١٤٥) ، انه بمقدورهم ان يجبروا الوهابيين على فك الحصار عن مدينتهم اذا هاجروا بأهليهم جميعا الى البحرين(١٤٦) . وفى البحرين اختاروا ان يقيموا فى الجو ، وهى واقعة على مرتفع من الارض فى جنوب اكبر جزر البحرين ، حيث ابتنوا لانفسهم قلعة وشيدوا مساكن تستوعب المهاجرين(١٤٧) .

اما تاريخ هجرة اهل الزبارة منها فلا نعرفه على وجه التحديد ، وليس هنالك ما يفيد بأن الوهابيين بعد أن وجدوا المدينة خاوية قد طلبوا من اهلها ان يعودوا اليها ، وكل ما ذكره صاحب « لمع الشهاب » لا يتعدى ان ابن عفيصان قد شعر بالاسى على ما فعله بعد ان دخل المدينة المهجورة (١٤٨) . اما ذلك الاسى فربما كان مرده انه قد استولى

---

(١٤٥) توفي احمد آل خليفة فى سنة ١٧٩٦ واختير ابنه سلمان خلفا له .

(١٤٦) ظن العتوب وفقا لما رواه صاحب « لمع الشهاب » (ورقة ١٠٣) أن حكومة الوهابيين لن تدوم طويلا ، وبذا ستتيسر لهم العودة الى ديارهم بالزبارة . ولقد جرت عادة أهل شرقي الجزيرة على ان يهجروا ديارهم اذا ما هددتهم قوة عارمة لا يستطيعون لها ردا وان يركبوا باهليهم البحر . ولم يكن امام الغزاة بعد أن يجدوا تلك المدن خاوية الا العودة من حيث أتوا . قارن هجرة عرب الهولة من البحرين عام ١٧٤١ بعد احتلال الفرس للجزيرة (انظر ما سبق على الصفحة ٦٦ من هذا الكتاب) .

(١٤٧) انظر لمع الشهاب ، ورقة ١٠٣ .

(١٤٨) المصدر السابق .

على مدينة عرفت بثرائها الطائل ، ولكنه لم يعد منها بأية غنائم يوزعها على جنده او يرسل قدرا منها الى خزينة الدولة فى الدرعية .

حملة علي باشا فى سنة ١٧٩٨

اخذ الوهابيون فى الاستيلاء على شبه جزيرة قطر بعد ان ثبتوا اقدامهم فى الاحساء . غير ان ذلك لم يكن معناه ان العثمانيين فى العراق غفلوا عن تزايد النفوذ الوهابى فى تلك الديار . فبعد فشل حملة ثوينى بقليل ، قاد سعود جماعات الوهابيين مغيرا على الشمال وهاجم ضواحى العراق(١٤٩) . ولما رأى سليمان باشا ، والى بغداد الخطر الوهابى يقف على عتبة بيته ، رأى ان لا مندوحة عن اعداد حملة ضد الوهابيين . عهد سليمان باشا بقيادة هذه الحملة الى كيخياه على باشا ، وكان مملوكا كرجيا . تقدم فرسان الحملة عن طريق البر قاصدين الاحساء ، اما المشاة والمدفعية والذخائر ، فقد حملتها السفن الى البحرين والى موانىء الاحساء الاخرى ، حيث استقبلت بكل ترحاب(١٥٠) ولما كان تفصيل هذه الحملة يخرج عن نطاق بحثنا هذا اذ انها تتعلق بالعلاقات العثمانية الوهابية ، فاننا سنعالجها بالقدر الذى تلقيه من ضوء على تاريخ الكويت وسائر العتوب . يحدثنا صاحب لمع الشهاب بأن المدفعية والموادالغذائية والاسلحة التابعة لحملة على باشا الكرجى قد نقلت فى السفن الىالبحرين وفرغت شحنات هذه السفن فى موانىء الاحساء ايضا ، ويضيف بأن الحملة قد استأجرت مائتى مركب من الكويت لاستخدامها فى هذه

---

(١٤٩) كان الهجوم موجها على النبماوة وسوق الشيوخ . انظر ابن بشر ١ : ١١٢ .

(١٥٠) يمكن تتبع تفاصيل وافية عن اعداد هذه الحملة وطريق زحفها على الوهابيين عبر الاحساء بدلا من الدرعية وبيان اسباب فشلها فى كتابات معاصرة لثلاثة مؤلفين هم بريدجز فى كتابه Wahauby ١٩ ــ ٢٤ ، صاحب لمع الشهاب (الاوراق ١٧٣ ــ ١٨٤) ، وكتاب ابن سند المسمى « مطالع السعود » (الاوراق ١٧٠ ــ ١٧٥) .

العملية[١٥١] • ثم ان انزال هذه المنقولات في البحرين يدل دلالة واضحة على ان آل خليفة كانوا بدورهم منحازين الى جانب العثمانيين[١٥٢] •

استقلال عتوب البحرين يستمر حتى نهاية القرن الثامن عشر وعتوب الكويت الى ما بعد ذلك

ونقطة اخيرة لا بد لنا من بيانها فيما يتعلق بالعلاقات العتبية الوهابية في السنين العشر الاخيرة من القرن الثامن عشر ، هي كيف استطاع العتوب ان يحتفظوا باستقلالهم بعيدا عن نفوذ الوهابيين خلال تلك السنين العصيبة ، عندما اجتاح الوهابيون بقواتهم شرقي جزيرة العرب •

والاجابة على هذا السؤال تتطلب ان ننظر في كل مشيخة عتبية على انفراد ، اي في عتوب الكويت ، وعتوب البحرين ، وان نرى كيف قاوم كل طرف اعتداءات الوهابيين على اراضيه •

مقاومة بني خالد

ومهما يكن من امر ، فان كلا من الطرفين اشترك في موقع جغرافي واحد فالكويت بعتوبها والزبارة والبحرين كذلك تقع على الساحل الشرقي للجزيرة العربية ، والى الغرب منهم من ناحية البر ، تقع أراضي

---

(١٥١) انظر « لمع الشهاب » (ورقة ١٧٦) . أما الرجل الذى نظم هذه المسالة فهو عبد الله اغا ، متسلم البصرة ، الذى كان على ما يبدو ، على علاقات طيبة مع العتوب ، ذلك أنه عندما علم بمقدم علي باشا الى البصرة ، سارع الى الهرب في سفينة متوجها الى الكويت نظرا لعداوة سابقة له مع علي باشا ، غير ان علي باشا سرعان ما طيب خاطره واستدعاه صافحا عن كل ما مضي (المصدر السابق ، ورقة ١٧٥) .

(١٥٢) ورد في صفحة ٤٢٩ من مختارات بومباى ان العتوب كانوا ينوون المشاركة في هذه الحملة بالاضافة الى عرب المنتفق وقبائل البصرة . غير أنه لا توجد تفاصيل عن ماهية هذه المشاركة . ويبدو أن العون الذى قدموه كان عونا بحريا .

بنى خالد • وبنو خالد هؤلاء كانوا الحاجز الاول الذى حفظ العتوب بقواهم البحرية من الخطر الوهابى غير انه بسقوط بنى خالد صار اخضاع العتوب بعد عام ١٧٩٣ امرا كثير الاحتمال ولكن ظهور زيد بن عريعر فى بنى خالد عام ١٧٨٩ ، وتولى براك بن عبدالمحسن بعد ذلك فى سنة ١٧٩٣ قد اجل قيام حكم وهابى مباشر فى شرقى الجزيرة العربية بعض الوقت •

ان سقوط حكم براك فى سنة ١٧٩٥ كان بداية النهاية لحكم بنى خالد فى شرقى الجزيرة العربية ، وبتلك البداية بدأت الصعوبات التى كان يتوقعها العتوب مع الوهابيين تتزايد • وحتى قبل سقوط براك ، كانالوهابيون كما اسلفنا القول عند حديثنا عن العمليات الحربية الوهابية ضد الكويت ، قد شنوا هجمات عديدة على الكويت غير انهم لم يستطيعوا ان يستولوا على المدينة طوال تلك الفترة •

ولقد سبق ان اشرنا ايضا الى القوة المتزايدة لاسطول العتوب والى ارتفاع مستوى اسلحته(١٥٣) • ولا شك ان هذه الاسلحة كان يمكن ان تستعمل للدفاع عن المدينة اذا ما دعت الضرورة الى ذلك • ولا يكاد يخامرنا شك فى انها قد استعملت لهذا الغرض حوالي ١٧٩٣ ، وبعد ذلك • ان العتوب الذين عملوا كغيرهم من تجار العرب فى التجارة الهندية، كان بمقدورهم ان يجهزوا انفسهم بأسلحة تفوق اسلحة الوهابيين ،ولعل هذا يفسر قول ابن غنام بأن الوهابيين قد غنموا « اسلحة شهيرة » من العتوب بعد هجومهم على الكويت فى سنة ١٧٩٣(١٥٤) • ثم ان وجود الوكالة الانجليزية بالكويت فى الفترة ما بين ١٧٩٣ ــ ١٧٩٥ ربما كان عاملا قويا آخر فى سلامة الكويت وافلاتها من التسلط الوهابى •

---

(١٥٣) انظر ص ١٨٦ من هذا الكتاب •

(١٥٤) انظر ما سبق فى هذا الكتاب صفحات ٢٥٤ وما يليها •

دور الوكالة الانجليزية فى الدفاع عن الكويت

ليس لدينا دليل من سجلات وكالة البصرة يبين ان الوكالة قد ساندت اهل الكويت فى موقفهم من غارات الوهابيين . والواقع ان عكس هذا قد اورده بريدجز ، الشخص الثانى فى الوكالة بالكويت ، فى كتابه Wahauby (١٥٥) اذ يبين ان الكويت دافع عنها اهلوها فقط ، وان الذى حماها انما هو شجاعتهم وثقتهم الكاملة فى شيخهم عبد الله ابن صباح ، الشيخ الوقور ، المهيب الطلعة الذى كانوا ينظرون اليه نظرتهم الى والد لا الى حاكم (١٥٦) ، وان الوكالة لم تتدخل فى الصراع (١٥٧) الناشىء بين الخصمين لأن هذه كانت هى اوامر الشركة ثم لأن الوكالة كانت لا تريد ان يعطل الوهابيون بريدها الصحراوى .

غير انه يصعب علينا ان نوفق بين قول بريدجز ورواية شخصية اخرى من رجال الوكالة الانجليزية بالبصرة ، وهو رينود حسب ما كتب الى الدكتور سيتزن Seetzen من حلب بتاريخ ١٨٠٥(١٥٨) . ففى الوقت الذى بين فيه بريدجز ان الهجوم الذى قام به الوهابيون على الكويت كان قوامه خمسمائة شخص ، انهزموا على اثر طلقة واحدة من مدفع قديم كان الشيخ قد انزله من احدى سفنه الى البر(١٥٩) ، فان المستر رينود من ناحية اخرى يقول بأن قوام الجيش الوهابى المهاجم كان

---

(١٥٥) انظر صفحات ١٢ — ١٦ .

(١٥٦) المصدر السابق (ص ١٢) .

(١٥٧) تعهد أمير الوهابيين ، وفقا لما أورده كورانسيز Corancez (ص ٥٠) ، بأن يحمي البريد الانجليزي طالما كان هو فى صلح مع باشا بغداد وقد قتل شخصا ذات مرة لتعرضه لذلك البريد .

(١٥٨) انظر : Monatliche Correspondentz, 234-235

(١٥٩) انظر The Wahauby, p. 12

٢٫٠٠٠ جمل يحمل كل منها رجلين ، اولهما مسلح ببندقية والثانى بحربة ليحمى زميله وهو يحشو بندقيته ، ويدعى ايضا انه بناء على اوامر ما نيستى انزل مدفعان من طرادبريطانى الى بر الكويت ، وكانت تستعملهما الوكالة بقصد الدفاع ، وان حرس الوكالة ايضـا قد ساهموا فى رد الهجوم الوهابى ، وان الوهابيين قد تكبدوا خسائر فادحة أثناء هربهم على شاطىء البحر امام نيران الطراد الانجليزي نفسه (١٦٠) • ويضيف رينود الى ذلك ان غضب الوهابيين من هذا التصرف قد جعلهم يقومون بغارات على بريد الشركة وهذا كان هو السبب الذى جعله يسافر بأمر من مانيستى الى الدرعية لاعادة العلاقات الطيبة مع الوهابيين(١٦١) وكان رينود بذلك اول اوروبى يزور الدرعية فى عهدها الزاهر الجديد ، عهد تأسيس دولة الوهابيين الاولى •

وعلى الرغم من اننا لا نجد تاريخا محددا لذلك الهجوم على الكويت فى اى من المصدرين السابقين ، سوى ما ذكر من انه حدث اثناء اقامة الوكالة الانجليزية بالكويت ، فيبدو من المحتمل ان رواية رينود عن دور الوكالة لا يمكن ان تكون خيالية ، فهنالك ادلة كثيرة يمكن ان تؤيدها ويأتى فى المقام الاول ان الوكالة كانت مسئولة عن بضائع الشركة ، التى كانت فى الكويت كميات كبيرة منها • ولا شك ان الوهابيين لا يمكن ، لو احتلوا الكويت الا ان يستولوا على هذه البضائع ، على أنها اموال للكفار • وبالاضافة الى هذا ، فانه يبدو من غير المحتمل ان ينكر مانيستى جميل شيخ الكويت واهلها ، الذين رحبوا بمقدمه واكرموا وفادته قبل هذا الهجوم الوهابى بقليل • غير ان مانيستى فى نفس الوقت لم يكن قادرا على ان يشرح لرؤسائه فى لندن ، فى رسائله ، الدور الذى لعبه ضد الوهابيين ، نظرا لان سياسة الشركة كانت حتى ذلك التاريخ سياسة

---

(١٦٠) Monatliche Correspondentz, pp. 234-235

(١٦١) انظر Lorimer, Gazetteer, I, i, 1004

حياد بين قوى الخليج • ومما تجدر ملاحظته ان الرسائل الصادرة من الكويت لم تورد اى تفصيلات عن اى هجمة وهابية عليها على الرغم من انه ليس هنالك اى مجال للشك ، بأن هذه الهجمات قد حدثت بالفعل •

ومما هو جدير بالذكر كذلك ، ان الكويت قد احتفظت باستقلالها وبقيت خارج منطقة النفوذ الوهابي بعد اخضاع الوهابيين للزبارة • اما تفسير هذا فنستطيع ان نقدمه على اساس ان الوهابيين ، بعد سنة ١٧٩٦ ، كانوا منهمكين فى رد الهجمات التى كان يشنها عليهم شرفاء مكة من ناحية وثوينى شيخ المنتفق فى سنة ١٧٩٨ ، وعلى باشا ، كيخيا بغداد ، فى سنة ٩٩/١٧٩٨ ، من ناحية اخرى • اضف الى ذلك أن العتوب لم يكن لديهم جيش يرى فيه الوهابيون خطرا قويا على نفوذهم القائم فى شرقى الجزيرة العربية ، لا سيما وانه كان بمقدور الوهابيين ان يقذفوا الى ميدان المعركة بعدد من الرجال يبلغ ٥٠٫٠٠٠ راكب جمل(١٦٢) • وهكذا بدا ان اخضاع العتوب لحكم الوهابيين قد اجل الى حين •

ومهما يكن من امر فان حاكم مسقط شن هجوما فى عام ١٧٩٩ على البحرين بحجة ان السفن العتبية التى كانت تعبر مضيق هرمز رفضت ان تدفع الاتاوة المستحقة على السفن التى تعبر ذلك المضيق ، غير انه فشل فى الاستيلاء على المنامة ، عاصمة البحرين ، وعاد الى مسقط(١٦٣) • ولكن حملة الامام التى شنها على البحرين فى سنة ١٨٠٠ نجحت فى الاستيلاء على البحرين ، واخذت ستا وعشرين اسرة عتبية الى مسقط كرهائن ، بينما فر الكثيرون من اهل البحرين الى مدينتهم المهجورة

---

(١٦٢) انظر صورة عن رسالة صادرة عن بغداد بتاريخ أول ديسمبر ١٧٩٨ المجلد ٢١ ارسلها Brydges الى يعقوب بوسانجه Jacob Bosanguet رئيس مجلس المديرين بلندن •

(١٦٣) انظر « السيرة الجلية » ، ورقة ٥١ وكذلك « الفتح المبين » ، الاوراق ١٩٣ — ١٩٤ •

الزبارة ، ومن هناك طلبوا العون الوهابى ، وكانت هذه هى الفرصة التي ينتظرها الوهابيون فسارعوا بتقديمها (١٦٤) . عاد العتوب واحتلوا البحرين من جديد فى سنة ١٨٠١ غير انهم حملوا معهم النفوذ الوهابى الى جزيرتهم . اننا لا نعرف على وجه الضبط المدى الذى بلغه النفوذ الوهابى فى الكويت آنذاك ، ووفقا لما اورده كمبل Kemball ، مساعد المقيم البريطانى فى الخليج ، كان النفوذ الوهابى قائما فى جميع الساحل الشرقى للجزيرة العربية الممتد على الخليج العربى من البصرة شمالا الى اراضي القواسم فى الجنوب ، وذلك فى الفترة ما بين ١٨٠٠ ـ ١٨٠٢ (١٦٥) . وان هذا يعنى بالتالى ان عتوب الكويت كانوا قد اعترفوا بسيادة الوهابيين ان صح قوله (١٦٦) ، وسوف نعرض لتفصيل هذا الموضوع فى الفصل الثامن من هذا الكتاب .

وقبل ان نتحرى عن ذلك الوضع ، سنعرض الى صورة مشرقة من تاريخ النشاط التجارى لعتوب الكويت واخوانهم عتوب الزبارة بقطر والبحرين خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، ذلك النشاط الذى استمروا يمارسونه فى القرن التاسع عشر من بعد كذلك .

---

(١٦٤) انظر ابن بشر ١ : ١٢١

(١٦٥) انظر منتخبات حكومة بومباى (٢٤) : ١٥٢ .

(١٦٦) يقول المستر واردن Warden فى مقالته التاريخية عن ظهور مسقط فى منتخبات حكومة بومباى : ١٧٤ ، ان سلطان مسقط بعد أن فتح البحرين فى سنة ١٨٠١ طلب من شيخ الكويت أن يأتي بشخصه ويقدم له فروض الطاعة وهو أمر ، فى رأى Warden لا بد وان يكون شيخ الكويت قد نفذه ، نظرا لان السلطان بعد هذا بقليل قد سحب جيوشه . ومهما يكن من أمر فليس هنالك اشارة الى الكويت فى تاريخى ابن غنام وابن بشر فهما يشيران الى البحرين دون الكويت ، ويقرنان اسم الشيخ سلمان آل خليفة بالعبارة التالية « أمير عبد العزيز على البحرين والزبارة » . (ابن بشر ١ : ١٢٩) . انظر الفصل الثامن من هذا الكتاب .

الفصل السابع

دويلات العتوب والتجارة في الخليج العربي وشرقي الجزيرة العربية (١٧٥٠-١٨٠٠)

الفصل السابع

دويلات العتوب والتجارة فى الخليج العربي وشرقى الجزيرة العربية (١٧٥٠ ـ ١٨٠٠)

يجدر بنا فى هذا المقام ان نشير الى بعض العوامل الهامة التى ساهمت فى تطوير بلدان العتوب الواقعة فى شرقى الجزيرة العربية وعلى ساحل الخليج العربى الغربى • يأتى فى المقام الاول الوضع الجغرافى لتلك الدويلات ، ذلك انها تقع على الطريق التجارى الهام المار عبر الخليج العربى • وقد جعل هذا الموقع العتوب يبدون اهتماما طبيعيا بالمشاركة فى تجارة الخليج بكل مالديهم من سبل • والواقع ان العتوب قد أثبتوا انهم كانوا ، طوال النصف الثانى للقرن الثامن عشر تجارا نشيطين قادرين على الاستفادة من الاوضاع السياسية القائمة فىالخليج لاحراز النجاح لدويلاتهم الناشئة •

دور الجغرافيـــا

لما كانت اراضى العتوب تمتد من قطر فى الجنوب الى الكويت فى الشمال ، فان ذلك قد حباهم بميزة القدرة على نقل التجارة الى أجزاء كثيرة فى وسط وشمال الجزيرة العربية • ولقد كان لهم علاقات تجارية مع الشاطىء الشرقى للخليج وكذلك مع مسقط والبصرة • أما

موقع الكويت فى اقصى الطرف الشمالى الغربى للخليج فقد جعل العتوب يساهمون فى تجارة القوافل ما بين رأس الخليج الشمالي وحلب.

وعلى هذا فاننا سنحاول ان نقدم فى هذا الفصل دراسة للطرق التجارية من دويلات العتوب واليها ، ونعرض للبضائع المتاجر بها ثم نحاول تبيان حجم ونوع تلك التجارة التى جرى نقلها بواسطة العتوب.

الطرق التجارية ـ البحرية منها والصحراوية

لا بد ان التجارة المنقولة من دويلات العتوب واليها كانت تتبع الطريقين القديمين للتجارة فى هذه المنطقة ونعنى بهما طريق الخليج البحرى اولا ، ثم طرق القوافل ثانيا . اما بالنسبة للطريق الاول فان سفن العتوب بالاضافة الى السفن الاخرى التى كان يمتلكها عرب مسقط (١) ، كانت على وجه التقريب تحتكر نقل البضائع عبر مياه الخليج العربى . ولقد كان من عادة السفن التى يمتلكهاالتجار من عتوب الكويت والزبارة والبحرين ان ترسو محملة بالبضائع فى موانىء مسقط والبصرة وبو شهر (٢) ، والموانى الاخرى الهامة فى الخليج حسب ما

---

(١) يمكننا القول انه ، باستثناء سفن بوشهر ، لم تكن هنالك سفن بضاعة تعمـــل فى الخليج فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر يمتلكها عرب الخليج سوى مسقط وسفن العتوب . أما تجار البصرة فيبدو أنه لم تتوفر لديهم سفنهم الخاصة آنذاك .

(٢) « منذ ان استولى العتوب على البحرين ، استحكم العداء ، وكان من نوع سلبي ، بينهم وبين الفرس ، وقضى ذلك على الصلات التجارية بين الطرفين ، وهى صلات كانت قائمة قبل ذلك الحادث وكانت منافعها متبادلة بين الطرفين » .

قارن : Saldanha: Selections from State Papers, 409

ويشير هذا التقرير نفسه فى مقام آخر (ص ٤٢٣) ، والتقرير قد كتبه مانيستي وجونز ، الى أن « الاتصال بين سكان شاطيء الخليج قد استمر على نطاق ضيق جدا » بعد احتلال البحرين ، وهو التقرير الذى أشرنا اليه باسم مختارات سلدنها فى الفصول السابقة .

تقتضيه ظروف ظهور موانىء جديدة فى مياهه (٣) • غير انه لما صارت سفن العتوب قادرة على بلوغ الهند والمتاجرة معها ، وذلك فى الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، فانها قد توقفت عن الرسو فى مسقط واخذت تبحر مباشرة من الهند الى الموانىء العتبية وذلك لكى تتجنب دفع الاتاوات لسلطان مسقط (٤) • وليس لدينا ما يفيد بأن سفن العتوب كانت تسافر الى المخا ببلاد اليمن للمشاركة فى نقل القهوة الى الخليج العربى (٥) • ونستطيع ان نقول فى ايجاز ان اسطول العتوب قد ساهم بقسط كبير فى نقل التجارة البحرية الخاصة بالخليج ، بل هو فى الواقع كان ثانى اسطول لنقل تلك التجارة بعد اسطول مسقط • ولم تأت سنة ١٧٩٠ حتى كانت •

« سفن العتوب قد صارت من العدد والحجم بحيث احتكرت جميع النقل البحرى للبضائع المحمولة بين مسقط وساحل جزيرة العرب الغربى ، الواقع على الخليج العربى ، وكذلك جزءا رئيسيا من البضائع المحمولة بين مسقط والبصرة » (٦) •

---

(٣) يبدو أن العتوب قد استفادوا من اقامة الهولنديين لوكالتهم التجارية فى جزيرة خارج فى الفترة ما بين ١٧٥٤ – ١٧٦٥ ، وعلى الرغم من أننا لا نجد دليلا واضحا يبين مقدار استفادة العتوب ، لا سيما عتوب الكويت ، من تلك الوكالة ، فان ما أدرجه آيفز Ives من حديث عن علاقة شيخ الكويت بالبارون كنبهاوزن Kniphausen ، يدل دلالة واضحة على أن العتوب كانوا على صلة تجارية بجزيرة خارج •

(٤) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٨ •

(٥) يبدو أن نقل المحصول السنوى من القهوة كان حكرا على ما سمى باسطول القهوة المسقطى الذى كان ينقلها الى البصرة ومختلف موانىء الخليج •

انظر : Parsons, op. cit., 157

وكذلك انظر مختارات سلدنها : ٤١٨ •

(٦) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٩ •

ولعله من سوء الحظ حقا أننا لا نجد وصفا دقيقا لجميع أنواع المراكب التي كانت تمخر عباب الخليج • وعلى ذلك فان الانواع المختلفة منها والمستعملة آنذاك كالبغلةوالجلبوت والداو والدنكية وغيرها تبقى اسماء بدون دلالة كبيرة بالنسبة لما كانت تعنيه لا سيما بعد أن اختلفت الاشكال والانواع المستعملة منها فى القرن الثامن عشر (٧) •

---

(٧) يصف الكابتن جينور Jenour الدنكية باختصار فى كتابه :The Route to India Through France etc. المنشور بلندن سنة ١٧٩١ (ص٣٦) فيقول :« ان هذه المراكب ليس لها من الظهر سوى جزء بسيط تحت الدفة يغطي تلك البضائع التى يتلفها ماء المطر اذا تساقط عليها ، أما مؤخر المركب فهو أعلى من أي جزء آخر فيه ، والدنكية على العموم رديئة الصنعة ، لاتتوفر فيها وسائل الراحة ، ولا يتحكم فى سيرها الا بصعوبة فائقة » . ويختم هذا الكتاب حديثة عن الدنكية ناصحا الرحالة الاوروبيين بأن لا يسافروا عليها . أمـا المستر ج . ا . ستوكولر J. A. Stoqueler فقد سافر من بومباى الى الكويت عام ١٨٣١ على ظهر بغلة كويتية وقد وصفها لنا وصفا طريفا ، كما تحدث عن حب الكويتيين لركوب البحر فقال : « ان البغلة مركب كبير تتراوح حمولته ما بين (مائة) ومائتي طن ، وأما مؤخرتها فهي مرتفعة وأما مقدمتها فمدببة ، وبها قمرة واسعة واحدة قائمة على سطح مائل وبها قاعات ونوافذ بالمقدمة ، وبها شراعان مربعان كبيران وأحيانا يكون شراع فى مقدمتها ، وهي تبني عموما فى كوشين وأماكن أخرى على ساحل المليبار ، ويستخدمها فى الملاحة التجار من العرب والهنود فى نقل التجارة ما بين بلاد العرب وفارس والساحل الهندى ، والبغلة المسماة « النصر » التي حجزت عليها سفرتي فى مقابل مائة وخمسين روبية ، كان بحارتها نحو أربعين أو خمسين من أهل القرين أو الكويت الواقعة على الشاطىء الغربي للخليج . أما قائد السفينة فكان «نوخذة» أنيقا فى مقتبل العمر . وكان البحارة يبدون احتراما لهذا القائد أشبه ما يكون باحترام الابناء لسلطة والدهم ، وكانوا يمزجون طاعتهم لاوامره بعلامات من الاحترام تبدو غريبة كل الغرابة لاجنبي انجليزي مثلي . ان النوخذة لم يساهم فى تسيير المركب عندما كان يقطع طريقه الى مسقط ، فذلك الامر قد ترك الى رجل عربي متقدم فى السن ، كان على دراية تامة باستخدام البوصلة ، وكانت ملاحظاته فى غاية الدقة بحيث اننا بلغنا رأس الحد فى الوقت الذى حدده بالضبط » . انظر Sotcqueler, Fifteen Months Pilgrimage, Vol, I, pp. 1-3 أمـا لـو Low فيصـف « البغلة بانها مركب عظيم الحجم تبلغ حمولته ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ طن وهو مسلح بعدةمدافع والبغلة مركب يعمر طويلا ، وان واحدة منها قد بنيت فى عام ١٧٥٠ كانت لا تزال تبحر فى عام ١٨٣٧ » . انظر : Low, History of the Indian Navy, vol, I, p. 169 « أما الداو العربي (المصدر السابق) فهو مركب تتراوح حمولته ما بين ١٥٠ ـ ٢٥٠ طنا وأحيانا تزيد عن ذلك .. ويمكن التمييز بين الداو والبغلة بوجود دهليز طويـل ناتىء من مقدمـة السفينة يختص به الداو من دون البغلة » . وقد اختفت المراكب من طراز الداو من الخليج حوالي عام ١٨٧٦ (المصدر السابق) .

قوافل الصحراء

كانت السفن احدى وسيلتين لنقل التجارة فى منطقة الخليج العربى ، اما الوسيلة الثانية فكانت قوافل الصحراء التى كانت تنقل البضائع من الموانىء العتبية وغيرها على شاطىء الخليج الى البلدان المحيطة بالخليج ، وكذلك الى مناطق بعيدة عنه .

ان أهمية « طريق القوافل الصحراوى العظيم » فى نقل البضائع بين آسيا واوروبا فى القرن الثامن عشر لم تحظ باتنباه احد من الدارسين على ما نعلم حتى وقتنا الحاضر . اذ لم تظهر دراسة جدية لذلك الموضوع (٨) ، على الرغم من ان قوافل الصحراء استمرت تحمل البضائع ما بين الخليج والبحر الابيض المتوسط خلال هذه الفترة من التاريخ ، بعد أن حملتها منذ مئات السنين من قبل . ان دارس شئون عتوب قطر والبحرين والكويت يجب ان يوجه اهتمامه الى تلك القوافل ، لانها تعنى الكثير

---

(٨) كتب عالمان بارزان مقالتين عن « الطريق البرى الى الهند » فى الفترة التي نحن بصدد التعرض لها . أولهما Hoskins ومقالته بعنوان The Overland Route to India فى مجلة (History)(المجلد التاسع ، ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥ ، صفحات ٣٠٢ ــ ٣١٨) وثانيهما الاستاذ Furber ومقالته بعنوان :
"The Overland Route to India in the Seventeenth and Eighteenth Centuries".
فى مجلة التاريخ الهندى (J. I. H.) (المجلد ٢٩ لعام ١٩٥١ صفحات ١٠٦ ــ ١٣٣) . وتتحدث كل من المقالتين عن استخدام كل من البحر الاحمر والخليج العربي فى نقل مراسلات شركة الهند الشرقية الانجليزية . غير اننا لا نجد فى أي منهما أي ذكر لنقل البضائع على ظهور القوافل . الا أن المقالتين هامتان من حيث تعرضهما لنقل مراسلات الشركة الانجليزية .

بالنسبة للعتوب (٩) • والعتوب كجماعات ذات اهمية صاعدة فى شرقى الجزيرة العربية وقبائل لها نشاط تجارى ، مضوا فى استخدام طرق القوافل التقليدية التى كانت تمر عبر ديارهم • وهكذا فان البضائع التى كانت تفرغ فى شرقى الجزيرة العربية كانت تنقـل الى الاجزاء

---

(٩) أن معلوماتنا عن « الطريق الصحراوى العظيم » وكذلك عن القوافل فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، قد استقيناها من مذكرات الرحالة الاوروبيين الذين استخدموا تلك القوافل فى عبورهم للصحراء من حلب الى الخليج العربي والعكس . ولعله يجدر بنا أن نذكر أن معظم هذه المذكرات قد دونها رجال كانوا يعملون فى خدمة شركة الهند الشرقية الانجليزية . ومن بين أولئك الرحالة ، الذين عبروا الصحراء فى العقد السادس من القرن الثامن عشر برتولوميو بليستد Bartholomeu Plaisted . أما مؤلفـــــه فهو :

Narrative of a Journey from Basra to Aleppo in 1750

ثم جون كارمايكل John Carmicael ومؤلفه هـــو :

Narrative of a Journey from Aleppo to Basra in 1751

وهاتان الرحلتان قد نشرهما D. Carruthers فى مؤلفه The Desert Route to India المنشور فى لندن عام ١٩٢٩ . وقد تبع هذين الرجلين فى عبور الصحراء الدكتور آيفز Ives ، وذلك فى عام ١٧٥٨ . أما قصة الطريق الصحراوى بعد هذا ، كما رواها الرحالة الغربيون ، فهي موجزة . ففي سنة ١٧٦٥ دون نيبور Niebuhr وصفا لهذا الطريق نفسه ، وذلك مـــن معلومات استقاها من بدوى كان قد قام بهذه الرحلة أكثر من مرة ، وكذلك اعتمد على احــد تجار البصرة فى وصفها (Voyage en Arabie, II, p. 198 ff) ، وبعد ذلك فى عام ١٧٧١ قطع الصحراء على نفس الطريق الجنرال السير ايركوت Sir Eyre Coote بادئا رحلته مـــن البصرة الى حلب (انظر وصفا لرحلته فى Geog. Journal, vol. xxx, p. 198 ff) وفى سنة ١٧٧٤ قام ابرهام بارسونز A. Parsons برحلة هدفها الاستطلاع التجارى وذلك مـــــن الاسكندرونة على شاطىء البحر الابيض المتوسط ، الى بغداد والبصرة . وفى سنة ١٧٧٨ سافر الكولونيل كبر Capper بالطريق البرى الى الهند . وفى سنة ١٧٨١ سافر المستر اروين Irwin ، وهو موظف فى شركة الهند الشرقية بمدراس ، يحمل « رسائل على جانب كبير من الاهمية ولا تحتمل التأخير » من حلب الى بغداد فالبصرة فالهند . أما فى عام ١٧٨٥ ــ ٨٦ فلدينا تقرير المستر جوليوس جريفثس Julius Griffiths عن نفس الرحلة من حلب الى البصرة . وفى سنة ١٧٨٩ سافر الميجور جون تايلر Major John Taylor ، وهـــو موظف بشركة الهند الشرقية فى بومباى بالهند ، الى الهند بنفس الطريق الصحراوى ، وسجل رحلته بتفصيل دقيق جدا . وقبل ذلك فى عام ١٧٨٥ قام بنفس الرحلة من حلب أيضا الكابتن ماثيو جينور Mathew Jenour . وفى سنة ١٧٩٧ سافر على الجزء الشمالي من هذاالطريق الرحالة اوليفير Olivier فى طريقه من حلب الى العراق .

الداخلية منها عبر طرق القوافل المعروفة من العقير والزبارة والقطيف (١٠) • وليس لدينا دليل واضح على قيام قوافل من مسقط تحمل البضائع متجهة الى الشمال فى طريقها الى البصرة • غير ان الاشارة الى « بريد الصحراء السريع » (١١) الذى كان يسيره وكيل شركة الهند الشرقية الانجليزية بمسقط من تلك المدينة الى البصرة ليعلن وصول سفن الشركة الى مسقط، فيه دلالة كافية على ان ذلك الطريق الصحراوى القديم لايزال مستعملا (١٢) • ومهما يكن من امر فان هنالك دليلا واضحا على ان القوافل كانت تحمل بضائعها من الكويت وتنقلها من ثم الى بغداد وحلب • واقدم اشارة لمثل هذه القوافل يمكن ان نجدها فى رحلة الدكتور آيفز فى عام ١٧٥٨ (١٣) • ويبدو أن هذه القوافل قد استمرت فى سفرتها تلك حتى عام ١٧٨١ وعندها ولاسباب مجهولة توقفت القوافل عن المرور بالكويت حتى سنة ١٧٨٩ وربما بعيد ذلك بقليل (١٤) •

تكوين القافلة

لابد لنا فى هذا المقام من ان نتحدث بايجاز عن كمية البضائع التي كان بمقدور القافلة أن تنقلها ، وهذا بدوره كان يتوقف على تكوين القافلة نفسها •

---

(١٠) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٨

(١١) الاشارة هنا الى حملة البريد من العرب راكبي النياق السريعة •

(١٢) قارن Parsons, op. cit., 203 بخصوص ارسال هؤلاء المراسلين العرب •

(١٣) انظر : Ives, op. cit., 222-225

(١٤) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٩

كانت القوافل (١٥) فى العادة تتكون من تجار يستأجرون عددا من الجمال والبغال والحمير من شيوخ جعلوا هذه القوافل واعدادها مهنة لهم ، واعتادوا أن يصحبوها من البلد الذي تخرج منه حتى بلوغها نهاية مطافها . واعتاد هؤلاء الشيوخ أن يأخذوا من التجار قدرا محددا من المال ، لقاء الخدمات التي يقدمونها لهم خلال الرحلة . وكانت هذه تشمل دفع العوائد (١٦) لبعض زعماء القبائل العربية النازلين على طريق القوافل ، وكذلك أجر رفقاء القافلة (١٧) ، المنوط بهم حراسة القافلة ، بالاضافة الى أجرة الجمال . وعلى الرغم من أن الاجرة التي تدفع ثمنا لتكاليف الجمل كانت محل مساومة فى الغالب ، غير أنه يمكننا القول بأنها خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر كانت تتراوح ما بين خمسة وثلاثين وخمسين قرشا ، وذلك ما بين البصرة أو الكويت وحلب (١٨) . ويمكننا ان نعزو هذا الاختلاف فى الاجرة الى نوع البضائع التي كان يحملها الجمل ، فانه فى « بلاد العرب » كما يقول مانيستي وجونز فى تقريرهما عن تجارة بلاد العرب المطلة على الخليج العربي :

---

(١٥) نظرا لان معظم هذه الرحلات قد وصفها رجال شركة الهند الشرقية الانجليزية ، فاننا نجد نفس تفاصيل الاجراءات تتبع فى كل قافلة ، والذى كان يقوم بتدبير أمر القافلة هم ممثلو الشركة فى البصرة وحلب الذين كانوا دائما حريصين على توفير سرعة وامانة الوصول .

قارن Capper, op. cit., 55-58 وكذلك Irwin, op. cit., 290-292

وكذلك Jenour, op. cit., 346

(١٦) كانت تسمى « الجويزة » اى رسم المرور ، انظر مختارات سلدنها : ٤٠٩

(١٧) كان هؤلاء الحرس ينتمون عادة الى القبائل التي تقطع القافلة ديارها لضمان سلامة القافلة . قارن Parsons, op. cit., p. 103 ثم Griffiths, op. cit., 351

(١٨) قدر آيفز Ives فى سنة ١٧٥٨ تكاليف حمل الجمل من الكويت الى حلب بمبلغ خمسة وثلاثين قرشا (انظر رحلته ص ٢٢٣) . اما بارسونز Parsons فقد قدرها فى سنة ١٧٧٤ (انظر رحلته ص ١١٢) بمبلغ اربعين قرشا اذ أنه دفع ذلك المبلغ « كأجرة لكل جمل » ، وكذلك فانه دفع خمسة قروش على كل جمل فى مقابل ما يعرف بضريبة الصحراء ، وهي فى الغالب الجويزة .

« ان حمل الجمل المعتاد يبلغ نحو سبعمائة رطل انجليزى (كذا والصواب خمسماية) ، وان شيوخ القوافل يأخذون فى العادة حسب الاتفاق المعهود على عاتقهم أن ينقلوا من القرين الى حلب وان يدفعوا الجويزة أو الضرائب للقبائل العربية فى الطريق وذلك نظير مبلغ من النقود يعادل ١٣٠ روبية من روبيات بومباى لحمل البضائع كالمنسوجات Piece Goods و ٩٠ روبية للحمل من البهارات وما شابهها (Gruff Goods) [19] .

أما شيخ القافلة فكان يقوم بواجباتها كمرشدها وكانت سلطته على القافلة مطلقة [20] أما هذه القوافل فكانت تقطع المسافة من البصرة أو الكويت الى حلب فى مدة تبلغ نحو سبعين يوما [21] .

---

(١٩) قارن مختارات سلدنها : ٤٠٩ . على الرغم من أن هذا التقدير يبدو مرتفعا جدا فان مانيستي وجونز هما بلا شك خير مصدر لمثل هذه التقديرات ، وذلك لانهما قد مكثا فى البصرة مدة طويلة .

(٢٠) كتب جينور Jenour فى رحلته (صفحات ٢٥ ــ ٢٦) ناصحا الرحالة بخير الطرق للقيام بتلك الرحلة عبر الصحراء ، وأورد ذكر القوافل فى تقرير طريف نورد بعضا منه :

« اما فيما يتعلق بالاستعدادات لهذه الرحلة فان ذلك يتوقف على الطريقة التي تزمع الذهاب بها . فهل هي رحلة تريدها سريعة أو متمهلا أو انك تريد ان تقتصد فى النفقات ؟ . فاذا كنت تطلب الرحلة الاولى فيجب عليك ان تتفق مع أربعة أو ستة من العرب لكي يقودوك الى البصرة ، ويجب أن تحمل معك اقل متاع ممكن ، وحال مغادرتك حلب ، اترك تدبير كل شيء للحرس ، لانهم هم أدرى بافضل ما يجب عمله ، وخير الشعاب التي يسلكونها ..... وأما اذا أردت الطريقة الثانية ، حيث ينصرف همك الى الراحة فحسب ، فانه يلزمك فى هذه الحالة أن تشترى بغالا .... وخياما ومؤنا ..... وجمالا لتحملها ، وان مثل هذا المظهر من الثراء يتطلب منك عددا آكبر من الحراس ليحرسوه ..... أما الطريقة الثالثة ، وهي أرخص الطرق وأكثرها شيوعا ، فهي تتم بصحبة القافلة . وهذه القافلة تتكون من عدد من التجار ورحالة آخرين يتجمعون معا ، بعضهم على ظهور الخيل ، ومعظمهم على ظهور الجمال ، ويتحركون مهما كان عددهم فى حماية حرس قوى جدا ، وجميع هؤلاء يتحركون تحت ارشاد شيخ .... والاعتراضات الوحيدة على هذه الطريقة تنحصر فى طول المدة التي تستغرقها الرحلة وعدم التأكد من أوقات قيامها » .

(٢١) يذكر جينور (ص ٢٧) بأن تلك الرحلة تستغرق من ٦٠ ــ ٧٠ يوما ، بينما يقدر مانيستي وجونز (مختارات سلدنها : ٤٠٩) المدة بنحو ٨٠ يوما .

ولعله من الجدير بالملاحظة أن هذه القوافل عابرة الصحراء ، كانت أحيانا تتوقف فى بغداد وأحيانا أخرى كانت تسافر مباشرة من حلب الى الخليج وبالعكس دون توقف ، وأن اعدادها كانت تزداد عندما تنضم اليها قوافل أخرى من محطات على الطريق الصحراوى (٢٢) . أما فيما يتعلق بالجمال التي كانت تحمل البضائع ، فان عددها كان يختلف من قافلة الى اخرى ، وكانت الزيادة او النقصـان تتوقف على الاحـوال التجارية فى حلب والبصرة وبغداد والمراكز التجارية الاخرى فى المنطقة . ولقد قدر بليستد Plaisted عدد الجمال فى القافلة التي سافر معها من البصرة الى حلب بألفي جمل عند تحرك القافلة ، وكان يحرسها نحو ١٥٠ رجلا مسلحين بالبنادق (٢٣) . اما هذه الجمال فلم تكن جميعها محملة بل كان عدد منها سيباع فى اسواق حلب (٢٤) . وفى منتصف الطريق انضمت اليهم قافلة بغداد المؤلفة من ٣٫٠٠٠ جمل ، وبهذا صار مجموع القافلة ٥٫٠٠٠ جمل و ١٠٠٠ رجل . ومن الجمال الاولى ، كان عدد المحملة ٤٠٠ (٢٥) . اما القافلة التي سافر بها كرمايكل Carmichael فكانت تتألف من خمسين حصانا وثلاثين بغلا و ١٫٢٠٠ جمل ، كان المحمّل منها بالبضائع ستمائة جمل ، وبلغت قيمة البضائع ٣٠٠ الف جنيه ، وأما حرسها فكانوا ٢٤٠ جنديا عربيا (٢٦) . واما القافلة التي سافر معها بارسونز Parsons ، فكانت تتألف من ٨٠٠ جمل ، بالاضافة

---

(٢٢) انظر تقرير بليستد عن رحلته فى كتاب كاروثرز Carruthers ص ٨٠ .

(٢٣) يجب علينا أن نذكر فى هذا المقام أن جميع الجمال كانت محملة ، لا سيما عندما كانت القافلة تتجه شمالا نحو حلب ، وبعد ذلك انضمت الى القافلة عدة جمال غير محملة ، بقصد بيعها فى حلب ، ليستخدمها التجار الذين يريدون أن ينقلوا بضائعهم فى اتجـاه الجنوب ولقد حتم هذا الوضع الحاجة الماسة الى الجمال فى سوريا .

(٢٤) انظر رحلته المنشورة فى كتاب كاروثرز Carruthers ، ص ٦٨ ــ ٦٩ ، ص ٩٣ .

(٢٥) انظر Carruthers, op. cit., p. 80

(٢٦) المصدر السابق ص xxx iii

الى العديد من البغال والحمير والخيل ، وكان بين المسافرين أربعة من التجار الاوربيين واثنا عشر تاجرا تركيا • وكان يحرس القافلة ١٠٥ من الحرس العربي (٢٧) • وأما القافلة التي كان الدكتور آيفز Ives يزمع السفر معها من الكويت الى حلب فى عام ١٧٥٨ ، فبلغ تعداد جمالها ٥٠٠٠ وحرسها ألف رجل (٢٨) • هذا وان القافلة التي سافر معها جريفش Griffiths ، فقد بدأت فى الاصل بثمانية جمال وحرس يتراوحون بين ٣٠ — ٤٠ رجلا ، فقد وصلت قبل مغادرتها حلب فى ٨ يونيو (حزيران) ١٧٨٦ مائتي جمل (٢٩) •

قوافل التجارة وقافلة الصحراء

ان هذا الاختلاف فى عدد الجمال فى كل قافلة يمكن ارجاعه الى طبيعة القافلة ، فقد كان هنالك ثلاثة انواع من القوافل تقوم برحلة الصحراء • أما أولها فهي قافلة الجمال الخفيفة القادمة من الجنوب الى حلب ، والتي كان الغرض منها أن تمون المدينة بالجمال اللازمة للقافلة أو للقافلتين المسافرتين من حلب الى الجنوب • وأول تلك القافلتين كانت

(٢٧) انظر Parsons, op. cit., pp. 75-76 . غادرت القافلة حلب فى ١٤ مارس سنة ١٧٧٤ .

(٢٨) يدل النص على ان القافلة كانت قادمة من الجنوب الى الكويت لان آيفز ورفاقه كانوا سيستاجرون جمالا للانضمام الى القافلة عند وصولها الكويت . وربما كانت هذه القافلة هي نفس القافلة التي اعتاد شيخ بني خالد أن يسيرها سنويا من الاحساء . وقد وصف بليستد Plaisted هذه القافلة (ص ٩٣) « بقافلة الجمال الخفيفة » تمييزا لها عن قافلة الجمال المحملة . وكانت تتالف فى الغالب من الجمال الصغيرة السن ، والمرسلة للبيع فى أسواق حلب . وكان حرسها يبلغون ١٥٠ شخصا يركب كل منهم هجينا . وكان الكثير من التجار ينتظرون وصولها فى المحطات على طريق القوافل ليسافروا مع بضاعتهم برفقتها ، وبذلك يضاعفون تعداد القافلة . اما هؤلاء التجار فكانوا يونانيين وأرمن وأوروبيين وأحيانا أتراكا (عربا ؟) .

(٢٩) انظر Griffths, op. cit., pp. 350-353

قافلة التجار الذين يريدون نقل بضائعهم من حلب جنوبا دون انتظار وصول أو سفر القافلة الكبرى ، المعروفة بقافلة حلب أو البصرة ، وذلك وفقا للمكان الذى تغادر منه • وهذه القافلة الاخيرة كانت تسافر مرتين فى السنة بين حلب والبصرة (٣٠) •

قوافل الرحالـــة

وبالاضافة الى القوافل الثلاث السابقة الذكر ، كان هنالك قافلة رابعة يمكن أن نطلق عليها اسم قافلة الرحالة • فالرحالة الانجليز فى بعض الاحيان ، على سبيل المثال ، كانوا يؤجرون قافلة تامة بها جمال الركوب ، والجمال الحاملة لمتاعهم ، وكذلك قوة صغيرة من الحرس المسلح (٣١) • ولقد أوصى الكابتن تايلر بسفر مريح يتأتى باستئجار قافلة بمبلغ يتراوح بين ٥٠٠ ــ ٦٠٠ جنيه ، تستخدم ما بين ٤٠ ــ ٦٠ رجلا مسلحا و٢٠ جملا لحمل الماء والخيام والتموين وخلاف ذلك (٣٢) • أما طريقة استئجار واعداد هذه القوافل من أجل رجال يعملون فى خدمة شركة الهند الشرقية الانجليزية ، فقد ترك للقنصل الانجليزى فى حلب ولرجال الوكالة الانجليزية بالبصرة (٣٣) •

أما فيما يتعلق بالوقت الذى تستغرقه القافلة بين حلب والبصرة أو الكويت ، فان كلا من حجم القافلة ، وطريقة الرحلة ، كان لهما شأن كبير • فبينما كانت القوافل الكبيرة تسافر ببطء ، بمعدل سبع ساعات

---

(٣٠) قال لاتوش فى احدى رسائله الى مجلس المديرين بلندن بأن مثل هذه القافلة كانت تصرف ثمانية أشهر فى القيام بهذه الرحلة •

انظر الرسالة ١١٦٠ مجلد (١٧) من لاتوش الى مجلس المديرين الصادرة عن البصرة بتاريخ ٣١ اكتوبر ١٧٧٨ فى سجلات الوكالات •

(٣١) انظر Irwin, op. cit., II, 291

(٣٢) انظر Carruthers, op. cit., p. xxx lv.

(٣٣) انظر Irwin, op. cit., II, 291 and Capper, 54

يوميا ، وتستغرق فى قطع المسافة من ٤٥ ـــ ٧٠ يوما ، فان القوافل الصغيرة كانت تحتاج الى ٢٥ يوما • أما بليستد ، فقد قطع تلك المسافة فى قافلة كبيرة نسبيا ، فى بحر أربعة وعشرين يوما ونصف يوم • وأما كرمايكل ، الذى كانت قافلته تسير بمعدل سبع ساعات يوميا ، فقد استغرقت رحلته ٣١٨ ساعة أو ٤٥ يوما • واما كبر Capper ، فقد استغرق ٣١٠ ساعات (٣٤) • أما بريد الصحراء السريع ، فقد كان يقطع نفس المسافة فى مدة تتراوح بين ١٣ ١/٢ ـــ ٢٠ يوما (٣٥) •

النشاط التجارى فى الخليج

ولا ريب أن هذا النشاط لطريق القوافل الصحراوى كان له أثره فى تجارة العتوب ، وهو قد عمل بالاضافة الى نقل العتوب للتجارة البحرية،على بناء قوة العتوب ونفوذهم فى المنطقة•ولربما كان أيضا أحد العوامل التي جعلت عتوب الشمال وعتوب الجنوب يكونون وحدة سياسية • أما الوجه الثاني للنشاط العتبي التجارى ، فسنتناول فيه بايجاز دراسة أحوال التجارة فى دويلات العتوب • ولعلنا نجد فائدة فىالتقديم لهذه الدراسة ببحث النشاط التجارى فى غربي جزيرة العرب، حيث قام دائما منافس لطريق التجارة فى الخليج العربي ، ونعني ،بذلك طريق البحر الاحمر •

طريق البحر الاحمر

ان طريق البحر الاحمر لم يكن منافسا خطرا ، خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، لطريق الخليج العربي فى نقل البضائع

---

(٣٤) انظر : Carruthers, op. cit,, p. xxiv

(٣٥) انظر : الرسالة ١٢٩٩ مجلد ١٨ الصادرة عن البصرة بتاريخ ٦ نوفمبر ١٧٨٤ من لاتوش الى مانيستي فى سجلات الوكالات . وانظر كذلك جينور Jenour (ص ٢٦) حيث نقول بأن رسل البريد السريع كانوا يقطعون المسافة فى ١٤ يوما .

الهندية الى أسواق الولايات العثمانية فى سوريا وتركيا • صحيح أن السفن الاوربية اعتادت أن ترسو فى السويس حاملة بضائع الهند الى مصر والاقطار المجاورة حتى العقد الثامن من القرن الثامن عشر ، غير أن ، الثلاثين سنة الاخيرة من ذلك القرن قد شهدت تدهورا كبيرا فى تلك التجارة • ولعل السبب الرئيسي فى ذلك يرجع الى فرمان ١٧٧٨ ، الذي حرم بمقتضاه على المراكب المسيحية من أنتتاجر مع السويس(٦) • وعلى الرغم من أن هذه الاوامر كانت ضد مصلحة سلاطين المماليك ، حكام مصر الحقيقيين الذين سيحاولون دون شك أن يوقفوا مفعول مثل ذلك الفرمان ، فان هجمات عرب الصحراء على القوافل ، التي كانت تحمل بضائع للتجار الاوروبيين ، كانت خطرا آخر هدد تجارتهم • ولقد كان مجلس المديرين لشركة الهند الشرقية الانجليزية يفضل حتى عام ١٧٨٦ طريق رأس الرجاء الصالح على طريق مصر فى نقل البضائع الهندية الى أوروبا ، « وقد كانوا لذلك على استعداد تام لمساندةوجهة نظر الحكومة العثمانية فى مقاومة استخدام المراكب الاوربية للبحر الاحمر » (٣٧) •

غير أنه نظرا للمنافسة التجارية الفرنسية ، ولتوقيع معاهدة بين توجيه Troguet ، نيابة عن فرنسا ، ومراد بك ، نيابة عن المماليك فى القاهرة فى ٧ فبراير ١٧٨٥ ، عادت المصالح البريطانية فى طريق البحر الاحمر التجارى تنتعش منجديد ، واستمرتيد الدبلوماسية البريطانية هي العليا لدى الباب العالي ، الذى ارسل عام ١٧٨٧ حملة عثمانية ناجحة ضد المماليك • غير أن النجاح الانجليزى لم يعن أن طريق البحر الاحمر قد فضلت على طريق رأس الرجاء الصالح او طريق الخليج

---

(٣٦) انظر Hoskins, loc., p. 315

(٣٧) انظر Hoskins, loc. cit.. 307 • كان الانجليز قد وقعوا معاهدة مع بكوات مصر المماليك لتسهيل نشاطهم التجارى ، غير أن السلطان ومستشاريه فى اسطمبول لم يرضوا عن هذه المعاهدة لانهم كانوا يخشون أن المماليك سيستفيدون من هذه الفرصة ، وربما ، بمساعدة الانجليز ، سيسعون للتخلص من الحكم العثماني كلية (المصدر السابق ص ٣٠٦) •

العربي ،لأن هذه الطرق الثلاث بقيت مستعملة بعد ذلك لنقل التجارة والبريد البريطانيين حتى احتل بونابرت (نابليون فيما بعد) مصر فى سنة ١٧٩٨ (٣٨) •

غير أنه اذا كان بمقدور الفرنسيين أن ينافسوا الانجليز فى اسواق مصر ، فانه يبدو انهم لم يحظوا بنفس النجاح فى أسواق الخليج العربي • وعلى أية حال فان العتوب لم يتأثر نشاطهم التجارى بالمنافسة الانجليزية الفرنسية ، وهم لم يعتمدوا فى تجارتهم على البضائع المحمولة على السفن الانجليزية أو غيرها من السفن الاوربية بقدر ما اعتمدوا على سفنهم • ولم يأت عام ١٧٨٠ حتى كان عتوب الكويت يمتلكون أسطولهم الخاص ، الذى كان يبحر الى الهند ليعود محملا ببضائعها ، لانزالها فى الموانىء العتبية والبصرة • ولقد كانت مسقط هي مركز التجارة الرئيسي دون شك فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر (٣٩) ، وكان أسطولا مسقط والعتوب هما المحتكرين لنقل البضائع من مسقط والهند الى الخليج (٤٠) •

مساهمة العتوب فى تجارة الخليج العربي

على أنه لا يمكننا أن نحدد على وجه الضبط مقدار التجارة التي كانت تنقلها سفن العتوب أو القدر الذى كانت تناله الكويت والزبارة من تجارة الخليج تلك ، اذ ان هذه مسألة لا نجد لها جوابا شافيا • غير

(٣٨) المصدر السابق ، ص ٣١٥ – ٣١٧ •

(٣٩) انظر Parsons, op. cit., 315-317 . يقول بارسونز : « مسقط مكان ذو تجارة واسعة ، فهو ميناء يمتلك عددا كبيرا من السفن تتجر مع سورت وبومباى وجوا على ساحل الملبار ، ومع المخا وجده على البحر الاحمر . وهي المستودع العظيم او المخزن للبضائع التي تاتي بها هذه السفن من تلك الاجزاء ، والى هذا الميناء تاتي السفن من جميع موانىء بلاد فارس ، ومن البصرة ، والموانيء العربية الواقعة على الخليج العربي ، ومن ساحل كرمان خارج الخليج حتى نهر السند ومن أماكن كثيرة مجاورة لذلك النهر » •

(٤٠) مختارات سلدنها : ٤٠٩ •

أنه بامكاننا أن نكون فكرة عنها بعد أن ننظر فى أنواع البضائع التي كانت تصل الى موانىء الخليج العتبية وغير العتبية ، منقولة على سفن مختلفة .

لقد بدأ مانيستي وجونز تقريرهما عن تجارة بلاد العرب المطلة على الخليج العربي (٤١) بتبيان صعوبة كتابة تقرير عنها لسبب رئيسي هو عدم توفر المعلومات التي كان يمكن أن تستخلص من العرب النازلين بالشاطىء العربي للخليج (٤٢) .

مراكز التجارة العتبية

وعلى الرغم من هذا ، فاننا نستطيع أن نقول بأن العتوب كانوا يقومون بنشاط تجارى مستمر طوال الفترة التي نحن بصدد التأريخ لها . وكان نشاطهم يتركز فى ثلاثة أماكن . المنامة بالبحرين (٤٣) ، والزبارة فى قطر ، ومدينة الكويت . وقد ساهمت هذه الاماكن الثلاثة فى التجارة البحرية ، وتجارة القوافل المنقولة عبر منطقة الخليج العربي . ويخيل الينا أنه من الافضل ان نعالج تجارة كل مركز على حدة ، وأن نحاول معرفة انواع البضائع التي كانت تستورد فى كل مركز ، والوجهة القادمة منها ، وكذلك ان نبين انواع البضائع التي كانت تصدر منها ووجهتها .

تجارة البحرين

أما تجارة البحرين فلم تكن عظيمة قبل احتلال العتوب لها عام ١٧٨٢ اللهم الا فى اللآليء (٤٤) . ويبدو ان تجارة البحرين بعد وصول

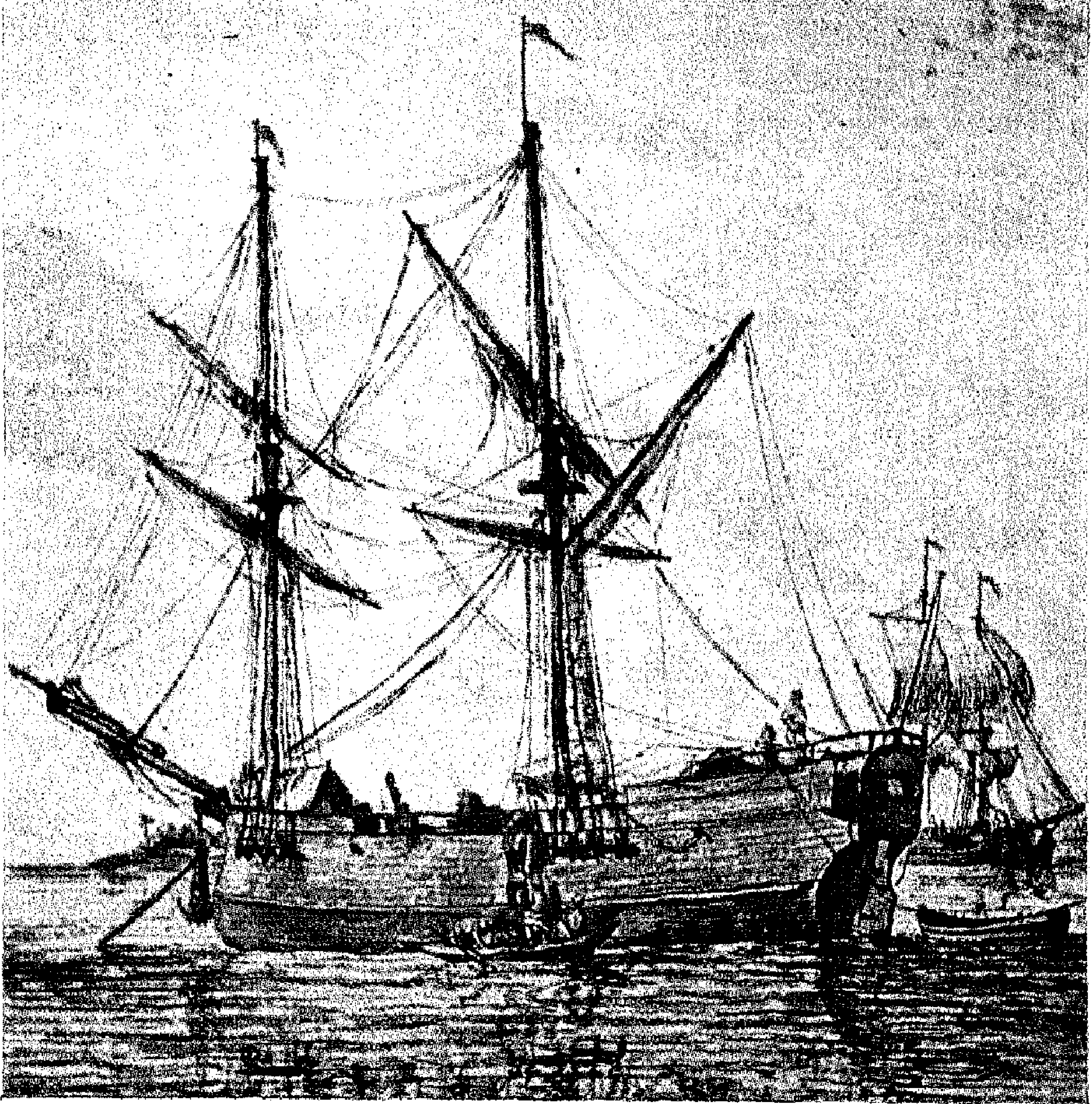
---

(٤١) يشمل هذا التقرير الفترة من عام ١٧٦٣ حتى عام ١٧٨٩ .

(٤٢) ان الرجوع الى السجلات التجارية أمر تحتمه الدقة حين تدوين أى تقرير غير أن انعدام السجلات آنداك يبرر التعميم فى القول .

(٤٣) لا يرد اسم المنامة كثيرا ، وانما تكون الاشارة الى جزر البحرين .

(٤٤) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٥



صورة سفينة هندية (ابريق) بالالوان المائية ، رسمت بالهند ومحفوظة فى المتحف البحرى بلندن ، وهي شبيهة بالسفن العربية التي كانت تبحر فى الخليج العربي آنذاك فى القرن الثامن عشر (الصورة من مجموعة مؤرخة ۱۷۹۰) .

العتوب اليها كانت ذات شطرين ، أولهما الغوص على اللؤلؤ وتسويقه ، وثانيهما التجارة البحرية مع الهند ومسقط وموانىء الخليج العربي •

الغوص على اللؤلؤ

أما فيما يتعلق بالغوص على اللؤلؤ ، فان العتوب على ما يبدو لم يحدثوا أى تغيير فى الطرق المعتادة فى الغوص « الذى كان يسترعي انتباه كثير من أغنياء التجار العرب المقيمين بالبحرين » والذى « اوجد أعمالا لكثير من السكان النشيطين من العرب ، النازلين بذلك المكان » (٤٥) •

ولما توفرت لعتوب البحرين المراكب الكبيرة بعد عام ١٧٨٠ ، صار بمقدورهم أن يأتوا ببضائع الهند فى تلك المراكب ، التي كانت بدورها مصنوعة هناك • وكانت بضائع الهند من نوعين ، أحدهما قصد به الاستهلاك المحلي اليومي لسكان البحرين ، وثانيهما كان يصدر الى اسواق بغداد وحلب • وكانت هذه البضائع تنقل الى تلك الاسواق عن

---

(٤٥) انظر المصدر السابق .

« كان الغوص يتم خلال أشهر مايو ويونيه ويوليه وأغسطس وسبتمبر من كل عام عندما تكون مياه الخليج دافئة . أما كمية اللآلىء التى كان يتم جمعها فيبلغ ثمنها ٥٠٠,٠٠٠ روبية (من روبيات بومباى) وهذه كانت تقسم بنسب بين التجار واصحاب السفن المستخدمة فى الغوص وكذلك بحارتها والغواصين » . انظر لوصف تفصيلي عن الغوص آنذاك . Buckingham, Travels in Assyria, 254-457

وكذلك Wellsted, Travels in Arabia, vol. I, 264-265

وكذلك كتابه Travels to the City of the Caliphs, 115-123

وكذلك يصف عبد العزيز الرشيد فى كتابه تاريخ الكويت (١ : ٤٧ ــ ٦٥) عملية الغوص على اللؤللؤ الحالية وهي عملية لم تتطور عبر قرون التاريخ .

طريق البصرة وعن طريق الكويت (٤٦) • وانه لمن اللطيف حقا أن نلاحظ أن اصحاب تلك السفن كانوا هم بأنفسهم تجارا ، ينقلون بضائع خاصة بهم وبضائع لغيرهم ، وأن بضائع سورت كانت تنقل بهذه السفن الى بغداد وحلب (٤٧) • وبالاضافة الى المتاجرة مع الهند ، قامت العلاقات التجارية بين البحرين ومسقط التي كانت تنقل منها سفن البحرين قهوة المخا ، وكان جزء من هذه القهوة في طريقه الىسوق البصرة ، « وكذلك كانت تنقل من مسقط كمية من السكر والفلفل الاسود والتوابل والرز من أصل بنغالي • وكانت كميات من هذه البضاعة المستوردة تصدر بدورها الى البصرة (٤٨) • وكانت سفن العتوب التي تنقل هذه البضائع الى البصرة تعود محملة بالتمور والحنطة وذلك لاستهلاك سكان البحرين ثم بمواد تجارية أخرى لسوق سورت (٤٩) • وعلى الرغم من أننا لا نملك الوسائل لكي تقدر كمية الواردات بالضبط فى البحرين خلال العقد التاسع من القرن الثامن عشر ، فاننا أحسن حالا فى هذه الناحية عند نهاية القرن ، حين نعرف أن الواردات من « البضائع الهندية »

---

(٤٦) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٨ . يتحدث مانيستي وجونز عن تلك البضائع الهندية وكذلك عن بضائع أخرى أوروبية كانت تنقل فى سفن العتوب الى البحرين فيقولان :

« ان هذه المواد ، فى الوقت الحاضر (١٧٨٩) ، تحمل بطريقة مباشرة من سورت الى البحرين ومن ثم الى الزبارة والقطيف . وان الواردات المنقولة من سورت الى البحرين والتي تنقل من اجل الاستهلاك المحلي فى تلك الجزيرة تتكون فى الدرجة الاولى من كميات قليلة من نيلة سورت وغير ذلك من المنسوجات ثم منسوجات قوجرات والشيت الملون للمفروشات والشال وخشب الغاب الهندى والصفيح والرصاص والحديد » . (المصدر السابق) .

(٤٧) ان بضاعة سورت المطلوبة من بغداد وحلب قد وصفت بانها مواد تجارية مختلفة من منسوجات قطنية ومن غزل القطن ، ونيلة سورت وغير ذلك من البهارات . انظر مختارات سلدنها : ٤٠٨ .

(٤٨) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٨

(٤٩) أما هذه المواد فكانت هي المطلوبة فى سوق سورت وهي : النحاس والزرنيخ والعفص .



رسم دنقية هندية كما يبدو من الصورة بالالوان المائية محفوظة بالمتحف البحرى بلندن وترجع الى أواخر القرن الثامن عشر ، وكانت سفن الخليج العربية على طراز السفن الهندية آنذاك .

كانت تقدر سنويا بمبلغ مليون روبية ، ونعرف أيضا أن هذا الوارد كان « يوازنه صادر من اللآلىء يصل الى نفس المبلغ » (٥٠) •

تجارة الزبـارة

اما المركز الثاني لتجارة العتوب فكانت الزبارة ، وكان هذا الميناء ، بفضل موقعه الجغرافي ، يلعب دورا هاما فى نقل جزء من البضائع السابقة الذكر ، والمحمولة على مراكب من البحرين الى شرقي جزيرة العـرب ووسطها • وقبل احتلال البحرين عام ١٧٨٢ كانت الزبارة هي مركـز النشاط التجارى لآل خليفة وللأسرات العتبية الاخرى النازلة معهم • ولا تتوفر لدينا الادلة التي تبين كمية أو نوع التجارة القائمة فى الزبارة قبـل عام ١٧٨٠ • غير ان الزبارة بحكم كـونها مينـاء على شاطىء اللؤلؤ (٥١) ، كانت بلا ريب تساهم فى الغوص عليه ، ولكننا لا نعرف نصيب الزبارة فى هذا الميدان ولو أننا نميل الى الاعتقاد بأنه كان نصيبا قليلا (٥٢) • وبعد ان اشترى عتوب البحرين مراكبهم الكبيرة التي كانت تتاجر مع الهند صارت الزبارة ، ومعها القطيف ، بمثابة مركز لتوزيع تلك البضائع بين قبائل بني خالد ، وعلى هذا أخذت القوافل تنقل قهوة المخا وغيرها من البضائع المختلفة من الزبارة الى الدرعية ، عاصمة الـوهابيين ، وكـذلك الى أماكـن كثيرة ، تقع فى مناطق النفـوذ الوهابي (٥٣) • ان احتلال البحرين لا بد وأن يكون قد أثر فى الزبارة تأثيرا عكسيا كمركز لنشاط آل خليفة التجارى •

---

(٥٠) انظر تقرير مالكولم Malcolm فى مختارات سلدنها : ٤٤٥ .

(٥١) ان الساحل الغني باللآلىء يمتد من نقطة بجوار الشعيبية الى رأس الخيمة على الشاطىء العربي من الخليج .

(٥٢) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٨

(٥٣) المصدر السابق : ٤٠٥ — ٤٠٨ . ان الواردات الى الزبارة كانت تشبه الواردات فى البحرين بالضبط . ولقد كان عرب بني خالد يلحون باستمرار فى طلب التمور والحنطة وكذلك الحال مع القبائل الخاضعة لحكم الوهابيين . (المصدر السابق) .

ان فتح البحرين من الناحية الاخرى لم يكن له ، على ما يبدو ، أثر فى الاقلال من الاهمية التجارية للكويت • ذلك ان الاسرة الحاكمة فى الكويت ، وهي اسرة آل صباح ، كانت تتعرض لمنافسة شديدة من بني كعب وغيرهم من العرب النازلين بالساحل الشرقي للخليج ، وهذا مما جعل عتوب الكويت حريصين على أن يمتلكوا أسطولا قويا ، وهو أمر قد حققوه فى فترة وجيزة (٥٤) • لقد سبق أن بينا القول كيف أن الكويت فى العقد الثامن من القرن الثامن عشر ، قد استخدمت كمركز لبريد شركة الهند الشرقية الانجليزية • وبالاضافة الى هذا فان موقعها الجغرافي كان ذا ميزتين بالنسبة لها كمدينة ، اذ افادها كميناء بحرى ثم كمحطة للقوافل المتجهة الى بغداد وحلب • وبتأسيس الوكالة التجارية الانجليزية بها عام ١٧٩٣ لمدة تزيد على عامين ، احتفظت المدينة بمنزلة عادلت منزلة البحرين •

وعلى هذا ، فانه يبدو أن النجاح التجارى لمدينة الكويت كان يعتمد الى حد كبير علــى التجارة العابرة (ترانزيت) • وبنمو تجارة العتوب ، الذى حدث كنتيجة لاستيلائهم على البحرين ، أخذت سفنهم تنقل البضائع من البحرين والزبارة الى الكويت • وأما هذه البضائع فكانت تخص تجارا من البحرين والبصرة ، وكان هؤلاء التجار فى الغالب يهدفون من انزال بضائعهم بالكويت أن ينقلوها على ظهور الجمال الى حلب أو بغداد ، وذلك ليتجنبوا المكوس الباهظة التي كانت تجبى عليها

(٥٤) انظر ما سبق فى هذا الكتاب صفحة ١٩٤ .

فى البصرة (٥٥) • وكانت الكويت تستورد التمور والحنطة من البصرة بقصد الاستهلاك المحلي وكذلك لتوزيعها على المناطق المجاورة لها (٥٦) • ومما تجدر ملاحظته أيضا ، ان نقل البضائع والامتعة من الكويت الى بغداد وحلب بواسطة القوافل كان خاليا من أى خطر ، لأن شيوخ القوافل كانوا حريصين على اختيار الرفقاء وتقديم الهدايا المناسبة لشيوخ القبائل على الطريق (٥٧) • ويضيف جريفثس Griffiths ، وهو يكتب فى سنة ١٧٨٥/٨٦ ، بأن شيوخ القبائل كانوا يبذلون قصارى جهدهم من اجل المحافظة على انتظام سير القوافل ، دون أن يتعرض لها أحد بأذى لان هذه هي الطريقة التي كانوا يضمنون بها الوفاء بتعهداتهم • (٥٨)

ويبدو أن الكويت لم تستفد كثيرا من اقامة الوكالة الانجليزية بها ، من حيث كمية التجارة • ذلك أن ربابنة السفن الانجليزية ، رفضوا فى البدء ان يفرغوا حمولتهم فى الكويت لان تلك البضائع كانت مشحونة للبصرة ، ولقد أشرنا من قبل فى الفصل السابق (٥٩) الى أن مانيستي

---

(٥٥) انظر مختارات سلدنها : ٤٠٩ . ان بعض هذه الواردات القادمة من البحرين والزبارة والقطيف كانت « للاستهلاك المحلي فى الكويت وجيرتها » . وهذه كانت تتالف من « كميات صغيرة من نيلة سورت ، وصادرات الاقمشة من البنغال والقهوة والسكر والفلفل الاسود والبهارات والحديد والرصاص » .... « وكميات أكبر من منسوجات البنغال وسورت ، وغزل القطن ، ...... والقهوة والفلفل الاسود باسم تجار بغداد وحلب » . (المصدر السابق) . أما بخصوص المكوس المفروضة على تلك البضائع فى كل من البصرة وبغداد فانظر الفصل الرابع من كتابنا هذا صفحات ١١١ ــ ١١٣ .

(٥٦) مختارات سلدنها : ٤٠٩ .

(٥٧) المصدر السابق .

(٥٨) قارن جريفثس Griffiths : ٣٥١ . كانت القافلة تستغرق ، وفقا لما أورده مانيستي وجونز (مختارات سلدنها : ٤٠٩) ، نحو ٨٠ يوما لقطع المسافة من الكويت الى حلب ، ونحو ٣٠ يومامن الكويت الى بغداد .

(٥٩) انظر ما سبق ، ص ٢٤٠ .

نفسه لم يصر على أوامره بخصوص انزال البضائع فى الكويت بدلا من البصرة • ولا شك أن مكاسب الكويت من اقامة الانجليز كانت سياسية أكثر منها اقتصادية (٦٠) •

البصرة ومسقط

وقبل أن نختم هذا الفصل ، لا بد لنا من أن نشير الى أن أهم مستودعين للتجارة فى الخليج فى هذه الفترة كانتا مسقط والبصرة • أما الاولى ، فقد وصفها بارسونز Parsons بأنها مستودع كبير للبضائع الاوروبية والهندية (٦١) ، التي كان يتولى نقلها الى البصرة اسطولا مسقط والعتوب • أما البصرة فكانت مركز تجارة شركة الهند الشرقية الانجليزية مع الخليج فى معظم سنى الفترة ما بين ١٧٦٣ — ١٨٠٠ (٦٢) •

وعلى الرغم من أنه لا تتوفر لدينا احصائيات عن تجارة شرقي الجزيرة العربية فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، باستثناء التجارة الانجليزية مع المنطقة ، لا يمكن ان نصف هذه التجارة سوى بأنها كانت نامية ناجحة • فالتجارة الهندية مع بلاد العرب ، وفقا لما أورده مالكولم ، بلغت ٤ ملايين روبية ، منها ثلاثة ملايين كانت من نصيب البصرة ، ومليون من نصيب البحرين والمنطقة المجاورة لها (٦٣) • ويقول مالكولم :

---

(٦٠) لقد تجنبت الكويت الخطر الوهابي •

(٦١) قارن Parsons, op. cit., 207

(٦٢) لقد كان للطاعون الذى انتشر بالبصرة عام ١٧٧٣ ، وكذلك لحصار الفرس واحتلالهم لها ، أثر كبير فى تدهور تجارتها فى الفترة ما بين ١٧٧٣ — ١٧٧٩ • غير أنها سرعان ما استردت مكانتها بعد ذلك • فقد كتب جريفش Griffiths, ، الذى زار المدينة فى سنة ١٧٨٥ يقول : « ان البصرة هي مركز التجارة فى هذا الجزء من العالم • ففي هذه المدينة ، تفرغ السفن الحاملة لبضائع الهند الثمينة ، حمولتها ... » (ص ٣٨٩) •

(٦٣) مختارات سلدنها : ٤٤٥ •

« ان الصادرات الهندية العظيمة ، كانت تقابلها صادرات من تمور البصرة ، وهي منتجات محلية ، ولآلىء (وهذه كانت تأتي من البحرين والموانى المجاورة لها نظير الحنطة) ، وأشرطة الذهب والفضة الاوروبية ، التي كانت تحملها القوافل القادمة من حلب ، والنحاس من مناجم دياربكر • ومعظم هذه الصادرات كانت تمر بمسقط فى طريقها للهند » (٦٤) •

أما جريفش Griffiths, فقال ان صادرات الهند ، كانت تقابل بصادرات تتكون فى معظمها من نقود ومجوهرات ، وعدد من الخيول العربية الاصيلة (٦٥) •

وخلاصة القول ان نصيب الكويت فى تجارة الخليج هذه كان عظيما ، فهي قد شاركت فى النقل البحرى ، وكذلك فى القوافل • ويبدو ان أهلها بذلوا جهدهم للاستفادة من هذه التجارة بشتى الطرق • فأهلها لم يترددوا فى المشاركة بتهريب البضائع من الكويت الى أسواق بغداد حينما كان التجار يتجنبون المرور بالبصرة لفداحة مكوسها •

---

(٦٤) المصدر السابق •

(٦٥) Griffiths op. cit., 389

الفصل الثامن

مطلع القرن التاسع عشر (١٨٠٠- ١٨١٥)

الفصل الثامن

مطلع القرن التاسع عشر ١٨٠٠ ـ ١٨١٥

لقد بينا فى بداية تاريخنا هـذا كيف أن الاوضاع السياسية فى الخليج فى النصف الاول من القرن الثامن عشر قد كانت عاملا هاما فى قيام مشيخة الكويت ، ورأينا فيما أعقبه من فصول كيف عملت عوامل عديدة على استمرار تقدم الكويت وازدهارها طوال النصف الثاني من القرن الثامن عشر ، وكذلك أوضحنا مواقف القوى المختلفة العاملة فى الخليج العربي سواء منها الاوروبية أو المحلية من عربية وفارسية وتركية ، ورأينا كذلك كيف كانت الاوضاع العامة فى الخليج تسير أو تسيَّر من لدن الكويت فى سبيل نجاح المدينة وتقدمها . وفى الفصل الحالي سنتناول ما جد من أوضاع فى منطقة الخليج العربي بحيث يتضح موقف الكويت منها وفيها .

ولعله من المفيد أيضا أن نقرر أن الكويت فى هذه الحقبة كانت ترتبط سياساتها بممتلكات العتوب عامة ، فى الزبارة بقطر وفى البحرين ، وان الاحداث فى ذينك المكانين ، كان لها دائما صدى بعيد فى مواقف الكويت المتعددة خلال هذه الفترة الوجيزة من تاريخها ، ومن هنا نجد انفسنا مضطرين للدخول فى تفصيل الاحداث المتعلقة بالزبارة والبحرين أيضا .

ولقد سبق أن بينا كذلك ان احداث الخليج العربي تكاد تكون مترابطة متداخلة ، ولا تكاد مشيخة أو امارة أو دولة لها مصالح فى الخليج أن تقف بمنأى عن أى حدث هام يقع فى مياهه أو من حوله .

وعلى هذا سننظر أولا فى القوى العاملة فى منطقـة الخليج فى هـذه الحقبة ، ثم سنتناول من بينها الاحداث الهامة المرتبطة بها وبالكويت والزبارة والبحرين بالدراسة والبحث • ولعله من الجدير بالذكر أن نثبت فى هذا المقام أن التاريخ المدون لهذه الحقبة ، سواء فى المراجع العربية أو وثائق شركة الهند الشرقية ، او المراجع الاوروبية لتاريخ احداث الخليج ، أو من الحقبة الماضية ، وان كان المتعلق منه بتاريخ الكويت نزرا يسيرا حتى لقد ذهب لورمر الى القول بأن الكويت لم يرد لها ذكر فى سجلات الشركة بعد أن رحلت منها الوكالة التجارية الانجليزية عام ١٧٩٥ الا نادرا (١) • ومع ذلك فان ذكر الكويت يرد فى مصادر اخرى أوروبية وعربية وحتى فى سجلات الشركة كما سيتبين من سياق بحثنا الحالي فى تاريخ الكويت فى هذه الحقبة •

أما القوى التي كان لا بد من ان يحسب حسابها فى تاريخ هذه الحقبة فهي أولا : القوة الوهابية علىأرض الجزيرةالعربية،ثم ثانيا :قوة القواسم فى مياه الخليج ، ثم ثالثا : قوة سلطان مسقط وعمان ورابعا : قوة شركة الهند الانجليزية الشرقيـة • ولا شك أن متتبع الحوادث فى الحقبة السابقة من تاريخنا هذا ، سيدهش لاهمالنا ذكر قوة فارس وقوة الاتراك ، ولكن الدهشة تزول حين يعلم ان فارس كانت تشكو من اضطراب مزمن لم يمكنها من القيام بأية مغامرة ذات شأن فى الخليج فى هذه الحقبة ، وأما تركيا فكانت منهمكة فى مشاكلها الاوروبية لا سيما حروبها مع روسيا التى كانت شبه مستديمة ، ثم حربها مع فرنسا التي نشأت عن احتلال بونابرت لمصر عام ١٧٩٨ وما أعقب تلك الحروب من صراع مع محمد علي باشا الذى آلت اليه ولاية مصر عام ١٨٠٥ ، ولم

---

(١) Gazetteer, I, i, 1006

تنعم ممتلكاتها فى العراق بوال قوى يملك القدرة على تدخل حاسم فى شئون الخليج بعد مقتل سليمان باشا والي بغداد عام ١٨٠٢ (٢) •

ان تاريخ الكويت وسائر مدن العتوب فى الفترة ما بين ١٨٠٠ وحتى ١٨١٥ ، وهي سنة وفاة الشيخ عبد الله بن صباح ، الحاكم الثاني لامارة الكويت ، لا يمكن أن يتضح اذن الا بعد ان تتضح الصورة التي كانت عليها اوضاع الخليج فى نفس الفترة •

أولا ــ القوة الوهابية :

اما الوهابيون ، وقد تقدمت الاشارة الى اهمية الدور الذى لعبوه فى نجد ، فانهم فى العشر سنوات الاخيرة من القرن الثامن عشر ، قد اتموا تحطيم قوة بني خالد فى الاحساء ، وخضعت لهم بالتالي المناطق التى كانت تخضع لبني خالد فيها • وعلى هذا لا بد من النظر فى تاريخ الوهابيين فى الفترة ما بين ١٨٠٠ و ١٨١٥ بدقة ، ولو ان الايجاز سيكون طريقنا ، وذلك بالنظر الى أن هذه الحقبة فى رأينا هي فترة المد الوهابي ، بل اوج الحكم الوهابي فى الجزيرة ، وهي الفترة التي بدأت فيها الدولة العثمانية بنوع خاص ، وكذلك شركة الهند الانجليزية ، من بين القوى ذات المصالح فى الجزيرة العربية ، بدأت فيها مرحلة التيقن من أن الخطر الوهابي لا بد وان يدهم مصالحها فى الخليج والجزيرة عامة •

لقد سبق أن بينا كيف ان الدولة العثمانية تحركت لقتال الوهابيين عام ١٧٨٧ حين سار ثويني أمير المنتفق لقتالهم ، ثم عام ١٧٩٦ فى حملته الثانية التي لقي فيها مصرعه (٣) ، ثم ما كان من قيام علي باشا (٤) ، كيخيا

---

(٢) انظر لمقتل سليمان باشا ابن بشر ١ : ١٢٢

(٣) انظر الفصل السادس ص ٢٥٦ •

(٤) انظر الفصل السادس ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠ ، وكتاب لمع الشهاب : ١٧٣ ــ ١٨٧ لتفاصيل الحملة ، ثم Brydges, 23-27 ومطالع السعود : ١٧٠ ــ ١٧٥ •

بغداد بحملته الفاشلة عليهم عام ١٧٩٨/٩٩ • لقد اشتدت الهجمات الوهابية على العراق فى الفترة ما بين ١٨٠١ و ١٨١٠ (٥) وقام الوهابيون بأعمال التدمير والسلب فى مدن كربلاء والنجف والسماوة وبغداد والبصرة ، مما لا داعي لتفصيله فى هذا المقام ، وذلك لاسباب عدة ، كان من بينها ، للحملات التي شنوها بعد عام ١٨٠٣ ، اغتيال الامير عبد العزيز على يد شيعي او كردى من العراق (٦) •

ولا ريب ان فترة تولي سعود بعد أبيه عبد العزيز من ١٨٠٣ وحتى عام ١٨١٥ أى حين وفاته ، هي الفترة الذهبيــة للحكــم الــوهابي فى الجزيرة (٧) • وفى نفس الفترة المشار اليها ، أى فى الســنوات العشر الاولى من القرن التاسع عشر بسط الوهابيون نفوذهم على الحجاز ، وصار شريف مكة بمثابة وال لسعود على مدن الحجاز المقدسة ، وتعرض

---

(٥) انظر ابن بشر ١ : ١٢٣ – ١٣٢ و Musil, Northern, Negd, 26ff, Longrigg, 229

(٦) انظر ابن بشر ١ : ١٢١ – ١٢٩ ، حيث يورد ذلك الحدث الهام ويدون تفاصيله ، وكذلك قارن Longrigg, 229, Lorimer, I, i, 1054

(٧) يقول صاحب لمع الشهاب تحت « فرع فى بيان محصول المال لآل سعود لما تم لهم الامر وذلك ايام دولة سعود : اعلم أن آل سعود ياخذون من الرعايا اموالا من نقود وغيرها ويسمون ذلك زكاة فزكاة البوادى الذين هم سكنة نجد محصولهم كل عام اربعماية الف ريال والذين تحت حكمهم من البداة (الذين) ينزلون اطراف الشام واليمن وتهامة وعمان قدر خمسماية الف ريال كل سنة يؤخذ منهم واما الاحساء (اى اهل الاحساء) فمدخولهم منها غير التقادير التي رتبوها لبعض الناس اربعماية الف ريال ومن القطيف يدخل عليهم فى العام مائتا الف ريال ومن البحرين اربعون الف ريال ومن بلاد اليمن كل سنة ثلاث ماية الف ريال ومن اعراب الحجاز وبعض البلاد منها كل سنة محصولهم مائتا الف ريال ويدخل عليهم من راس الخيمة خاصة فى العام مائة وعشرين الف ريال من جهة الغنائم غير التحف واما زكاة بلدان عمان من التي استولوا عليها من البداة والحضر مقدار مائة وخمسين الف ريال غير الرواتب التي رتبوا لها للعسكر والمرصدين ولآل سعود ايضا مداخيل لا تنضبط من هدايا الملوك لهم وكذلك من الغنايم شيء كثير لا يحصى ولهم محاصيل من الاملاك فى نجد وفى الاحساء يبلغ عددها كل عام ثلاث ماية الف » . (انظر لمع الشهاب : ٢٣٦ – ٢٣٧) ثم يتحدث صاحب لمع الشهاب عن الترف والثراء الذى يتجلى فى ملابس سعود وعبد العزيز والده ثم فى نسائهم وجواريهم (انظر لمع الشهاب : ٢٣٨ – ٢٤٦) .

الحاج الشامي لفترة من التوقف اعتبارا من عام ١٨٠٨ (٨) ، وحتى وصلت قوات محمد علي باشا والي مصر ، بقيادة ابنه طوسون باشا الى الحجاز عام ١٨١١ واستولت على مكة بعد ذلك ، مما لا داعي لتفصيله الا بقدر القول إن الحملة المصرية قد كسرت شوكة الوهابيين فيما بعد في نجد ذاتها ، وهدمت عاصمتهم الدرعية عام ١٨١٨ وأزالت حكمهم عن نجـد وشرقي الجزيرة وسائر انحاء الجزيرة التي كانت تدفع الزكاة للوهابيين (٩) •

والذى يهمنا من هذا التوسع الوهابي بالذات ، ما كان من احتلال الوهابيين لشرقي الجزيرة والقضاء على نفوذ بني خالد ، ثم ما أعقب ذلك من دخول القواسم ، اصحاب رأس الخيمة وغيرها من بلدان عمان الصير ، ضمن اطار النفوذ الوهابي طوال الحقبـة التي تتعرض لهـا بالدراسة في هذا الفصل • ثم ما كان من تأثر عتوب الزبارة والبحرين بالمد الوهابي وخضوعهم له منذ عام ١٨٠٠ تقريبا ، وما كان من أثر لذلك في الكويت التي كانت هي رأس العتوب (١٠)

كان لا بد اذن من أن تصطدم الكويت بالمد الوهابي بطريق مباشر أو غير مباشر ، وهو ما كان فعلا على ما سنبينه في حينه أيضا •

---

(٨) انظر ابن بشر ١ : ١٣٧ وما يليها ، حيث يتحدث عن سبب ذلك التوقف .

(٩) انظر لتفاصيل القتال واحتلال الجزيرة مؤلف الدكتور عبد الحميد البطريق المشار اليه آنفا وهو Turkish & Egyptian Rule in Arabia وهو البحث الذى تقدم فيه لنيل درجة الدكتوراه من جامعة لندن ، وفيه اعتمد على المصادر الاصلية المصرية المحفوظـة بوثائق قصر عابدين بالقاهرة ووثائق الحكومة البريطانية الرسمية في دار الوثائق البريطانية Public Record Office بلندن .

(١٠) حتى لقد ذهب مالكولم في تقريره عام ١٨٠٠ الى القول بأن جميع العتوب في الزبارة والبحرين والكويت يخضعون لسلطان شيخ الكويت . انظر تقرير مالكولم في مختارات سلدنها : ٤٤٤ ، الفقرة ٢٦ وانظر الترجمة الكاملة للتقرير في السفر الثاني من كتابنا هذا .

ثانيا ـ القواسم :

اما القواسم ، وقد لعبوا دورا هاما فى تاريخ الخليج فى هـذه الحقبة ، فقد كانوا متأثرين فى معظم اعمالهم واتجاه سياستهم بسلطان الوهابيين عليهم • وتنحصر أهميتهم بالنسبة لبحثنا فى أنهم كانوا عونا بحريا للوهابيين الذين كانوا اقوى قوة ضاربة فى البر فى الجزيرة بل وفى المنطقة بأسرها اى فى الجزيرة واطرافها ، لكنه كان من العسير على تلك القوة ان تتحرك فى الخليج دون عون الاسطول القاسمي • فما هو دور القواسم فى تاريخ هـذه الفترة ؟ وكيف كان لذلك أثره فى الكويت وعلاقاتها بقوى الخليج ؟ هذا ما سنحاول التعرض له فى حينه أيضا • لقد وصف القواسم بالقراصنة واتهموا بأنهم كانوا يعرقلون سير التجارة فى الخليج ، فهل كان القواسم قراصنة ؟ هذه مسألة أخرى سنتعرض لها بالقدر الذى نراه كافيا من حيث علاقة القرصنة بتجارة الكويت وعتوب البحرين والزبارة فى الخليج وخارج مياهه (١١) •

ثالثا ـ مسقط وعمان :

اما القوة البحرية التي كانت تضارع قوة القواسم فكانت قوة مسقط وعمان • ولقد تعرضت عمان بدورها لهجمات وهابية متكررة عليها اعتبارا من مطلع القرن التاسع عشر وحتى عام ١٨١٤ ، أى طوال الفترة التي يتناولها هذا الفصل من تاريخنا • ولقد استطاع الوهابيون أن يتدخلوا فى شئون عمان الداخلية وان يجبروا حكامها على دفـع الاتاوة طوال هذه الفترة تقريبا نظرا لانقسام الاسرة الحاكمة ، أسرة البوسعيديين ، على نفسها وتنازع افرادها على السـلطان منذ وفاة مؤسس الاسرة احمد بن سعيد فى ١٥ ديسمبر ١٧٨٣ • ولقد اعقبه فى

---

(١١) أنظر من اجل دراسة مستفيضة لنشاة القواسم فى مطلع القرن التاسع عشر
Buckingham, Travels in Assyria etc. 204-27
وكذلك Low, History of the Indian Navy, I, 315-366

الحكم ابنه سعيد الذى حكم حتى عام ١٧٩٣ واعقبه اخوه سلطان (١٧٩٣ — ١٨٠٤) الذي تولى من بعده ابن أخيه بدر بن سيف بن احمد بن سعيد الى ان قتل عام ١٨٠٧ ، حين تولى الحكم سالم وسعيد ، ولدا سلطان بن احمد بن سعيد ، وشمل حكمهما باقي الفترة التي نحن بصددها (١٢) • ولقد كان لسلاطين مسقط علاقات مباشرة بالكويت والزبارة والبحرين ، وهي علاقات عدائية ، وقد سبقت الاشارة الى شيء منها فى ختام الفصل السادس من هذا الكتاب (١٣) • غير ان هذه العلاقات مع الكويت كانت وهابية قواسمية مسقطية فى آن واحد ، يصعب افراد حوادثها بعضها عن بعض،ومن هنا سوف نأتي عليها مجتمعة لا منفردة •

رابعا ـ شركة الهند الشرقية الانجليزيةوحكومة بومباى البريطانية :

اما القوة الرابعة فهي القوة البريطانية الممثلة فى شركة الهند الشرقية الانجليزية وحكومة بومباى البريطانية ، وقد سبق ان أسهبنا فى الحديث عن النشاط الانجليزى التجارى فى الخليج ، وقررنا أن النشاط السياسي البريطاني فى الخليج لم يتبلور الا بعد الفترة النابليونة أو بعبارة اخرى بعد أن غزا بونابرت (نابليون فيما بعد) مصر عام ١٧٩٨ واقتطعها من جسم الدولة العلية العثمانية (١٤) ، اذ حينذاك شعرت انجلترا بأن فرنسا بدأت تشكل خطرا على مستعمراتها فى الهند ، وعلى تجارتها فى الخليج العربي وجنوب شرقي آسيا • وكذلك سبقت الاشارة الى أن الخليج ، قبيل ذلك ، قد شهد فترة من النشاط الفرنسي على الصعيد البشرى ،

---

(١٢) انظر لتفصيل حكم آل بوسعيد الفصل الخامس من كتاب مايلز
Miles, Countries and Tribes of the Persian Gulf, 265-373

(١٣) انظر ما سبق ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(١٤) انظر ص ٢٩٦ ـ ٢٩٧ فيما سبق .

حين حاول كثير من الفرنسيين السفر الى المستعمرات الفرنسية فى الهند ، خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر ، عن طريق الخليج العربي (١٥) • وذلك بعد أن تفوقت شركت الهند الانجليزية على فرنسا تجاريا فى الخليج ، وبعد ان اضطر الفرنسيون الى اغلاق وكالتهم التجارية فى بندر عباس (١٦) • غير ان فرنسا ، على الرغم من انها خسرت حرب السنوات السبع (١٧٥٦ – ١٧٦٣) ضد بريطانيا فى منتصف القرن الثامن عشر ، وعلى الرغم من تفوق بريطانيا عليها فى مياه المحيط الهندى والبحر العربي ، الا انها ظلت كابوسا يقلق بال بريطانيا فى منطقة الخليج العربي فى مطلع القرن التاسع عشر ، اذ استمرت فى محاولاتها الرامية الى عقد معاهدات مع مسقط ، هدفها محاربة النفوذ الانجليزى فى عمان والخليج ، وكذلك بقي نشاطها قائما فى العراق وفارس ، والى نشاطها فى مسقط ، وهو ما يهمنا فى هذا المقام ، سترد الاشارات حين عرض الصراع الانجليزى الفرنسي وأثره فى السياسة البريطانية فى الخليج جنوبا وشمالا • لم تكن لفرنسا بالطبع علاقات مباشرة مع الكويت او البحرين ، غير ان علاقاتها بمسقط وعمان ، جعلت نشاطها هناك يرتبط بالاوضاع السياسية العامة فى الخليج •

بعد هذا السرد الموجز للقوى العاملة فى الخليج فى مطلع القرن التاسع عشر ننتقل للحديث عن أثر حركاتها فى الكويت ثم ما ارتبط بعتوبها من اهل البحرين والزبارة •

الكويت فى مطلع القرن التاسع عشر

شهد تاريخ الخليج العربي من مطلع القرن التاسع عشر مدينة الكويت ، وهي تتمتع بمركز رفيع بين مدنه ، كما يظهر تقرير المستر

---

(١٥) انظر فيما سبق صفحات ١٧٨ – ١٨٥ وكذلك ٢٤٣ – ٢٥٠ .

(١٦) انظر Wilson, 189

مالكولم المدون فى نهاية القرن السابق (١٧) • كما ان احداث السنة الاخيرة من القرن الثامن عشر والاولى من التاسع عشر تشير الى صحة ما ذهبنا اليه • فلقد تعرض عتوب البحرين عام ١٧٩٩ لغزو السيد سلطان ، صاحب مسقط لجزيرتهم •

مسقط والكويت والبحرين

اما السبب الذى تذرع به سلطان بن احمد لغزو البحرين ، فهو امتناع عتوبها عن دفع ضريبة اعتاد حاكم مسقط أن يأخذها من كل سفينة تعبر الخليج عند رأس مسندم متجهة الى البصرة (١٨) ، والواقع ان السبب انما يرجع الى جشع سلطان وطمعه فى الاستيلاء على البحرين ، وذلك لثرائها النسبي بالنسبة لبلدان الخليج العربي (١٩) • وقد تم لسلطان الاستيلاء على البحرين فى اوائل عام ١٨٠٠ ، بعد ان قام بحملته البحرية عليها فى اواخر عام ١٧٩٩ (٢٠) • وكان من نتيجة هذه الغزوة ان هرب بعض عتوب البحرين ولجأوا الى الزبارة ، وهي مدينتهم التي هجروها قبيل ذلك ، حينما تسلط عليها الوهابيون (٢١) ، ثم لجأ نفر آخر منهم عند اقربائهم ،عتوب الكويت ،وهنا غادر سلطان البحرين ،متوجها الى الكويت مهددا عتوبها بالقتال ، اذا لم يدفعوا له اتاوة بدورهم ،

---

(١٧) انظر تقرير المستر مالكولم فى مختارات سلدنها : ٤٤٤ ، فقرة ٢٦ •

(١٨) يقول مايلز Miles ان عمر هذه الضريبة كان آنذاك نحو مائة وخمسين سنة (Countries & Trtibes II, 292)

(١٩) قارن Lorimer, I, i, 841 وكذلك Miles, II, 292

(٢٠) وصل جون مالكولم مسقط فى ٨ يناير عام ١٨٠٠ فى طريقه فى مهمته الرسمية الى فارس والعراق ، وكان يود أن يقابل سلطان بن احمد حتى يوقع معاهدة مع الانجليز بخلاف المعاهدة التي وقعها عام ١٧٩٨ معهم ، ولما سأل عن سلطان قيل له انه ذهب يغزو عتوب البحرين • قارن Miles, II, 293 وقد اخطا لورمر حين ظن أن سعيد بن سلطان هو الذى كان يقوم بغزو البحرين (قارن (Gazetteer, I, i, 1007 لان سعيد تولى الحكم عام ١٨٠٧ •

(٢١) قارن منتخبات من سجلات حكومة بومباى : ٣٦٦ ، ثم Gazetteer, I, i, 1007

وهنا تختلف المصادر التي بين أيدينا في هذا الامر ، فالبعض يرى ان سلطان بن احمد ، قد أخذ اتاوة من الكويت وغادرها (٢٢) ، وبعضها يرى أنه لم يأخذ شيئا بل عاد ادراجه فاشلا (٢٣) . وأغلب الظن ان سلطان بن احمد لم يحقق هدفه الذى كان يصبو اليه وهو اعتراف العتوب له بنوع من السيادة عليهم ، وهو امر حرص حكام عمان وكذلك الفرس على انتزاعه من العتوب في مناسبات شتى ، وكانوا يفلحون في ذلك أحيانا نتيجة لخطر داهم على عتوب البحرين . والذى نذهب اليه ان توجه سلطان بن احمد الى الكويت لم يكن هدفه هو طلب تسليم عتوب البحرين الذين لجأوا اليها ، بقدر ما كان مناورة سياسية أراد بها سلطان بن احمد أن ينتزع من شيخ مشايخ العتوب ، عبد الله بن صباح ، اعترافا بسلطان مسقط على البحرين ، وهو قد فشل في طلبه هذا على ما يبدو . اما لماذا يذهب سلطان بن احمد الى الكويت ليطلب مثل ذلك الاعتراف فأمره واضح بين ، اذ ان حاكم الكويت كان زعيما للعتوب في الشمال والجنوب ، وذلك بحكم عاملين أولهما أنه لم يخضع لأكبر قوة كانت قد اتمت اخضاع شرقي الجزيرة ، واعني بها قوة الوهابيين ، ثم لان الكويت كانت في هذا الوقت بالذات منتعشة اقتصاديا بسبب اضطراب احوال القطيف والعقير عام ١٨٠٠ ، حين كان الوهابيون يشنون على القطيف بالذات هجومهم الذى شل حركتها التجارية ، وكانت القطيف والعقير هما منفذ تجارة الخليج الى نجد ، وقد تعطل نقل التجارة منهما وحلت الكويت والبصره محلهما في هذا المضمار (٢٤) . « لقد ترك سلطان بن احمد والياعلى البحرين سيف بن علي بن محمد البوسعيدى ،

---

(٢٢) يتشكك لورمر في هـذا الامر ، ويقول ان ذلك قد يكون من الجائز . انظر المصدر السابق .

(٢٣) قارن Counrties & Tribes II, 292

(٢٤) انظر Lorimer, Gazetteer, I, i, 948

ثم عزله وولى عليها ولده سالم بن سلطان ، وكان سالم يومئذ صغير السن فجعل معه الشيخ محمد بن خلف الشيعي بالبحرين ، وأمره ونهيه عليهم على ما بين العتوب والشيعة من العداوة والمنافرة » (٢٥) ثم انتهى الامر بعودة العتوب الى الجزيرة وطردهم سالما وجماعته منها (٢٦) غير ان هذه لم تكن هي المحاولة الاخيرة لسلطان لاحتلال البحرين ، فقد عاد ليحتل الجزيرة من جديد بعد ذلك عام ١٨٠٢ ، غير أنه فشل فيما رمى اليه نظرا لمساعدة الوهابيين الفعالة للعتوب فى الاحتفاظ بجزيرتهم ، ثم نظرا لان الخطر الوهابي كان يدق ابواب مسقط نفسها (٢٧) . لقد كانت نتيجة تطلع سلطان بن احمد الى احتلال البحرين ، تطلع العتوب من حكامها الى الجماعة الوهابية ، ويبدو أن النفوذ الوهابي فى البحرين بقى مستمرا حتى عام ١٨١١ ، كما سنبينه فيما بعد ، اى حتى زوال الخطر الوهابي عن شرقى الجزيرة العربية ، بعد ان وصلت طلائع قوات محمد علي باشا الى ميناء ينبع ، فى طريقها لاحتلال المدينة ومكة وتحطيم القوة الوهابية .

الكويت والوهابية فى مطلع القرن

واذا كان هذا هو موقف عتوب البحرين من الوهابيين فأين وقفت الكويت منهم ؟ هل كانت الكويت تدفع اتاوة للوهابيين فى هذه الفترة ؟ أم هل بقيت محافظة على استقلالها حتى بعد ان عم النفوذ الوهابي

---

(٢٥) الفتح المبين ، ورقة ١٩٣ .

(٢٦) يمضي ابن رزيق فى كتابه الفتح المبين فيقول : فنبذ العتوب العهد ونقضوا الميثاق الذى سبق بينهم وبين سلطان فاحتشدوا على سالم .. ومقامه يومئذ بقلعة عراد فضيقوا عليه وعلى اصحابه الحصرة ثم وقع بينهم الصلح على خروج الشيعي ومن معه من البحرين الخ ، ورقة ١٩٣ .

(٢٧) انظر لمساعدة الوهابيين لآل خليفة بالبحرين ابن بشر ١ : ١٢٢ قارن كذلك Gazetteer, I, i, 842 وايضا نفس المصدر 1056-7 وانظر للخطر الوهابي على عمان نفسها Countries & Tribes, II, 297

معظم أنحاء الجزيرة خلال هذه الفترة ؟ يخيل الينا ان الاجابة عن أسئلة كهذه ليست بالامر اليسير • اذ لو أجبنا باثبات خضوع عتوب الكويت للوهابيين لما آزرتنا المصادر المتوفرة ، حتى ولا الوهابية منها كتاريخ ابن بشر ، ولو جاءت الاجابة بنفي ذلك لكانت مثارا للدهشة اذ كيف امكن للكويت ان تحتفظ باستقلالها فى وقت خضع من هم أقوى منها لنفوذ الوهابيين ؟ واذا كانت علاقة القربى بين آل سعود وآل صباح وغيرهم من عرب نجد من سكان الكويت هي التي منعت الوهابيين من احتلال الكويت كما احتلوا غيرها ، فلماذا الزبارة وهي ملك آل خليفة وغيرهم من العتوب ؟

لقد بينا حين تناولنا العلاقات الوهابية الكويتية بالدرس فى الفترة ما بين ١٧٩٠ الى ١٨٠٠ ، ان الكويت صمدت للهجمات الوهابية المتلاحقة عليها لاكثر من سبب ، واستطاعت بالتالي أن تصون استقلالها آنذاك (٢٨) ، اذ ان شوكة بني خالد مثلا ، لم تكن انقصمت نهائيا بعد ، ثم ان اقامة الوكالة التجارية الانجليزية بالكويت ما بين ١٧٩٢ — ١٧٩٥ ، ومصالحها آنذاك وبعد ذاك المرتبطة بالكويت ، قد كانت سببا وجيها من اسباب استطاعة الكويت الاحتفاظ باستقلالها • أما هذه الاسباب فكانت قد انتفت بمطلع القرن التاسع عشر • قد يتبادر الى الذهن أن الكويت ربما كانت تحتمي بسلطان حاكم البصرة أو شيخ المنتفق أو والي بغداد ، ولكن الوقائع أثبتت انه لا هذا ولا ذاك كان بمقدوره أن يصمد فى مدينته امام هجمات الوهابيين المتلاحقة عليهم ما بين ١٨٠١ الى ١٨١١ ، فلم يكن اذن ليغني عن الكويت شيء انها كانت مجاورة للبصرة او العراق عامة • والذى نذهب اليه هو ان الكويت كانت لا تزال قوية فى مطلع القرن التاسع عشر ، وكان بمقدورها ان ترد اى خطر بحرى عليها ، ولم يكن للوهابيين قوة بحرية

---

(٢٨) انظر ما سبق ص ٢٦٢ وما يليها .

سوى قوة القواسم ، وهـــذه لم يكن بمقدورها ان تدحر اســـطول الكويت ، ثم كذلك لم يكن بمقدور الوهابيين ان يحتلوها عنوة برا لنفس الاسباب التي أوردناها من قبل ، اذ لا ريب ان الكويت كانت بها وسائل دفاعية ، تستطيع بها رد اى معتد عليها ، اذ كان بمقدور الكويت ان تجند للدفاع عن النفس ما بين ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ مقاتل (٢٩) . هذا عن الموقف العسكرى برا وبحرا ، غير انه يمكننا ان نجد سببا آخر لا يقل عن هذه الاسباب قوة ، الا وهو ما اعترفت به المصادر المعاصرة للشيخ عبد الله بن صباح ، من حكمة وسداد فى الرأى وحسن سياسة وتدبير ، فلا نستبعد ان يكون لذلك أثره فى عدم تعرض الكويت للعنف الوهابي ، فلقد ساير عبد الله بن صباح وعتوب الكويت أمير الوهابيين ، حين طلب منهم أن تتوجه سفنهم مع سفن عتوب البحرين والقواسم ، فى مظاهرة بحرية الى مسقط عام ١٨٠٣ لارهاب حاكمها ،وقد فعلت الكويت ذلك على كره منها ،وكذلك كانحال عتوب البحرين لان ذلك الطلبجاء فى موسم الغوص على اللؤلؤ وهو موسم يهم عتوب الكويت كما يهم عتوب البحرين والزبارة (٣٠) .

وعلى ذلك عندما ارخ ابن بشر حوادث عام١٢١٨ هـ/١٨٠٣موهو العام الذى اغتيل فيه الامام عبد العزيز امير الوهابيين فى اواخر ذى الحجة ١٢١٨هـ واوائل نوفمبر ١٨٠٣ م، أدرج ابن بشر امراء عبد العزيز

---

(٢٩) انظر Gazetteer, I, i, 1006 ، كان بمقدور الكويت ان تجند ذلك القدر حوالي عام ١٨٠٠ نظرا لنجاحها وتقدمها فى ميدان التجارة آنذاك . ثم انظر ما تقدم شرحه من استطاعة الكويت الدفاع عن نفسها امام الهجمات الوهابية المتلاحقة عليها بعد عام ١٧٩٣ ، اى بعد ان اصبح سلطان الوهابيين هو الاعلى فى شرقي الجزيرة العربية .

(٣٠) انظر Gazetteer, I, i, 2842, 1057
وانظر كذلك Miles, II, 297

فقال : « ذكر أمراء عبد العزيز رحمه الله ... وكان أميره على تهامة وما يليها من اليمن عبد الوهاب المعـروف بكنيته أبو نقطـة ، وعلى الحجاز وما يليه من النواحي عثمان بن عبد الرحمن المضايفي ، وعلى عمان صقر بن راشد رئيس رأس الخيمة . وعلى الاحساء ونواحيـه سليمان بن محمد بن ماجد ، وعلى القطيف ونواحيه احمد بن غانم . وعلى الزبارة والبحرين سلمان بن خليفة . وعلى وادى الدواسر ربيع ابن زيد الدوسرى . وعلى ناحية الخرج ابراهيم بن سليمان بن عفيصان وعلى المحمل سارى بن يحيى بن سويلم ، وعلى ناحية الوشم عبد الله ابن احمد بن غيهب ، فى بلد شقراء ، وعلى ناحية سدير عبد الله بن جلاجل ، وناحية القصيم حجيلان بن حمد فى بريده . وعلى جبل شمر محمد بن عبد المحسن بن فايز بن علي فى بلد حايل » (٣١) . فلو ان الكويت كانت ولاية تتبع الوهابيين أو تدفع لهم الاتاوة لمـا فات ابن بشر ان يدرجها بالطبع . ولا يبقى بعد هذا مجال للشك فى أن الكويت انما كانت متمتعة باستقلالها عن سائر القوى العاملة فى منطقة الخليج العربي حتى هذا التاريخ . فهل اختلف الحال بعد ذلك أى بعد ١٨٠٣ ؟ هذا ما سنتناوله فى الاحداث اللاحقة .

ان حادث اغتيال عبد العزيز عام ١٨٠٣ ، قد جعل سعود بن عبد العزيز يصب جام غضبه على العراق لان اليد المغتالة جاءت من هناك (٣٢) ، ولم يتراخ الوهابيون فى فرض سيطرتهم الفعلية بعدها على عمان ومدن الحجاز أو مدن شرقي الجزيرة ، وبقيت سلطتهم على عتوب الجنوب فى الزبارة والبحرين قائمة ، وان مال هؤلاء الى محاولة الاستقلال عن الحكم الوهابي ، فى وقت متأخر عن هذا ، غير ان امرهم ما لبث أن

---

(٣١) ابن بشر ١ : ١٢٩

(٣٢) انظر ابن بشر ١ ١٢٣

افتضح عند سعود وجازاهم بقدر اساءتهم الى حكمه ، كما سنبينه فى حينـه (٣٣) ٠

ولا ريب ان التدخل الوهابي فى شئون عتوب البحرين والزبارة لم يكن ليرضى عنه أولئك العتوب ، ولكن امتداد النفوذ الوهابي الى الزبارة كان امرا محتما نظرا لارتباط قطر ارتباطا مباشرا مع الاحساء ، ثم نظرا لما قد ينشأ عن بقاء العتوب فيها مستقلين من تدخل خارجي ، قد يأتي عن طريق الخليج بحرا فى شئون الوهابيين ، اذ لم تكن آثار حملة علي باشا ، كيخيا بغداد ، قد انمحت بعد ، وقد نقل على باشا ذخائره وعددا كبيرا من الجند عن طريق البحر حين عودة الاتراك فى محاولة انتزاع الاحساء من الوهابيين عام ١٧٩٨/١٧٩٩ (٣٤) ، ولذلك فان أية محاولة من جانب عتوب الجنوب للاستقلال عن الحكم الوهابى كان من المتوقع ان تقمع بشدة وصرامة ٠ وبالطبع كان هم الوهابيين ينصب على خضوع الزبارة لهم اكثر من البحرين ، وكان يهم عتوب الكويت والبحرين معا ان تبقى الزبارة ميناء مزدهرا لأن سفنهم كانت تأتي اليها بالبضائع من الهند وغيرها من بلدان الخليج ، لتوزع منها الى البلدان الغربية فى نجد عن طريق الاحساء ٠ من هنا كان اهتمام الكويت بأمر الزبارة والبحرين ، ولقد سبق أن بينا كيف ان اضطراب

---

(٣٣) انظر ابن بشر ١ : ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥٤ ـ ١٥٥ وانظر كـذلك للنشاط الوهابي فى عمان ، ابن رذيق ـ الفتح المبين : ١٩٦ و ١٩٧ وما يليهما ٠

(٣٤) لقد أخطأ كثير من المؤرخين الاوروبيين حين ظنوا أن ثويني زعيـم المنتفق قد قاد حملة على الوهابيين فى الاحساء عام ١٨٠٢ ، وسار على نهجهم لورمـر Lorimerr ، رغم احتياطه وتشككه فى أمر تلك الحملة ٠ قارن Gazetteer, I, i, 1061 ٠ والمعروف أن ثويني قد لقي حتفه عام ١٧٩٧ على يد طعيس ، العبد الوهابي حين اغتاله فى موضع قريب من الشباك عام ١٧٩٧ ، مما كان سببا لقيام حملة علـي باشا ضد الوهابيين فى عام لاحق لعام ١٧٩٧ ، كما سبق أن بينا فى الفصل السادس من هذا الكتاب ٠

الاحوال عام ١٨٠٠ فى القطيف والعقير ، قد ادى الى انتقال طرق نقل البضائع المتجهة من الخليج الى نجد ، الى مدينتى البصرة والكويت فى الشمال .

ولعلنا نقف قليلا عند خضوع الزبارة للوهابيين لنحاول تفسير هجرة كثير من كبار تجار تلك المدينة من العتوب الى البصرة ، وربما الكويت أيضا ، خلال الفترة ما بين ١٨٠٠ و ١٨٠٤ اى حين تبادل سلطان ابن احمد صاحب مسقط والوهابيين أمرالسيادة على الزبارة والبحرين. قيل ببساطة (٣٥) فى ذلك ان كثيرا من عتوب الزبارة والبحرين لجأوا الى الكويت فارين من وجه المعتدين . والواقع أن سبب فرارهم لا يرجع الى المعتدين من حيث أنهم معتدون ، بل لأن الممثل الجديد سواء أكان حاكم مسقط أو أمير نجد كان يهمه ان تدفع له الزبارة والبحرين اتاوة ، ومعنى ذلك ان التجار سيجدون انفسهم ملزمين بدفع ضرائب على بضائعهم ، ومعنى ذلك ان الميزة الكبرى التي كان يتميز بها ميناء الزبارة وميناء البحرين كذلك وهي عدم وجود الجمارك (٣٦) فيهما ستنتفي ، ومعنى ذلك ان يخف اقبال التجـار الاجانب على تفريغ بضائعهم فيهما ، وبالتالي تقل الحركة التجارية وتضعف ، وهو أمر لم يكن ليرضى عنه عتوبالبحرين والزبارة ، ولعل هذا يفسر الى حد ما ، سبب استقرار احمد بن رزق ، التاجر الكويتي الشهير (٣٧) بالبصرة عام

(٣٥) انظر Gazetteer, I, i, 841ff & 1075 ومختارات حكومة بومباى : ٣٦٦ ، ٤٢٨ - ٤٣٢ لاحتلال آل بوسعيد للبحرين ، ثم لاحتلال الوهابيين للزبارة والبحرين .

(٣٦) انظر الفصل السابع عند حديثنا عن التجارة .

(٣٧) سبق الحديث عن أحمد بن رزق ، حين تحدثنا عن تأسيس الزبارة ، وعن ان والده كان قد ام ذلك المكان مع آل خليفة منذ البداية عام ١٧٦٦ ، وكان معه ابنه احمد وهو التاجر الذى الف عنه ابن سند كتابه سبائك العسجد .

١٨٠٤ (٣٨) ، حيث صار أيضا من كبار تجارها ، وتدخل فى النزاع القائم فى نفس العام بين متسلمها وحاكم مسقط سلطان بن احمد ، حين قدم الاخير فى حملة بحرية الى البصرة ، ليجبر متسلمها على دفع اتاوة له ، نظير اشتراك سلطان من قبل ، فى الدفاع عنها ضد الوهابيين ، على حد تعبير كورانسيز Corancez, (٣٩) . وكان سلطان بن احمد يطلب مائة ألف قرش رومي (عشرة آلاف جنيه استرليني أو خمسماية الف فرنك فرنسي) اتاوة سنوية ، ولا يخفي ما كان من أمر سلطان حين عاد الى مسقط واعترضه فى طريق العودة جماعة من القواسم نشبت بينه وبينهم مناوشة قتل فيها . وأغلب الظن ان سلطان بن احمد كان يطلب الاتاوة التي كانت البصرة تدفعها لوالده ، نظير مساهمة احمد بن سعيد فى القتال ضد الفرس ، حين حاصروا البصرة عام ١٧٧٥ ، كما تقدم بيانه (٤٠) .

ومما لا ريب فيه أن التجارة كانت دوما أمرا حساسا لدى عتوب البحرين والزبارة ، وكسادها لا بد وأن يدعو للرحيل ان لزم الامر . ولعله مما يفيد نقاشنا التاريخي بخصوص عدم خضوع الكويت للوهابيين فى هذه الفترة ، ويعزز ما ذهبنا اليه من أهمية سفن العتوب كوسيلة للدفاع عن مدنهم ، ثم حرصهم على أن تبقى أسرار تجارتهم وارباحهم مطوية عن الوهابيين ، ما ذهب اليه صاحب كتاب لمع

---

(٣٨) انظر Corancez, 57-59

(٣٩) المصدر السابق وانظر ايضا من نفس المصدر صفحة ١٩٠ المحوظة رقم ٢٣ .

(٤٠) يقرر ما ذهبنا اليه حميد بن محمد رزيق فى كتاب الفتح المبين حين يقول : وفى سنة التسع عشر (كذا فى الاصل) ومائتين والف (أى ١٨٠٤م) عزم سلطان على المسير الى البصرة بنفسه لاخذ القانون الجارى من أهل البصرة الى حاكم عمان من عهد الامام احمد بن سعيد ... (انظر ورقة ١٩٨ من ذلك الكتاب) .... ويمضى ابن رزيق الى القول بانه عندما وصل سلطان البصرة سلم له الاعيان والتجار القانون الجارى وبقى بضعة ايام ثم عاد الى مسقط وفى طريق عودته بالقرب من جزيرة لنجه هاجمه طائفة من اهل جلفار (راس الخيمة) وقتل برصاصهم .

الشهاب (٤١) من ان سعودا لما ولي بعد وفاة والده وأراد الاستيلاء على البحرين ، ولم تتوفر لديه السفن للقيام بتلك المهمة بعد ان هجر عتوب الزبارة مدينتهم ، أنه احتال فى ذلك الاستيلاء بأن طلب من آل خليفة أن يقبلوا المطاوعة او المعلمين الوهابيين ليدرسوا تعاليم الوهابية ، فرفض عتوب البحرين طلبه مبدئيا « لان غرضه كان الاطلاع على دخل البحرين وحكم العتوب لاهلها » كما يقول صاحب لمع الشهاب . غير أن خطر سلطان مسقط من جهة ، والخطر الفارسي من جهة أخرى ، فرضا على عتوب البحرين قبول المطاوعة الوهابيين ، وهكذا قام النفوذ الوهابي فى البحرين (٤٢) . وعلى ذلك كان امتداد النفوذ الوهابي الى البحرين ، ناجما عن زحف سلمي اكثر منه فتحا عسكريا ، اذ ان الجند الوهابيين الذين نزلوا بالبحرين عام ١٨٠٣ وبعد ذلك ، كان هدفهم هو القتال الى جانب العتوب ضد سلطان بن احمد صاحب مسقط .

وعلى الرغم من تزايد النفوذ الوهابي فى مدن العتوب الجنوبية أى فى الزبارة ومدن البحرين ، وعلى الرغم من استجابة العتوب فى الكويت والبحرين ، لطلب سعود منهم بأن تتجه سفنهم مع سفن القواسم الى مسقط عام ١٨٠٣ ، فان ذلك لم يمنعهم من التقدم عام ١٨٠٥ الى حكومة بومباى الانجليزية بطلب للاشتراك بسفنهم للهجوم على رأس الخيمة وملاحقة سفن القواسم حين صار فى نية الانجليز القيام بمثل ذلك الهجوم (٤٣) . وكانت الكويت تهدف من وراء هذا العرض اثبات

---

(٤١) انظر الاوراق ١٠٧ ــ ١٠٩

(٤٢) لمع الشهاب : ١٠٦ ــ ١٠٧ ، ويمضى لمع الشهاب فى ايراد تفاصيل اخرى عن طريقة تسلط الوهابيين على البحرين فى نفس الاوراق المشار اليها . وانظر كذلك ابن بشر ١ : ١٢٢ .

(٤٣) انظر Gazetteer, I, i, 1007 وانظر كذلك منتخبات حكومة بومباى : ٣٦٧ ــ ٣٦٨ .

أنها لم تتخذ القرصنة حرفة لبحارتها وأن أية اعتداءات قامت بها سفنها أو سفن البحرين على التجارة الانجليزية فى الخليج ، كان سببها ايعاز الوهابيين للقيام بمثل ذلك الامر • وقد طلبت الكويت والبحرين معا لقاء ذلك ، أن تضمن حكومة بومباى لسفن العتوب العودة للبحرين وحمايتها من التدخل الوهابي (٤٤) ، وبالطبع لم يتم شيء من هذا الاشتراك لأن حكومة بومباى لم توافق على ذلك الطلب •

ان هذا الاتجاه لسياسة الكويت نحو حكومة بومباى الانجليزية ، يجعلنا نورد بايجاز أحداث ١٨٠٤ و ١٨٠٥ فى مياه الخليج حتى نرى مبررات التدخل البريطاني ضد رأس الخيمة ، ثم كذلك لا بد لنا من ايجاز لاتجاهات السياسة البريطانية فى الخليج فى نفس الحقبة •

السياسة البريطانية فى الخليج العربي منذ عام ١٨٠٠ الى ١٨٠٦

لقد ذكرنا اكثر من مرة ، ان السياسة البريطانية فى الخليج لم تتبلور تماما وتتخذ طابعا ايجابيا تجاه الخليج العربي الا فى الفترة النابليونية (١٧٩٨ — ١٨١٠) أى حين صار الخطر الفرنسي واضحا على طريق الهند وعلى الهند ذاتها • وكان لهذه السياسة شقان ، اولهما حرب لا هوادة فيها مع سفن القرصنة الفرنسية ، التي كانت تعمل فى أعالي البحار فى طريق الهند ، وثانيهما محاربة فرنسا على الصعيد السياسي فى منطقة الخليج ذاتها ، وذلك بعقد اتفاقيات أو سلسلة من المعاهدات مع بلدان الخليج العربي نفسها والقوى المحلية العاملة فيه • وقد ظهر هذا الامر بجلاء ووضوح فى المعاهدات المعقودة بعد عام ١٨١٤ مع الساحل المهادن أو عمان الصير ، ومع مسقط ، والتي أخذت تنضم اليها سائر الامارات العربية فى الخليج • والى هذين الشقين من السياسة

---

(٤٤) انظر Gazetteer, I, 1007 & 842

البريطانية يمكن أن نضيف أمرا آخر وهو اتخاذ بريطانيا سياسة عملية ايجابية تجاه بعض القوى العاملة فى الخليج ، وتجريدها حملة عسكرية بريطانية عليها ، والمقصود هنا بالطبع رأس الخيمة أو القواسم من سكان شرقي الجزيرة العربية •

لقد بينا من قبل كيف كانت سفن شركة الهند الشرقية تنضم الى الاطراف المتنازعة فى الخليج فى نطاق محدود مثل انضمامها لمتسلم البصرة فى صراعه مع الحصار الفارسي عام ١٧٧٥ (٤٥) ، ثم ما كان من اشتراكها قبل ذلك فى القتال ضد بني كعب فى الدروق ، وضد مير مهنا صاحب بندر ريق فى جزيرة خارج • ان السفن الانجليزية لم تكن بمفردها فى الميدان ، بل كانت تعمل مع قوى الخليج الاخرى ضد عدو مشترك فى كل هذه الامثلة السابقة ، وكانت سفن الشركة الانجليزية هي التي تتولى القتال ، أما فى أوائل القرن التاسع عشر ، فقد صارت سفن حكومة الهند الانجليزية ، وكذلك سفن الشركة الانجليزية التابعة لحكومة بومباى ، التابعة بدورها للشركة ، تعمل جنبا الى جنب فى القتال فى مياه الخليج ، كما حدث فى الحملة ضد القواسم عام ١٨٠٥/١٨٠٦ • لقد تذرعت حكومة الهند باعتداء القواسم على بعض سفن الشركة ، للقيام بعملياتها الحربية ضدهم ، ولن تتطرق الى تفاصيل هذه الحوادث الا بالقدر الضرورى ، لان مجال مثل هذا البحث بعيد نسبيا عن مجال بحث تاريخ الكويت وعلاقاتها بالخليج العربي • ورغم هذا ، فلا بد لنا من عرض موجز للعلاقات البريطانية العربية الممهدة لهذا الهجوم البريطاني •

جاء أول نشاط دبلوماسي بريطاني مع عرب مسقط بالذات ، حيث كان يتنافس على مركز الصدارة فيها الفرنسيون والانجليز • ففي ١٧

---

(٤٥) انظر ما سبق من كتابنا هذا ص ١٦٦ وما يليها .

يناير من سنة ١٧٩٩ أرسل بونابرت من مصر رسالة الى صاحب مسقط، سلطان بن احمد، يقول فيها : « الى امام مسقط ،

اكتب لكم هذه الرسالة لابلغكم وصول الجيش الفرنسي الى مصر • ولما كنتم دائما تسلكون تجاهنا مسلك الصداقة ، فلا ريب أنكم مقتنعون تماما من رغبتنا فى حماية جميع السفن التابعة لكم والمتجرة مع السويس • كما أنني أرجو لكم أن تتفضلوا بارسال الرسالة المرفقة طيه الى تيبو صاحب (٤٦) فى أول فرصة تسنح لذلك (٤٧) » • ويورد ما يلز أيضا نص رسالة بونابرت الى تيبو صاحب وهو كالاتي :

« القاهرة فى ٢٥ يناير ١٧٩٩ (كذا فى مايلز أما دانفرز فيؤرخها ١٧ يناير ١٧٩٩) • الى تيبو صاحب •

لقد سبق أن وصلتك الاخبار بوصولي الى شواطىء البحر الاحمر فى جيش عديد لا يقهر وهدفى هو تخليصك من النير البريطاني • وانني اكتب لكم على جناح السرعة راجيا ان يصلني منك ما يبين الوضع السياسي الذى انت فيه الآن • وانني لأرغب كذلك فى أن أراك ترسل الى السويس شخصا ممن تثق فيه حتى يمكنني أن أعقد معه المحادثات•

(التوقيع) بونابرت

---

(٤٦) تيبو صاحب او تيبو سلطان هو ملك ميسور بالهند منذ ١٧٨٣ وحتى ١٧٩٩ . كان هو ووالده حيدر علي ملك ميسور على عداوة دائمة مع الانجليز الذين كانوا يبنون آنذاك امبراطوريتهم فى الهند . وقد كان تيبو على صلة طيبة بالفرنسيين ببوند شيرى بالهند ، حتى ان حكومة فرنسا منحته لقب مواطن بالجمهورية الفرنسية عام ١٧٩٨ . وفى سنة ١٧٩٩ واجه جيوش الانجليز ومات فى ميدان القتال مدافعا عن عاصمة ملكه . انظر ملخصا لتاريخ حياته فى Encyclopaedia of Islam/1

(٤٧) انظر Danvers, Report on the India Office Records, p. 46

وكذلك انظر Miles, Countries and Tribes, II, 290

وبالطبع لم تصل رسائل بونابرت الى سلطان بن احمد ولا الى تيبو صاحب لأن المستر ولسن ، الوكيل البريطاني فى مخا باليمن ، قد اعترض سبيلها واستولى عليها (٤٨) • غير ان الفرنسيين كانوا قد نجحوا فى اقامة علاقة وثيقة مع سلطان مسقط منذ عام ١٧٩٥ ، وقبل أن يرسل نابليون برسائله المشار اليها ، أى ان الوجود الفرنسي فى مسقط كان قائما • ومن هنا حرص الانجليز على المبادرة بعقد اتفاق مع سلطان بن أحمد ، والواقع أن مثل هذا الاتفاق قد سبق اعتراض سبيل رسائل بونابرت المشار اليها اذ وقع الانجليز ذلك الاتفاق مع سلطان فى ١٢ اكتوبر ١٧٩٨ ، وكان الاتفاق يتألف من سبع مواد نصت بوضوح على وجوب تخلي مسقط من أى اتصال بالفرنسيين ، أو السماح لهم أو لسفنهم بالنزول فيها فى حالة نشوب الحرب بين فرنسا والانجليز ، وكذلك على السماح للانجليز بانشاء وكالة تجارية لهم فى بندر عباس ، وكانت تابعة لحاكم مسقط ، يحتفظون فيها بجيش يتراوح عدد أفراده ما بين ٥٠٠ و ٧٠٠ مقاتل (٤٩) • ويبدو ان سلطان بن احمد قد طلب من الانجليز ، على حد زعمهم (٥٠) ، أن يرسلوا مقيما لهم الى مسقط ليتخذ منه سلطان مستشارا • وعلى هذا يكون سلطان بن احمد أول أمير عربي يدخل فى معاهدة مع الانجليز • الا ان هذه المعاهدة لم تمنع سلطان من معاودة الاتصال بالفرنسيين ، بعد ان بهرته أعمال بونابرت وبعد أن سمع بنتائج الثورة الفرنسية ، على الرغم من التسهيلات التجارية التي منحتها المعاهدة المذكورة لسلطان فى أرض الهند • وعلى ذلك اتجه جون مالكولم ، موفدا من قبل حكومة الهند ، من بومباى الى مسقط ، وبلغها فى ٨ يناير عام ١٨٠٠ ، ولا يخفي ما كان من أثر لاتصاله بسلطان بن أحمد حينذاك فى عرض البحر ، وكان سلطان عائدا

---

(٤٨) Miles, II, 290, Danvers, 46

(٤٩) انظر Countries & Tribes, II, 261

(٥٠) المصدر السابق .

من غزو البحرين ، وتوقيعه معه اتفاقية جديدة ، جددت شروط معاهدة ١٧٩٩ ، وأضاف اليها شرطا آخر وهو سماح سلطان بن احمد للانجليز بارسال وكيل سياسي لهم فى مسقط • وكان توقيع هذه المعاهدة فى ١٢ يناير ١٨٠٠ (٥١) •

لقد أظهرت هاتين المعاهدتين مع حاكم مسقط نوايا السياسة البريطانية الجديدة فى الخليج ، الرامية الى تدعيم النفوذ البريطاني السياسي فيه ، بعد أن احتكرت بريطانيا التجارة من قبل ، وصارت الدولة الاوروبية الاولى المتاجرة فى الخليج (٥٢) • لم يخف بالطبع على شيخ الكويت هذا الاتجاه البريطاني نحو تركيز نفوذ الانجليز السياسي فى الميدان الجديد ، ومن هنا كان عرضه المساهمة فى الحملة البريطانية ضد القواسم فى عام لاحق هو عام ١٨٠٥ • غير ان الحملة على القواسم لا تتضح صورتها دون الاشارة الى وضع الوهابيين فى المخطط السياسي البريطاني الجديد للخليج •

لقد حرص الانجليز دوما حتى قيام هذه الحملة عام ١٨٠٥ على الابتعاد رسميا عن كل ما من شأنه أن يثير غضب الوهابيين فى الخليج ،

---

(٥١) انظر من اجل مفاوضات مالكولم مع سلطان مسقط الرسالة الموجهة من مالكولم Malcolm الى ايرل مورننجتون Earl Mornington الحاكم العام فى فورت وليم Fart William ببومباى والصادرة عن بوشهر فى أول فبراير عام ١٨٠٠ من يوميات دائرة الشئون السرية والسياسية لشركة الهند الشرقية رقم ١٨٨٠/٨٩ والمنشورة في مختارات سلدنها : ٣٧٦ — ٣٧٧ •

وكذلك انظر رسالة اخرى من مالكولم الى الحاكم العام مؤرخة ٤ فبراير ١٨٠٠ فى نفس المصدر •

انظر كذلك Miles, II, 293

(٥٢) انظر رسالة من الدكتور بوجلي Bogle (المعين من قبل الشركة طبيبا لامام مسقط) الى الحاكم العام تفيد بانه قد طلب منه مالكولم ان يصبح ممثلا للشركة لدى الامام • الرسالة صادرة عن مسقط بتاريخ ٢٩ فبراير ١٨٠٠ ومنشورة فى مختارات سلدنها : ٣٧٩ — ٣٨٠ •

حتى لا يتأثر البريد البريطاني المنقول بين حلب والبصرة لخطرهم ، على الرغم من الاعتقاد السائد فى بومباى أن اعتداءات القواسم البحرية على سفنهم المقلة للتجارة فى الخليج ، انما كانت تصدر بتحريض من أسيادهم الوهابيين (٥٣) •

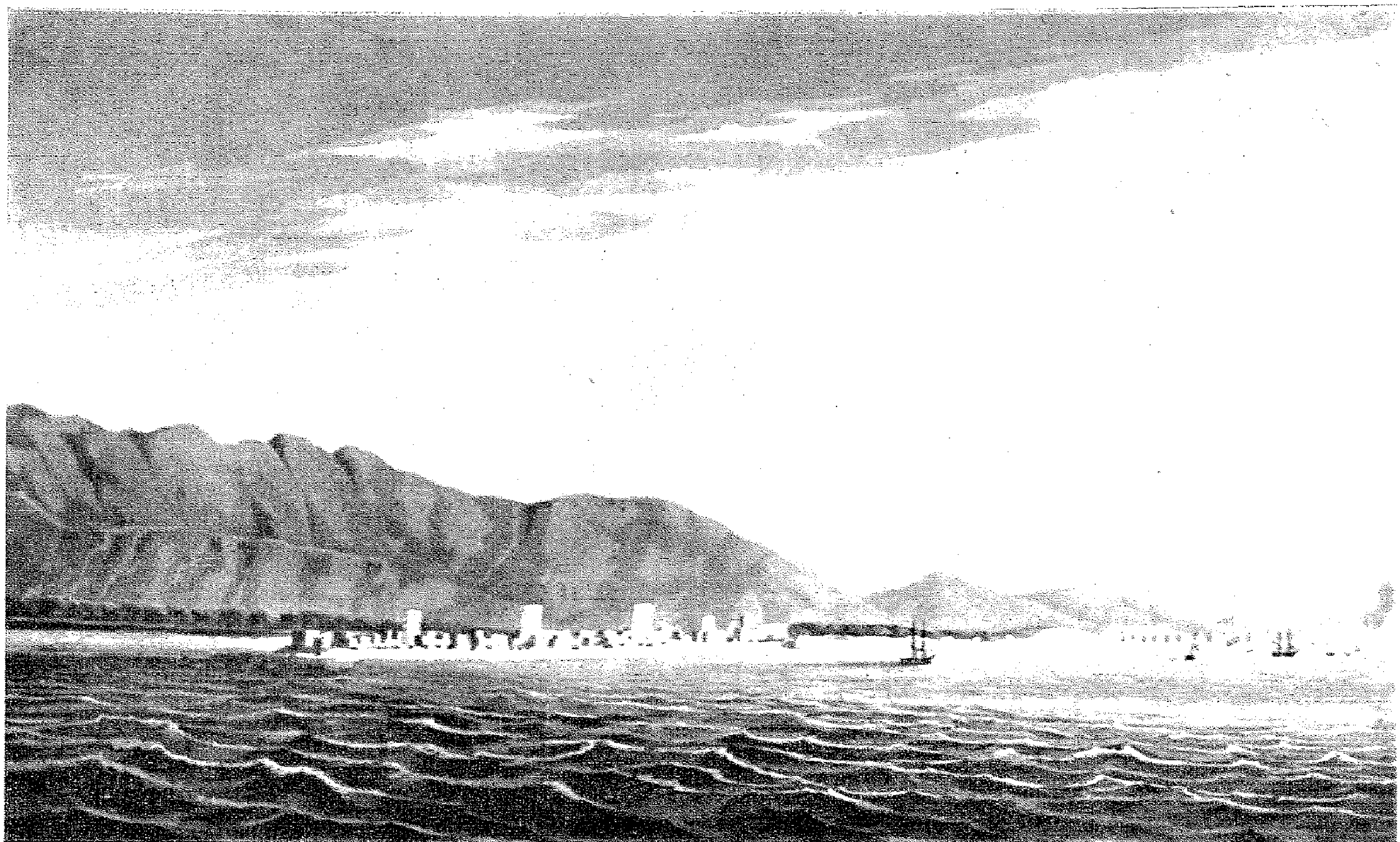
ومهما يكن من أمر ، فلقد شهدت مياه الخليج العربي بعد مقتل سلطان بن احمد عام ١٨٠٤ على يد جماعة من القواسم (٥٤) سلسلة متتالية من هجمات شنها هؤلاء على السفن الانجليزية العاملة فى الخليج العربي ومياه بحر العرب بين الهند ومسقط ، ويبدو أن مقتل سلطان بن احمد كان له أثر بالغ فى ذلك النشاط القواسمي ، اذ كان بمقدور سفن سلطان أن تقف أمام هجمات القواسم • أما سلسلة الاعتداءات هذه فقد قام بها القواسم فى عامي ١٨٠٤ و ١٨٠٥ ، اذا استولوا على السفينتين Shannon و Trimmer المملوكتين للمستر مانيستي ، ممثل الشركة الانجليزية فى البصرة ، وقد قادهما القواسم الى جلفار (رأس الخيمة) ، ثم السفينة الحربية Mornington التي افلحت فى صد هجوم عليها قام به نحو اربعين داوا ، ثم اخذ القواسم السفينة Hector وهي مملوكة للشركة الانجليزية ، وشنوا هجوما على السفينة الحربية Queen قرب مسقط فى ٣٠ ابريل ١٨٠٥ ، ونجحت هذه فى صد السفن المهاجمة لها (٥٥) • وهنا وجدت حكومة الهند أن لا مناص من

---

(٥٣) انظر Gazetteer, I, i, 636 • ويبدو ان حكومة الهند كانت مخطئة فى ظنها هذا لان القواسم كانوا يعتدون على السفن الانجليزية وغير الانجليزية فى مياه الخليج لان النهب كان من طبيعتهم • هذا ما يقول به لورمر فى نفس المصدر السابق وعلى نفس الصفحة •

(٥٤) انظر كتاب الفتح المبين : ١٩٨ ــ ٢٠٠ ، حيث يشرح المؤرخ العماني ابن رزيق كيفية مقتل سلطان بن احمد على يد القواسم ، وهو عائد من البصرة ، بعد ان غادر مركبه البدرى الى قارب صغير •

(٥٥) انظر Low, History of the Indian Navy, I, 316-318
وكذلك Gazetteer, I, i, 667 ثم Countries & Tribes II, 303-607



ميناء رأس الخيمة كما يظهر فى لوحة بالالوان المائية رسمت عام ١٨١٠
ومحفوظة بالمتحف البريطاني بلندن .

ارسال حملة بحرية ضد القواسم واصدرت لها التعليمات بأن تكون لطيفة فى معاملتها لهم ، وأغلب الظن ان ذلك كان خشية من اغضاب الوهابيين ، وأن تحرص على ان يوافقوا على معاهدة تقضي بعدم تعرضهم للسفن الانجليزية وسفن حاكم مسقط (وكان آنذاك بدر بن سيف) ، أما قائد الحملة فكان الكابتن سكنر Skinner ، الذى عمل بالتعاون مع سيتون Seton ، المقيم الانجليزى بمسقط • وموجز القول فى مهمة سيتون وسكنر أنهما نجحا فى اجبار القواسم على التوقيع على معاهدة ٦ فبراير ١٨٠٦ والتي صادق عليها الحاكم البريطاني العام فى الهند فى ٢٩ ابريل من نفس العام • وقد قضت شروط هذه المعاهدة بأن يدفع القواسم تعويضا عن السفن المنهوبة قدره ٣٠ ألف دولار (٥٦)، وأن يعيدوا السفن الانجليزية التي فى حوزتهم ، وأن يقدموا العون للسفن الانجليزية التي تحتاجه على شواطئهم ، وأن يخطروا حكومة الهند فى موعد لا يقل عن ثلاثة أشهر قبل قيامهم بعمل من أعمال القرصنة يجبرهم عليه الحاكم الوهابي (٥٧) • هذا وقد حفظت لهم هذه المعاهدة حق الاتجار مع المراكز التجارية فى الهند (٥٨) •

ان المتدبر والفاحص لشروط هذا الاتفاق ، يرى أن الانجليز كانوا حريصين على أن تحفظ سفنهم قبل غيرها ، من أى خطر تتعرض له من قبل القواسم ، مع أنهم احتاطوا أيضا ، وراوا أن يعم السلام

(٥٦) لقيمة الدولار كشف العملة فى السفر الثانى من هذا الكتاب •

(٥٧) انظر Gazetteer, I, i, 639-40 ثم History of Indian Navy, I, 318

(٥٨) انظر من اجل حرب القواسم هذه والسياسة البريطانية فى الخليج عامة بالاضافة الى Low وLorimer كتاب سلدانها :
Precis of Correspondence on International Rivalry and British Policy in the Persian Gulf, (Calcutta 1906), pp, 25-57
حيث توجد ملخصات وافية للمراسلات الخاصة بتلك الحرب مع القواسم فى سجلات الشركة ببومباي •

مياه الخليج بعد ذلك . ثم يرى كذلك أن روح الاتفاق تبين أن الوهابيين كانوا من وراء حوادث اعتداء القواسم على السفن في الخليج ، ومع ذلك حرصوا على ان لا يتعرضوا للوهابيين بوضوح ، فما هو موقف الوهابيين الحقيقي من القرصنة في مياه الخليج ؟ في الوقت الذى تضاربت فيه آراء ممثلي الشركة الانجليزية فى موقف الوهابيين من تشجيع القواسم أو عدم تشجيعهم ، نرى مؤلفا معاصرا ، هو لمع الشهاب ، يشير بكل وضوح الى أن الوهابيين قد شجعوا القواسم على نهب السفن في الخليج ، اذ يقول ان مطلق ، قائد الوهابيين فى عمان عامة ، قد شجعهم على ذلك ، وان فكرة الجهاد الجديدة التي نادى بها الوهابيون ، ضد من لم يتبع تعاليم الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، هونت عليهم امر القرصنة ، وانه لما توفى صقر بن راشد ، زعيم رأس الخيمة ، وصار ولده سلطان بن صقر شيخا على القواسم « أخذ ينهب فى البحر ويركب بنفسه ، فنهب ذلك العام الذى تولى فيه ٣٧ سفينة من داو وبغلة » (٥٩) . لا ريب أن أقوال لمع الشهاب هذه لا تدع مجالا للشك فى مسئولية الوهابيين عن القرصنة القواسمية فى مياه الخليج ، غير أن اتجاهات حكومة الهند الانجليزية وسياستها المبنية على أن الوهابيين لم يكونوا مسئولين عن قرصنة القواسم ، وهي صاحبة مصلحة كبرى فى معرفة من المسئول عن القرصنة ، تجعلنا نتردد فى اصدار الحكم باذانة الوهابيين بتحمل المسئولية كاملة فى كل عمل قام به القواسم فى هذا السبيل .

ومجمل القول فى معاهدة ١٨٠٦ مع القواسم ، ان الانجليز قد بدأوا يتخذون موقفا عمليا من أى نشاط قد يهدد تجارتهم فى الخليج بأنفسهم ، دون التستر وراء أية قوة عاملة فى الخليج ، من تركية أو

---

(٥٩) لمع الشهاب ٩٨ – ٩٩ .

فارسية أو عربية ، وهو أمر ستبينه أحداث عام ١٨٠٩ والحملة البريطانية التي هدفت الى تدمير رأس الخيمة ، والقضاء كليا على نشاط القواسم فى مياه الخليج .

ويبدو أن هذه الاتفاقية قد اوقفت اعتداءات القواسم على سفن الانجليز بالخليج مدى عامين متتالين (٦٠) . ولعل وجود قوة بحرية تتألف من سبع سفن حربية خلال عام ١٨٠٧ فى مياه الخليج ، كان عاملا حاسما لتنفيذ شروط معاهدة ١٨٠٦ (٦١) ، أى أن ذلك التوقف فى نشاط القواسم لم يستمر أكثر من ذينك العامين ، بل ازدادت جرأتهم على سفن الشركة الانجليزية وغيرها من السفن فى مياه الخليج ازديادا فاق عنفه نشاطهم فى عامي ١٨٠٤ و ١٨٠٥ ، وكانت نتيجة ذلك الحملة الانجليزية البحرية على رأس الخيمة وهي التي ادت الى احراق المدينة ، واتلاف سفن القواسم بها وفى غيرها من الموانىء التابعة لهم على الشاطىء الغربي من الخليج وعلى الشاطىء الشرقي كذلك ، ثم فى ميناء شناص غير بعيد عن مسقط (٦٢) ، مما لا داعي لتفصيله فى هذا المقام .

النشاط الوهابي فى الخليج
وموقف الكويت منهم ١٨٠٦ — ١٨١٥

ولا ريب أن النشاط الذى ابداه القواسم فى هذه الفترة ، كان يستند الى قوة الوهابيين المتزايدة وامتداد نفوذهم الذى شمل جميع أطراف عمان ، حينما انحاز الى جانبهم بدر بن سيف ، حاكم مسقط

---

(٦٠) انظر Danvers, 47 ff

(٦١) انظر Danvers, 47-48 ثم Gazetteer, I, i, 640

(٦٢) انظر لتفاصيل هذه الحملة Low, I, 317 ff ثم Lorimer, I, i, 643-648 وكذلك Brydges, The Wahauby, 35-38 & 211

ومن المصادر العربية ابن بشر ١ : ١٤٦ ، ولمع الشهاب ١٩٤ — ١٩٦ و ١٩٧ — ١٩٨ .

عام ١٨٠٧ ، قبيل مقتله فى ذلك العام ، وحينما افلح القائد الوهابي مطلق المطيري فى تدويخ عمان ، بعد أن اتخذ من واحة البريمي قاعدة لعملياته الحربية ضدها (٦٣) ، وحين ازداد عنف الغارات الوهابية فى اتجاه الشمال أى على بلاد العراق • غير أن الذى يلفت النظر فى هذه الفترة ان الكويت كانت لا تزال خارج دائرة النفوذ الوهابي ، بخلاف البحرين التي كان خضـوعها للوهابيين ، على ما يبدو ، تامـا ، فعند تدوين حوادث ١٢٢٣ هـ/١٨٠٨ م ذكر ابن بشر أن « سعودا حج حجته الخامسة بالمسلمين من جميع رعيته من نواحي نجد والجنوب والاحساء والقطيف وعمان والبحرين ووادى الدواسر وتهامة والطور واليمـن وبيشه ورنيه وجميع الحجاز ونواحيها الى المدينة النبوية والينبع والفرع وغير ذلك » (٦٤) • وهنا لا نجـد اسـم الكويت يدرج بين رعية سعود • بل ان احداث عام ١٨٠٨ ، كما دونها معاصروها ، قد بينت أن العلاقات الوهابية الكويتية كانت متوترة الى درجة كبيرة • اذ أنه حدث فى ذلك العام أن تقدم الوهابيون لشن غارة على بغداد ، وطلب سعود من شيخ الكويت ان تدفع الكويت اتاوة للوهابيين ، فما كان من شيخ الكويت الا ان رفض الدفع ، فسير عليه سعود جيشا يتألف من اربعة آلاف مقاتل بقصـد ارغامه على الدفع ، وقد فشـل هذا الجيش فى الاستيلاء على الكويت ، وكان ذلك فى شهر يونية عام ١٨٠٨ (٦٥) • وقد حاول سعود بعد ذلك ان يدفـع سعيد بن سلطان حاكم مسقط وسلطان بن صقر ، شيخ القواسم ، ليرسلا اسطوليهما لقتال

---

(٦٣) انظر ابن بشر ١ : ١٤٦ ، ١٥٣ وتحفة العيان ٢ : ١٨٧ ، ١٨٨ ولمع الشهاب ١٠٤ – ١٠٩ •

(٦٤) ابن بشر ١ : ١٤١ •

(٦٥) Corancez 139-140 • ويمضى المؤلف للقول بأن سليمان باشا والى بغداد قد ارسل الهدايا لشيخ الكويت فى نظير موقفه الصلب من الوهابيين وكذلك انظر Gazetteer, I, i, 1007

الكويت فى العام التالي (١٨٠٩) ، غير ان الطرفين رفضا القيام بتلك المهمة • أما سبب الرفض فلا نستطيع أن نجد له مبررا سوى خوف سعيد وسلطان من سفن الكويت ، ولذلك فضلا عدم الاستجابة لطلب سعود على الهزيمة • وتتحدث سجلات حكومة بومباى فى حوادث عام ١٨٠٩ عن أن شيخ الكويت قد أبدى رغبته فى مشاركة سفن الشركة فى حملتها على رأس الخيمة ، وهي الحملة التي انتهت بتدميرتلك المدينة (٦٦) • ولعل شيخ الكويت قد هدف من وراء ذلك أن لا تقف الكويت معزولة عن الحوادث الجارية فى الخليج ، لا سيما بعد أن وضح له تماما المدى الكبير الذى أخذت السياسة الانجليزية توليه الخليج العربي منذ مطلع القرن • ثم لعل شيخ الكويت اراد أن يقتص للكويت من اعتداء القواسم على سفنها ، فقد كان القواسم يعتدون على السفن العاملة فى الخليج دون تمييز بين العربي والاجنبي منها • ولعله من الطريف أن نذكر أن قائد الحملة البريطانية ، وهو قائد الاسطول البحرى ، الكابتن وينرايت (٦٧) ، كما تقول سجلات الشركة ، قد ند ماذ لم يشرك اسطول الكويت فى القتال ذلك انه عندما وصلت الحملة مسقط ، وزودها سعيد بن سلطان بالمرشدين البحريين لارشادهم الى الطرق البحرية المؤدية الى مخابىء سفن القواسم ، أثبت هؤلاء المرشدون جهلهم بها ، ومن هنا كان ندم الكابتن وينرايت على عدم استجابته لطلب شيخ الكويت ، الذى كان قد عرض عليه أن يشترك بجميع سفنه فى قتال القواسم ، وأن يزود الحملة بالمرشدين (٦٨) • ولا شك أن عرض شيخ الكويت هذا

---

(٦٦) انظر Gazetteer, p. 1008

(٦٧) كانت الحملة تحت القيادة المشتركة لقائد القوات البرية وهو الكولونيل سمث Smith وقائد الاسطول البحرى وهو الكابتن وينرايت Wainwright انظر Gazetteer, I, i, 645

(٦٨) منتخبات حكومة بومباى : ٣٧١ ثم انظر Gazetteer, I, i, 645

يجب أن تكون له دلالته أيضا من ناحية قدرة الكويتيين على معرفة طرق الملاحة المأمونة العواقب فى الخليج ، وتفوقهم على مرشدى مسقط فى هذا المضمار .

ولا بد للمرء اذن من ان يتساءل عن السبب الذى امتنع من اجله الانجليز عن تلبية رغبة الكويت فى الاشتراك فى الحملة . لقد ذكرنا منذ قليل ان الوهابيين قد قاموا بهجوم فاشل على الكويت عام ١٨٠٨ ثم انهم حرضوا القواسم بعد ذلك وحاكم مسقط ، على تسيير أساطيلهم لقتال الكويت ، وبلغ بهم الحد أن حاولوا ان يجبروا عتوب البحرين والزبارة على الاشتراك فى تلك الحملة البحرية على الكويت ولكنهم فشلوا فى هذه الخطة (٦٩) ، افلا يجوز اذن ان يكون الرفض الانجليزى للغرض الكويتي راجعا للعداء القائم بين الوهابيين والكويت ، والى أن تعليمات حكومة الهند الانجليزية لقائدى الحملة كانت واضحة صريحة ، من حيث طلبها منهما أن يتجنبا الاشتراك فى صدام مسلح مع القوة الوهابية او القوات المناصرة للوهابيين ؟ فقد كانت التعليمات تحظر على الحملة القيام « بأى نوع من انواع العمليات الحربية البرية ولا سيما القوى العاملة فى صفوف الوهابيين » (٧٠) ، وأن لا تظهر الحملة بأية حال أي نوع من العداء للوهابيين ، وأن على تلك الحملة أن تتجاهل الصلات القائمة بين القواسم والوهابيين وأن يعامل القواسم ، كما قضت التعليمات الى الكابتن ستون Seton ، المقيم البريطاني فى مسقط ، بأن يعامل هؤلاء على أنهم قوة مستقلة قائمة بذاتها وليست جزءا من القوة الوهابية ، بل لقد ذهبت التعليمات الخاصة بهذه الحملة ، والموجهة الى الكابتن سيتون قبل قيامها ، الى محاولة تكليف المستر سيتون بالقيام بالاتصال بالسلطات الوهابية ، وافهامها بنية حكومة الهند تجاه القيام بعمل

(٦٩) قارن Gazetteer, I, i, 842-43

(٧٠) انظر Gazetteer, I, i, 644

حربي ضـــد القواسم (٧١) . لعل فى كل هذا ما يدلل على صحة ما ذهبنا اليه من تفسير رفض الكابتن وينرايت لهذا العرض الكويتي . بل لقد بلغ من حرص حكومة الهند على عدم التعـرض للوهابيين أو حلفائهم ، ان عدلت الحملة عن القيام بهجوم تأديبي على مواقع رحمة ابن جابر ، حليف الوهابيين ، والذى كان قـد ارتكب بدوره عدة حوادث مشابهة للحوادث التى قام بها القواســم ضد السفن العاملة فى الخليج . هذا على الرغم من أن المستر هانكي سمث Hankey Smith المقيم البريطاني فى بو شهر ، قد طالب فى اصرار بتأديبه . ولقـــد قيل فى تبرير عدم الاصغاء الى نصائح المستر هانكي سمث ، أن رحمة كان يسلك دوما سلوكا وديا تجاه الانجليز ، ولا يعتدى على سفنهم كالقواســم ، بل يعتدى على سفن العرب (٧٢) ، ثم انه كان أيضا حليفا جديدا للوهابيين ، ولعمرى ان هذا المسلك عجيب من حملة قامت تهدف زاعمة انها جاءت لايقاف اعمال القرصنة والنهب فى الخليج العربي ، دون تمييز فى المقام الاول ، ثم تدمير موانىء القواسم فى المقام الثاني ، لانهم يقومون بما يعكر صفو السلم البحرى فى الخليج (٧٣) .

ولعل فى سلوك رحمة بن جابر هذا سبيل الاعتداء على سفن الكويت العاملة فى الخليج بين مسقط ومدن العتوب ، لعل فى هذا تفسيرا لطلب الكويت الانضمام للحملة الانجليزية التي قصـد مـن ورائها القضاء على القرصنة فى الخليج ، فلربما ظـن شيخ الكويت ، أن يكون بمقدوره عندئذ ، المساهمة فى قتال رحمة بن جابر ، الذى كان قد اعترض قبيل قدوم الحملـة ، وفى نفس العـام ، أى ١٨٠٩

---

(٧١) المصدر السابق : ٦٤٥

(٧٢) المصدر السابق : ٦٤٩ ، ٧٨٩ — ٧٩٠

(٧٣) انظر لاعمال رحمة بن جابر هذه شرحا مطولا فى رحالة معاصر هو بكنجهام Buckinghan, Trevels in Assyria etc. 356 ff

سبيل سفن العتوب المسافرة الى مسقط ، واستولى على عشرين منها بعد معركة طاحنة . ويبدو أن الميدان قد خلا لرحمة بعد عدم تعرض الانجليز له (٧٤) .

ولعل الوهابيين قد أرادوا الانتقام من الكويت بعد فشل حملتهم عليها عام ١٨٠٨ ، وفشلهم فى اقناع عتوب البحرين والقواسم وسعيد بن سلطان بمهاجمتها بحرا . ومن هنا اغتنم الوهابيون فرصة انضواء رحمة بن جابر تحت لوائهم عام ١٨٠٩ ، ومساهمته فى اكمال سيطرتهم على قطر ، اغتنموا تلك الفرصة وحرضوه على اعتراض سفن الكويت العابرة فى الخليج ، وشجعوه حتى على مهاجمة سفن عتوب البحرين ، اذ هم انضموا الى ابناء عمومتهم من اهل الكويت ، وكانت سلطة الوهابيين على البحرين قد احكمت نهائيا فى ختام عام ١٨١٠ ، بل عين سعود بن عبد العزيز أميرا على البحرين وقطر والاحساء عام ١٨٠٩ ، محمد بن معيقل بدلا من سلمان آل خليفة ، ثم اتبعه بعبد الله بن عفيصان ، واجبر جماعة كبيرة منهم على الاقامة فى الدرعية وفى الزبارة (٧٥) . وعلى الرغم من اعادة آل خليفة الى البحرين عام ١٨١٠ ، وعودتهم لتولي امارتها فى ظل الوهابيين ، الا أن الوهابيين أجبروهم على دفع اتاوة ، واقاموا بها وكيلا عنهم ، وكذلك سيروا اليها المطاوعة من الوهابيين . غير ان هذا لم يمنع آل خليفة من الاتصال بسعيد بن سلطان فى مسقط ، وطلب العون منه ، وكذلك بعتوب الكويت ، وقد قدموا الزبارة ذات مساء وحملوا بقية رجالهم منها ، ودمروا ما فيها من المتاع والمال (٧٦) ، ثم نازلوا حاكم البحرين الوهابي ، فهد بن عفيصان ، وجماعته المرابطين فى قلعه المنامة ، واعتقلوه

---

(٧٤) انظر Gazetteer, I, i, 790 ثم انظر كذلك منتخبات حكومة بومباى (٢٤) : ص٣٠

(٧٥) ابن بشر ١ : ١٤٦ .

(٧٦) ابن بشر ١ : ١٤٧ — ١٤٨ .

ونحو ستة عشر رجلا معه واطلقوا سراح الباقين من الوهابيين • وكان هدف آل خليفة من ذلك الاعتقال اجبار الوهابيين على اطلاق سراح ذويهم من الذين فرضوا عليهم الاقامة فى الدرعية (٧٧) •

لم تكن هذه هي آخر مواقف العداوة من الوهابيين تجاه الكويت وعتوب البحرين ، اذ يبدو أن الوهابيين قد قاموا بتحريض رحمة بن جابر وابي حسين أمير الحويلة بقطر وغيرهم من اتباعهم على قتال آل خليفة ومن يساندهم من عتوب الكويت ، فوقعت معركة بحرية هائلة بين المتحاربين ، راح ضحيتها العديد من السفن والانفس ، وقد قدر ابن بشر ، وهو معاصر للاحداث ، عدد الخسائر التى مني بها آل صباح وآل خليفة وحلفاؤهم بسبع سفن ونحو ألف من القتلى، ولعل ذلك قد نجم عن انفجار (جبخانات السفن) (٧٨) فمات الكثير « قتلا وحرقا وغرقا » وكان بين الضحايا دعيج نجل عبد الله بن صباح ، وكذلك راشد بن عبد الله بن خليفة وغيرهم من أعيان العتوب • أما خسائر الجانب الوهابي فبلغت سبعة مراكب ومن القتلى مائتان من بينهم ابو حسين امير الحويلة (٧٩) ويبدو من نتيجة هذا القتال أنه دار لمصلحة البحرين وعتوبها •

ومهما يكن من أمر فان السنوات الثلاث التي اعقبت هذه الحوادث قد شهدت تقلص النفوذ الوهابي فى شرقي الجزيرة نظرا لهجوم قوات محمد علي باشا عليها من الغرب ، واضطرار سعود لسحب معظم قواته من الاحساء لمواجهة الخطر القادم من الغرب •

---

(٧٧) المصدر السابق •

(٧٨) مخازن الذخيرة •

(٧٩) ابن بشر : ١ ١٥٤ – ١٥٥ •

ويبدو أنه لم تقع حوادث ذات بـال فى الكويت خـلال العامين التاليين للهجوم المصرى على الحجـاز ونجد ، وفى عـام ١٨١٥ توفى سعود بن عبد العزيز ، والخطر يهدد دولة الوهابيين فى نجد ، وبعده بثلاثة أيام كانت وفاة عبد الله بن صباح ، حاكم الكويت واميرها بعد أن قضى فى حكمها نيفا وخمسين سنة (٨٠) .

(٨٠) أرخ ابن بشر وفاة سعود لثلاثة عشر مضت من شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٠/ ١٨١٤ ـ ١٨١٥ ، وأرخ وفاة عبد الله بن صباح بقوله : وفيها بعد وفاة سعود بثلاثة ايام توفى رئيس الكويت عبد الله بن صباح العتبى . انظر ابن بشر ١ : ١٦٥ و ١٧٦ .

الخاتمة

الخاتمـــة

ألوضع الاجتماعي والشئون الداخلية :

يرجع عتوب الكويت فى أصلهم الى جماعات عربية انحدرت فى معظمها من الافلاج بنجد • وكان اول مكان تجمعوا فيه هـو مدينة الكويت ، حيث عاشوا ردحا من الزمن فى حماية شيخ بنى خالد حتى عام ١٧٥٢ • وكان يعيش فى الكويت أيضا عتوب قطر والبحرين ، غير أن وفاة الشيخ سليمان آل حميد زعيم بنى خالد القوى ، قد منح العتوب الفرصة للاستقلال عن سلطان بنى خالد ، واختاروا صباح بن جابر ، جد الاسرة الحالية التى تحكم الكويت ، شيخا ، وكان صباح بذلك اول حاكم للكويت وفى عام ١٧٦٦ ، أسس العتوب ثانى مراكزهم التجارية ، ونعنى بذلك مدينة الزبارة بقطر ، وكان المؤسس هم جماعة آل خليفة • وفى سنة ١٧٨٢/٨٣ تم للعتوب فتـح البحرين باشـتراك آل صباح وآل خليفة ، وقد جعل هذا الامر العتوب فى وضع سياسي حساس فى الخليج العربى ، لان البحرين كانت طـوال تاريخها محط أطماع جيرانها •

ان نظام الحكم فى الكويت (آل صباح) والبحرين (آل خليفة) كان وراثيا منذ البداية ومحصورا فى الاسرتين الحاكمتين من بين العتوب بحيث لم ينل مركز الشيخ فى العتوب سوى من كان ينتمى الى احدى تلك الاسرتين • أما سلطات الشيخ القبلية ، فكانت قوية متينة ، غير أن الطبيعة التجارية التى تميزت بها حياة العتوب ، جعلت تلك السلطات القبلية ملطفة ، ولا تمتاز بنوع الدكتاتورية التى كان ينفرد بها شيوخ

القبائل العربية فى الجزيرة آنذاك ، ولعل أهم العوامل الملطفة يكمن فى نفوذ التجار الواسع وهم الذين ينتمون الى الاسر العتبية المختلفة . ولقد ساعد القضاة فى الكويت منـذ قيامها تقريبا فى تحقيق العدالة والحكم وفق الشريعة الاسلامية ، ثم تطبيق مايقضى به العرف والسالفة.

أما الحدود الجغرافية لمناطق نفوذ العتوب فلا يمكن تحديدها على وجه الدقة الا فى حالة واحدة ونعنى بها جزيرة البحرين التى عم فيها نفوذ العتوب بعيد فتحها . وفى الشمال ، كانت جزيرة فيلكة وما جاورها من جزر تتبع الكويت ، وان كون الكويت والزبارة قد نشأتا واتسعتا فى بيئة صحراوية لا حدود سياسية لها ، جعل هاتين المدينتين تتسعان اولا دون ان يشعر بهما احد فى البداية ، ثم يسر ذلك الوضع لهما مواصلات بحرية وبرية حرة . وفى قطر مثلا نزل بعض الجلاهمة من العتوب فى خور حسن ،دون أن يقاومهم احد وذلك فى شمال الزبارة وهم فى مطلع القرن التاسع عشر قد نزلوا بالدمام على مقربة من القطيف ولم تسمع ان احدا قد اعترض سبيلهم هناك . ومهما يكن من امر فان جميع المناطق التى نزل بها العتوب ، باستثناء البحرين كانت تقع ضمن نطاق نفوذ بنى خالد .

والعتوب لم يحترفوا القرصنة البحرية ، كما فعلت بعض القبائل العربية النازلة على الخليج. والمثل الوحيد ، الذى يشذ عن هذه القاعدة هو رحمة بن جابر من الجلاهمة ، وحتى فى حالة رحمة ، فانه اضطر الى ذلك بعد ان حرمه آل خليفة من الحصول على نصيبه من تجارة لآلىء الزبارة وبعد أن لم ينل الجلاهمة نصيبهم من غنائم البحرين بعد فتحها، وللقرصنة البحرية فى الخليج مفهوم لا بد من شرحه فى الكتاب الثانى من هذا التاريخ .

وعلى الرغم من ان آل خليفة قد أجبرتهم ظروف خاصة على مبارحة الكويت والنزول بالزبارة بعيد عام ١٧٦٠ ، فان العلاقات القائمة بينهم وبين أبناء عمومتهم آل صباح بالكويت استمرت ودية . وهناك مثلان يدللان على صدق ما ذهبنا اليه ، اولهما ان عتوب الشمال انضموا الى ابناء عمومتهم من عتوب الجنوب فى قتال الشيخ نصر ، شيخ بوشهر ، فى العقد الثامن من القرن الثامن عشر ، وفى فتح البحرين فى عام ١٧٨٢ . أما المثل الثانى ، فهو أن آل خليفة فى البحرين والزبارة ، كانوا يرسلون تجارتهم المتجهة الى حلب عن طريق الكويت لا البصرة .

هذا ، وهناك فى الوثائق التاريخية المنشورة فى السفر الثانى من هذا الكتاب ما يفيد بأن دويلات العتوب كانت عند نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر تكون وحدة سياسية يرأسها الشيخ عبد الله آل صباح . وربما أمكننا تفسير هذه الظاهرة ، بما درج عليه العرب من تولية أمورهم الى اعقلهم واكبرهم سنا . وهكذا فان عبد الله آل صباح ، أكبر حكام العتوب سنا ، كان رئيسهم ، وامتدت سلطته ، حسب رواية مالكولم ، على جميع ارجاء دويلات العتوب فى الشمال والجنـــوب .

الشئون الخارجية

أما فيما يتعلق بعلاقات العتوب بالقوى الاخرى التى كان لهـــا مصالح فى شرقى الجزيرة العربية ، فيبدو واضحا ان العتوب قد بذلوا قصارى جهدهم فى المحافظة على ابقاء علاقاتهم وديـــة معهم جميعا . ويتضح من بحثنا الحقائق التاريخية المتعلقة بتلك القوى فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر انه اولا لم يكن هنالك اى حاكم عثمانى فى شرقى جزيرة العرب ، والواقع ان الحكم والنفوذ العثمانيين كانا بعيدين عن شرقى الجزيرة . امـــا محاولات

العثمانيين لاسترداد نفوذهم المفقود فى الاحساء فى عام ١٧٨٦ عن طريق حملة ثوينى ، وعام ١٧٩٨ عن طريق حملة على باشا ضد الوهابيين ، فقد باءت جميعها بالفشل • ولم يقوموا بأية محاولة مماثلة الا عــام ١٨١١ ، ولم يصل نفوذهم شرقى الجزيرة قبل عام ١٨١٨ • أمــا فى الكويت ، وهى اقرب منطقة مــن ممتلكات العتوب لمتسلمية البصرة العثمانية،فان شيخها لم يخضع بأية صورة من الصور للسلطات العثمانية• أما هدف السياسة الخارجية العتبية الاول ، فكان يقوم على اساس المحافظة على الصداقة مع جميع القوى العاملة فى الخليج العربى ، وعلى تجنب اية اصطدامات مباشرة معها •

وهكذا ، على الرغم من ان عتوب الكويت قد بدوا يقفون الى جانب باشا بغداد فى المراحل الاولى من حصار الفرس للبصرة فى سنة ١٧٧٥ ، فان سياستهم قد عكست تماما عندما اصبح احتلال الفرس للبصرة قاب قوسين او ادنى ، فأرسلوا عونا للجيش الفارسى المحاصر للمدينة من قبيل التدبير السياسى ليس الا • وعلى الرغم من هذا فان النفوذ الفارسى ، الذى كان يمثله الشيوخ العرب النازلون على الشاطىء الشرقى من الخليج ، لم يجد سبيله الى شرقى جزيرة العرب فى الفترة التى درسناها • والحقيقة الماثلة للعيان ، هى ان العتوب قد استأصلوا النفوذ الفارسى من أقرب مركز للساحل الغربى من الخليج ، وذلك باحتلالهم البحرين • ولما لم تكن الكويت تابعة للبصرة ، فان احتلال الفرس لهذه المدينة (١٧٧٥ ــ ١٧٧٩) لم يؤثر فى الكويت ، الا من حيث زيادة الاطراد فى نموها •

ولقد قامت علاقات ودية بين العتوب وأمتين اوروبيتين فى هذه الفترة ، وهما الانجليز والهولنديون • اما العلاقات مع الهولنديين ، فقد جاءت نتيجة لاقامتهم فى جزيرة خارج الواقعة فى الركن الشمالى الشرقى من الخليج العربى ، فى مواجهة الكويت تقريبا • وأما علاقات الانجليز

بالكويت فكانت أوثق وأقوى • وان تاريخ هذه العلاقات يمكن تتبعه فى الوثائق من عام ١٧٧٥،أى يوم ان كان الفرس يحاصرون البصرة • وان اعتراض سبيل المبعوثين الفرنسيين ، وكذلك المراسلات الفرنسية فى الخليج العربى ، واقدم مثل عليها هو حادثة الكابتن بوريل دى بورج فى سنة ١٧٧٨ ، واختيار الكويت فى سنة ١٧٩٣ كمكان تقيم فيه الوكالة الانجليزية بديلا عن البصرة مدى سنتين ونصف تقريبا ، ان هذا يبين طبيعة العلاقات الودية القائمة بين شيخ الكويت والانجليز • وان العون الذى قدمته الوكالة الانجليزية أثناء اقامتها بالكويت لردع الوهابيين عن المدينة لدليل آخر على قيام تلك العلاقات الوطيدة والودية •

اما سلوك العتوب العدائى تجاه الوهابيين فقد أملاه ولاؤهم لمن أحسن اليهم وهم بنو خالد، الذين كانوا ألد اعداء الوهابيين • وهكذا فانه كان بمقدور العتوب ان يتجنبوا الخضوع لسلطان الوهابيين طالما كان بمقدور بنى خالد ان يقفوا فى وجه هؤلاء • وعلى هذا فانه لما قضى الوهابيون على بني خالد نهائيا عام ١٧٩٥ ، اخذ خطر الوهابيين يهدد استقلال العتوب حتى خضع عتوب البحرين وقطر للحكم الوهابى منذ مطلع القرن التاسع عشر وحتى دمار الدرعية سنة ١٨١٨ •

الاحوال التجارية

ولقد كان العتوب أنجح ما يكونون فى ميدان التجارة • فلقد استفادوا من موقع دويلاتهم الجغرافى اثراء انفسهم عن طريق التجارة برا وبحرا • ان بحثنا قد أظهر بكل وضوح ولاول مرة ان ساحل شرقى الجزيرة العربية قد ساهم فى التجارتين الهندية والاوروبية • اما حكم بنى خالد فقد كان خير مشجع للتجارة ، غير ان العتوب قد فاقوا بنى خالد بحيث اصبحوا هم أنفسهم تجار شرقى الجزيرة العربية• فأسطولهم البحرى كان أقوى الأساطيل فى مياه الخليج وفى مدة تقل عن ست

عشرة سنة ، بعد تأسيسهم لمدينة الزبارة فى سنة ١٧٦٦ ، تحدوا جميع القوى البحرية فى الخليج • وعلى هذا لم يكن بمقدور سفن بوشهر او بندر ريق او بنى كعب ان تنافسهم ، وكان ترتيب اسطولهم من حيث الاهمية بالنسبة للاساطيل العاملة فى الخليج العربى يأتى فى المرتبة الثانية بعد اسطول مسقط • هذا وقد قامت سفنهم التجارية الكبيرة برحلات دون توقف فى الطريق من الخليج العربى الى الهند •

والعتوب كذلك لم يشهدوا اى خطر عظيم على تجارتهم من الدول الاوروبية المتاجرة مع الهند ، خلال النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، بل وحتى مطلع التاسع عشر • والعكس هـو الصحيح اذ ان التجار العرب كانوا يحتكرون النقل البحرى فى الخليج آنذاك • ولولا هذا ، ثم لولا انتظام القوافل عابرة الصحراء المارة بأراضى العتوب ، فانه يكون من العسير على العتوب ان يبلغوا ما بلغوه من نجاح تجارى ، ولا نبالغ اذا قلنا انه لولا ذلك ايضا ، لما ازدهرت الكويت والزبارة ، لانهما بنيتا فى ارض صحراوية جرداء • ولقد استغل العتوب هذين الشريانين التجاريين اللذين كانت تسير فيهما التجارة بين آسيا وأوروبا احسن استغلال من ناحية ، ومن ناحية اخرى استغل العتوب ايضا التجارة الداخلية لشبه الجزيرة العربية •

اما احتلال البحرين فى سنة ١٧٨٢ فقد كان عظيم الاهمية بالنسبة لتجارة العتوب لانه وضع فى ايديهم اغنى المناطق المنتجة للؤلؤ فى الخليج وكذلك ملكهم مركزا من مراكز النشاط التجارى الهام فيه • اما مقدرة العتوب فى هذا الباب فقد تجلت فى معرفتهم كيفية الاستفادة من هذه الجزيرة التى احتلوها حديثا •

لقد أظهرت دراستنا للنشاط التجارى عند العتوب بكل وضوح ان كميات التجارة المنقولة على السفن العربية التابعة لمسقط ولموانىء العتوب ، كانت تبلغ فى قدرها ما تحمله السفن الاوروبية بل ربما زادت

على ذلك • وعلى الرغم من أننا لا نعلم بالضبط كمية تلك التجارة ، الا اننا نستطيع ان نحكم عليها من تقرير السيدين مانيستي وجونز • ان ذلك التقرير لا يدع مجالا للشك فى انها كانت ضخمة • ولقد احتكرت السفن العربية التى كان اسطول الكويت أكبرها ، تجارة الخليج العربى معظم الخمسين سنة الاخيرة من القرن الثامن عشر •

وأخيرا فانه قد اتضح لدينا أن النصف الثانى من القرن الثامن عشر كان هو الزمن الذى تأسس فيه حكم الاسرتين الحاكمتين فى البحرين والكويت وهما آل خليفة وآل صباح• وقد حفظ الحكم لهاتين الاسرتين حكمة ومثابرة الشيخ عبد الله آل صباح ثانى حكام الكويت والشيخ احمد آل خليفة حاكم الزبارة والبحرين ، ثم ابنه سليمان من بعده •

كان موقف هذين الحاكمين وأتباعهما لا يقهر فى البحر اما فى البر فكان الوضع مختلفا جدا • ولقد كانا يعلمان حق العلم ان مقاومتهما للوهابيين لن تطول بعد انهزام بنى خالد أمام الوهابيين وقد برهنت الحوادث صحة هذا القول بالنسبة لعتوب قطر والبحرين دون عتوب الكويت ، غير ان تقلص الحكم الوهابى بعد عام ١٨١٨ عن شرقى الجزيرة ، أعاد لعتوب البحرين استقلالهم من جديد •

ملحَقات

ملحق رقم (١)

الحكام من آل صباح في القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر

صباح بن جابر

حكم الكويت من حوالي عام ١٧٥٢ حتى حوالي ١٧٦٢ واليه تنسب أسرة آل صباح

|

عبد اللـه

(شيخ الكويت من حوالي عام ١٧٦٢ حتى عام ١٨١٥)

|

جابـــر

(١٨١٥ ــ ١٨٥٩)

ملحق رقم (٢)

آل خليفة ، حكام الزبارة والبحرين فى القرن الثامن عشر ومطلع التاسع عشر

فيصـــل

(من عنزة هاجر من القصيم ونزل بالكويت سنة ١٧١٦)

خليفـة

محمد

خليفة

(هاجر مع والده محمد مــن الكويت الى الزبارة عام ١٧٦٦)

مات حاجا بمكة حوالى ١٧٨٢

احمد

(فاتح البحرين عــام ١٧٨٢ / ١٧٨٣ ، تـوفى عــام ١٧٩٦)

عبد الله

سلمان

شيخ البحرين مــن ١٧٩٦ ـ ١٨٢٥ ، شاركه فى الحكم اخوه عبد اللــه فى أواخر أيامــه .

ملحق رقم (٣)

آل سعود

مقــرن

|

محمد

|

سعود

(اليه ينتسب آل سعود)

|

محمد

(امير جنوب نجد حتى وفاته عام ١٧٦٥)

|

عبد العزيز

(١٧٦٥ – ١٨٠٣)

(اغتيل فى الدرعية ، تزوج ابنة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)

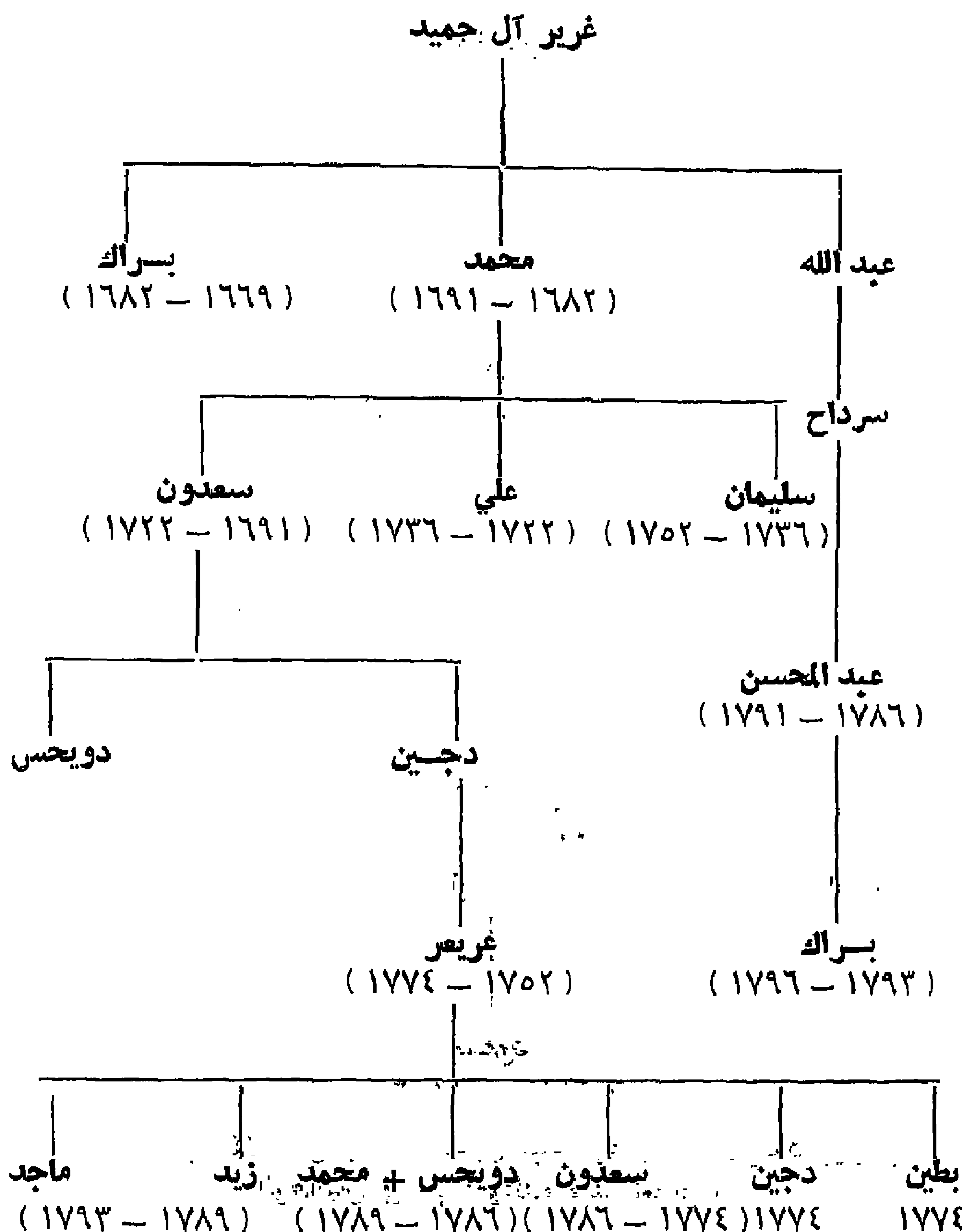
|

سعود

(١٨٠٣ – ١٨١٥)

(ولد عام ١٧٤٦ من ابنة محمد بن عبد الوهاب ، كان يقود جيوش الوهابيين فى حياة والده عبد العزيز)

ملحق رقم (٤)
حكام بني خالد في القرن السابع عشر والثامن عشر



المصادر

أولا ــ المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة :

■ **ابن بشر ، عثمان بن عبد الله**

كتاب عنوان المجد فى تاريخ نجد (مكة ١٣٤٩ هـ/١٩٣٠ م) وكذلك (مخطوطة المتحف البريطاني Or 7710) .

■ **ابن دريد : ابو بكر محمد بن الحسن**

كتاب الاشتقاق (القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) .

■ **ابن رزيق ، حميد بن محمد**

١ ــ الفتح المبين المبرهن سيرة السادات البوسعيديين (مخطوطة جامعة كمبردج رقم Add. 2892) .

٢ ــ السيرة الجلية المسماة سعد السعود البوسعيدية (مخطوطة جامعة كمبردج رقم Add. 2893) .

٣ ــ صحيفة القحطانية (مخطوطة جامعة اكسفورد ، رقم Afr. 5. 3) .

٤ ــ صحيفة العدنانية (مخطوطة المتحف البريطاني رقم Or. 6569) .

■ **ابن سند ، عثمان بن سند البصرى**

١ ــ مطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود (مخطوطة برلين ، رقم Ber. Gu. 1338) وهذه المخطوطة محفوظة الان بجامعة توبنجن بالمانيا .

٢ ــ سبائك العسجد فى أخبار أحمد نجل رزق الأسعد (بومباى ١٣١٥م/١٨٩٧م) ومنها نسخة خطية بالمتحف البريطاني (Or. 7565)

■ **ابن غنام ، حسين بن غنام الاحسائي**

١ ــ كتاب روضة الافكار والافهام لمرتاد حال الامام وتعداد غزوات ذوى الاسلام .

٢ ــ كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية وذكر السبب الذى حمل على ذلك (بومباى ١٩١٩) .

■ **ابن منظور ، جمال الدين**

لسان العرب ج ١ (بيروت ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) .

■ **الآلوسي ، محمود شكرى**

تاريخ نجد (القاهرة ١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) .

■ **البسام ، الشيخ محمد**

الدرر المفاخر فى أخبار العرب الأواخر (مخطوطة المتحف البريطاني Add. 7385

■ **حتي ، فيليب**

تاريخ العرب مطول ــ الجزء الأول (بيروت ١٩٦١) .

■ **الحلواني ، أمين بن حسن الحلواني المدني**

مختصر تاريخ الشيخ عثمان بن سند البصرى المسمى بمطالع السعود بطيب أخبار الوالي داود (بومباى ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م) .

■ **حمزة ، فؤاد**

قلب جزيرة العرب (القاهرة ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م) .

■ **الحيدرى ، ابراهيم فصيح بن صبغة الله بن محمد أسعد الحيدرى الصفوى البغدادى**

عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد (مخطوطة المتحف البريطاني Or. 7567) وكذلك (طبعة بغداد ١٩٦٢) .

■ **الدجيلي ، كاظم**

« الشيخ عثمان بن سند البصرى » فى مجلة لغة العرب ، مجلد ٣ (بغداد ١٣٣١هـ/١٩١٢م) .

■ **الديراني ، ابراهيم افندى خليل الديراني اللبناني**

كتاب مصباح السارى ونزهة القارىء ، طبعة أولى (بيروت ١٢٧٢ هـ

■ **الرشيد ، عبد العزيز**

تاريخ الكويت فى جزءين (بغداد ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م) .

■ **الريحاني ، أمين**

١ ــ ملوك العرب ، فى مجلدين (بيروت ١٩٢٤ ــ ١٩٢٥) .

٢ ــ تاريخ نجد الحديث وملحقاته (بيروت ١٩٢٨)

■ **زيدان ، جرجي**

العرب قبل الاسلام (القاهرة بدون تاريخ) ــ طبعة جديدة راجعها وعلق عليها حسين مؤنس .

■ **السالمي ، نور الدين عبد الله بن حميد**

١ ــ تحفة الاعيان بسيرة أهل عمان ، فى مجلدين :

المجلد الاول ، الطبعة الثانية (١٣٥٠هـ/١٩٣١م) .

المجلد الثاني ، الطبعة الاولى ، القاهرة (١٣٤٧هـ/١٩٢٨م) .

■ **الشملان ، سيف مرزوق**

من تاريخ الكويت (القاهرة ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) .

■ **العزاوى ، عباس**

١ ــ تاريخ العراق بين إحتلالين ، ج٦ ، (بغداد ١٣٧٣هـ/١٩٥٤م) .

٢ ــ عشائر العراق ، ج ١ (بغداد ١٣٦٥هـ/١٩٤٧م) .
، ج ٢ (بغداد ١٣٦٦هـ/١٩٤٨م) .

■ **العمرى ، ياسين بن خير الله الخطيب العمرى**

كتاب الدر المكنون فى مآثر الماضية من القرون (مخطوطة المتحف البريطاني Add. 23312, 23313)

■ **غنيم ، يعقوب يوسف**

كاظمة فى الادب والتاريخ (القاهرة ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م)

■ **فخرى ، أحمد**

دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم (القاهرة ١٩٦٤) .

■ **القناعي ، الشيخ يوسف بن عيسى**

صفحات من تاريخ الكويت ــ الطبعة الثانية (دمشق ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م) .

■ **كحالة ، عمر رضا**

معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، ٣ أجزاء (دمشق ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) .

■ **الكرملى ، انستاس مارى**

مقالة « الكويت » فى مجلة المشرق البيروتية ، العدد العاشر سنة ١٩٠٤ بيروت .

■ **الكويت اليوم (الجريدة الرسمية لحكومة الكويت)**

العدد ٢١٨ السنة الخامسة ٢٠ رمضان ١٣٧٨/٢٩ مارس آذار ١٩٥٩ .

■ **لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب**

(مخطوطة المتحف البريطاني Add. 23, 346)

■ **النبهاني ، محمد بن خليفة**

التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية فى اثنى عشر جزءا .

١ ــ تاريخ البحرين ، (القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) .

ج ٩ ــ تاريخ البصرة ، (القاهرة ١٣٤٢هـ/١٩٢٣م) .

ج ١٠ ــ تاريخ المنتفق ، (القاهرة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) .

ج ١٢ ــ تاريخ الكويت ، (القاهرة ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) .

■ **وزارة التربية والتعليم (الكويت)**

تقرير شامل عن الحفريات الأثرية فى جزيرة فيلكا (١٩٥٨ ــ ١٩٦٣ (مطبعة حكومة الكويت ، غير مؤرخ) .

■ **وهبه ، حافظ**

جزيرة العرب فى القرن العشرين (القاهرة ١٩٣٥) .

ثانيا ـ المصادر الاجنبية المخطوطة والمطبوعة بما في ذلك وثائق شركة الهند الشرقية الانجليزية

An Account of the Monies, Weights, and Measures in General Use in Persia, Arabia, East India and China. (London, 1789)

Admiralty War Office, Intelligence Division, A Handbook of Arabia,
Vol. I, (London, May 1916).
1ol. II, (London, May 1917)

'Aqqad, Salah al-,
Le Premier etat Sa'udite (1744-1818), Essai sur son histoire Politique et Religieuse. These pour Le Doctorat d'Etat, Universite de Paris, Faculte de Lettres, 1956.

Ashkenazi, T.,
" The Anazah Tribes ", Southwestern Journal of Anthropology, New Mexico, 1948, 222-39.

Badger, G. P.
History of the Imams and Seyyids of 'Oman, by Salil ibn Razik, from A.D. 661-1856, translated from the original Arabic and edited with notes, appendices and introduction containing the history down to 1870 by George Percy Badger, F.R.G.S., Hakluyt Society, No. 43, (London, 1871).

Batrik, Abdel Hamid, M, El-,
Turkish and Egyptian Rule in Arabia, (1810-1841), Ph.D. Thesis, London University, 1947.

Berve and Gruben,
Greek Temples, (London, 1963)

Breasted, J. H.
Ancient Times, (New York, 1944).

Brockelmann, Carl,
1. Geschichte der Arabischen Litteratur,
Erster Band, (Leiden, 1943).
Zweiter Band, (Leiden, 1944).

2. Geschichte der Arabischen Litteratur,
Erster Supplementband, (Leiden, 1937).
Zweiter Supplementband, (Leiden, 1938).
Dritter Supplementband, (Leiden, 1942)

Brydges, Harford Jones,

An Account of the Transactions of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the Years 1810-1811, to which is appended a brief History of the Wahauby, Two Vols. (London, 1834).

Buckingham, J. S.,

Travels in Assyria, Media, and Persia, including a journey from Bagdad by Mount Zagros, to Hamadan, the Ancient Ecbatana, researches in Ispahan and the Ruins of Persepolis, and journey from thence by Shiraz, Bushire, Bahrein, Ormuz, and Muscat. Narrative of an Expedition against the Pirates of the Persian Gulf, with Illustrations of the Voyage of Nearchus, and Passage by the Arabian Sea to Bombay, (London, 1829).

Burckhardt, John Lewis,

1. Notes on the Bedouins and Wahabys, (London, 1830).
2. Travels in Syria and the Holy Land, (London, 1822).
3. Travels in Nubia etc., 2nd edit., (London, 1822).

Capper, James,

Observations on the Passage to India, through Egypt and across the Great Desert ; with occasional Remarks on the Adjacent Countries, and also sketches of the different Routes, (London, 1784).

Carmichael, J.,

" A Narrative of a Journey from Aleppo to Basra in 1751" published in Carruthers' The Desert Route to India etc., Hakluyt Society, Second Series No. LXIII, (London, 1929).

Carruthers, Douglas,

The Desert Route to India, being the journal of Four Travellers by the Great Desert Caravan Route betwee Aleppo and Basra, 1745-1751, (London, 1929).

Corancez, L.A.,

Histoire des Wahabis depuis Leur origine jusqu'a la fin de 1809, (Paris, 1810).

Curzon, G. N.,

Persia and the Persian Question, Two vols., (London, 1938).

Danvers, F. C.,

Report on the India Office Records Relating to Persia and the Persian Gulf, (London).

Dickson, H. R. P.,

1. The Arab of the Desert, a Glimpse into Badawin Life in Kuwait and Sa'udi Arabia, (London, 1949).
2. Kuwait and her Neighbours, (London, 1956).

Encyclopaedia Brit., (1959 edition).

Encyclopaedia of Islam, 1st and 2nd Editions.

Faroughy, Abbas,

The Bahrain Islands, (New York, 1951).

Furber, Holden,

1. John Company at Work, a Study of European Expansion in India in the late eighteenth century, (Cambridge, U.S.A., Harvard Univ. Press, 1948).
2. "The Overland Route to India in the Seventeenth and Eighteenth Centuries ", Journal of Indian History, Vol. XXIX, Part II, August 1951, pp. 106-133.

Griffiths, J.,

Travels in Europe, Asia Minor and Arabia, (London, 1805).

Hoskins, H. L.,

1. " The Overland Route to India ", in History, the Quartrlye Journal of the Historical Society, IX, April 1924 — January 1925, 302-318.
2. British Routes to India, (New York 1928).

India Office Records

Factory Records.

Persia and the Persian Gulf.

Vol. 14 (1703-1727),

Vol. 15 (1729-1752),

Vol. 16 (1753-1773),

Vol. 17 (1774-1783),

Vol. 18 (1784-1792),

Vol. 19 (1792-1799),

Vol. 20 (1798-1801),

Vol. 21 (Misc. 1764-1799),

Vol. 23 (1798-1801),

Irwin, Eyles,

A series of Adventures in the course of a Voyage up the Red Sea, on the Coast of Arabia and Egypt ; And of a Route through the Desert of Thebais, in the Year 1777, With a Supplement of a Voyage from Venice to Latichea ; and of a Route through the Deserts of Arabia, by Aleppo, Bagdad, and the Tygris, to Busrah, in the Years 1780 and 1781. Two Vols. (London, 1787).

Ives, Edward

A Voyage from England to India, in the Year 1753, and an Historical Narrative of the Operations of the Squadron and Army in India, under the Command of Vice-Admiral Watson, and Colonel Clive, in the years 1755, 1756, 1757 ; including a correspondence between the Admiral and the Nabob Serajah Dowlah. Interspersed with some interesting Passages relating to the Manners, Customs & c. of several Nations in Indostan. Also, a Journey from Persia to England, by an unusual Route with an Appendix, containing an Account of Diseases prevalent in Admiral Watson's Squadron. A Description of Most of the Trees, Shrubs and Plants, of India, with their real, or supposed medical Virtues ; Also a copy of a Letter written by a late ingenious Physician, on the Disorders incidental to Europeans at Gombroon in the Gulph of Persia, (London, 1773).

Jenour, Captain Matthew,

The Route to India through France, Germany, Hungary, Turkey, Natolia, Syria, and the Desert of Arabia, delineated in a clear concise Manner, with Distances, Time, Mode and Expence of Travelling, (London, 1791).

Kelly, J. B.,

1. "The Persian Claim to Bahrain" in International Affairs, Vol. 33, No. 1, (London, 1957).

2. British Policy in the Persian Gulf (1813-1843) Thesis for Ph.D., London University, 1956.

3. Eastern Arabian Frontiers, (London, 1964).

Lockhart, L.,

Nadir Shah, a critical Study Based Mainly upon Contemporary Sources, (London 1938).

Lullies, R.,

Greek Sculpture, (London, 1960).

Malcolm, John,

The History of Persia from the most Early Period to the Present Time. Two Vols. 1st edition. (London, 1815).

Mansur, Shaikh (Vincenzo Maurizi)

History of Seyd Said, Sultan of Muscat together with an account of the Countries and People on the Shores of the Persian Gulf particularly of the Wahabees. (London, 1819).

Miles, Colonel S. B.,

The Countries and Tribes of the Persian Gulf. Two Vols. (London 1919).

Murray, H.,

Historical Account of Discoveries and Travels in Asia from the Earliest Ages to the Present Time. Vol. III, (Edinburgh, 1820).

Musil, Alois,

1. Northern Negd, A Topographical Itinerary (New York, 1928).
2. The Manners and Customs of the Rwala Bedouins, (New York, 1928)..
3. The Northern Hegaz, (New York, 1926).
4. Palmyrena, A Topographical Itinerary, (New York, 1928).
5. Arabia Dessrta, A Topographical Itinerary, (New York, 1927).
6. The Middle Euphrates, A Topographical Itinerary, (New York, 1927).

Niebuhr, B. G.,

The Life of Carsten Niebuhr, the Oriental traveller, with an appendix by J. D. Michaelis. Translated from the German by Professor Robinson. (Edinburgh, 1836).

Niebuhr, Carsten,

1. Description de l'Arabie, faite sur des observations propres et des avis recueillis dans les Lieux memes, (Amsterdam, 1774).
2. Voyage en Arabie en d'autres Pays circonveisins, (Amsterdam, Tome Premier 1776, Tome Deuxieme, 1780).
3. Travels in Arabia, and other countries in the East, translated into English by Robert Hersan. (Two Vols., Edinburgh, 1792).

Noshy, Ibrahim,

The Arts in Ptolemaic Egypt, (London, 1937).

Olivier, G. A.,

Voyage dans l'Empire Ottoman et la Perse, 3 Vols., (Paris, 1801).

Oppenheim, M. F. von,

Die Beduinen unter mitbearbeitung von Erich Braunlich and Werner Caskel,

Band 1, (Leipzig, 1939).
Band II, (Leipzig, 1943).
Band III, (Wiesbaden, 1952).

Oppenheim, M. F. Von,

Vom Mittelmeer zum Persischen Golf, Durch den Hauran dia Syrische Wuste and Mesopotmien

Erster Band, (Berlin, 1899).
Zweiter Band, (Berlin, 1900).

Parsons, Abraham,

Travels in Asia and Africa including a Journey from Scanderoon to Aleppo, and over the Desert to Bagdad and Bussora ; A Voyage from Bussora to Bombay, and along the Western coast of India ; A Voyage from Bombay to Mocha and Suez in the Red Sea ; and a Journey from Suez to Cairo and Rosetta, in Egypt. (London 1808).

Philby, H. St. John,

1. Arabia, (New York, 1930).
2. Arabian Jubilee, (London, 1952).
3. Sa'udi Arabia, (London, 1955).

Plaisted, Bartholomew,

" Narrative of a Journey from Basra to Aleppo in 1750," published in Carruthers' The Desert Route to India etc., Hakluyt Society, (London, 1929).

Rousseau, J. B. L. J.,

Description du Pachalik de Bagdad suivie d'ume notice historique sur les Wahabis et de quelques autres piece relatives a la litterature de L'orient, (Paris, 1809).

Rentz, G. S.,

Muhammad ibn 'Abd al-Wahhab (1703/4—1792) and the Beginnings of Unitarian Empire in Arabia. Dissertation submitted for the degree of Ph. D. in History, (California University 1948), Microfilm copy.

Sadlier, Captain G. Foster,

Diary of a Journey across Arabia from el Khatif in the Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, during the year 1819. (Bombay, 1866).

Saldanha, J. A.,

Selections from State Papers, Bombay regarding the East India Company's Connection with the Persian Gulf, with a summary of Events, 1600-1800. (Calcutta, 1908).

Seetzen, Dr.

„ Letters to Baron von Zach " in Monatliche Correspondentz, XI and XII, July-December, 1805, pp. 234-241.

Stocqueler, J. H.,

Fifteen Months Pilgrimage through untrodden tracts of Khuzistan and Persia in a journey from India to England through parts of Turkish Arabia, Persia, Armenia, Russia, and Germany, performed in the years 1831 and 1832. Two Vols. (London, 1832).

Sykes, P.,

A History of Persia, 2 Vols. (London, 1921).

Taylor, John,

Considerations on the Practicability and Advantages of a more speedy Communication between Great Britain and her Possessions in India ; with the Outline of a Plan for the more ready Conveyance of Intelligence overland by the Way of Suez ; and an Appendix, containing Instructions for Travellers to India, by different Routes, in Europe, as well as Asia (London, 1795).

Waring, Edward Scott,

A Tour to Sheeraz by the route of Karoon & Feerozabad with various remarks on the Manners, Customs, Laws, Language, and Literature of the Persians, to which is added a History of Persia from the Death of Kareem Khan to the Subversion of the Zund Dynasty, (Bombay, 1804).

Wellsted, J. R.,

1. Travels in Arabia, 2 Vols. (London, 1838).
2. Travels to the City of the Caliphs along the Shores of the Persian Gulf and the Mediterranean, including a Voyage to the Coast of Arabia, and a Tour on the Island of Socotra. 2 Vols. (London, 1840).

Wilson, A. T.,

The Persian Gulf, (Oxford, 1954).

Wilson, H. H.

A Glossary of Judicial and Revenue Terms and of Useful words occuring in Official Documents Relating to the Administration of the Government of the British India from Arabian, Persian...... and other Languages. (London, 1855).

Winder, R. B.,

A History of the Sa'udi State from 1233/1818-1308/1891. Ph. D. Thesis, Princeton University, 1950. Published in London, 1965 under : Saudi Arabia in the Nineteenth Century.

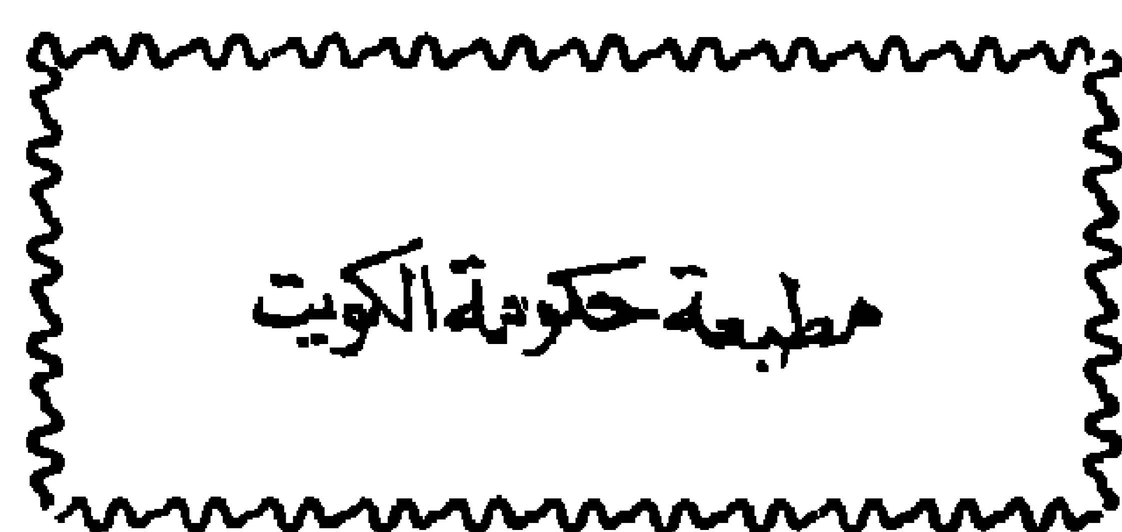
محتويات الكتاب

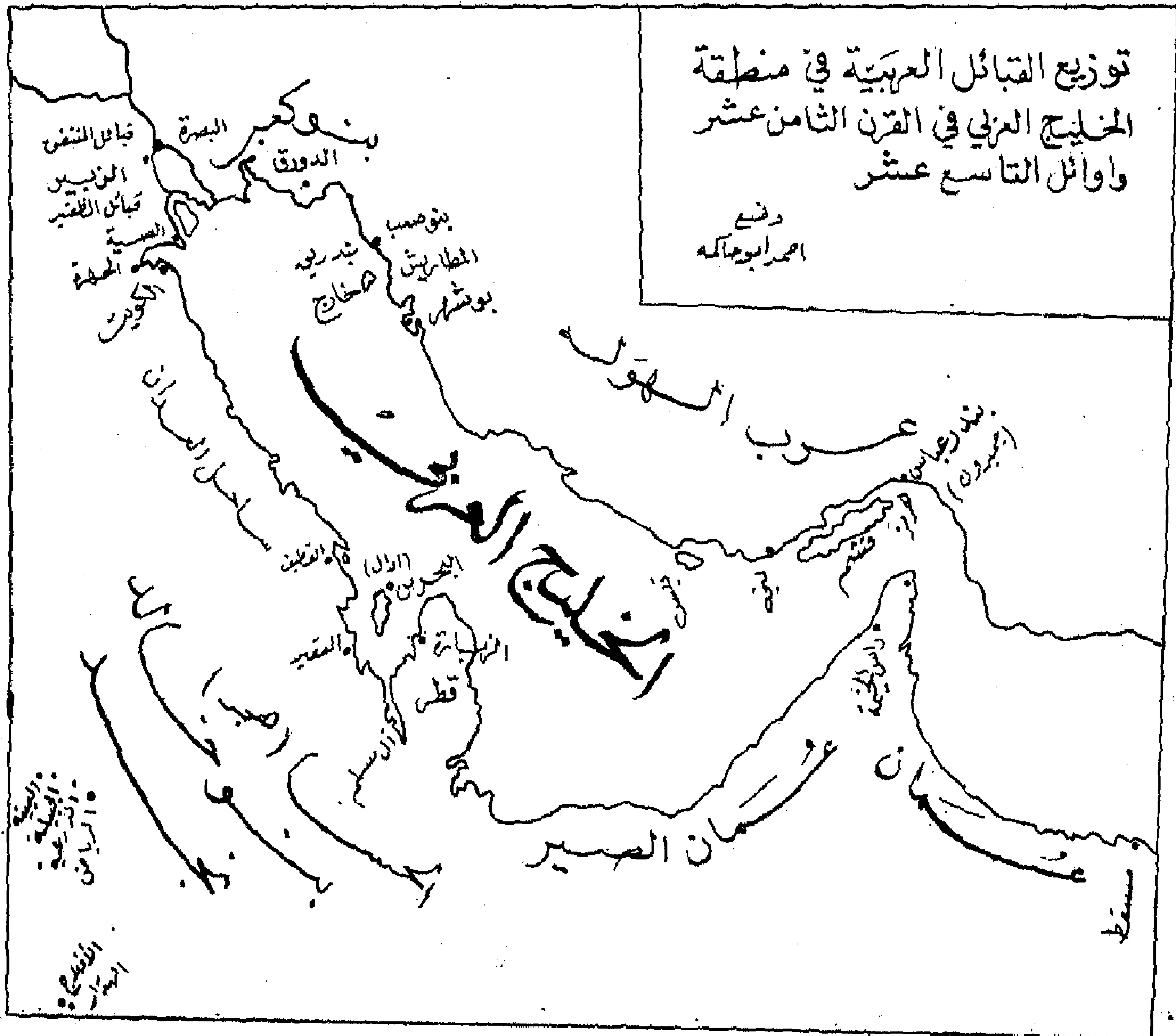
فهرست الاعلام والاماكن والقبائل

– ك –

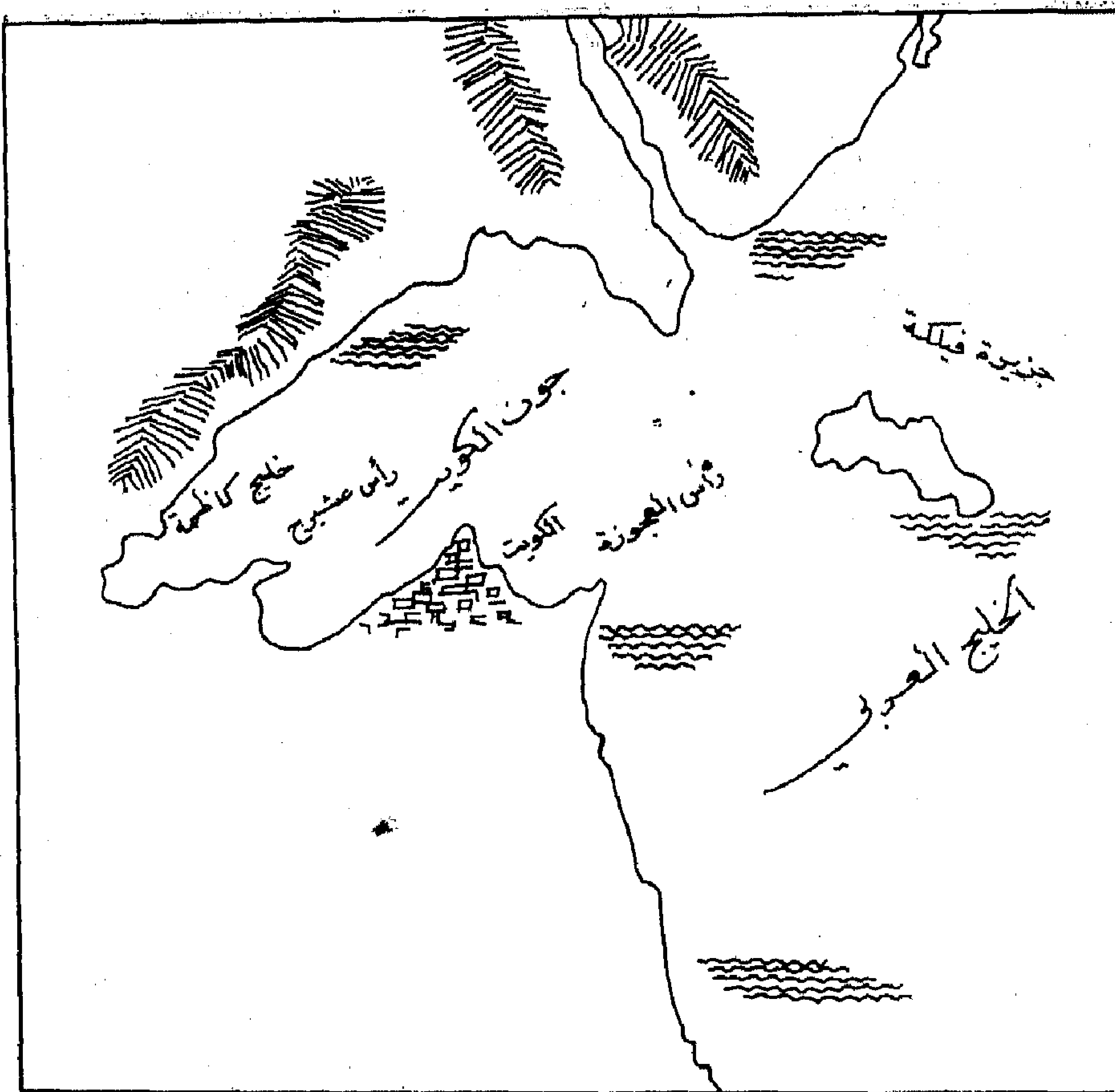
– ل –

– م –

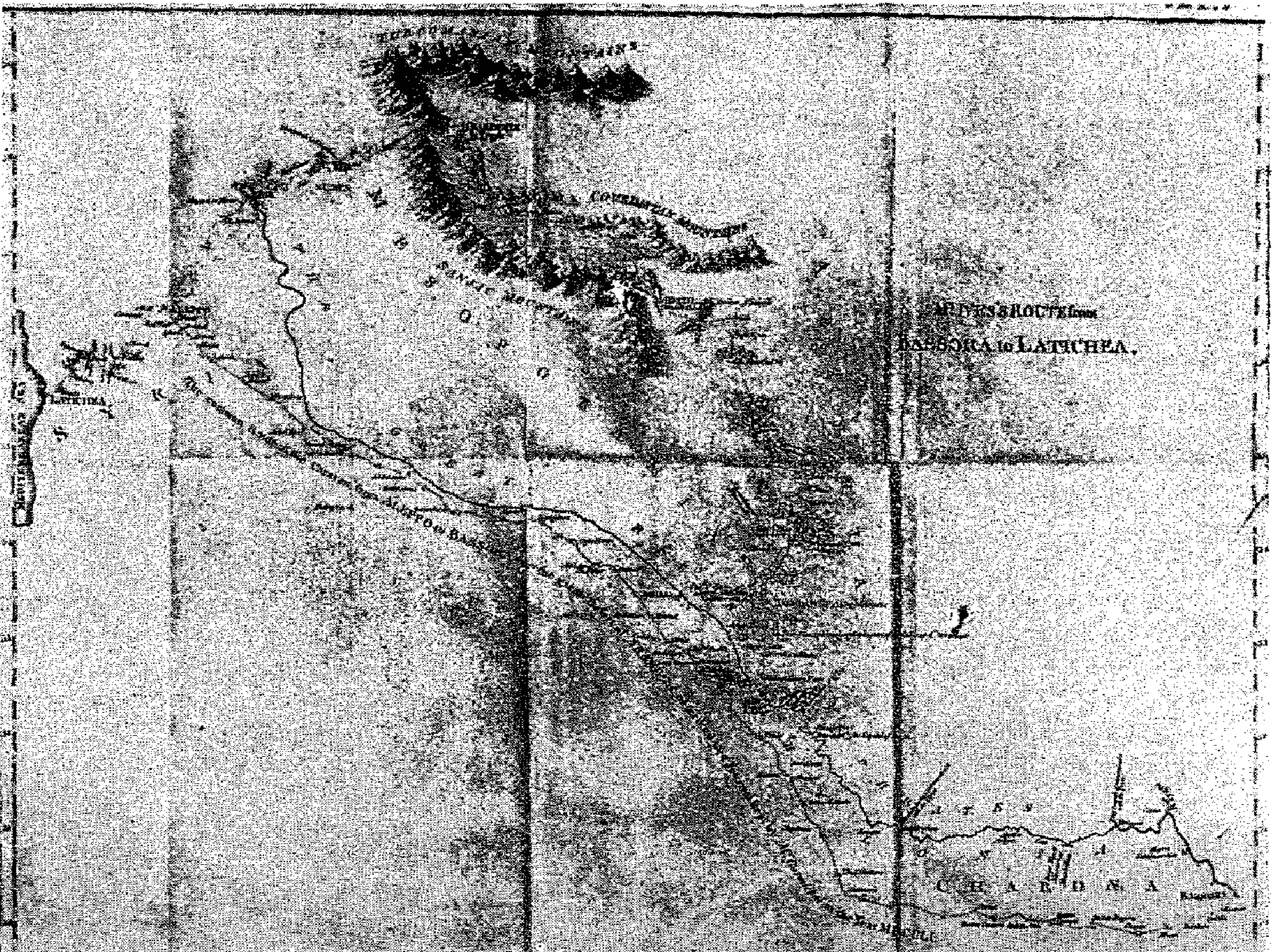

مطبعة حكومة الكويت

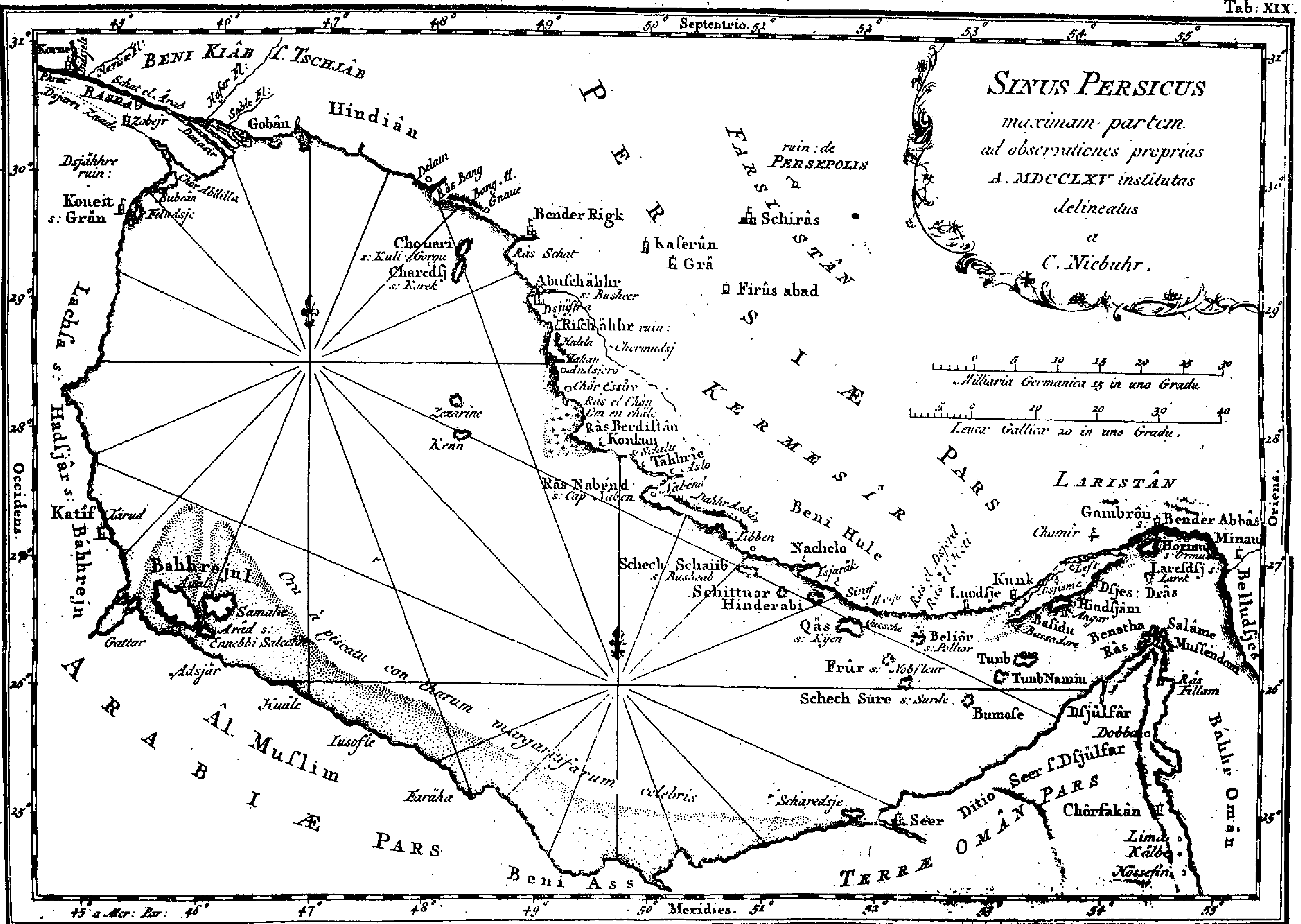


توزيع القبائل العربية في منطقة
الخليج العربي في القرن الثامن عشر
واوائل التاسع عشر
وضع
احمد ابو حاكمه
بنو كعب
البصرة
الدورق
قبائل المنتفق
الزبير
قبائل الظفير
الصبية
الجهرة
الكويت
المطاريش
بندريق
خارج
بوشهر
الخليج العربي
عرب الهولة
بندرعباس
(جمبرون)
قشم
القطيف
البحرين
العقير
الزبارة
قطر
عمان الصير
مسقط


جزيرة فيلكة
جون الكويت
خليج كاظمة
رأس عشيرج
الكويت
رأس العجوزة
الخليج العربي

جون الكويت


ROUTE from
BASSORA to LATICHEA.


SINUS PERSICUS
maximam partem
ad observationes proprias
A. MDCCLXV institutas
delineatus
a
C. Niebuhr.
Milliaria Germanica 15 in uno Gradu
Leucæ Galliæ 20 in uno Gradu.
Septentrio.
Meridies.
Occidens.
Oriens.
a Mer: Par:
PERSIÆ PARS
FARSISTÂN
KERMESIR
LARISTÂN
ARABIÆ PARS
Âl Muslim
TERRÆ OMÂN PARS
Beni Klâb
Tschiâb
Basra
Korne
Hindian
Goban
Zobejr
Kouëit s: Grän
Bender Rigk
Râs Schat
Abuschähhr s: Busheer
Rischähhr ruin:
Choueri s: Kuli Gorgu
Charedsj s: Karek
ruin: de PERSEPOLIS
Schirâs
Kaserûn
Grä
Firûs abad
Zezarine
Kenn
Râs Berdistân
Konkun
Tâhhrie
Râs Nabénd s: Cap Naben
Lachsa s: Hadsjar s:
Katif
Bahhrejn
Bahhrejn I.
Samahe
Arâd
Gattar
Adsjar
Kuâle
Iusofie
Farâha
Beni Ass
Ora piscatu con Charum margaritiferum celebris
Beni Hule
Nachelo
Schech Schaib s: Busheab
Schittuar
Hinderabi
Qäs s: Kyen
Frûr s: Nobfleur
Schech Sûre s: Surde
Beliôr s: Pollior
Tunb
Tunb Namin
Bumose
Kunk
Lundsje
Gambrôn
Bender Abbâs
Minau
Hormus s: Ormus
Larekdsj s: Larek
Dsjes: Drâs
Hindsjam
Basidu
Benatha
Râs
Salâme
Mussendom
Râs Fillam
Dsjülfâr
Dobba
Seer s. Dsjülfar Ditio
Seer
Scharedsje
Chôrfakan
Lima
Kâlbe
Hössefin
Bellûdsjes
Bâhhr Omân



THE TURKISH EMPIRE.
Newly Augmented by Iohn Speed 1626
THE ARMES OF TURKIE
A GRECIAN
HIS WIFE
A EGIPTIAN
HIS WIFE
A ASSYRIAN
HIS WIFE
A ARABIAN
HIS WIFE
A PERSIAN
HIS WIFE
THE BORDERS of THE DUKE of MOSCOVIA or GRET RUSSIA
PART of TARTARIA
PART of THE PERSIAN KINGDOME
THE SEA DE BACHU
THE EUXINE SEA
THE MIDDLE LAND SEA
PART OF AFRICA
AEGIPT
BARCA
DESERT ZUES
ARABIA HAPPIE
AYAMAN
PART OF THE REDD SEA
THE SEA ELCATIF
ORMUS
ITALIE
SOUTH

HISTORY OF KUWAIT

VOLUME ONE

PART ONE

By

Ahmad Mustafa abu - Hakima, Ph. D.

Professor of History, University of Jordan

Kuwait History Committee,
KUWAIT

1387 A-H — 1967 A-D

KUWAIT GOVERNMENT PRESS



PRICE 750 FILS

ثمن النسخة ٧٥٠ فلس